

نهاية الأرب

في

فتور الأرب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الثالث والعشرون

مراجعة

د. أحمد كمال زكي تحقيق

جزء
معين التاريخ
لاهل التاريخ

د. محمد مصطفى زياده



المكتبة الوطنية المصرية المتسامة للكتاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو الجزء الحادى والعشرون من «نهاية الأرب» بتجزئة التويرى ، والثالث والعشرون بالتجزئة التى يصدر بها اليوم .
نختصر فى تقديمه مكتفين بما جاء قبله ، فحين بأن الطريقة هنا هى تقريبا الطريقة هناك : وأن الرجوع إلى المظان عندنا لا يختلف عن الرجوع عند غيرنا إلا فى ربط القديم بالجديد إيماننا منا بأن للتاريخ فلسفة لم يبلورها الأولون !

ولقد كان العمل فى إخراج «نهاية الأرب» موكولا لأكفاء من غير شك غير أن صدور كل واحد منهم بأسلوبه الخاص أتاح للجميع أن يبسطوا أديعهم ويكشفوا عن منهجهم ، ومن ثم نبدأ لنا أن نتقدم بما يبين دورنا فى نشر هذا الجزء ، وإذا كان علينا أن نقول شيئا بادئ ذى بدء قلنا إننا اعتمادنا فى نشر هذا الجزء على نسخة صورتها الجامعة العربية من نسخة محفوظة

تحت رقم ١٣٦٩ بأمانة خزينه في استنبول ، وقد كتب في نهايته أنه
 « كمل » على يد مؤلفه المحقق إلى حضوره أحمد بن عبد الوهاب
 ووافق الفراغ منه في يوم الثلاثاء لخميس ليل بقين من صفر
 سنة أربع وعشرين وسبعمائة . »

على أن احتمال كون هذا الجزء مع ذلك بخط المؤلف هو قدر
 احتماله ألا يكون ؛ فإن تحرر الخط ، وجوده - برغم قلة النقط
 فيه - وعدم السقط ، وندرة الأخطاء التي تقع عادة من الملخصين
 والنويزي واحد منهم .. كل ذلك كان من غير شك حافزاً إلى أن
 نقابل هذه المصورة - وقد رمزنا لها بالحرف « ا » - بمصورتين
 أخريين إحداهما عن نسخة من كوبريللي بالآستانة ، والأخرى عن
 نسخة من الفاتيكان .

أما مصورة كوبريللي - ونرمز لها بالحرف « ك » وهي تحت
 رقم ٥٤٩ بدار الكتب - فهي في جودة الخط الذي حررت به
 « ا » .. بل قد تفضلها بكثرة نقطتها وإن يكن الخط فيها متعددًا
 وتناز بزيادات مفيدة لعل لنا نسخها فضل لإضافتها - إن كان
 هذا فضلاً - وتدل على حسن إدراك يرفع من قيمتها على نحو من
 الأنحاء ، ولعل هذا هو ما حدا بنا إلى أن نجعلها في المرتبة
 الثانية بعد « ا » .

فإذا عرضنا لمصورة الفاتيكان ٧٣٩ - وهي محفوظة بدار الكتب
 تحت رقم ٥٩٢ معارف عامة ورمزنا لها بالحرف « ف » - فكأننا
 نعرض للمصورة « ا » تماماً .. فهي من الناحية التاريخية نسخت سنة

٧٣٩ للهجرة والتويرى مات سنة ٧٣٢ كما فى المنهل الصاى ،
وهى من الناحية الفنية لا تخرج عن 'الإطار الذى حدده المؤلف
لأجزائه ، بل ربما وضحت بعض الأعلام وضبطتها .

نقول إن المصورة 'ف' هذ القيدة ، إلا أن رداة خطها -
بالنسبة إلى نسخة المؤلف - وصغر حروفها ، وعدم تحديد بدايات
الستين ، وضياح العناوين فى سياق الكلام .. كل أولئك يقيم شئ
صعوبات أمام القارئ العادى ، ويحمل ناسخها إبراهيم بن محمد
ابن ناهض الحلبى بقص وزر ، ما كان يصرف أحدا عن الانتفاع بها
كما ينبغى أن يكون الانتفاع .

ومع ذلك فهى كاملة إذا قيست بغيرها من المخطوطات القديمة ،
وهى فى ١٣٧ صفحة مزدوجة وقفنا إزاءها وقفنا إزاء « ١٠٠ »
فكنا نذكر رقم الصفحة الواحدة متبوعا بألف أو بباء ، على حسب
وقوع الكلام فيها يمينا أو شمالا ؛ فذكر خلافة المتعصم بالله
مثلا يقع فى صفحة ٩٤ - ١ ، وذكر مقتل يقيم فى ٩٤ - ب ، وذكر
إمارة عبد الرحمن بن محمد فى صفحة ١١٦ - ١ ، وذكر إمارة الحكم
فى ١١٦ - ب وهكذا ...

والجدير بالذكر أنها ، باستثناء ما ورد فى ١٣٢ - ب ، تخلو
من العناوين الجانبية إلا ما فات من السياق ؛ فكان يثبت
فى الهامش على ما جاء فى ٥٧ - ب و ٦٧ - ١ ، وثمة مقط. واحد
فى ٦١ - ب ، لم ينوه عنه إطلاقا ، ومحو بعض كلام فى ٣٨ -
ب ، وبقعنا خبر فى ١٢٤

يبقى بعد ذلك شيء طريف لا مندوحة عن ذكره ، هو أن القارئ يجد لأحد رجال دار الكتب تعليقا ظهر الغلاف يقول : « بداية هذا الجزء توافق بداية الجزء الواحد والعشرين من تجزئة المؤلف وينتهي بنهايته ، وما كتب على صفحة عنوانه تديس » وأما ما كتب فهو « الجزء الثاني من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب » بخط. يخالف خط المتن ، ثم نرى ضربا بالجبر على كلام في السياق يخفى شيئا أراد أحدهم ألا يصلنا . والظاهر أن هذه النسخة امتحنت مرتين ، إحداهما حين نزع غلافها الأصلي وأضيف لها غلاف جديد ، والأخرى حين طمس آثم جانبها أراد طمسه ، واستتبع هذا إخفاء بعض سياق الخاتمة بالريشة نفسها ، وهكذا يبعث بالتراث !

وأخيرا ، فكم كنا نحب ألا نختم هذه المقدمة الآن .. كنا نحب ألا نختمها حتى نستوفى الكلام على صنيع التويرى من تصنيف ورواية عن سبقه في حقل التاريخ كابن الأثير وابن الجوزى وابن الرقيق وابن شداد ، بل على صنيعه إزاء بعض الحوادث دون بعض ، ومروره على موقف مر المتعجل وتلبسه على آخر تلبث المتأني .. ونستخرج خصائص تأليفه ومات أسلوبه ونكشف عن شخصيته التي تركها على نقوله من غيره ، بيد أننا رأينا أن هذا - فضلا عن أنه يحتاج إلى تفصيل كبير يحيد بهذا الجزء عن الطريق الذي رسم لإخوته ..

من أجل ذلك طرحنا كل شيء وفي النفس أن نعود إلى المؤلف في مكان آخر وبدراسة أوفى .. نبين فيها ما نريد ،

ونوسع ما يضيق عنه المجال هنا ، غير أننا نأمل أن تكون إشاراتنا في الهوامش لبعض ما وقف عنده النويرى دليلاً على خطره هو بين الموسوعيين الذين تفخز بهم عربيتنا على الأجيال .

إن هذا الرجل أحد المصريين القلائل الذين جمعوا إلى فن الكتابة صناعاتٍ آخر ، وفي ظلّ السلطان الملك الناصر باشر نظر الجيش وتولى ديوان الدقهلية والمرتاحية ، ورصد تاريخاً يعتبر إلى الآن من أهم المراجع كما يقول فازيليف .

دكتور أحمد كمال زكى

ذكر خلافة المكتفى بالله

١٤٠ - ك

هو أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد بن المهدي - وهو الملقب بالناصر لدين الله - بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد أبي محمد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله ابن عباس ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين (١) . وأمه خاضع أم ولد وتلقب جيجك (٢) ، وقيل اسمها جنجورا ، وهو الخليفة السابع عشر من الخلفاء العباسيين . بُويع له يوم الإثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وما ثنتين -

(١) المفروض أن اعتد في إخراج هذا النص على «ا» وهي صورة النسخة التي بخط المؤلف ، غير أن الصفحات الأولى منها غير واضحة فكان لابد من الرجوع إلى صورة «ك» مع مقابلاتها بالصورة «ف» .

(٢) في ك صفحة ١٤٠ وفي ف صفحة ٢ - « جيجقه » قريبة لما في التنبيه والإشراف ٣٢١ « جيجق » وما هاهنا من تاريخ الطبري ٨ : ٢٥ والكمال ٦ : ١١٩ لفظ تركي معناه زهرة . راجع Vahit في (Istanbul 1931) An English and Turkish Dictionary.

في صفحة ١٦٤ يقول çiçek : Flower

وكان إذ ذاك بالرقّة - فبايع له الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ابن وهب ، وكتب له يعلمه بوفاة أبيه وأخذ البيعة له .
فلما وصله الخبر ، أخذ البيعة على من عنده من الأجناد ، ووضع لهم العطاء ، وسار إلى بغداد ، ووجه إلى النواحي بديار ربيعة ومضر ونواحي العرب ^(١) من يضبطها . ودخل بغداد ثمان خلون من جمادى الأولى ، فلما صار إلى منزله أمر بهزم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم

ذكر قتل بدر غلام المعتضد بالله

وكان سبب قتله أن القاسم - الوزير - كان قد هم بنقل الخلافة إلى غير ولد المعتضد بعده ، فقال لبدر ذلك في حياة المعتضد بعد أن استحلقه أن يكتم عليه فقال بدر : ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي وولي نعمتي ! فلم يمكنه مخالفته لأنه صاحب الجيش ، وحقد هاعليه فلما مات المعتضد كان بدر بفارس فعقد القاسم البيعة للمكتفي ، وعمل على هلاك بدر خوفاً على نفسه أن يذكر للمكتفي ما كان منه . وكان المكتفي مباحداً لبدر في حياة المعتضد ، فوجه إلى القواد الذين مع بدر بأمرهم بمفارقته والمصير إليه ، ففارقه جماعة وأقبلوا إلى المكتفي فأحسن إليهم .

وسار بدر إلى الموصل وواسط . فوكل المكتفي بداره ، وقبض

(١) في ك صفحة ١٤٠ وفي ف صفحة ٢-١ ، « نواحي المغرب وما هنا من الكامل ٦ : ١٠١ »

على أصحابه وقواده فحبسهم ، وأمر بمحو اسمه من الأعلام
والتراس (١) . وسير الحسن بن علي إلى كورة (٢) واسط في جيش ،
وأرسل بذر يعرض عليه أي الزواحي شاء ، فأبى ذلك وقال : لا بد
من المصير إلى باب مولاى !

فوجد القاسم مساعداً للقول (٣) ، وخوف المكتفى غائلته .
وبلغ بدرأما فعزل بأصحابه فأرسل من يأتيه بولده هلال سراً ، فعلم
الوزير بذلك فاحتاط . عليه ، ودعا قاضى الجانب الشرقى وأمره بالمسير
إلى بدر وأن يطيب قلبه عن المكتفى ويغويه الأمان على نفسه
وولده وماله ، فقال القاضى أبو حازم : أحتاج إلى سماع ذلك
من أمير المؤمنين ! فصرفه ودعا أبا عمر القاضى ، وأمره
بمثل ذلك فأجابته ، وسار بكتاب الأمان . فسار بذر عن واسط إلى
إلى بغداد فأرسل إليه الوزير من قتله ، فلما أيقن بالقتل سأل
المهله إلى أن يصلى ركعتين ، فأمهل حتى صلاهما . وضربت عنقه
يوم الجمعة ليست خلون من رمضان ، وأخذ رأسه وتركت جثته
هنالك ، فوجه عياله من أخذها سرا وجعلوها فى تابوت ، فلما كان
وقت الحج حملوها إلى مكة فدفنوها بها - وكان أوصى بذلك -
وأعقبت كل مملوك له . ورجع أبو عمر إلى داره كئيباً لما كان منه ، وقال
الناس فيه الشعر ، فمن ذلك قول بعضهم :

(١) التراس : من آلات الحرب للوقاية ، وهى جمع مفردة ترس ، ويجمع أيضا على
تروس وأتراس (القاموس المحيط)
(٢) كورة ، ف كما فى الطبرى ٨ : ٢١٠ . والكامل ٦ : ١٠٢ . الحسين بن علي
كورة .

(٣) فى ك ، ف ، مشاماً للقول ،

- قُلْ لِقَاضِي مَدِينَةِ الْمَنصُورِ كَيْفَ أَحْلَلْتَ أَخْذَ رَأْسِ الْأَمِيرِ (١)
- عند إعطائه الموائيق والعنه بد وعقد الأيمان في منشور (٢)
- أين أيمانك التي شهده الله به على أنها عيّن فجور
- إن كفيك لا تفارق كفي - - إلى أن ترى عليك السرير (٣)
- يا قليل الحياء بأ كذب الامة - يا شاهداً شهادة زور
- ليس هذا فعل القضاة ولا يبع - من أمثاله ولأه الجصور
- أي أمر ركبت في الجمعة الزه راء منه في خير هذى الشهور (٤)
- قدمص من قتلت في رمضان ضائماً بعد سجدة التغير
- يا بني يوسف بن يعقوب أضحي أهل بغداد منكم في غرور
- بدد الله شملكم أ وأرانسي ذلكم في حياة هذا الوزير
- فاعدوا الجواب للحكم العا دل من بعد منكر ونكير (٥)
- أنتم كلكم فداء أبي ح - زم المستقيم كل الأمور (٦)
- وفيها (٧) لحق إسحاق الفرغاني - وهو من أصحاب بلنر -

(١) في الطبري ٨ : ٢١٢ ، وفي الكامل ٦ : ١٠٢ « بم أحلت أخذ رأس الأمير »

(٢) في الطبري ٨ : ٢١٢ « بعد إعطائه » ...

(٣) في الكامل ٦ : ١٠٢ « إل أن ترى عليك السرير »

(٤) في ك ، ف صفحة ٢ - ب : بتصحيح صوابه ما أثبتناه ، وفي الطبري ٨ : ٢١٢

« أي أمر ركبت في الزهراء من خير غير الشهور » وهو خطأ واضح .

(٥) في ك ، ف صفحة ٣ - ١ ، يقول : العدل ، فيختل وزنه ، وأقامه ابن الأثير

في الكامل ٦ : ١٠٣ بروايته « العدل ومن بعد ... »

(٦) في الكامل ٦ : ١٠٣ البيت هكذا

أنتمو كللكم فدى لأبي ح - زم المستقيم كل الأمور

(٧) أي في سنة ٢٨٩

بالبادية وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفى ، فحاربه أبو الأغر^(١) فهزمه إسحاق وقتل جماعة من أصحابه .

وفيهما خلع المكتفى على هلال بن بذر وغيره من أصحاب أبيه في جمادى الأولى .

وفيهما في فصل الصيف هبت ريح باردة بحمص وبغداد من جهة الشمال ، فبرد الوقت واشتد البرد حتى جمد الماء ، واحتاج الناس إلى النار . وفيها هبت ريح عاصفة بالبصرة قلعت كثيرا من نخلها ، وخسف بموضع هلك فيه . ستون ألف نفس . وزلزلت بغداد في شهر رجب عشر مرات فتضرع الناس في الجامع فسكنت . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي^(٢)

ودخلت سنة تسعين ومائتين : في هذه السنة اشتد أمر القرامطة ، فجاء أهل الشام ومصر إلى المكتفى يشكون ما يلحقون من القرمطي^(٣) من الأثر والسبى والتخريب ؛ فأمر الجند بالتأهب ، وخرج من بغداد في شهر رمضان ، وقدم بين يديه أبا الأغر في

(١) هو خليفة بن المبارك أحد قواد العباسيين الكبار ، قامت بينه وبين القرامطة معارك كبار عدة .

(٢) انتهى نسبه إلى عبد الله بن عباس ، وكان صاحب الصلاة ببغداد وأمير مكة والموسم ،

حج بالناس نحو عشرين سنة ، وتوفي في صفر من عام ٣٠٦

(٣) هو كما في البداية والنهاية ١١ : ٦٩٦ الحسين بن زكرويه بن مهدويه ، واحد من أتباع حيدان قرط هولاء الذين قاوا . بحركة دينية اجتماعية هدت بهائم العالم الإسلامي ، وعلاوة هذه الحركة بالإسماعيلية مضطربة ، ولكن جمهور المؤرخين يرى أنها في العراق وسورية ومصر جزء من الإسماعيلية ، ويظن بعض المستشرقين أن القرامطة في الأصل كيميائيون ثم اتحدوا بالإسماعيلية . لتحليل من الفرائض الدينية المعروفة بمجمعين هل ضرورة قتل أعدائهم

عشرة آلاف ، وسار إلى الشام . وجعل طريقه على الموصِل .
 فنزل أبو الأغر بالقرب من حلب^(١) ، فكبسهم القرمطي صاحب
 الشامه^(٢) فقتل منهم خلقا كثيرا . ودخل أبو الأغر حلب في
 ألف رجل وذلك في شهر رمضان ، وسار القرمطي إلى باب حلب
 فحاربه أبو الأغر بمن بقي معه وأهل البلد ، فرجع عنهم . وسار المكتفى
 حتى نزل الرقة ، وسير الجيوش إليه وجعل أمرهم إلى محمد بن
 سليمان الكاتب ، وكان للقرامطة حروب كثيرة ووقائع نذكرها -
 إن شاء الله تعالى - في أخبارهم^(٣) .

وفيها أراد المكتفى البناء بسامراء ، وخرج إليها ومعه الصناع
 فقدروا ما نحتاج إليه فكان ما لا جزيلا ، فعظم الوزير ذلك عليه
 وصرفه عنها ، ورجع إلى بغداد .. وحج بالناس الفضل بن عبد
 الملك بن عبد الله بن عبيد الله العباسي .

ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين : في هذه السنة سار
 من طرسوس غلام زرافة^(٤) نحو بلد الروم ففتح مدينة أنطاكية
 عتوة بالسيف ، فقتل خمسة آلاف وأسر نحوهم ، واستنقذ من
 الأسارى خمسة آلاف ، وأخذ لهم ستين مركبا حملها ما غنم
 من الأموال ، وقدر نصيب كل رجل فكان ألف دينار .

(١) في وادي « بطنان » على ما تذكر الأثبات .

(٢) كان الحسين شامة في وجهه « ذكر أنها آتية » على ما يقول المؤرخون .

(٣) استطاع الكاتب ذلك القائد ليقظ أن يقصر على قوة الحسين القرمطي قرب حمص .

فيقر ولكنه لا يتجر !

(٤) يقول عنه ابن الأثير إنه قائد معروف ، وقال عن أنطاكية إنها مدينة تعادل القسطنطينية

وهي على أية حال مدينة عظيمة بأسيا الصغرى قريبة من بحر الروم (ياقوت في معجم البلدان)

وفيها مات الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان^(١) . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة اثنتين وتسعين وما ثنتين : في هذه السنة انقضت الدولة الطولونية ، واستولى المكتفى بالله على ما بأيديهم بمصر والشام . وأرسل محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر بمواطاة قواد هارون بن خمارويه فتوجه ، وقاتله هارون فقتل هارون ، واستولى ابن سليمان على مصر ، على ما نذكر ذلك مبيناً - إن شاء الله تعالى - في أخبار الدولة الطولونية .

قال (٢) : وكتب ابن سليمان بالفتح إلى المكتفى بالله ، فأمر بأشخاص آل طولون إلى بغداد ففعل ذلك ، وولى معونة مصر عيسى النوشري . ثم ظهر بمصر رجل يعرف بالخليجي^(٣) - وهو من قواد الدولة الطولونية - فخالف على الخليفة وكثر جمعه ، وعجز النوشري عنه فتوجه إلى الإسكندرية ، ودخل إبراهيم الخليجي مصر . فسير إليه المكتفى الجنود مع فاذك^(٤) - وولى المكتفى - وبدر الحماص ، فصاروا في شوال فوصلوا حدود مصر

(١) مات في ذي القعدة من هذه السنة وكان عمره اثنين وسبعين عاماً وثمانية أشهر تقريباً .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١١١

(٣) تتردد الأثبات في رسمه هكذا ورسمه « الخليجي » وقد اختار الطبري الأول ، واختار ابن الأثير الثاني ، وقد قال عنه ابن تقي بردي في النجوم الزاهرة (٣ : ١٥٣) إنه محمد بن علي الخليجي الأمير أبو عبد الله الطولوني ملك مصر عنوة من النوشري .

(٤) في ف صفحة ٣ - ب « مع قابل » . كما في ك وما ها هنا من الكامل ٦ : ١١١

في صفر سنة ثلاث وتسعين (١) . وتقدم أحمد بن كيغلاغ في جماعة من القواد ، فلقبهم الخليجي فهزمهم بالقرب من العريش أقبح هزيمة . فندب من بغداد جماعة من القواد فيهم إبراهيم بن كيغلاغ ، فخرجوا في شهر ربيع الأول . وبرز المكتفي إلى باب الشَّامِسية (٢) يريد المسير لحرب الخليجي لِمَا / بلغه من قُوته - وكان ذلك في شعبان - فورد كتابُ فاتك في شعبان أن القواد رجعوا إلى الخليجي وقتلوه أشدَّ قتال ، وكانت بينهم حروبٌ آخرها أنه انهزم ودخل فسطاط مصر واستترها ، ودخل عسكرُ الخليفة المدينة وظفروا به ، وحبس هو ومن استتر عنده . فكتب المكتفي إلى فاتك بحمله ومن معه إلى بغداد ، فوصلوا بغداد في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، ودخل المكتفي بغداد وأمر برّد خزائنه وكانت قد بلغت تكريت (٣) .

٢-ك

ومبها - أعنى سنة اثنتين وتسعين . أخذ بالبصرة رجل دُكر أنه أراد الخروج ، وأخذ معه ولده وتسعة وثلثون رجلاً ، وحملوا إلى بغداد وهم يستغيثون ويحلفون أنهم براء (٤) . فأمر المكتفي بحبسهم

(١) من عادة النويري أن يتعقب الواقعة بخلافها حتى ينتهي منها ، وإن جاوز السنة التي يؤرخ لها كما نرى هنا .

(٢) كان في الشامية التي كانت تجاور دار الروم في أعلى بغداد (معجم البلدان لياقوت)

(٣) بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، سميت على ما ذكر ياقوت بتكريت بنت وائل . وتقع غرب دجلة وبها قلعة حصينة بناها سابور بن أردشير

(٤) نقول في جمع برى و براء (القاموس المحيط)

وفيهما أغار أندرونقس^(١) الرومي على مرعش^(٢) ونواحيها ،
فَنَفَرَ أَهْلُ المَصِيصَةِ وطرسوس فأصيب أبو الرجال بن أبي بكار
في جماعة من المسلمين . فعزل الخليفة أبا العشائر عن الثغور
واستعمل عليهم رستم بن بدر^(٣) ، وافندي رستم فكان جملة
من قُودِيَ به المسلمون ألف نفس ومائتي نفس . وحج بالناس في
هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله .

وفيهما كان ابتداء إمارَةِ بني حمدان بالموصل ، وذلك أن المكتفى
بالله ولَّى على الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن
حمدون التغلبي العدوي^(٤) ، فقدمها في المحرم ، وخرج في اليوم
الثاني من مقدمه لقتال الأكراد على ما نذكره إن شاء الله تعالى في
أخبار الدولة الحمدانية .

ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين : في هذه السنة كان الظفر
بإبراهيم الخليلجي الملقب على ديار مصر ، وقد ذكرنا ذلك في سنة
اثنيتين وتسعين ومائتين .

(١) في ك « أندريس » وما هنا من ف صفحة ٣ - ب كما في صلة الطبري صفحة ٢

(٢) مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، يقول ياقوت إنها حصينة ولها سوران ،
وبوسطها قلعة ، ولها ربض يعرف بالهارونية .

(٣) « بن بردو » في الكامل ٦ : ١١١

(٤) هو رأس الأسرة الحمدانية وصاحب قلعة ماردين القريبة من الموصل ، ويظهر ابن
حملون على مسرح التاريخ لأول مرة عام ٢٥٤ يوم احتل الموصل مساور بن عبد الحميد فجعل
صاحبها التغلبي جيشا كان فيه حمدان .

وفيها أغارت الروم على قورس - من أعمال حلب - فقتلهم أهلها قتلاً شديداً، ثم انهزموا وقتل كثير منهم (١). ودخل الروم قورس، وأحرقوا جامعها، وأخذوا من بقي من أهلها. ووحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك الهاشمي.

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين : في هذه السنة قُتل زكرويه رئيس الترامطة على ما تذكره إن شاء الله تعالى - في أخبارهم (٢) وفيها غزا ابن كيغلف من طرسوس، فأصاب من الروم أربعة آلاف رأس سبياً، ودواباً ومتاعاً، ودخل بطريق من بطارقة الروم في الأمان فأسلم. وغزا ابن كيغلف أيضاً فبلغ شلندوا (٣).

وافتح اللئيس (٤) فغزم نحواً من خمسين ألف رأس، وقتل

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل ٦ : ١١٥ أن معظم القتل من الرووس كانوا من نعيم.

(٢) لن يقع ذلك في هذا الجزء الذي بأيدينا فنقول إنه خرج يغزو الحاج فاوقع بهم مرات، فأرسل المكتفي قائده وصيفاً ففرض على قوته وأسره بعد أن جرح، وعاش بعد أسره خمسة أيام ثم مات، وتفرق أصحاب زكرويه في البرية وماتوا عطشاً.

(٣) في الكامل ٦ : ١١٧ « شكند » وفي عقد الجمان ٩ ، « شلندو » وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٧٨ « سلند » وكلها لا وجه لها : إلا أن تكون « سنندو » قال عنها ياقوت إنها بلد في وسط بلاد الروم غزاها سيف الدولة الحمداني فقال المكتفي :

رضينا والدميتي غير راض عما حكم القواضب والوشيح
فإن يقدم فقد زرنا سنبسرو وإن يحجم فوسعدنا الخليج

(٤) مدينة في بلاد الروم

مقتلة عظيمة ، وانصرف ومن معه ساليين . وكتب أندرونقس
 البطريق المكتفى بالله فى طلب الأمان فأعطاه ما طلب - وكان
 على حرب الثغور من قبل ملك الروم - فخرج ومعه نحو من مائتى ألف
 أمير^(١) من المسلمين فى السلاح ، فقبضوا على بطريق كان
 ملك الروم أرسله ليقبض على أندرونقس - ليخاربه - فصار
 إليه جمع من المسلمين لإغاثته ، فبلغوا قونية^(٢) وانصرف
 الروم عنه . وسار جماعة من المسلمين إلى أندرونقس وهو فى
 حصنه ، فخرج إليهم ومعه أهله ، وسار معهم إلى بغداد .
 وخرب المسلمون قونية ، فأرسل ملك الروم إلى خليفة يطلب
 الفداء . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة خمس وتسعين ومائتين : فى هذه السنة كانت
 وفاة إسماعيل بن أحمد السامانى أمير خراسان وما وراء النهر
 وقام بعده ابنه أحمد على ما ذكره - إن شاء الله تعالى -
 فى أخبارهم^(٣)

(١) فى الكامل ٦ : ١١٧ « مائى » فقط

(٢) من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها سكنى ملوكها ، وفى كتاب الفتوح يقول
 ياقوت « انتهى معاوية بن حديج فى غزوه أفريقية إلى قونية وهى موضع مدينة
 القيروان » .

(٣) يحق لنا هنا أن نعرف أن هذه الأسرة - وهى زردشتية الأصل - اعتنقت المذهب
 السنى ، وأنه لم يظهر بعد إسماعيل بن أحمد أمير فيها قدير ، إلا أن شاعة الإذاعة السامانية مكها
 من المحافظة على ملكها مائة عام .

ذكر وفاة المكتفى بالله

كانت وفاة المكتفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وطالت مرضته عدة شهور ، ولما مات دُفِنَ بدار محمد بن عبد الله بن طاهر . وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة ، واختُلف فيه إلى إحدى وثلاثين سنة وشهور^(١) ، وكانت مدة خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما . وكان أئمر أعين^(٢) ، قصيرا ، حسن اللحية والوجه . وهو الذى بنى / جامع القصر بمدينة السلام - وكان موضعه مطامير فغطاها - وبني تاج دار الخلافة على دجلة . وأنفق الأموال العظيمة فى حرب القرامطة ، وكان نقش خاتمه « بالله يثق على بن أحمد » .

٣- ك

أولاده : المستكفى بالله ، وثمانية ذكور .

وزراؤه : القاسم بن عبيد الله ، ثم أبو العباس بن الحسن بن أيوب بن سواد جرجاريا^(٣) ، وهو أول وزير منع أصحاب الدواوين الوصول إلى الخليفة .

(١) الواقع أن المكتفیات صغيراً وخلال حكمه القصير بدا للناس أن العباسية استعادت مجد الخلافة واسترجعت عز سلطانها ، وحسبها أنها تستطيع به أن تقضى على ثورات القرامطة فى الشام وعلى سلطان الطولونيين فى مصر !

(٢) أعين : عظيم سواد العينين فى سعة (المحيط)

(٣) جرجاريا : بلد من أعمال النهران بين واسط وبغداد من الجانب الشرق (معجم

قضاته : أبو حازم ، ثم يوسف بن يعقوب ، ثم أبو عمر
بن علي بن أبي الشوارب

حاجبه : خفيف السمرقندي .

الأمراء بمصر : هارون بن خماروية ، ثم سنان بن أحمد بن
طولون بمبايعة الجند له ، ثم محمد بن سليمان الكاتب دبرها إلى
أن قديم - بأمر المكتفى - عليها عيسى بن محمد النوشري .
القضاة بها : أبو زرعة وأبو عبيدة مستتر إلى أن قديم محمد
بن سليمان ، فظهر أبو عبيدة بعد استتاره عشر سنين ، وعاد
إلى القضاء والله أعلم !

ذكر خلافة المقتدر بالله

هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد -
وقد تقدم ذكر نسبه - وأمه أم ولد اسمها شغب ! وهو الثامن
عشر من الخلفاء العباسيين ، بويع له ثلاث عشرة ليلة
خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره يومذاك
ثلاث عشرة سنة .

قال ابن الأثير ^(١) : كان سبب ولاية المقتدر أن المكتفى
لما ثقل مرضه فكّر الوزير أبو العباس بن الحسين فيمن يصلح
للخلافة ، فاستشار محمد بن داود الجراح في ذلك فأشار بعبد

الله بن المعتز ووصفه بالعقل والرأى والأدب ، واستشار بعده
أبا الحسن بن الفرات ^(١) فامتنع ، وقال : هذا شيء مما جرت
عادتي أشير به ، وإنما أشاور في العمال لا في الخلفاء ! فغضب
الوزير وقال : هذه مقاطعة وليس يخفى عليك الصحيح ! وألح عليه
فقال : إن كان رأى الوزير قد استقر على أحد فليفعل .
فعلم أنه عني ابن المعتز لا شهارة خبره ، فقال الوزير : لا أقنع إلا أن
تمحضني ^(٢) النصيحة ! وألح عليه فقال ابن الفرات : قليتي
الله الوزير ولا ينصب إلا من قد عرفه واطلع على جميع أحواله ،
ولا ينصب بخيلا فيضيئ على الناس ويقطع أرزاقهم ، ولا ظامعا
فيشهر في أموالهم فيصادرهم ويأخذ أموالهم وأموالهم ، ولا قليل
الدين فلا يخاف العقوبة والآثام ويرجو الثواب فيما يفعله ، ولا من
قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وضئعة هذا وفرس هذا ،
ومن قد لقي الناس ولقوه وعاملهم وعاملوه وتحنك وحسب حساب
الناس وعرف وجوه دخلهم وخرجهم !

فقال الوزير : صدقت ونصحت ، فيمن تشير ؟ قال :
أصلح الموجودين جعفر بن المعتض بالله . قال : ويحك هوصني !
قال : إلا أنه ابن المعتض ، ولم نأت برجل يباشر الأمور

(١) ابن الفرات والجراح من أسرتين حملتا لواء الكتابة في هذا العصر ، ويبدو أن
المنافسة بينهما وظهر كتاب كبار في آل الفرات وآل الجراح انتهى إلى تكوين حزبين متعارضين ،
ولعل هذا يفسر موقف داود الجراح .

(٢) محض النصيحة : أغلصها وصدقها (المحيط) .

بنفسه غير محتاج إلينا ؟ فمالت نفسُ الوزير إلى ذلك ،
وانضاف إليه وصيةُ المكتفى له بالأمر . فلما مات المكتفى بالله
أرسل الوزيرُ صافيا الحرَّيَّ (١) ليحدر المقتدر من داره الغربي .
فركب في الحراقة (٢) وانحدر . فلما صارت الحراقةُ مقابلَ دارِ
الوزيرِ صاح غلمانُ الوزيرِ بالملاح ليدخل إلى دار الوزير ، فظنَّ
صافي الحرَّيُّ أنه يريد القبض على جعفر وينصب في الخلافة
غيره ، فمنع الملاح من ذلك . وسار إلى دار الخلافة وأخذ له
صافي البيعة على جميع الخدم وحاشية الدار ، ولقب نفسه
المقتدر بالله ولحقَ الوزيرُ به وجماعةُ الكتاب فبايعوه ثم جهزوا -
جماعة الكتاب - المكتفى ودفنوه .

قال (٣) : وكان في بيت المال حين بوبع خمسة عشر ألف
ألف دينار ، فأطلق يدَ الوزير في بيت المال فأخرج حقَّ البيعة !
قال : ثم استصغر الوزيرُ المقتدر ، فعزم على تخلُّعه وتقليدِ
الخلافةِ أبا عبد الله بن المعتز على الله . فرأسله في ذلك واستقرَّت
الحال ، وانتظر الوزيرُ قدومَ بارس (٤) حاجبِ إسماعيل صاحبِ

(١) يعرف بصافي الرومي وكان غلام أحمد بن طولون ، وعمل للخليفة فلما مات سنة
٢٩٨ قله المقتدر مكانه مؤثراً الخادم على ماسرى بعد (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٤)
وفي كـ صائفاً وهو تحريف صوبه بنفسه في السطور التالية ، وفي ف صفحة ٤ - ب
« الحرَّي » بالغاء والراء المشددة وهو تحريف أيضاً .

(٢) ضرب من مركبات الماء .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١١٩

(٤) يقال له بارس الكبير ، وكان عامل إسماعيل بن أحمد الساماني على جرجان .

خراسان ، وكان قد أذن له في القدوم وأراد أن يستعين به على ذلك ويتقوى به على غلمان المعتضد بالله ، فتأخر بارم .

واتفق أنه وقع بين أبي عبد الله بن المعتضد وبين ابن عمرويه - صاحب الشرطة - منازعة في ضيعة مشتركة بينهما ، فأغاضه له ابن عمرويه ، فغضب ابن المعتضد غضباً شديداً وأغضى عليه ، فخرج في المجلس فحبل إلى بيته في محفة فمات في اليوم الثاني . فأراد الوزير البيعة لأبي الحسن بن المتوكل فمات أيضاً بعد خمسة أيام ، وتم أمر المقتدر . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الله الهاشمي

ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين :

ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز

وانتقاض ذلك وعودة المقتدر ووفاء عبد الله بن المعتز

قال (١) : وفي هذه السنة اجتمع القواد والقضاة والكتاب مع الوزير (٢) على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز بالله . وأرسلوا إلى عبد الله بن المعتز فأجابهم إلى ذلك على أن لا يكون فيه منك دم ولا حرب ، فأتبروه أن كلمتهم اجتمعت عليه ، وأنه ليس له منازع ولا محارب . وكان القائم في ذلك الوزير المذكور ومحمد

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٢١

(٢) هو العباس بن الحسن ، وكان موقفه يتم عن تردد بالغ ، فهو ليلة وفاة المكتن يويد على بن عيسى في ترشيح ابن المعتز للخلافة ، فهو يستحسن رأي داود الجراح ، ولكنه يميل إلى ابن القرات ويبيع المقتدر ، وتكون النهاية قطعه من آل الجراح .

ابن داود الجراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي ، ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف بن صوار تكين ثم إن الوزير رأى أمره صالحاً مع المقتدر ، وأنه على ما يحب ، فبدأ له في ذلك فوثب به الآخرون فقتلوه ، وكان الذي تولى قتله منهم الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف . لحقوه وهو سائر إلى بستان له فقتلوه ، وقتلوا معه فانكا المعتضدى ، وذلك في العشرين من شهر ربيع الأول ، وخلق المقتدر من الغد ، وبايع الناس لابن المعتز .

وركض الحسين بن حمدان إلى الحلبة ^(١) ظناً منه أن المقتدر يلعب هناك بالكرة فيقتله ، فلم يصادفه لأنه لما بلغه قتل الوزير ركض دابته ^(٢) ودخل الدار . وغاقت الأبواب ، فندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر ! وأحضروا ابن المعتز وبايعوه بالخلافة ، وتولى أخذ البيعة له محمد بن سعيد الأزرق ، وحضر الناس والقواد وأصحاب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات وخواص المقتدر فإنهم لم يحضروا . ولقب ابن المعتز المرتضى بالله ^(٣) أبا العباس عبد الله بن المعتز . ووجه إلى المقتدر يأمره بالانتقال إلى دار ابن طاهر - التي كان

(١) اعتاد المقتدر أن يلعب فيها بالصداجلة ، مفردها صولجانه وصولج أى المود المود يضرب به الكرة .

(٢) ركض دابته : ركلها برجليه يستحبها لتسرع به (المحيط)

(٣) كذا في الطبرى وابن الأثير ، وقيل « لقبوه بالنصف بالله » ، وقيل بالغالب بالله وقيل بالراضى بالله « (النجوم الزاهرة ٣ : ١٦٥)

١١ - ب - بها قبل الخلافة - لينتقل هو إلى دار الخلافة ، فأجابه بالسمع والطاعة ، وسأل الإمهال إلى الليل . وعاد الحسين بن حمدان بكرة غد إلى دار الخلافة فقاتله الخدم والعلماء والرَّجالة (١) / من وراء السور عامة النهار ، فانصرف عنهم آخر النهار . فلما جنَّه الليل (٢) سار عن بغداد بأهله وماله إلى الموصل لا يدري لِم فعل ذلك ؟ ولم يكن قد بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس وغريب الخال (٣) وحاشية الدار . فلما هم المقتدر بالانتقال عن الدار قال بعضهم لبعض : لا نسلم الخلافة من غير أن تُبلى عدوا (٤) ونجتهد في دفع ما أصابنا !

فاجتمع رأيهم على أن يصعدوا في الماء إلى الدار التي فيها ابن المعتز يقاتلونه ، فأخرج لهم المقتدر السلاح والزرديات (٥) وركبوا السميريات (٦) . فلما رأهم من عند ابن المعتز هالهم كثرتهم ، واضطربوا ، وهربوا على وجوههم من قبل أن يصلوا إليهم ، وقال بعضهم لبعض : إن الحسين بن حمدان ما يريد يجرى ، فلهذا هرب من الليل ، وهذه مواطاة بينه وبين المقتدر . ولما رأى عبد الله بن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وهربا ،

(١) من هنا تبدأ نسخة هـ التي اتخذتها أصلاً للنشر ، وهذا ينهي النقل عن ذلك ، إلا في حالات المقاتلة

(٢) جنه : ستره (المحيط) (٣) هو خال المقتدر وقد توفي سنة ٣٠٥

(٤) نبيل علوا : نسله لهم ، لأن البلوى والبلىة والبلاء : الغم كأنه يبلى الجسم ، والتكليف بلاء لأنه شاق على البدن (المحيط)

(٥) الزرديات : هي الزرد دارجة تنمي اللروع .

(٦) السميريات : ضرب من القوارب الخفيفة السريعة .

وغلاقاً له ينادى : يا معشر العامة ادعوا لخليفتكم السنيّ البرهاري !
 وإنما نسبته لذلك لأنّ الحسين بن القاسم بن عبید الله البرهاري
 كان مقدّم الحنابلة والسنيّة من العامة ولهم فيه اعتقاد عظيم ، فأراد
 اسمائهم بهذا القول .

١٢ - ١
 ثم إن ابن المعتز ومن معه ساروا نحو الصحراء ظناً منهم أن
 من باريعة من الجند يتبعونه ، فلم يلحقه منهم أحد . فرجعوا ، /
 واختفى محمد بن داود في داره ، ونزل ابن المعتز عن دابته
 ومعه غلامه يمين ، وانحدرا إلى دار عبید الله بن الجصاص ، فاستجارا
 به . واستتر أكثر من بايع ابن المعتز ، ووقعت الفتنة والنهب
 والقتل ببغداد ، وثار العيارون والسفلة (١) يمهتون اللور .
 وكان ابن عمرويه - صاحب الشرطة - ممن بايع ابن المعتز ، فلما
 هرب جمع ابن عمرويه أصحابه ونادى بشعار المقتدر يدّلس
 بذلك فناداه العامة : يا مُراه يا كذاب ! وقتلوه ، فهرب واستتر
 وتفرّق أصحابه .

وقلّد المقتدر في تلك الساعة الشرطة مؤنسا الخازن ، وخرج
 بالعسكر وقبض على . . وصيف بن صوّار تكيين وغيره ، فقتلهم .

(١) في ا ، ك ، ف ه السفلة ولا وجه لها لأننا نقول سفلة (بكسر فسكين)
 وسفلة (بفتح وكسر) بمعنى أسافل الناس وغوغاءهم ، استعير من سفلة الدابة أي قوائمها . وأما
 العيارون فالأصل فيها الذين يروحون ويحيثون وتبني الأذكيا . أيضا ، ثم أصبحت تدل على
 فئة الأشرار المخادعين ، ويبدو أن الأمر قد انتهى بهم إلى أن يكون لهم تنظيم يلعب دوره
 الخطير فيما بعد (راجع دراسات في المصور العباسية المتأخرة للدكتور عبد العزيز الدوري صفحة
 ٢٨٢ وما بعدها ، طبعة السريان سنة ١٩٤٥ .

وقبض على القاضي أبي المثنى أحمد بن يعقوب فقتله لأنه قيل له «بايع المقتدر» فقال : لا أبايع صبياً ! اقدِّبح ، وأرسل المقتدر إلى أبي الحسن علي بن الفرات - وكان مختفياً - فأحضره ، واستنوره ، وخلَّع عليه .

وكان في هذه الحادثة عجائب منها أن الناس كلَّهم أجمعوا على خلَّع المقتدر والبيعة لابن المعتز ، فلم يتم ذلك ، بل كان بالعكس . ومنها أن ابن حمدان على شدَّة تشيُّعه يسعى في البيعة لابن المعتز على علوه في النصب (١) .

ثم إن خادما لابن الجصاص - يعرف بسوسن (٢) - أخبر صافيا الحرمي أن ابن المعتز عند مولاه ومع جماعة ، فكُبِسَتْ داره وأخذ ابن المعتز منها / وخُيسَ إلى الليل ، ثم عُصِرَتْ خصيتاه حتى مات وسُلم إلى أهله (٣) . وصودر ابن الجصاص على مال كثير ، وأخذ محمد بن داود وزير المعتز فقتل ، ونفى على بن عيسى إلى واسط ، وصودر القاضي أبو عمرو على مائة ألف دينار ، وسُيرت العساكر من بغداد في طلب الحسين بن حمدان ، فتبعوه إلى الموصل ثم إلى بلده ، فلم يظفروا به . فعادوا إلى بغداد . وأخذ الوزير الجرائد التي كان فيها أسماء من أغان

١٢ - ب

(١) أهل النصب : الذين ينصبون لعل بن أبي طالب وجهه كارهين له لأن من ينصب لآخر يماذيه ويفضه ، فأهل النصب على ذلك هم المتدينون ببغضة علي ، لأنهم نصبوا له أبي عاده (المحيط وأساس البلاغة للزمخشري)

(٢) كذا في أوفى ك صفحة ٤ وفي صفحة ٦ - ١ ، ولكن ابن الأثير يسميه «سوس» الكامل ٦ : ١٢٢

(٣) كانت خلافة يوما وليلة ، وقيل نصف نهار فقط ! والمروفي أنه كان أديبا عالما كبيرا ، قال الشعر ، وصنف في طبقات رجاله المحدثين ووضع في البديع كتابا .

على المقتدر ففرَّقها في دجلة ، وبسط ابن الفرات العدل والإحسان وأخرج
الإدارات للطالبيين والعباسيين . وأرضى القواد بالأموال ، وفرَّق معظم
ما كان في بيوت الأموال

وفي هذه السنة كان ابتداء ظهور الدولة العبيدية المنسوبة
للعلوية بأفريقية على ما نذكره - إن شاء الله تعالى - في
أخبارهم (١) .

وفيها سار المقتدر القاسم بن سبأ وجماعة من القواد في
طلب الحسين بن حمدان ، فساروا حتى بلغوا قرقيسيا فلم
يظفروا به ، فكتب المقتدر إلى أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان -
وهو الأمير على الموصل - يأمره بطلب أخيه الحسين . فسار
هو والقاسم بن سبأ ، فالتقوا عند تكريت فانهمز الحسين ،
وأرسل أخاه إبراهيم بن حمدان يطلب له الأمان فأجيب إلى ذلك ،
ودخل بغداد وخلع عليه وعُقد له على قم وقاجان (٢) فسار إليهما .

وفيها وصل بارس غلام إسماعيل الساماني ، وقُلد ديار ربيعة .

وفيها خلع على المظفر مؤنس الخادم ، وأمر بالمسير إلى غزو

(١) يفوتنا ذلك في هذا الجزء . ومن ثم نقول إنها نسب لعبد الله المهدي أبي الخلفاء
الفاطمين ، بدأت في سلطنة حيث كان حياً ، ثم راح يوطد لها بالقضاء على قوة الكتائب
والصهاجيين والادارة وغيرهم ، ولما تم له كل شيء . وبني المهدي حضرته اتجه إلى المشرق
ونجح .

(٢) تكتب قاشان أيضا ، وهي مدينة قرب أصهان تذكر مع قم ، وأهلها كلهم شيعة
إمامية ، وبين قاشان وقم اثنا عشر فرسخا وبين قاشان وأصهان ثلاث مراحل (ياقوت في معجم
البلدان) .

الروم . فسار في جمع كثيف فغزا من ناحية مَلَطِيَّة (١) ومعه أيو
الأغرَّ السُّلَمي ، فظفر وغنم ، وأسر منهم جماعة ، وعاد .

وفيها قُتِلَ يوسف بن أبي الساج (٢) أعمال أرمينية وأذربيجان ،
وضمنها مائة ألف وعشرين ألف دينار .

وفيها أمر المقتدر أن لا يُسْتَعَانَ بِأَحَدٍ من اليهود والنصارى ،
فأُلْزِمُوا بِبُيُوتِهِمْ ، وَأُخِذُوا بِلُبْسِ الْعَسَلِيِّ (٣) و [تعليق] (٤)
الرِّقَاع من خلف ومن قدام ، وأن يكونَ رَكْبُهُمْ خَشَنًا . وحجَّ
بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين : في هذه السنة وجه
المقتدر القاسم بن سِمْيَا لِيُغْزِيَ الصَّائِفَةَ (٥) ، وحجَّ بالناس ، الفضل
بن عبد الملك .

وفيها مات عيسى التُّوشَرِي - أمير مصر - واستعمل المقتدر

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة كما يقول ياقوت تناغم الشام استولى عليها
المسلمون وبنوا بها مسجداً وكانوا يخرجون منها في غزو الصائفة ، وقد ذكرها الشعراء كثيراً
ولا سيما المتنبي وأبو فراس الحمداني .

(٢) الواقع أن بداية هذا الرجل كانت بداية قاطع طريق ، وإن يكن أخوه الأقسين
أمير أذربيجان ، وكان يهاجم الحجاج فأوقفوا به ، وسير إليه المكتنن الحملات لإخضاعه ،
ولما سأل المقتدر أشركه في حروب القرامطة .

(٣) عسل اليهود : علامتهم

(٤) ليست في سياق الأصل ولا في غيره ولكن المقام يقتضيها وذكرها ابن قنرى
بردى في النجوم الزاهرة ٣ : ١٦٥

(٥) الصائفة : غزو الروم في الصيف لأن جليد الشتاء يحول دون الغزو المحيط

تَكِينَ (١) الخادم ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ فِي مُنْتَصَفِ رَمَضَانَ . وَقَالَ أَبُو
الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ (٢) فِي حَوَادِثِ هَذِهِ السَّنَةِ « قَالَ ثَابِتُ بْنُ
مَسْنَانَ رَأَيْتُ فِي صَدْرِ أَيْامِ الْمُقْتَدِرِ بِبَغْدَادٍ امْرَأَةً بِلَا ذِرَاعَيْنِ وَلَا
عُضْدَيْنِ ، وَكَانَ لَهَا كَفَّانٌ بِأَصَابِعٍ تَامَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ فِي رَأْسِ
كَتْفَيْهَا لَا تَعْمَلُ بِهِمَا / شَيْئًا وَكَانَتْ تَعْمَلُ أَعْمَالَ الْيَدَيْنِ بِرَجْلَيْهَا ،
وَرَأَيْنَاهَا تَغْزُلُ بِرَجْلَيْهَا وَتَمْدُّ الطَّاقَةَ وَتَسَوِّيَهَا - قَالَ - وَرَأَيْتُ امْرَأَةً
أُخْرَى بِعُضْدَيْنِ وَذِرَاعَيْنِ وَكَفَّيْنِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْكَفَّيْنِ
يَنْخَرُطُ . وَبِدَقٍّ إِذَا فَارَقَ النَّهْدَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَأْسٍ دَقِيقٍ يَمْتَدُّ
وَيَصِيرُ لِصِغَرٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَذَلِكَ رَجُلُهَا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَمَعَهَا
ابْنٌ لَهَا عَلَى مِثْلِ صَوْرَتِهَا ! »

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ جُعِلَتْ
أُمُّ مُوسَى الْهَاشِمِيَّةُ قَهْرْمَانَةَ دَارِ (٣) الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، فَكَانَتْ تَوْزِي
الرِّسَالَةَ عَنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَأُمَّهُ إِلَى الْوُزَرَاءِ . ثُمَّ صَارَ لَهَا [أَنْ] (٤)
تَحْكُمُ كَثِيرًا فِي الدَّوْلَةِ عَلَى مَا زَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحُجَّ
بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ .

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ :

(١) هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرْبِيِّ الْأَمِيرِ مَنصُورِ الْمُعْتَصِدِ الْخَزَرِيِّ ، وَقَدْ أُضِيغَتْ إِلَيْهِ دِمَشْقُ

(٢) فِي الْمُنْتَظَمِ ٦ : ٨٩

(٣) قَهْرْمَانَةُ : مَسِيرَةٌ وَحَفِيزَةٌ ، قَالَ سَيَبَوَيْهِ الْقَهْرْمَانُ فَارِسِيٌّ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِّي
الْقَهْرْمَانُ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَلِكِ وَخَاصَّتُهُ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ (اللِّسَانُ مَادَّةُ قَهْرَم)

(٤) زِيَادَةُ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ وَلَا فِي غَيْرِهِ وَلَكِنَّ السِّيَاقَ يَقْتَضِيهَا .

ذكر القبض على ابن الفرات

ووزارة الخاقاني

في هذه السنة قَبِضَ المقتدر بالله على وزيره ابن الفرات ،
ووكل بداره ، وهتك حرمة ، وسلب أمواله ودور أصحابه ومن
يتعلق به فافتتحت بغداد لقبضه ، وكانت مدة وزارته - وهي الأولى -
ثلاث سنين وثمانية أشهر / ، وثلاثة عشر يوماً . وقُلتْ أبو ١٤ - ١
علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن خاقان الوزارة ، فرتب
أصحاب الدواوين ، وتولى مناظرة ابن الفرات (١) . ثم انجلت
أمور الخاقاني لأنه كان ضجوراً (٢) ضيق الصدر ، مهملاً لقراءة كتب
العمال ، وجباية الأموال ، وكان يتقرب إلى الخاصة والعامة ؛
فكان إذا رأى جماعة من الملاحين والعامة يصابون - جماعة - ينزل
ويصلي معهم ، وإذا سأل أحد حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة !
فسمي « دق صدره » إلا أنه قصر في إطلاق الأموال للقواد والفرمان
فنفروا عنه . وكان أولاده قد تحكّموا عليه وكل منهم يسعى لمن
يرتشي منه ؛ فكان يؤلّى في الأيام القليلة عدّة من العمال حتى إنه
ولّى ماه الكوفة (٣) في مدة عشرة أيام (٤) سبعة من العمال ،

(١) في الكامل ٦ : ١٣٩ أن الذي تولى مناظرته أحمد بن يحيى بن أبي الفيل .

(٢) نقول ناقة ضجور فتعني التي ترعق عند الحلب ، وفي س ، ف « صجور » نقول
أنا صجور فتعني أن نفوحاً برجلها وقد نعني أن فيها يابسا وحمرة (المحيط) .

(٣) الماء : لفظ فارسي معناه الزمام والحوز .

(٤) كذا في الأصل وفي ك صفحة ٦ وفي ف صفحة ٨ - ١ ، إلا أن ابن الأثير يقول

في الكامل ٦ : ١٣٩ . عشرين يوماً وهو أكثر قبولا .

فاجتمعوا في الطريق فعرضوا توقيعاتهم ، فصار الأخير وعاد الباقيون يطلبون ما خلعوا به أولاده ، ففعل في ذلك :

وزيرٌ قلدتْ كمالَ في الرقاعه يؤلَّى ثم يعزل بعد ساعه (١)
إذا أهل الرشا اجتمعوا لَدِيهِ فَعَيَّرَ القومُ أَوْفَرَهُمْ بضاعه (٢)
وليس يُلام في هذا بحالٍ لأنَّ الشيخَ أَقَلَّتْ من مجاعه (٣)

قال (٤) : ثم زاد الأمر حتى تَحَكَّمَ أصحابُه ، فكانوا يطلقون الأموال ويفسدون الأحوال ، فانحطَّت القواعد ، وخبثت النيات / واشتغل الخليفة بِعِزْلِ وزرائه والقَبْضِ عليهم والرجوع إلى قول ١٤ - ب النساء والخدم والتصرف على مقتضى إرادتهم ، فخرجت الممالك وطمع العمال في الأطراف ، فصار مآل الأمر إلى ما نذكره إن شاء الله تعالى .

قال (٥) : ثم أحضر المقتدرُ الوزيرَ ابنَ الفرات من محبسه ، وجعله في حجره - من ضمن الحجر - مُكْرَمًا ، فكان يعرض عليه مطالعات العمال وغير ذلك بآراء به بعد أن أخذ أمواله :

وفي هذه الممنه غزا رستمُ أميرُ الثغور الصائفة من ناحية

(١) في صلة الطبرى ٨ : ٢٩ « وزير ما يضيّق من الرقاعه »

(٢) في الطبرى « إذا أهل الرشا صاروا إليه : فأحطى القوم أوفرهم بضاعة »

(٣) في الطبرى « وليس بمنكر ذا الفعل منه »

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٣٩

(٥) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٤٠ .

طَرَسُوس (١) ومعه دُمَيَانَةُ (٢) ، فحصر حِصْنَ مَلِيحِ الأَرَمْنِي ، ثم دخل بِلَدِهِ وأحرقه .

قال ابن الجوزي (٣) : وفي هذه الممنعة وَرَدَ من مصر أربعة أحمال مال ، وقيل إنه وَجِدَ هناك كنز قديم . وكان معه ضلع إنسان طوله أربعة عشر شبراً في عرض شبر ، وزعموا أنه من قوم عاد .. وكان مبلغ المال خمسمائة ألف دينار ، وكان مع ذلك هدايا عجيبة - قال - وذكر الصولي أنه كان في الهدايا تيس له ضرع يحلب الابلن ووردت رُسُلُ أحمد بن إسماعيل هدايا فيها بدنة (٤) مرصعة بفخيز الجواهر ، وتاج من ذهب مرصع بجواهر له قيمة كبيرة ، ومناطق ذهب مرصعة ، وخطع سلطانية فاخرة ، وربعة ذهب مرصعة فيها شمامات مسك وعنبر كله مرصع ، وعشر أفراس يسروجها وإحداها سرج ذهب . ووردت هدايا ابن أبي الساج وحى أربعة حائض دابة وثمانون ألف دينار وفرش أرمني لم ير مثله ، فيه بساط طوله سبعون ذراعاً في عرض ستين ، لا قيمة له ! وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ودخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة النبوية

(١) طرسوس : مدينة بشفور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (معجم البلدان)
(٢) هو أحد القواد المشهورين يلقب بالبحري لأن المكتنى حين طلب إليه التوجه إلى مصر أمره بركب البحر ، وكان قبل غلام يازمان الخادم .

(٣) المتظلم ٦ : ١٠٩

(٤) البدنة من الإبل أو البقر كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة (المحيط)

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة

وزارة علي بن عيسى

في هذه السنة ظهر للمقتدر بالله تخليط الخاقاني وعجزه عن الوزارة ، فأراد عزله وإعادة أبي الحسن بن الفرات ، فمنعه مؤنس الخادم وقال له : متى أعدته ظن الناس أنك إنما قبضت عليه شرها في ماله ! وأشار عليه باستدعاء علي بن عيسى من مكة وتقليده الوزارة وشكره مؤنس الخادم وأثنى عليه .

فأمر المقتدر بإحضاره ، فوصل إلى بغداد في أول سنة إحدى وثلاثمائة ، فجلس في الوزارة وسلم إليه الخاقاني فأحسن إليه ووسع عليه . ولما تولى علي بن عيسى لازم العمل والنظر في الأمور ورد المظالم ، وأطلق من المكوس شيئاً كثيراً ، وأسقط زيادات كان الخاقاني قد زادها / للجند ، لأنه عمل معدّل الدّخل والخرج ١٥-ب فرأى الخرج أكثر من الدّخل ، فأسقط الزيادات . وأمر بعمارة المساجد والجوامع وتبييضها وتنظيفها بالحصر وإشعال الأضواء فيها . وأمر بإصلاح البيمارتانات وعمل ما تحتاج إليه ، وغير ذلك من وجود البر والقربات^(١) .

قال^(٢) : ولما عزل الخاقاني أكثر الناس التزوير على خط الخاقاني بصلات وإدرات ، فنظر علي بن عيسى في ذلك فأنكر

(١) لخص مسكوية في تجارب الأمم ١ : ٢٨ ، ٢٩ سياسة هذا الوزير العامة بحيث ظهر لنا بوضوح أنه ينجح في إصلاح الوضع المالي وفي إقامة لون من العدل المنشود ، وقرر بمراعاة أنه ساس الدنيا أحسن سياسة فاستقام أمر السلطان وصلاح أمر الرعية .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٤١

الخطوط. وأراد إسقاطها ، فخاف دَمَّ الناس ، فأنفذها للخاقاني فقال : كُلُّهَا خَطِي وَأَنَا أَمَرْتُ بِهَا فَلَمَّا حَادَّ الرَّسُولُ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ عِيصَى قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كَذَبَ ، وَقَدْ عَلِمَ الْمَزُورُ مِنْ غَيْرِهِ وَلَكِنَّهُ اعْتَرَفَ بِهَا لِتَحْمَدِ النَّاسِ وَيَذْمُوْنِي ! وَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهَا ^(١) ، وَقَالَ الْخَاقَانِيُّ لَوْلَدِهِ : يَا بَنِي ، هَذِهِ لَيْسَتْ خَطِي وَلَكِنَّهُ أَنْفَذَهَا إِلَيَّ وَقَدْ عَرَفَ الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ وَأَرَادَ أَنْ نَأْخُذَ الشُّوكَ بِأَيْدِينَا وَيَبْغِضُنَا إِلَى النَّاسِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَقْصُودَهُ ، وَعَكَسْتَهُ عَلَيْهِ !

قال ابن الجوزي ^(٢) : وفيها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بانخساف جبل بالدينور يعرف بالثل وخرج من تحته ماء كثير أغرق عدة من القرى ، ووصل الخبر بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها في البحر ^(٣) .

وفي هذه السنة خرج أهل صقلية عن طاعة المهدي صاحب / أفريقية ، وخطب للمقتدر بالله بها . وكان الذي قام بهذه الدعوة أحمد بن قرهب ، فسير إليه الخلع السود والألوية ، ثم خرج أهل الجزيرة عليه وقبضوه وبعثوه للمهدي فقتله . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخات سنة إحدى وثلاثمائة : وفي هذه السنة خلع المقتدر بالله على ابنه أبي العباس وقلده أعمال مصر والمغرب وعمره أربع

(١) في الكامل ٦ : ١٤١ « وأمر بها فأجيزت »

(٢) المنتظم ٦ : ١١٥ وقد أورد عريب الخبر نفسه في صلة الطبري صفحة ٢٨ .

(٣) أورد الخبر ابن تفرى يردى في النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٠ .

سنوات ، واستخلف [له] ^(١) على مصر مؤنس الخادم . وهذا أبو العباس الذى ولي الخلافة بعد القاهر ولقب الرضى بالله على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وخلع أيضا على ابنه على وولا ه الرى ^(٢) ودُنباوند ^(٣) وقزوين وزنجان ^(٤) وأهر ^(٥) .

وفيهما خالف أبو الهيجاء بن حمدان بالموصل على المقتدر بالله ، فسير إليه المظفر مؤنسا ، فأتاه ابن حمدان مستأما ، وورد [مؤنس] ^(٦) معه إلى بغداد فخلع المقتدر عليهما .

وفيهما استولى الحسن بن على بن عمر بن الحسين بن على برسنان ، وتلقب بالناصر على ما ذكره - إن شاء الله تعالى - فى أخبار الطالبين .

وفيهما جهز المهدي - صاحب أفريقية - الساكر مع ابنه القائد إلى الديار المصرية ، فسار إلى برقة واستولى عليها ، وسار إلى مصر فملك الإسكندرية والقيوم ، وصار فى يده أكثر البلاد فسير المقتدر لحر به مؤنسا الخادم فى جيش كثيف ، / فحارب عماكر - ١٦ - ب

(١) زيادة من الكامل ٦ : ١٤٤ يقتضها السياق .

(٢) من أمهات البلاد كما يقول ياقوت وكانت قصة بلاد الجبال أى ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهذان والدينور وقرمسين وكان العجم يطلقون على هذه المناطق خطأ اسم العراق

(٣) جبل من نواحى الرى وهو من فتوح سعيد بن العاصى أيام عثمان لما ول الكوفة ، فلك بين ٢٩ ، ٣٠ للهجرة .

(٤) بلد كبير مشهور من نواحى الجبال بين أذربيجان وبينها وهى قرية من قزوين وأهر .

(٥) أهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهذان من نواحى الجبل (مسجم ياقوت)

(٦) زيادة ضرورية للسياق .

المهدى وأجلاهم عن الديار المصرية ، فعادوا إلى المغرب منهزمين .
وحجَّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك أيضا

ودخلت سنة اثنتين وثلاثمائة : في هذه السنة أمر المقتدر
بالقبض على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله الجوهري المعروف
بإبن الجصاص وأخذ ما في بيته من صنوف الأموال ، فأخذ منه
ما قيمته أربعة آلاف ألف دينار ، وكان هو يدعى أن ما أخذ منه
عشرون ألف ألف دينار ، وأكثر من ذلك ^(١) .

وفيها أنفذ الملقب بالمهدى - صاحب أفريقية - جيشا إلى الد
يار المصرية مع قائد من قواده يقال له حياصة ^(٢) في البحر ، فغلب
على الإسكندرية ثم سار منها إلى مصر . فأرسل المقتدر
لحربه مؤنس الخادم في عسكر فالتقوا في جمادى الأولى
واقْتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من الفريقين وجرح خلق كثير . ثم كانت
بينهم وقعة ثانية ، ثم وقعة ثالثة ورابعة انهزم فيها المخاربة وقتل
منهم وأسير سبعة آلاف وذلك في منلج جمادى الآخرة . وعاد من
بقي إلى المهدى فقتل حياصة .

(١) قال أبو المظفر في مرآة الزمان : وأكثر أموال ابن الجصاص المذكور من قطر الندى
بنت خمارويه صاحب مصر ، فإنه لما حملها من مصر إلى زوجها المعتض ، كان معها أموال
وجواهر عظيمة ، فقال لها ابن الجصاص : الزمان لا يدوم ولا يؤمن على حال ، دعى عندي
بعض هذه الجواهر تكن ذخيرة لك ! فأودعته ، ثم ماتت فأخذ الجميع .

(٢) في الأصل « حياصة » وكذلك في س ، ف وأما الطبري وابن الأثير وياقوت
فقالوا « حياصة » . وقال صاحب القاموس في مادة « حبس » وكبراب وهاه قائد من قواد
المبيدين . وقال الهورثي شارحه : وقد ضبطه الحفاظ بن حجر بفتح الحاء المهملة والشين المعجمة |

وفيها غزا بشمر الخادمُ والى طرسوس بلاد الروم ، ففتح فيها وغزا وسبى وأسِر مائة وخمسين بظريقاً ، وكان السبى نحواً من ألفي رأس .

وفيها قُتل أبو الهيجاء [عبد الله] بن حمدان الموصل [والجزيرة] (١)

قال ابن الجوزي (٢) : وفيها في جمادى الأولى ختن المقتدر خمسة أولاد له ، ونثر عليهم خمسة آلاف دينار ومائة ألف درهم ورقاً - قال - ويقال إنه بلغت النفقة في هذا الختان ستمائة ألف دينار ، وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام وفرقت فيهم دراهم كثيرة . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي . ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة :

ذكر خروج الحسين بن حمدان

عن طاعة المقتدر

في هذه السنة خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن الطاعة ، وسبب ذلك أن الوزير علي بن عيسى طالبه بمال عليه من ديار ربيعة - وهو يتولّاها - فدافعه فأمر بتسليم البلاد إلى العمال ، فامتنع . فجهز الوزير رائقاً الكبير في جيش لمحاربته ، وكتب إلى مؤمن الخادم - وهو بمصر - يأمره بالمسير إلى الجزيرة لقتال ابن حمدان بعد فراغه من أصحاب المهدي . فسار رائق إلى الحسين بن حمدان

(١) ما بين حاصرتين زيادة عن النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٥ .

(٢) المنتظم ٦ : ١٢٧ .

فالتقيا واقتتلا قتلاً شديداً ، فانهزم رائق ، وغنم الحسين سواده ،
ومار رائق إلى مؤنس فأمره بالمقام بالموصل ، وجد مؤنس في
المسير في طلب الحسين . فلما قارب منه راساه الحسين واعتذر
وتكررت الرسائل بينهما ، فلم يستقر حال . فرحل مؤنس نحو
الحسين ، فسار إلى أرمينية بثقله وأولاده ، وتفرق عسكر الحسين
عنه ، وصاروا إلى مؤنس .

ثم جهز مؤنس جيشاً في أثره مقدّمهم يلبق^(١) فتبعوه إلى تل
فافان ، فإذا هي خاوية على عروشها قد قتل أهلها ، وأحرقها
فجئوا في أتباعه ، فأدركوه فقاتلوه ، فانهزم من بقي معه من أصحابه ،
وأسر هو وابنه عبدالوهاب وجميع أهله وأكثر من صحبته وقبض
أملأهم . وعاد مؤنس إلى بغداد على طريق الموصل والحسين معه ،
فأزكب على جملي هو وابنه وعليهما اللبود^(٢) الطوال وقمصان
من شعر أحمر . وحبس الحسين وابنه عند زيدان القهرمانة ، وقبض
المقتدر على أبي الهيجاء بن حمدان وعلى جميع إخوته وحبسوا .
وكان بعض أولاد الحسين بن حمدان قد هرب فجمع جمعاً ومضى
نحو آمد^(٣) ، فأوقع بهم مستحفظها وقتل ابن الحسين وأنفذ
رأسه إلى بغداد .

(١) كذا في التنبيه والإشراف المسموي ، وفي صلة الطبري وفي تجارب الأمم لا بن
مسكويه ، وفي «ه» وفي ك صفحة ٨ وفي ف صفحة ١٠ - ١ ، والكمال (يلبق) ويقال له
يلبق المؤنسي لأنه كان غلام مؤنس .

(٢) أردية من شعر الصوف للمطر ، واللبادة (كرمانة) ما يلبس من اللبود .
(انميط)

(٣) أعظم مدن ديار بكر وأشهرها ذكرا ، تحيط دنجلة بأكثرها ، وفي وسطها ميون
وأباد قرية النور ، قال ياقوت إنها حصينة مبنية بالحجارة السوداء على نثر .

وفيهما خرج مليح الأرمني إلى مرعش ، فعات في بالدها ، وأسر جماعة ممن حولها . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك . ودخلت سنة أربع وثلاثمائة :

ذكر وزارة ابن الفرات الثانية

وعزل على بن عيسى

١٨ - ١ / في هذه السنة في ذي الحجة عُزل على بن عيسى عن الوزارة وأعيد إليها أبو الحسن علي بن الفرات . وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن الفرات كان محبوبا ، وكان المقتدر بالله يُشاور في الأمور وهو في محبته ، ويرجع إلى قوله . وكان على بن عيسى يُحسّي أمر الوزارة ولم يتبع أصحاب ابن الفرات ولا أسبابه ولا غيره وكان جميل المحضر قليل الشر ، فبلغه أن ابن الفرات قد تحدث له جماعة من أصحاب الخليفة في إعادته إلى الوزارة ، فاستعفى من الوزارة ، وسأل في ذلك فأنكر المقتدر عليه ومنعه من ذلك .

فلما كان في آخر ذي القعدة جاءت أم موسى القهرمانة لتتفق معه على ما يحتاج إليه حرم الدار والحاشية التي للدار من الكسوات والنفقات فوصلت إليه وهو نائم فقال لها حاجبه : إنه نائم ولا أجسر أن أوقظه فاجلبي في الدار حتى يستيقظ . فغضبت من هذا وعادت ، واستيقظ الوزير في الحال فأرسل إليها حاجبه وولده بهتذر فلم تقبل منه ، ودخلت إلى المقتدر وشايطته في عزله وحرصته على ذلك فعزلته عن الوزارة وقبض عليه في ثامن ذي الحجة (١) .

(١) في الكامل ٦ : ١٥٤ « في ثامن ذي القعدة » والخلاف ليس كبيرا على أية حال ، ويمكن أن نعلم أن هذا الوزير مكث في منصبه أكثر من ثلاث سنوات برغم اضطرابه =

وأعيد ابنُ الفرات إلى الوزارة وَصَّيْنَهُ عَلَى تَقْوِيهِ أَنْ يَحْمَلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وخمسمائة دينار ، فقبض على أصحاب الوزير علي بن عيسى وعاد فقبض على الخاقاني الوزير وأصحابه ، واعترض العُمَالُ وَغَيْرُهُمْ / وعادَ عليهم بأمِّه وال عظيمه . وكان أبو علي بن مُقْلَةَ قد استخفى منذ قبض على ابن الفرات إلى الآن ، فلما عاد ابنُ الفرات إلى الوزارة ظَهَرَ فَأَشْخَصَهُ ابْنُ الفرات الوزير وَقَرَّبَهُ وَأَخْصَنَ إِلَيْهِ

١٨ - ب

وحكى عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه المنتظم (١) أَنَّهُ لما قُلِدَ الوزارة خُلِعَ عَلَيْهِ سَبْعُ خُلَعٍ وَحُمِلَ إِلَيْهِ مِنْ دَارِ السُّلْطَانِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَعَشْرُونَ خَادِمًا ، وَثَلَاثُونَ دَابَّةً لِرَحْلِهِ ، وَخَمْسُونَ دَابَّةً لِعُلَمَائِهِ ، وَخَمْسُونَ بَغْلًا لِنَقْلِهِ ، وَبِعِلَالٍ لِلْعِمَارَةِ بِقُبَابِهَا وَثَلَاثُونَ جَمَلًا ، وَعَشْرُ تُخُوتٍ ثِيَابٍ (٢) وَأَنَّهُ رَكِبَ مَعَهُ مَوْزَنُ الْخَادِمِ ، وَغُلَامَانُ الْمُقْتَدِرِ ، وَصَارَ إِلَى دَارِهِ بِسُوقِ الْعَطَشِ ، وَرُدَّتْ إِلَيْهِ ضِيَاعُهُ ، وَأَقْطَعَ الدَّارَ الَّتِي بِالْمَخْرَمِ فَسَكَنَهَا . وَأَنَّهُ سَقَى النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتِلْكَ اللَّيْلَةِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ رَطْلٍ ثَابِجٍ ، وَزَادَ ثَمَنُ الشَّمْعِ وَالْكَاغِدِ (٣) وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَتُهُ إِذَا قَالَ : (٤)

= أحوال المقتدر ، وربما كانت الفرصة أمامه مهيأة ليبقى لولا ضجره من سوء أدب الحاشية ، ويقال إنه استغنى أكثر من مرة (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ١٩١) .

(١) راجع الجزء السادس صفحة ١٣٨

(٢) تُخُوت : مفردتها تخت أى خزانة الملابس ، ويقال تخت الملك أى عرشه كما يقال للمقعد والسرير تخت .

(٣) الكاغد : الورق (فارسية)

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٥٤

وكانت مدة اعتقاله إلى أن رجع إلى الوزارة خمس سنين وأربعة أيام . قال : وسمع بعض العوام يقول يوم خلع على ابن الفرات : والله خذلونا ، أخذوا منا مصحفاً وأعطونا طنبوراً ! فبلغ ذلك إلى الخليفة ، فكان ذلك سبباً للإحسان إلى علي بن عيسى وخمس القبة فيه إلى أن خرج من الحبس [والله تعالى أعلم]

ذكر أمر يوسف بن أبي الساج

١٩ - كان يوسف بن أبي الساج على أذربيجان وأرمينية قد ولي الحرب والصلاة والأحكام وغيرها منذ أول وزاره ابن الفرات الأولى ، فلما عزل ابن الفرات وتولى الخاقاني طمع فآخز حمل بعض المال ، فاجتمع له من المال ما قويت به نفسه على الانتعاش ، وبقي كذلك إلى هذه السنة . فلما بداه القبض على علي الوزير علي بن عيسى أظهر أن الخليفة أنفذ إليه عهد الرى وأن الوزير علي بن عيسى سعى له في ذلك ، وجمع العساكر وسار إلى الرى وبها محمد بن صفدوك يتولى أمرها لصاحب خراسان نصر بن أحمد الساماني . وكان ابن صفدوك قد تغلب على الرى وما يليها أيام وزاره علي بن عيسى ، ثم أرسل إلى ديوان الخلافة يقاطع عليها عمال يحمله ، (١) فلما بلغه مسير يوسف نحوه سار إلى خراسان ، فدخل يوسف الرى واستولى عليها وعلى قزوین وزنجان وأهر ، فلما اتصل فعلمه بالمقتدر بالله أنكره

وكتب يوسف إلى الوزير ابن الفرات يعرفه أن علي بن عيسى أنفذ إليه بالهدء واللواء وأنه افتتح هذه الأماكن وطرد عنها المتغلبين عليها واعتد بذلك ، وذكر كثرة ما أخرج عليه من الأموال ، فعظم ذلك على المقتدر وأمر ابن الفرات أن يسأل

علي بن عيسى عن الذي ذكره يوسف فأحضره وسأله فأنكر ذلك فصدقه . وكتب ابن الفرات إلى ابن أبي الساج ينكر عليه تعرضه إلى هذه البلاد وكذبه على الوزير وجهاز الساج لمحاربته . فسارت في سنة خمس وثلاثمائة وعليها خاقان المفلحي ومعه جماعة من القواد (١) ، فساروا ولقوا يوسف واقتتلوا ، فهزمهم يوسف وأسّر منهم جماعة وأدخلهم الرى مشهرين على الجمال .

فسير الخليفة مؤنسًا الخادم في جيش كثيف لمحاربته ، فسار وانضم إليه من كان مع خاقان ، فصرف خاقان عن أعمال الجبل ووليها تحرير الصغير وسار مؤنس وأتاه أحمد بن علي - وهو أخو محمد بن صعلوك - مستأمنًا فأكرمه ، ووصلت كتب ابن أبي الساج يسأل الرضى عنه وأن يقاطع على أعمال الرى وما يليها على سبعمائة ألف دينار لبيت المال سوى ما تحتاج إليه الجند وغيرهم ، فلم يجبه المقتدر إلى ذلك وقال : لو بذل ملك الأرض لما أقررتة على الرى يومًا واحدًا لإقدامه على التزوير فلدا عرف ابن أبي الساج ذلك سار عن الرى بعد أن أخربها وجي خرجها في

(١) يقول ابن الأثير في الكامل (٦ : ١٥٥) منهم أحمد بن مسرور البلخي وسبا الجزري وتحرير الصغير .

عشرة أيام . وقد المقتدر الرئ وقزوين وأبهر وصيفها البكتمري (١) ،
 وطلب يوسف بن أبي الساج أن يقطع على ما كان بيده من الولاية
 فأشار ابن الفرات بإجابته إلى ذلك ، فعارضه نصر الحاجب
 وابن الحواري وقالوا : لا يجاب إلى ذلك إلا بعد أن يطمأ البساط .
 ونسب الوزير ابن الفرات إلى مواظبه والميل معه . فامتنع
 / المقتدر بالله من إجابته إلا أن يحضر إلى الخدمة بنفسه .
 فلما رأى يوسف ذلك حارب مؤنساً فانهزم مؤنس إلى زنجان ،
 وقتل من قواده جماعة (٢) وأبهر جماعة منهم هلال بن بدر ،
 فأدخلهم أردبيل مشهورين على الجمال .

وأقام مؤنس بزنجان بجمع من الساكر ويستمدد الخليفة ،
 وكان به يوسف في الصباح وراسله فيه ؛ فكتب مؤنس إلى الخليفة فلم
 يجبه إليه . فلما كان في المحرم سنة تسع (٣) وثلاثمائة اجتمع
 لمؤنس خلق كثير فسار نحو يوسف ، فتواقعا على باب أردبيل ،
 فانهزم عسكر يوسف ، وأبهر ذو وجدة من أصحابه فمادهم
 مؤنس إلى بغداد فدخلها في المحرم .

وأدخل يوسف منتهراً على جمل وعليه برنس بأذناب الثعالب ،
 فأدخل على المقتدر ، ثم حبس عند زيدان القهرمان .

(١) هكذا ضبط عند ابن تقي بردي في النجوم الزاهرة ٣ : ١٣٨ وفي الطبري
 « البكتمري » بفتح الباء وإسكان الكاف وكسر التاء .

(٢) في الكامل ٦ : ١٥٥ أن الذي قتل هو سينا

(٣) في الكامل ٦ : ١٥٥ « سنة سبع »

وفي سنة أربع وثمانمائة نوقى الناصر الملوئى صاحب طبرستان .
وفيهما خالف أبويزيد خالد بن محمد على المقتدر بكرمان - وكان
يتولى الخراج - وسار منها إلى شيراز يريد التغلب على فارس ،
فحاربه بذر الحمامى وقتله وحمل رأسه إلى بغداد .

وفيهما سار مؤنس المظفر إلى بلاد الروم للغزاة ، فسار إلى
مطية وغزا منها ، وكتب إلى أبي القاسم على بن أحمد بن بسطام .
أن يغزو من طرسوس في أهلها ، ففعل وفتح مؤنس حصونا
كثيرة من الروم وأثر آثارا جميلة وعاد إلى بغداد فأكرمه
الخليفة وخلع عليه .

٢٠-ب

قال أبو الفرج [عبد الرحمن بن الجوزى] ^(١) وفيها ورد
الخبر من خراسان أنه وجد بالقندهار في أبراج سورها أزج ^(٢)
متصل بها ، فيه ألف رأس في سلاسل ، من هذه الرؤوس تسعة
وعشرون رأسا ^(٣) في أذن كل رأس رقعة مشدودة بخيط .
إبريسم ^(٤) مكتوب فيها اسم الرجل . قال وكان من الأسماء
شريح بن حيان وخباب بن الزبير والخليل بن موسى وطلق
ابن معاد ، وحاتم بن حسنة ، وهاني بن عروة ، وفي الرقاع تاريخ
من سنة [سيعين من] ^(٥) الهجرة ، ووجدوا على حالهم لم
لم يتغير شعرهم إلا أن جلودهم قد جفت .

(١) الإضافة من كصفحة ١٠ وهي ليست في ١٢ - أو الخبر في المنتظم ٦ : ١٣٩

(٢) أزج : ضرب من الأبنية ، الجمع أزج وأزاج (المحيط)

(٣) يعني رأس شهيد .

(٤) الإبريسم : بفتح السين أو ضمها الحرير (المحيط)

(٥) في الأصل وفي كوف « من سنة الهجرة » والزيادة من المنتظم .

ودخلت سنة خمس وثلثمائة : قال أبو الفرج (١) : في هذه السنة وَرَدَ عَلَى السُّلْطَانِ هَدَايَا جَلِيلَةٌ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ صَاحِبِ عُمان ، وفيها أنواعٌ مِنَ الطَّيِّبِ وَطَرَائِفُ مِنْ طَرَائِفِ الْبَحْرِ وَطَائِرُ أَسود يتكلم بالفارسية والهندية أَفْصَحَ مِنْ الْبَيْغَاءِ وَظَبَاءِ مَسود

قال : ابنُ الأثير : (٢) وفي هذه السنة مِنَ الْمُحْرَمِ وَصَلَ رَسُولَانِ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَطْلُبَانِ الْمَهَادَنَةَ وَالْفِدَاءَ فَأَجَابَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى مَا طَلَبَ مَلِكُ الرُّومِ مِنَ الْفِدَاءِ ، وَسِيرَ مُؤَنَسًا الْخَادِمَ لِيَحْضُرَ الْفِدَاءَ ، وَجَمَلَهُ أَمِيرًا عَلَى كُلِّ بَأْدٍ يَدْخُلُهُ ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ عَلَى مَا يَرِيدُ إِلَى أَنْ يُخْرِجَ عَنْهُ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ / مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ لِفِدَاءِ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ .

قال [أبو الفرج] بَنُ الْجَوْزِيِّ فِي خَبَرِ الرِّسْلِ (٣) إِنَّمَا أُذْخِلَا وَقَدْ عُبِيَ الْعَسْكَرُ بِالْأَسْلِحَةِ الثَّمَانَةِ وَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا ، وَكَانُوا مِنْ أَعْلَى بَابِ الشَّامِ إِلَى الدَّارِ ، وَبَعْدَهُمُ الْقَامَانُ الْحُجْرِيَّةُ وَالْخُدَمُ الْخَوْصُ بِالْبِزَةِ الظَّاهِرَةِ (٤) وَالْمَنَاطِقُ الْمُحَلَاةُ ، وَكَانُوا سَبْعَةَ أَلْفٍ خَادِمٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ بَيْضُ وَثَلَاثَةُ أَلْفٍ مَسُودٌ ، وَكَانَ الْحُجَابُ سَبْعِمِائَةَ حَاجِبٍ ، وَفِي دَجَلَةِ الطَّيَّارَاتِ وَالزَّبَازِبِ وَالسُّمِيرِيَّاتِ بِأَفْضَلِ زِينَةٍ . فَسَارَ الرُّسُولَانِ قَمَرًا عَلَى دَارِ نَصْرِ الْقَشُورِيِّ الْحَاجِبِ ، فَرَأَى مَنَظَرًا عَجِيبًا فَظَنَّهُ الْخَلِيفَةَ وَهَابًا حَتَّى

(١) راجع المنتظم ٦ : ١٤٥

(٢) في الكامل ٦ : ١٥٨

(٣) راجع المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٦ : ١٤٣

(٤) في المنتظم « بالسنة الظاهرة »

قيل إنه الحاجب ، ثم حُملا إلى دار الوزير فرأيا أكثر من ذلك ولم يشكّا أنه الخليفة فقيل إنه الوزير .

قال : وَزِيَّتْ دار الخلافة ، وطيف بهما فيها فشاهدا ما بهما ، وكانت الستور ثمانية وثلاثين ألفَ سترٍ من الدباج ، المذهبة منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة ، وكانت البُسْطُ والنَّخاخ^(١) اثنين وعشرين ألفا وكان في الدار من الوشش قطعان تأنس بالناس وتأكل من أيدهم ، وكان هناك مائة سَبْعُ كُلِّ سَبْعٍ بَيْدَسَبَاعٍ . ثم أخرجوا إلى دار الشجرة ، وكانت شجرة في وسط بركة فيها ماء صافٍ ، والشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة . وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهبة وهي تمايل ، وبها ورق مختلف الألوان ، وكل من هذه الطيور تصفر . ثم أدخلوا إلى الفردوس ، وكان فيه من الفراش والآلات مالا يحصى ، وفي دهاليزه عشرة آلاف جوشن^(٢) مذهبة معلقة

٢١-ب

قال : ويطول شرح ما شاهدا من العجائب إلى أن وصلوا إلى المقنن وهو جالس على سرير أبنوس قد فُرتش بالدُّبُقى المطرز وعن يمينه السرير تسعة عقود معلقة وعن يساره تسعة أخرى من أفخر الجواهر يضيء ضوءها على ضوء النهار .

(١) في ١٠ ، ك لفظ غير منقوط ، وضحت في صفحة ١٢ - ب ، والنخاخ : جمع نخ وهو البساط . الذي يكون طوله أكثر من عرضه ، وهو لفظ فارسي معرب (لسان العرب)
(٢) جوشن ' ردع ، وقيل أن الجوشن من السلاح زرد يوضع على الصدر .

قال : فلما وصل الرسولان إلى الخليفة ، وقدأ على نحو مائة ذراع وابن الفرات قائم بين يديه والترجمان قائم يخاطب الخليفة . ثم أخرجا وطيف بهما في الدار حتى أخرجا إلى دجلة وقد أقيمت على الشطوط . الفيلة والسباع والفهود !

قال : ثم خلج عليهما وحمل إليهما خمسون بدرية ورقا في كل بدرية خمسة آلاف درهم .

قال : وفيها ورد كتاب من رؤا أن نقرأ عشروا على نقب في سور المدينة فكشفوا عنه فوصلوا إلى أزج فأصابوا فيه ألف رأس ، وفي أذن كل رأس رقعة قد أثبت فيها اسم صاحبها^(١)

/ وفيها أظلق أبو الهيجاء بن حمدان وإخوته وأهل بيته من الحبس ، وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة ست وثلاثمائة :

ذكر عزل ابن الفرات عن الوزارة

ووزارة حامد بن العباس

في هذه السنة في جمادى الآخرة قُبِضَ على الوزير أبي الحسن ابن الفرات ، وكانت مدة وزارته هذه - وهي الثانية - سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما وكان سبب ذلك أنه أخر إطلاق أرزاق القرمدان ، واختج عليهم بضيق الأموال وأنها خرجت في محاربة ابن أبي الساج وأن الانزعاج نقص

(١) ما أشبه هذه الواقعة بما ذكر في سنة أربع وثلاثمائة على ما مرينا .

يَأْخُذُ يَوْسُفَ أَمْوَالَ الرِّئْ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ شَغَبًا عَظِيمًا وَخَرَجُوا
إِلَى الْمَصْلَى فَالْحَمْسُ الْوَزِيرُ مِنَ الْمُقْتَدِرِ إِطْلَاقَ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ
بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ لِيُضَيِّفَ إِلَيْهَا مَائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ يُحْصِلُهَا وَبِصَرْفِ
الْجَمِيعِ فِي أَرْزَاقِ الْجُنْدِ ، فَاشْتَدَ ذَلِكَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ :
إِنَّكَ ضَمَنْتَ أَنْ تُرْضِيَ جَمِيعَ الْأَجْنَادِ وَتَقُومَ بِجَمِيعِ النِّفَقَاتِ
وَتَحْمِلَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا ضَمَنْتَ حَمْلَهُ يَوْمًا بِيَوْمٍ وَأَرَاكَ الْآنَ تَطْلُبُ مِنْ
بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ ! فَاحْتِجْ بِقِلَّةِ / الْارْتِفَاعِ وَمَا أَخَذَهُ ! ابْنُ أَبِي
السَّاجِ مِنْهُ وَمَا خَرَجَ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ الْمُقْتَدِرُ حُجَّتَهُ وَتَنَكَّرَ
لَهُ . وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ قَبْضِهِ أَنْ الْمُقْتَدِرَ قِيلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ الْفَرَاتِ يَرِيدُ
إِرْسَالَ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ لِمُحَارَبَةِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ فَلِذَا صَارَ عِزُّهُ
اتَّفَقَا ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْفَرَاتِ قَالَ لِلْمُقْتَدِرِ أَنْ يَرْسِلَ ابْنَ حَمْدَانَ
لِعَرْبِهِ فَقُتِلَ ابْنُ حَمْدَانَ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَبِضَ ابْنُ الْفَرَاتِ فِي
جُمَادَى الْآخِرَةِ .

٢٢-ب

قال : (١) وكان بعض العمال قد ذكّر لابن الفرات ما يتحصّل
لِحَارِثِ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ أَعْمَالِ وَاسِطٍ - زِيَادَةً عَلَى ضِمَانِهِ فَاذْكُرْهُ ،
وَكَاتِبِهِ فِي ذَلِكَ ، فَخَافَ حَامِدٌ أَنْ يُؤْخَذَ وَيَطَالَبَ بِالْمَالِ ، فَكَتَبَ
إِلَى نَصْرِ الْحَاجِبِ وَإِلَى وَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ وَضَمَّنَ لَهُمَا مَا لَا لِيَّةَ حَدَّثَا لَهُ
فِي الْوِزَارَةِ . فَذَكَّرَ الْمُقْتَدِرَ حَالَهُ وَسَعَةً نَفْسِهِ وَكَارَةَ أَتْبَاعِهِ وَأَنَّ لَهُ

(١) في الكامل ٦ : ١٦٠ و تسعة عشر يوما ،

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٦٠

أربع مائة مملوك يحملون السلاح ، ووافق ذلك نفرة المقتدر عن ابن الفرات فأمره بالحضور من واسط ، فحضر وقبض على ابن الفرات وولده المحسن وأصحابهما وأنباؤهما .

ولما وصل حامد إلى بغداد أقام ثلاثة أيام في دار الخلافة ، فكان يتحدث مع الناس ويفضاحهم ويقوم لهم ، فبان للخدم وحاشية الدار قلة معرفته بالوزارة ، وقال له حاجبه / يا مولانا .. الوزير يحتاج إلى لبسة وجلسة وعبسة ! فقال له : نعمي أنه يلس ويقوم ويقعد ولا ية يوم لأحد ولا يضحك في وجه أحد ؟ قال نعم ! قال حامد : إن الله تعالى أعطاني وجهاً طلقاً وخلقا حسناً وما كنت بالذي أعبس وجهي وأقبح خلقي لأجل الوزارة^(١) فأمر المقتدر بإطلاق علي بن عيسى من محبسه ، وجعله يتولى الدواوين شبه النائب عن حامد^(٢) فكان يراجعه في الأمور ويصدر عن رأيه .

ثم إنه استبد بالأمور دون حامد ، ولم يبق لحامد غير اسم الوزارة ومعناها إلى حتى قيل فيهما :

أعجب من كل ما تراد أن وزيرين في بلاد
هذا سواد بلا وزير وذا وزير بلا سواد^(٣)

(١) للواقع أن حامد بن العباس - وإن يكن مثريا فاضلا - كان يجهل آداب البلاط وشئون الدولة ، وقيل في تلميح ذلك إنه كان من أصل وضع سقاء ويبيع التمر (معجم الأدباء ٣٢٥ : ٥)

(٢) في تحفة الأبرار لجلال الصافي ٣٤٧ ، صلة الطبري ٧٣ ما يدل على أن علي بن عيسى قبل ذلك بعد تردد

(٣) في الكامل ٦ : ١٦٠ بيت واحد حل هذا النحر :

هذا وزير بلا سواد وفا سواد بلا وزير

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ^(١) : وفي هذه السنة أمرت السيدة أم المقتدر . قهرمانة لها تعرف بشمل أن تجلس بالثربة التي بنتها بالرصافة للمظالم وتنظر في رفاع الناس في كل جمعة ^(٢) ، فجلست وأحضرت القاضي أبا الحسين الإسناني ^(٣) وخرجت التوقيعات على السداد - قال - وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ : قَعَدَتْ ثَمَلُ الْقَهْرْمَانَةِ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ بِإِلَهِهِ لِلْمَظَالِمِ ، وَحَضَرَ مَجْلِسَهَا الْقَضَاءُ وَالْفُقَهَاءُ .

وفيها غزا يُسْرُ الْأَفْشِينِي بِلَادَ الرُّومِ فَافْتَتَحَ عِدَّةَ صُورٍ وَغَنَمَ وَسَلِّمَ ، وَغَزَا ثَمَالَ ^(٤) فِي بَحْرِ الرُّومِ فَغَنِمَ وَسَبَى وَعَادَ . وفيها أمر المقتدر ببناء بيما رستان قَبِيٍّ وَأَجْرَى عَلَيْهِ النِّفَقَاتِ الْكَثِيرَةَ ، وَكَانَ يُسَمَّى الْمُقْتَدِرِي ، وَحُجَّ بِالنَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِي ^(٥) . ودخلت سنة سبع وثلثمائة :

في هذه السنة وصل القائم بن المهدي من أفريقية من قبل أبيه بجيش كثيف فكان وصوله إلى الإسكندرية في شهر ربيع

(١) في المعظم ٦ : ١٤٨

(٢) كذلك في الأصل نقلاً عن المعظم ، وفي صلة الطبري ٧١ : يوماً في كل جمعة ،

(٣) في المعظم ٦ : ١٤٨ . وأحضرت القاضي أبا الحسن بن الإسناني ، وفي الخاشع

قال الحق في ترجمته من تاريخ بغداد كناه أبا الحسين ، وهو على أية حال من الفقهاء حفاظ الحديث ، وفي القضاء للمقتدر ثلاثة أيام ثم عزل وكان قيل ذلك محتسباً ببغداد !

(٤) كان متول الغزو في البحر ، وقد حطم مراكب المهدي العلوي صاحب أفريقيا

(٥) في النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٤ . وقيل أحمد بن العباس أخو أم موسى

الآخرة (١) ، فخرج عنها عاملُ المقتدر (٢) ودخل القائم ، ثم
 حل إلى مصر فدخل الجيزةَ وملك الأشمونيين وأكثر الصعيد .
 وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يجيبوه ،
 فبعث المقتدر بالله مؤنسًا الخادم في شعبان وجَدَّ في السير فوصل
 إلى مصر وكان بينه وبين القائم عدةٌ وقعات .

ووصل من أفريقية ثمانون مركبًا نجدةً للقائم ، فأمر المقتدر
 بالله أن تسير مراكبُ طرسوس إليهم ، فسارت خمسةً وعشرون
 مركبًا وفيها النقط . والعُدَّةُ ومقدَّمُها أبو اليمن ، فالتفت المراكب
 بالمراكب واقتتلوا على رشيد ، فظفر أصحاب مراكب المقتدر
 بالله وأحرقوا كثيرًا من مراكب أفريقية وأسرهم كثير . وكان من
 أسر سليمان الخادم ويعقوب الكتائي وهما مقدمتا المراكب / فمات
 سليمان في الحبس بمصر ، وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها وعاد
 إلى أفريقية .

وفيها ضمَّ حامدُ بنُ العباس الوزير أعمالَ الخراج والضباع
 الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة والبصرة
 وواسط والأهواز وأصبهان . وسبب ذلك أنه رأى أنه قد
 تعطلَّ عن الأمر والنهي وتفردَ به عليُّ بنُ عيسى ، فشرع في هذا
 ليصير له حديثٌ وأثرٌ ونهيٌ ، ثم استأذن المقتدرَ في الانحذار
 إلى واسط . ليُدبِرَ أمرَ ضَمَانِهِ الْأَوَّلِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنحَذَرَ إِلَيْهَا ، وَأَسَمَ

(١) في النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٦ « وأمامسكر المغاربة فان مقدسة القائم بن المهدي
 دخلت الإسكندرية في صفر هذه السنة »
 (٢) هو تكين بن عبد الله الحربي .

الوزارة عليه ، وعلى يدبر الأمور ! وأظهر حامد زيادة عظيمة ظاهرة في الأموال ، فسُرَّ المقتدرُ بذلك وبسطَ يدَ حامدٍ في الأعمال حتى خافه على بن عيسى .

ثم تحرك السَّعرُ (١) ببغداد فثارت العامةُ والخاصةُ ، لذلك ، واستغاثوا وكسروا المناير ، وكان حامد يحزن الغلال ، وكذلك غيره من القواد ، فأمر المقتدرُ بإحضار حامدٍ فحضر من الأهواز ، فعاد النَّاسُ إلى شغبيهم . فأنفذ حامدُ جماعةً لمتبهم ، فقاتلهم العامةُ ، وأحرقوا الجسرين وأخرجوا المحبسين من السجن ونهبوا دارَ صاحب الشرطة ، فأنفذ المقتدرُ جيشًا مع غريب الخال فقاتل العامةُ ، فانهزموا بين يديه ودخلوا الجامع بباب الطاق ، فأخذوه وحبسوا ، ثم ضرب بعضهم وقطعت أيدي من عُرف بالفساد .

ثم أمر المقتدرُ من الغد فنودي / في النَّاسِ بالأمان فسكنت الفينة ، ثم ركب حامدُ إلى دارِ المقتدرِ في الطَّيار (٢) فرجعه العامةُ ، فأمر الخليفةُ بفتح مخازنِ الحنطة والشعير التي لحامدٍ ولأم المقتدرِ وغيرهما ، وبيع ما فيها فرخصت الأسعارُ وسكنت النَّاسُ ، فقال على بن عيسى للمقتدر : إن سببَ غلاء الأسعارِ ضمانُ حامدٍ ، فإنه منع بيع الغلال في البيادر وخزنها ! فأمر المقتدرُ بفسخ الضمان عن حامدٍ وصرف عماله عن السواد ، وأمر على بن عيسى أن يتولى ذلك ، فسكن النَّاسُ واطمأنوا .

(١) تحرك السعر : ارتفع

(٢) باب الطاق : حلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرق وتعرف بطاق أسماء

(٣) الطَّيار : ضرب من السفن الخفيفة السريعة

وفيها قُلْدَ ابراهيمُ بنُ حمدانَ ديار ربيعة ، وحجَّ بالناس في هذه السنة أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة .

ودخلت سنة ثمانٍ وثلاثمائة : في هذه السنة خلع المقتدر بالله على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وقُلْدَه طريق خراسانَ والدينور ، وخلع دلي إخوته أبي العلاء وأبي السرايا

وفيها توفي ابراهيمُ بن حمدان في المحرم ، وحجَّ بالناس في هذه السنة أحمد بن العباس .

ودخلت سنة تسع وثلاثمائة :

ذكر قتل الحسين بن منصور الحلاج

وشيء من أخباره

وفي هذه السنة قُتل الحسينُ بنُ منصور الحلاج الصوفي ، وأُحرق بالنار (١) / وكان ابتداء حاله أنه كان يظهر الزهد والتصوف ، ويظهر الكرامات ويُخرج للناس فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . ويمدُّ يده في الهواء فيعبيدها مملوءة دراهم وعليها مكتوب « قل هو الله أحد » ويسميها دراهم القدرة . ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه في بيوتهم ، ويتكلم بما في ضمائرهم . فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول ، واختلفت فيه اعتقاداتهم ؛ فمن قائل إنه حلَّ فيه جزء إلهي ويدعى فيه الربوبية ، ومن قائل إنه وكلَّ الله تعالى وإن الذي

(١) أفانص ابن كثير في بسط سيرة الحلاج وأقواله وأسابيعه وشروط حيله (راجع البداية والنهاية ١: ١٣٢ وما بعدها)

يُظْهِرُ مِنْهُ مِنْ جُمْلَةِ كَرَامَاتِ الصُّلَحَاءِ ، وَمَنْ قَاتِلُ إِنْهُ مُشْعِدٌ
وَمُخْرِقٌ وَسَاحِرٌ كَذَابٌ وَمُتَكَهِّنٌ وَإِنْ الْجَنُّ تَطِيعُهُ فَتَأْتِيهِ بِالْفَاكِهَةِ
فِي خَيْرِ أَوَانِهَا .

وَكَانَ قَدِمَ مِنْ خِرَاسَانَ إِلَى الْعِرَاقِ وَسَارَ إِلَى مَكَّةَ وَأَقَامَ بِهَا
سَنَةً فِي الْحَجَرِ لَا يَسْتَقِلُّ تَحْتَ سَقْفٍ صَيفًا وَلَا شِتَاءً ،
وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الْعِشَاءِ أَحْضَرَ لَهُ الْقَوْمَ
كَوْزًا مِنْ مَاءٍ وَقَرَصًا فَيَشْرَبُ وَبَعْضُ مِنَ الْقُرَصِ ثَلَاثَ غَضَاتٍ مِنْ
جَوَانِبِهَا فَيَأْكُلُهَا وَيَتْرَكُ الْبَاقِيَ فَيَأْخُذُونَهُ ، وَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا آخَرَ
إِلَى وَقْتِ الْفِطْرِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ . وَكَانَ شَيْخُ الصُّوفِيَةِ يَوْمَئِذٍ
مَكَّةَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَغْرِبِيَّ فَأَخَذَ أَصْحَابَهُ وَجَاءَ لِرِيَارَةِ الْحَلَّاجِ فَلَمْ
يَجِدْهُ فِي الْحَجَرِ ، وَقِيلَ قَدْ صَعِدَ إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ ، فَصَعِدَ
إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ عَلَى صَخْرَةٍ حَافِيًا / مَكْشُوفَ الرَّأْسِ ، وَالْعَرَقُ يَجْرِي مِنْهُ
إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ أَصْحَابَهُ وَعَادَ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ وَقَالَ : هَذَا يَتَهَيَّرُ عَلَى
قَضَاءِ اللَّهِ وَسُوفَ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ مَا يَعْجَزُ عَنْهُ صَبْرُهُ وَقُدْرَتُهُ ! وَعَادَ
الْحَمْسِينَ إِلَى بَغْدَادِ .

٢٥-ب

وَأَمَّا سَبَبُ قَتْلِهِ فَاتَّهَ نَقِيلٌ عَنْهُ عِنْدَ عَوْدِهِ إِلَى بَغْدَادَ إِلَى الْوَزِيرِ
حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ أَحْيَا جَمَاعَةً وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّ الْجَنِّ يَخْلَعُونَهُ
فِيحْضُرُونَ عِنْدَهُ مَا يَشْتَهُي . وَإِنَّهُ قَدَّوهُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ خَاشِعَةِ
الْخَلِيقَةِ ، وَإِنَّ نَصْرًا الْعَاجِبِ قَدْ مَالَ إِلَيْهِ هُوَ وَغَيْرُهُ . فَالْتِمَسَ حَامِدُ
مَنْ الْمُقْتَدِرُ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْحَلَّاجَ وَأَصْحَابَهُ فَدَفَعَ عَنْهُ نَصِيرَ الْعَاجِبِ
وَأَلْحَ الْوَزِيرَ فِي طَلَبِهِ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرَ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ ، فَلَاخِذَ وَأَخَذَهُ .

إنسان يعرف بالشميرى وغيره - قيل إنهم كانوا يعتقدون أنه إله - فقررهم حامد فاعترفوا أنهم قد صَحَّ عندهم أنه إله وأنه يحيى الموتى ، وقابلوا الحلاج على ذلك . فأنكره وقال : أعوذ بالله أن أدعى الربوبية والنبوّة وإنما أنا رجل أعبد الله عز وجل ! فحضر الوزير القاضى أبى عمر والقاضى أبى جعفر بن البهلول وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم فقالوا : لا نفنى فى أمره بشيء إلا أن يصحَّ عندنا ما يوجب قتله ، ولا يجوز قبول قول من يدعى عليه ما ادّعه إلا ببينة أو إقرار !

وكان حامد يُخرج الحلاج إلى مجلسه ويستنطقه فلا يظهر منه / ما تكرهه الشريعة ، وطال الأمر وحامد مُجدِّ له فى أمره ، وجرى له ٢٦-١ قصص يطول شرحها . وفى آخرها أن الوزير رأى له كتابا حكى فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتا لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يدخله أحد ، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعله الحاج بمكة ، ثم يجمع ثلاثين يتيما ويعمل أجودَ طعام يمكنه ويطعمهم فى ذلك البيت ويتولّى خدمتهم بنفسه ، فإذا فرغوا كساهم وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم ، فإذا فعل ذلك كان كمن حج . فلما قرئ هذا على الوزير قال القاضى أبو عمر للحلاج : من أين لك هذا ؟ قال من كتاب الإخلاص للحسن البصرى . قال له القاضى : كذبت بإحلال الدم قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا . فلما قال له « بإحلال الدم » وسمعها الوزير قال : له : اكتب هذا رقعة ،

فدافعه أبو عمر فآلزمه حامدٌ فكتب بإباحة دمه وكتب بغده من حضر المجلس . قال : (١) ولما سمع الحلاج ذلك قال : ما يحل لكم دمي وإعتقادی الإسلام ومذهبي السنة ولي فيها كتب موجودة فالله الله في دمي !

وتفرق الناس ، وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله وأرسل إليه الفتاوى فأذن في قتله فسلمه الوزير إلى صاحب الشرطة فضربه ألف سوط . فما تآوه ثم قطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم قتل / وأحرق في النار ، فلما صار رماداً ألقى في دجلة ونُصب رأسه ببغداد وأرسل إلى خراسان لأنه كان له بها أصحاب ، وأقبل بعض أصحابه يقولون : إنه لم يُقتل وإنما ألقى شبهه على دابة وإنه يعود بعد أربعين يوماً ! وبعضهم يقول : لقيته على حمار بطريق النهروان وإنه قال لهم « لا تكونوا مثل هؤلاء النفر الذين يظنون أني ضريت وقُتلت » !

٢٦- ب

وفيهما استعمل المقتدر على حرب الموصل ومعاونتها محمد بن نصر الحاجب ، فسار إليها وأوقع بمن خالفه من الأكراد فقتل وأمر ، وأرسل إلى بغداد نيفاً وثمانين أسيراً فشهروا ، وفيها قُلد داود بن حمدان ديار ربيعة .

ودخلت سنة عشر وثلاثمائة : في هذه السنة أطلق يوسف بن أبي الساج من الحبس بشفاعته مؤنس الخادم ، ودخل إلى المقتدر وخلع عليه ، ثم عقد له على الرى وقزوين وزنجان وأبهر . وقرر

عليه خمسمائة ألف دينار محمولة إلى بيت المال في كل سنة سوى أرزاق العساكر الذين بهذه البلاد .

وفيها وصلت هدية أبي زنبور الحسين الماذرائي ^(١) من مصر ،
وفيها بغلة معها فلو ^(٢) يتبعها ويرضع منها و غلام طويل اللسان
يلحق لسانه أرنية أنفد !

وفيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة وكان سبب ذلك أنها
/ زوّجت ابنة أخيها من أبي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل
على الله وكان يُرْتَسَحُ للخلافة ، فلما صاهرته أكثرت من النثار والدعوات
وخسرت أموالاً جليلاً ، فتكلم أعداؤها وسعوا بها إلى المقتدر وقالوا :
إنها قد سمعت لأبي العباس في الخلافة ، وحاقمت له القواد ، وكثرت القول
فيها ، فقبض عليها وأخذ منها أموالاً جليلاً وجواهر نفيسة ^(٣) ، قال
ابن الجوزي : صَحَّ منها لبيت المال ألف ألف دينار ^(٤)
ودخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة :

(١) في : وفي ك صفحة ١٤ وفي ف صفحة ١٧ - ١ : الماذرائي وماها هنام من النجوم
الزاهرة ١ : ١٠١ ، ١٤٨ وأبو زنبور الحسين هو ابن أحمد بن رسم أبو علي الكاتب - علي
مايقول حريب والكندي وابن الأثير - وفي بعض الأثبات « الحسن بن أحمد » وفي بعضها «
أبو منصور » وكلاهما تحريف ، وكان عامل الخراج على مصر يسميه ابن كثير الحسين ابن
المارداني (البداية والنهاية ١١ : ١٤٥)

(٢) فلو : جيش (المحيط)

(٣) يروى أنها سلت إلى ثمل القهرمانة ومما أخوها وأختها فبسطت عليهم ثمل مر العذاب
فقد كانت هذه مشهورة بالشر والقسوة

(٤) المتظم ٦ : ١٦٦

ذكر عزل حامد بن العباس

وولاية ابن الفرات

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر نزل المقتدر حامد بن العباس عن الوزارة ، وعلى بن عيسى عن الدواوين ، وخلع على أبي الحسن بن الفرات وأعيد إلى الوزارة . وكان سبب ذلك أن المقتدر ضجر من استغاثة الأولاد والحرم والخدم والحاشية من تأخير أرزاقهم ؛ فإن علي بن عيسى كان يؤخرها ، فإذا اجتمع لهم عدة شهور أعطاهم البعض ، وحظ من أرزاق العمال في كل سنة شهرين وكذلك من أرزاق من له رزق فزادت عداوة الناس له . وكان حامد بن العباس قد ضجر من المقام ببغداد وليس له من الأمر شيء غير لبس السواد ، وأُنف من أطراح علي بن عيسى لجانبه ؛ فإنه كان يهينه في توقيعاته بالإطلاق عليه لضمائه بعض الأعمال ، فكان يكتب ليطلق جند^(١) الوزير أعزه الله ، وليبادر نائب الوزير ، وكان إذا شكأ إليه بعض نواب حامد يكتب على القصص « إنا عقيد الضمان على النائب الوزير عن الحقوق الواجبة السلطانية فلينقدم إلى عماله بكف الظلم عن الرعية » .

٢٧ ب

فأستأذن حامد وسار إلى واسط لينظر في ضمانه فأذن له ، وجرى بين مفلح الأسود^(٢) وبين حامد كلام فقال له حامد :

(١) في الأصل « يطلق جهة الوزير » ولا معنى له لأن الجهة التقاد الخير ، وفي ك صفحة ١٤ « جند » وهو ما أثبتناه .

(٢) كان مفلح من أقرب الناس إلى المقتدر وكان خصيصا به على ما يقول ابن الأثير !

لقد هُتِيتُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِائَةَ خَادِمٍ أَسْوَدَ أَسْمِيهِمْ ، فَمَلَحُوا أَهْبَهُمْ
لِغِلْمَانِي فَحَقَّقَهَا مُفْلِحٌ - وَكَانَ خَصِيصًا بِالْمَقْتَدِرِ - فَسَعَى مَعَهُ
الْمَحْسِنُ بْنُ الْفَرَاتِ لَوَالِدِهِ بِالْوِزَارَةِ وَضَمَّنَ أَمْوَالًا جَلِيلَةً ، وَكَتَبَ
عَلَى يَدِهِ رَقْعَةً يَقُولُ إِنَّ سُلَيْمَ بْنَ الْوَزِيرِ وَعَلِيَّ بْنَ عَيْسَى وَابْنَ الْحَوَارِيِّ
وَشَفِيعَ اللَّؤْلُؤِيِّ وَنَصَرَ الْحَاجِبِ وَأُمَّ مُوسَى الْقَهْرْمَانَةَ وَالْمَآذِرَانِيَّيْنَ
اسْتَخْرَجَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ آلَافٍ أَلْفَ دِينَارٍ ! وَكَانَ الْمَحْسِنُ مُطْلَقًا ،
وَكَانَ يَواضِلُ السَّعْيَةَ بِهَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ ، وَذَكَرَ ابْنَ الْفَرَاتِ
لِلْمَقْتَدِرِ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ ابْنُ الْحَوَارِيِّ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنَ الْمَالِ
فَاسْتَكْثَرَهُ .

فَقَبِضَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ وَسَلَّمَهُ إِلَى
زَيْدَانَ الْقَهْرْمَانَةِ فَحَبَسَتْهُ فِي الْحَجَرَةِ الَّتِي كَانَ ابْنُ الْفَرَاتِ مُحَبُّو سَا
فِيهَا ، وَأَطْلَقَ ابْنَ الْفَرَاتِ وَخُلِعَ عَلَيْهِ ، وَتَوَلَّى / الْوِزَارَةَ وَخُلِعَ عَلَى ابْنِهِ
الْمَحْسِنِ ، وَهَذِهِ الْوِزَارَةُ الثَّلَاثَةُ لِابْنِ الْفَرَاتِ .

قَالَ (١) : وَسِيرَ ابْنُ الْفَرَاتِ إِلَى وَاسِطٍ مِمَّنْ يَقْبِضُ عَلَى
حَامِلِ قَهْرٍ وَاخْتَفَى بِبَعْدَادٍ ، ثُمَّ إِنْ حَامِدًا لِبَسَ زِيَّ رَاهِبٍ
وَخَرَجَ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَمَشَى إِلَى نَصْرِ الْحَاجِبِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ
وَسَأَلَهُ إِرْصَالَ حَالِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ إِذَا كَانَ عِنْدَ حَرَمِهِ ، فَاسْتَدْعَى
نَصَرَ مُفْلِحًا الْخَادِمَ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : أَهْلًا بَوْلَانَا الْوَزِيرِ أَيْنَ
مَمَالِيكَ السُّودَانَ الَّذِينَ سَمَّيْتَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَفْلِحًا ؟

فسأله نصر أن لا يؤاخذه وقال له : حامد يسأل أن يكون مجسسه
في دار الخلافة ولا يسلم إلى ابن الفرات .

فدخل مفليح وقال ضد ما قيل له فأمر المقتدر بتسليمه إلى ابن
الفرات ، فأرسله إليه فحبسه في دار حسنة وأجرى له من الطعام
والكسوة والطيب وغير ذلك ما كان له وهو وزير ، ثم أحضره
وأحضر الفقهاء والأعمال وناظره على ما وصل إليه من المال وطالبه
به ، فأقر بجهات تقارب ألف ألف دينار ، وضمنه المحسن بن
أبى الحسن بن الفرات الوزير من المقتدر بخمسمائة ألف دينار
فسلمه إليه فعذب به بأنواع العذاب ، وأنفذه إلى واسط مع بعض
أصحابه ليبيعه . آله هناك ، وأمرهم أن يسقوه سُماً فسقوه سُماً في
بيض مشوى كان طلبه ، فأتوا به إلى واسط وأفرط .

القيام به . وكان قد / تسلمه محمد بن علي البروجري ^(١) فلما رأى حاله

أحضر القاضي والشهود ليشهدوا عليه أنه ليس له في أمره صنع ! فلما
حضروا عند حامد قال لهم : إن أصحاب المحسن سقوني سماً في
مشوى فإنا أموت منه وليس لمحمد في أمرى صنع ، لكنه أخذ قطعة
من أموالى وأمتعتى وجعل يحشو بها في المساور وتباع المسورة بمحض
من أمين الساطان بخمسة دراهم فيضع من يشتريها ويحملها إليه
فيكون فيها أمتعة تساوى ثلاثة آلاف درهم ، فاشهدوا على

(١) كذا في أ ، وفي ك ، ف البروجري وذكره ابن الأثير في الكامل ٦ ١٧٤

ذلك ١ وكان صاحب الخبر حاضرا فكتب بذلك ، ثم مات حامد في شهر رمضان من هذه السنة .

وصودر على بن عيسى بثلاثمائة ألف دينار وعذبه المحسن بن القرات وصفعه فأنكر عليه أبوه لأن عليا كان محسنا إليهم في أيام ولايته وأعطى المحسن في أيام نكبته عشرة آلاف درهم ، فلم يَرَعْ له حق إحمائه . قال : (١) ولا أدى على بن عيسى مال المصادرة سميره ابن القرات إلى مكة وكتب إلى أميرها أن يُسَيِّرَه إلى صنعاء ، ثم قبض ابن القرات على أبي علي بن ثُملة لأنه بلغه أنه سعى به أيام نكبته ونقلد بعض الأعمال في أيام حامد ثم أطلقه ابن القرات

وقبض أيضا على ابن الحواري وكان خصيصا بالمقتدر وسلمه إلى ابنه المحسن فعذبه عذابا شديدا - / وكان ٢٩ - ١ المحسن وقحا ظالما مبيء الأدب ذا قسوة شديدة ، وكان الناس يسمونه الخبيث بن الطيب ، وسير ابن الحواري إلى الأهواز ليستخرج منه الأموال فضربه الموكل به حتى مات . وقبض أيضا على الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماذرائيين (٢) فصادرهما على ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار ، ثم صادر جماعة من الكتاب ونكبهم . ثم إن

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ ، ١٧٥

(٢) في الأصل وفي من صفحة ١٤ : الحسن بن أحمد ومحمد بن علي الماذائين ، وهو حريف صوابه ما أثبتناه من ابن الأثير .

ابن الفرات - خوَّفَ المقتدر من مؤنس الخادم وأشار عليه أن
يسيره إلى الشام فأخرجه عن الحضرة في يوم شديد المطر ،
ثم سمى بنصر الحاجب وأطمع المقتدر في ماله وكثرته فالتجأ
نصر إلى أم المقتدر فحمته من ابن الفرات

وفيهما غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وففتح حصونا وغزا
شمال في البحر فغنم من السبي ألف رأس ، ومن الغنم ألف
رأس ، ومن الذهب والفضة شيئا كثيرا .
وفيهما دخل القرمطي^(١) البصرة وقتل عاملها^(٢) وأقام بها مائة
عشر يوما يقتل وينهب ويأبى .

ودخلت سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة : في هذه السنة ظهر في دار
الخليفة إنسان أعجمي عليه ثياب فاخرة وتحتة ثياب بدنه
قميص صوف ومعه قَدَاحَةٌ وكبريت ودواة وأقلام وسكين
٢٩ - ب وكاغد ، وفي كيم سويق وسكر وحبل / طويل من
القنب ، فأحضر إلى ابن الفرات الوزير فسأله عن حاله فقال :
لا أخبر إلا صاحب الدار فأمر بضربه ليقر فقال : بسم الله
بدأتم بالشر ! ولزم هذا القول ثم جعل يقول بالفارسية
ما معناه : لا أدري ، ثم أمر به فأحرق ، وأنكر ابن الفرات على
نصر الحاجب هذا الحال وعظم الأمر بين يدي المقتدر ونسبه إلى
أنه أخفاه ليقتل المقتدر ، وتفاوضا فقال الحاجب : لِمَ أسمى في

(١) يقول أبو الفرج عبد الرحمن في المنتظم ٦ : ١٨٨ : إنه أبو طاهر سليمان بن أبي

سميد الجنابي .

(٢) عن ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٧٥ ، ١٧٧ أنه سبك المظفر .

قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ رَفَعْنِي مِنَ الثَّرَى إِلَى الثَّرَى ؟ إِنَّمَا يَسْعَى فِي قَتْلِهِ مَنْ صَادَرَهُ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ وَضَيَاعَهُ وَأَطَالَ حَبْسَهُ !

وفيها أخذ القرمطي الحاجَّ بعد عودتهم من الحجاز - وكان لأبي الهيجاء طريقُ مكة - فصار إلى القرمطي فأوقع به ، وأسير أبو الهيجاء وأحمدُ بن كشمرد ونحريز وأحمدُ بن بدر عمُّ والدَةُ المقتدر وغيرهم ، وأخذ القرمطي جمالَ الحاجِّ جميعها وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وعاد إلى هَجَرَ (١) وترك الحاجَّ في مواضعهم فمات أكثرُهم جوعاً وعطشاً ، فاجتمع حرم المأخوذِينَ إلى حرم المنكوبين (٢) الذين نكبهم ابنُ الفرات وجعلنَ ينادين : القرمطي الصغير (٣) قَتَلَ المسلمين بطريقِ مكة والقرمطي (٤) الكبير قتل المسلمين ببغداد ! وشنَّعُوا عليه وكَسَرَ العامةُ منابرَ الجوامع

وَسَوَّدُوا المحارِبَ يومَ الجمعةِ لَيْسَتْ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ ، / فَضَعُفَتْ نَفْسُ ابْنِ الْفَرَاتِ وَحَضَرَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ لِيَأْخُذَ أَمْرَهُ فِيمَا يَصْنَعُ .

وحَضَرَ نَصْرُ الْحَاجِبِ الْمَشُورَةِ فَانْبَسَطَ لِسَانُهُ عَلَى ابْنِ الْفَرَاتِ وَقَالَ : السَّاعَةُ تَقُولُ : أَيُّ شَيْءٍ نَصْنَعُ وَمَا هُوَ الرَّأْيُ بَعْدَ أَنْ زَعَزَعْتَ أَرْكَانَ الدَّوْلَةِ وَعَرَضْتَهَا لِلزَّوَالِ ، فِي الْبَاطِنِ بِالْمِيلِ مَعِ

(١) هجر : مدينة تعتبر قاعدة البحرين إلا إذا ذكرت القطيف (ياقوت) ، وكلتاها لقرمطي المذكور

(٢) في ك صفحة ١٥ « فاجتمع حرم المأخوذِينَ إلى حرم المنكوبين بطريق مكة الذين نكبهم »

(٣) كان هذا القرمطي إذ ذاك في السابعة عشرة على ما يقول ابن الأثير

(٤) العبارة عن المنتظم ٦ : ١٨٩ « وابن الفرات القرمطي الكبير » ولما قبض عليه

قال العامة « قد قبض على القرمطي الكبير » .

كل عَدُوٍّ يظهر ومكانبته ومهاداته ، وفي الظاهر بإبعادك مؤنسًا ومن معه إلى الرقّة وهم سيوف الدولة ، فمن يدفع الآن هذا الرجل إذا قصّد الحضرة أنت أم ولدك ؟ وقد ظهر الآن مقصودك بإبعاد مؤنس وبالقبض على وعلى غيري ، أن تستضعف الدولة وتُقوّى أعداءها لتشفى غيظك ممن صادرك وأخذ أموالك ! ومن الذي سلّم الناس إلى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض ؟ وقد ظهر أيضا أن ذلك العجبي من أصحاب القرمطي وأنت أوصلته ! فحلّف ابن الفرات أنه ما كاتب القرمطي ولا هاداه ولا رأى ذلك الأعجبي إلا تلك الساعة ، والمقتدر مُعْرِض عنه . وأشار نصّر على المقتدر بالله أن يحضر مؤنسا ومن معه ففعل ذلك ، وكتب إليه بالحضور ففعل وسارع ، وقام ابن الفرات فركب فرجته العامة ، ثم وصل مؤنس المظفر إلى بغداد ، ولما رأى المحسن ابن الفرات انحلال أمورهم أخذ كل من كان محبوسا فقتله ، لأنه كان قد أخذ منهم أموالا / جليلة ولم يوصلها إلى المقتدر فخاف أن يقرأوا عليه بما أخذه منهم .

٣٠-ب

ذكر القبض على ابن الفرات الوزير

وولده المحسن

قال (١) : ثم كثرا الإرجاف على ابن الفرات فكتب إلى المقتدر يُرّفه بذلك ، وأن الناس إنما عادوه لشفقتيه ونُصْحِهِ وأخذ حقوقه منهم فأنقذ المقتدر إليه يسكنه ويطيّب قلبه فركب هو وولده إلى المقتدر

فطِيبَ قلوبهما ، وخرجا من عنده فمعهما نَصْرُ الحاجبِ ووكل
بهما ، فدخل مُفلح على المقنذر وأشار عليه بتأخير عزله فأمر
بإطلاقهما فخرجا ، فأما المحسن فبانه اختفى ، وأما الوزير فإنه
جلس عامة نهاره يقضى الأشغال إلى الليل ثم بات مفكراً ، فلما
أصبح سمع بعض خدمه ينشد :

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدمه خير له أم وراءه

فلما ارتفع النهار وهو النامُ من شهر ربيع الأول أتاه
نازوك (١) ويلقى في عدة من الجند فدخلوا عليه وهو عند
حرمة فأخرجوه حافياً مكشوف الرأس فألقى عليه يلبق طيلساناً
غَطَّى به رأسه وحمل إلى طيارٍ فيه مؤنس المظفر ومعه هلال/ بن
بدر (٢) فاعتذر إليه ابن الفرات وألان كلامه له فقال له : أنا
الآن الأستاذُ وكنتُ بالأمس الخائنُ الساعى في فساد الدولة
وأخرجتنى والمطرُ على رأسى ورووس أصحابي ولم تَهْملنى ! وسلَّم إلى
تفيع اللؤلؤى فحبس عنده ، وكانت مدة وزارته هذه عشرة أشهر
وغمانية عشر يوماً ، وأخذ أصحابه وأولاده ولم ينج منهم إلا المحسن ،
وصودر ابن الفرات على ألف دينار .

(١) نازوك من أخطر الشخصيات التركية التي كانت في بلاط المقنذر ، فقد كان خادمه
ثم أصبح عاملاً على دمشق ، ثم صاحب شرطته ببغداد . وفي سنة ٣١٧ اشترك في خلع قتل ،
وكان قد قتل ابن الفرات شر قتلة (عن مسكويه وعريب وابن الأثير)

(٢) هو الأمير أبو الحسن ولي إمرة مصر كما يقول ابن تقي بردى في التلخيص للزاهرة

ذكر وزارة أبي القاسم الخاقاني

قال (١) : ولما تَغَيَّرَ حَالُ ابنِ الفرات سَمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ أَبِي علي محمد بن عبد الله (٢) بن يحيى بن خاقان في الوزارة ، وكتب خطه أنه يتكفل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألفي ألف دينار . وسعى له مؤنس الخادم وهارون بن غريب الخال ونصر الحajib فتولى أبو القاسم الوزارة في تاسع شهر ربيع الأول ، وكان المقتدر يكرهه فلما سمع ابن الفرات وهو محبوب بولايته قال : الخليفة هو الذي تُكَبِّ لا أزا ! يعني أن الوزير عاجز لا يهرف أمر الوزارة ، ولما ولي الخاقاني شَفَّعَ إليه مؤنس الخادم في إعادة علي بن عيسى من صنعاء إلى مكة ، فكتب بإعادته وأذن له في الاطلاع على أعمال مصر والشام .

ذكر مقتل ابن الفرات وولده

٣١-ب

قال كان المحسن بن الوزير أبي الحسن بن الفرات (٣) مختفيا كما ذكرنا ، وكان عند حماته خنزيرة - (٤) وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات - وكانت تأخذ كل يوم وتوجه به إلى المقبرة في زِيِّ النساء وتعود به إلى المنازل التي تشق بها ، فمضت به يوما إلى مقابر قريش . وأدركها الليل فبعدت عليها الطريق وأشارت

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٧٨

(٢) في ك صفحة ١٦ • عبد الله •

(٣) في ك صفحة ١٦ • كان الحسن بن أبي الحسن بن الفرات •

(٤) في ك • خنزيرة • وفي تجارب الأمم • خنزيرة • وفي الكامل • حزانة •

عليها امرأة معها أن تقصد امرأة سالحة تعرفها بالخير ، فأتخذته وقصدت به تلك المرأة وقالت لها : معنا صبية [بنت] (١) بكر نريد منك بيتا نكون فيه ! فأمرتهم بالدخول إلى بيتها وسلمت إليهم قبة في الدار ، فدخلوا المحسن إليها ، وجلس النساء الذين معه في صفه أمام القبة ، فجاءت جارية سوداء فرأت المحسن فأخبرت مولانا أن في الدار رجلا ، فجاءت المرأة صاحبة الدار فرأته وعرفته - وكان المحسن قد أخذ زوجته إيصاذه فلما رأى الناس يذهبون في داره مات (٢) فجأة - فلما رأت المرأة المحسن ركبت في سفينة وقصدت دار الخليفة وقالت عندى نصيحة .

فأحضرها نصر الحاجب فأخبرته الخبر فطاع به المقتدر ، فأمر صاحب الشرطة أن يسير معها فصار معها إلى منزلها وأخذ / المحسن وجاء به إلى المقتدر ، فبعث به إلى دار الوزارة فعذب بأنواع العذاب ليحجب إلى مال يخممه فقال : لا أجمع بين الروح والمال ! فأمر المقتدر بحمله مع أبيه (٣) إلى دار الخلافة فقال الوزير أبو القاسم المؤنس وهارون بن غريب الخال ونصير الحاجب : إن نُقل ابنُ القرات إلى دار الخلافة بذل أمواله وأطيع المقتدر في أموالنا وصحبنا منه وتسلّمنا فأهلكنا فوضعوا القواد

(١) زيادة من ك صفحة ١٦

(٢) في ك « فلما رأى الناس يمشون في داره مات » والبيان مضطربة

(٣) في ك صفحة ١٧ « ابنه »

والجُنْدُ وقالوا : لا بُدَّ من قَتْلِ ابْنِ الفَرَاتِ وولده فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ عَلَى أَنْفُسِنَا مَا دَامَا فِي الْحَيَاةِ ! فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ نَازِوَكَ بِقَتْلِهِمَا فَبَدَأَ بِقَتْلِ الْمُحْسَنِ فَذَبَحَهُ كَمَا تُذَبِّحُ الشَّاةُ وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى أَبِيهِ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ ، ثُمَّ عَرَضَ أَبُوهُ عَلَى السَّيْفِ فَقَالَ : رَاجِعُوا فِي أَمْرِي فَإِنَّ عِنْدِي أَمْوَالًا جَمَّةً وَجَوَاهِرَ كَثِيرَةً ، فَقَبِلَ لَهُ جَلَّ الْأَمْرُ عَنْ ذَلِكَ . ثُمَّ ذُبِحَ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ الْآخِرِ مِنْهَا ، وَكَانَ عَمْرَدٌ لِإِحْدَى وَمِثْلَيْنِ سَنَةً وَعُمُرُهُ وَلَدَيْهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَحَمَلَ رَأْسَاهُمَا ^(١) إِلَى الْمُقْتَدِرِ فَأَمَرَ بِتَفْرِيقِهِمَا

وَالْقَتْلَ رَكِبَ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ الْخَالُ مَسْرِعًا إِلَى الْوَزِيرِ الْخَاقَانِيِّ وَهَذِهِ بِقَتْلِهِمَا فَأَعْلَمَ عَلَيْهِ حَتَّى ظَنَّ هَارُونُ وَمَنْ هُنَاكَ أَنَّهُ مَاتَ ، وَصَرَخَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ ، ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَشَمِيَّتِهِ وَأَعْطَى هَارُونُ أَلْفَيْ دِينَارٍ . وَتَشَفَّعَ / مؤنس في إبْنَيْ ابْنِ الفَرَاتِ عَبْدَ اللَّهِ وَأَبِي نَصْرٍ فَأُطْلِقَا لَهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمَا وَوَصَّلَهُمَا بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ أَمَالِهِ .

قَالَ : ^(٢) وَكَانَ ابْنُ الفَرَاتِ كَرِيمًا ذَا رِيَاةٍ وَكَفَايَةٍ فِي عَمَلِهِ ، حَسَنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَكَانَ مَقْصُطِنَا النَّاسِ ، فَإِنَّ جَمِيعَ كُتَابِهِ الَّذِينَ اصْطَنَعَتْهُمْ صَارُوا وَزَرَاءَ . وَكَانَ يَمْتَقِلُ مِنْ ضِيَاعِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ وَيَنْفَقُهَا ، وَكَانَ إِذَا وَزَرَ غَلَا الشَّمْعُ وَالْكَاغِدُ وَالْمُسْكِرُ وَالْكَافُورُ لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ لِذَلِكَ ! وَكَانَ يَجْرِي عَلَى

(١) فِي أَوْرَاسِهِمَا ، وَهُوَ خَطَأُ اعْتَادَ الذَّوْبِيرِيُّ أَنْ يَقَعَ فِي مِثْلِهِ ، وَفِي ذَلِكَ صَفْحَةُ ١٧ وَرَأْسَاهُمَا .

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ٦ : ١٨٠

خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوتات والفقراء ، قال
 الصولي (١) : ومن فضائله التي لم يُسَبَقْ إليها أنه كان إذا رُفِعَتْ
 له قضية فيها سعاية بأحدٍ خرج (٢) من حضرته غلامٌ فينادي .
 ابن فلانُ بنُ فلانٍ الساعي ! فامتنع الناس من السعاية بأحد ، ولم
 يكن فيه ما يعاب إلا أن أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون
 ويظلمون فلا يمنهم ؛ فمن ذلك أن بعضهم ظلم امرأة في وَلِكٍ
 لها فكتب إليه نشكو غير مرة ولا برد لها جوابا فلقيته يوما
 فقالت : أسألك بالله أن تسمع كلامي ! فوقف لها فقالت :
 قد كتبت إليك في ظلامي غير مرة فلم تُجِبْنِي وقد تركتك وكتبتها
 إلى الله تعالى ! فلما رأى تَغَيَّرَ حاله قال لمن معه : قد خرج جوابُ
 رقعة تلك المظلومة .

/ وفي هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي الكوفة وأقام بها ستة
 أيام يقيم بالجامع نارا فإذا أُمْسَى خرج إلى عَشْكَرِهِ وحمل منها
 ما قدر على حمله من الأموال وغيرها وعاد إلى هَجَرَ ، ولم يحج في
 هذه السنة أحد .

وفيهما ظهر (٣) عند الكوفة رجلٌ ادعى أنه محمد بن إسماعيل
 ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي
 الله تعالى عنه - وهو رئيس الإسماعيلية وجمع جمعا عظيما من الأعراب

(١) في كتابه الوزراء ، والصولي هو أبكر محمد بن يحيى الشطرنجي توفي سنة ٢٢٥

(٢) في ك ، ف ، يخرج ،

(٣) في ك ، ف ، وفيها ظهر رجل عند الكوفة .

وأهل السَّوَاد واستفحل^(١) أمرُهُ في شِوَال ، فَسِيرَ إليه جيش من بغداد ، فقاتلوه وظفروا به وانهمز وقُتِل كثيرٌ مَعْن معه .

ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة

ووزارة أبي العباس الخصيبي

في هذه السنة في شهر رمضان ، عزل أبو القاسم الخاقاني عن الوزارة . وكان سبب ذلك أن أبا العباس الخصيبي عَلِمَ مكانَ امرأة المحسن بن القرات فسأل أن يتولى النَّظَرَ في أمرها فَذِنَ له المقتدرُ في ذلك ، فاستخلص منها سبعمائة ألف دينارٍ إلى المقتدر ، وصار له معه حديث . فخافه الخاقاني فوضع من وقع عليه وسعى به فلم يُضْغِعِ المقتدر إلى ذلك ، فلما علم الخصيبي بالحال كتب إلى المقتدر يذكّرهُ عائب الخاقاني وابنه عبد الوهاب وعجزَهُما وضياغَ الأموال وطمع العمال . ثم مرض الخاقاني مرضاً شديداً وطال به ، فوقفت الأحوال وطلب الجند أرزاقهم وشغبوا فأرسل المقتدر إليه في ذلك فلم يقدر على شيء فعزله ، واستوزر أبا العباس وخلع عليه . وكان يكتب لأم المقتدر قبل ذلك ، ولما ولي أقر على بن عيسى على الإشراف على أعمال مصر والشام فكان يتردد من مكة إليهما في الأوقات .

وفيها كتب إليك الروم إلى أهل الثغور يأمرهم بحصل الخراج إليه فإن فعلوا وإلا قصدهم فقتل الرجال وسبي الذرية ، وقال : إنني صَحَّ عندى ضعف ولاتكم فلم يفعلوا ذلك ، فسار إليهم

(١) في الأصل وسائر المخطوطات « واستفحل » صوابه ما أثبتناه بمعنى تفاقم .

وأُخرب البلاد ، ودخل مَلْطِيَّةَ في سنة أربع عشرة وثلاثمائة ،
فأخربها وسبى ونهب ، وأقام بها ستة عشر يوماً .

ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل أبي العباس الخصبي

ووزارة علي بن عيسى

في هذه السنة في ذي القعدة عَزَلَ المقتدرُ أبا العباس / الخَصْبِيَّ
عن الوزارة ، وسبب ذلك أنه أضاق ^(١) إضاقَةً شديدة . ووقفت
أُمُورُ السلطان ، واضطرب أَمْرُ الخَصْبِيَّ ، وكان حين وَلِيَ
الوزارة قد اشتغل بالشرب كُلَّ ليلةٍ ويصيح وهو سكرانٌ
لا فَضْلَ فيه لعمل . وكان يترك الكتبَ الواردةَ عليه من العمال ، فلا
يقرؤها إلا بعد مُدَّةٍ وَيُهْمِلُ الأجوبةَ عنها فضاغت [الأموال] ^(٢)
وفانت المصالح ، ثم وَكَّلَ الأمورَ إلى نَوَائِبِهِ وأَمَلَ الاطِّلاعَ عليهم
فباعوا مصلحته بمصلحة نفوسهم .

فلما صار الأمر إلى هذه الصورة أشار مؤنس المظفر بعزله
وتولية علي بن عيسى ، فقبض عليه ^(٣) ، فكانت وزارته سنة
وشهرين ، وأخذ ابنه وأصحابه فحبسوا . وأرسل المقتدر يستدعي
علي بن عيسى ، وأمر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني بالنيابة
عن علي إلى أن يحضر وقدم علي بغداد في أوائل سنة خمس عشرة ،

(١) أنفاق : (لازم) ذهب ماله .

(٢) زياده من الكامل ٦ : ١٨٤

(٣) في المتظم ٦ : ٢٠٢ أن المقتدر بالله بعث نازوك فقبض عليه هو وكاتبه إسرائيل

ابن عيسى وابنه .

واشتغل بأمور الوزارة ، ^(١) ولازم النظر فيها . فمشت الأمور واستقامت الأحوال . وكان قد اجتمع عند الخصىي حلة من رفاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من الأموال بالسود وفارس والأهواز والمغرب ^(٢) ، فنظر فيها وأرسل في طلب الأموال فاتته شيئا بعد شيء فأدّر الأرزاق وأخرج العطاء ، وأسقط من الجند من لا يحمل السلاح ، ومن أولاد المرتزقة من هو / في المهدي . فان آباعهم أثبتوا أبايعهم ! ومن أرزاق المغنيين والمساخرة ^(٣) والصفاغة ^(٤) والندماء . وتولى الأعمال بنفسه ليلاً ونهاراً ، فاختار الكفاة ^(٥) من العمال واستسلمهم في الولايات . وأمره المقتدر بالله بمناظرة أبي العباس الخصىي ، فأحضره ، وأحضر الفقهاء والقضاة والكتاب وغيرهم فسأله عما ضح من الأموال والمصادرات والبيوات القديمة وغير ذلك فقال : لا أعلم ! وما أجاب عن شيء ، فأنكر عليه كونه دخل في الوزارة وهو لا يعرفها ، ووبخه توبيخاً كبيراً .

٣٤ - ب

وفيهما في شهر ربيع الأول خرجت الروم إلى ملطية وما يليها

(١) هذه هي وزارته الثانية والأخيرة .

(٢) في من ورقة ١٨ « والغرب »

(٣) يقال سخروا منه فهو مسخرة من المسخر أي يضحكون منه والناء زائدة كما في

هياقرة وجهايدة

(٤) في شئ المخطوطات « الصفاغة » ولا وجه لها إلا أن تكون ما اثبتناه ، لأن الصفاغة

(كسابة) من الملاحى كلمة معربة فيها الصغان ويجمع على الصفاغة .

(٥) كذا في ١ وما نقل عنها وهو جمع غريب فنحن نقول كفاء وكفاء (كفضال)

وفي ك صفحة ١٨ . فاختار من الكفاة من المال »

مع الدُّمستق ومعه مليح الأرمني صاحب الدروب ، فحاصروا ملطية ودخلوا الرِّبَضَ فقاتلهم أهلُه وأخرجوهم منه ، فلم يظفروا من المدينة بشيء ، وخربوا قرى كثيرةً من قراها ، ونَبَشُوا الأَمْوات ومَثَلُوا بهم ثم رحلوا ، وقصد أهلُ لَطِيَّةَ بِغدادَ مستغيثين فلم يُعَاثُوا ، فعادوا إلى بلادهم بغير مقصود !
ودخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة :

ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر بالله

وبين مؤنس

في هذه السنة هاجت الرُّوم وقصدوا الثُغُور ودخلوا شَمَشَاطَ (١)
/ وغنموا جميع ما فيها من مالٍ وصلاحٍ وغير ذلك ، ودَقُّوا الناقوسَ
في الجامع ثم خرج المسلمون في أَكْثَرِ الرُّوم فقاتلوهم وغنموا منهم
غنيمة عظيمة ، فقامَ المقتدر بالله بتجهيز العساكر مع مؤنس
المُظَفَّر ، وخالَعَ عليه في شهر ربيع الآخر ولم يبق غير الوداع ،
فامتنع مؤنسٌ من الدخول إلى دار الخليفة واستوحش من المقتدر
بالله وظهر ذلك . وكان قد أَنَاهُ بعضُ خُدَّامِ المقتدر وقال له :

(١) في ١ هـ شِشَاط ، وفي ١٨ هـ وفي ٢١ هـ شِشَاط ، كافٍ
هقد الجمان ، فهي شَمَشَاط التي يقول عنها ياقوت مدينة بالروم على شاطئ الفرات شرقها
بالوية وغربها خربت ، ولكن ابن الأثير وابن الجوزي ومسكويه يشبِّهون شِشَاطَ
المدينة التي من أعمال الشام على الفرات أيضاً والأولى أولى ذكر الشاعر أبو الحسن على الشَّنَاطِ
وكان على أيام سيف الدولة - بقوله :

خضعت رقاب بني الداوة إذ رأت آثارها تنفذ تحت سياط
حتى إذا ركضت على أعقابها دلف النيط إلى من شِشَاط
صدق المعلم ، إنهم من أسرة نجب توسمهم بنو شِشَاط

إِنَّ الْخَلِيفَةَ أَمَرَ خَوَاصَّ خَدَمِهِ أَنْ يَحْفَرُوا جُبًا فِي دَارِ الشَّجَرَةِ وَيُغَطُّوه بِبُرَايَةٍ (١) وَتَرَابٍ فَإِذَا حَضَرَتْ أَلْقِيَتْ فِيهِ وَخُيِّنَتْ !
فَمَا تَمْنَعُ وَرَكِبَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْأَجْنَادِ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ وَإِخْوَتُهُ
وَوَخَلَتْ دَارُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَقَالُوا لِلْمُؤَنَسِ : نَحْنُ نَقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَقِي
تَنَبَّيْتَ لَكَ لَحْيَةٌ ! فَوَجَّهَ الْمُقْتَدِرُ رَقْعَةً بِخَطِّهِ يَحْلِفُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِهِ
سُوءًا ، فَصَرَفَ مُؤَنَسُ الْجَيْشِ وَكَتَبَ الْجَوَابَ أَنَّهُ الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ ،
وَأَنَّ الَّذِي أَبْلَغَهُ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَضِعَهُ مَنْ يُرِيدُ لِيُحَاشِيَهُ « مِنْ مَوْلَانَا »
وَأَنَّهُ مَا اسْتَدْعَى الْجَنْدَ وَإِنَّمَا هُمْ حَضَرُوا وَقَدْ فَرَّقَهُمْ !

ثُمَّ قَصَدَ دَارَ الْخَلِيفَةِ فِي جَمِيعِ الْقَوَادِ وَدَخَلَ إِلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَهُ
وَحْلَفَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ عَلَى صَفَاءِ نِيَّتِهِ لَهُ وَوَدَّعَهُ وَسَارَ إِلَى الثَّغْرِ وَخَرَجَ
لِوَدَاعِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ وَالْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى .

وَفِيهَا قَتَلَ أَبُو طَاهِرٍ الْقُرْمَطِيُّ يَوْسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ فِي وَقْعَةٍ
/ ٣٥ - ب / كَانَتْ بَيْنَهُمَا . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ قَدْ نُذِيَ لِقَاتِلِ الْقَرَامِطَةِ فَأَسْرَهُ الْقُرْمَطِيُّ ،
ثُمَّ قَتَلَهُ .

وَفِيهَا سَارَ الدَّمِشْقِيُّ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى مَدِينَةِ
دَبِيلٍ (٢) وَبِهَا نَصَرَ السَّبْكَى فِي عَسْكَرٍ يَحْمِيهَا وَكَانَ مَعَ الدَّمِشْقِيُّ
دِيَابَاتٌ وَمَجَانِيقٌ ، فَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ وَنَقَبُوا السُّورَ وَدَخَلُوهَا فَقَاتَلَهُمْ

(١) فِي أَوَّلِ ك ١٨ وَفِي ف ٢١ - أ « وَيَغَطُّونَهُ بِبُرَايَةٍ » وَهُوَ خَطَأٌ شَنِيعٌ لَا يَتَجَبَّ
مِنَ التَّوْهِيءِ ، وَالْبُرَايَةُ كَالْبِرَاءِ (بِضْمَا) النَّعَاتَةُ .

(٢) فِي أ غَيْرِ مَنْقُوعَةٍ وَفِي ك صَفْحَةُ ١٩ « دَبِيلٌ » وَلَعَلَّهَا دَبِيلُ مَدِينَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ السَّنَدِ
(مَجْمَعُ الْبِلَادِ لِهَا قَوْتٌ)

أهلها ومن فيها قتالا شديداً ، فانتصر المسلمون وأخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل .

ودخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل علي بن عيسى عن الوزارة

ووزارة أبي علي بن مقله

في هذه السنة عُزلَ عليُّ بنُ عيسى عن وزارة الخليفة ورُتّب فيها عليُّ بنُ مقله ، وكان سبب ذلك أنَّ علياً لما رأى نقص الارتفاع واختلال الأعمال بوزارة الخاقاني والخصبي وزيادة النفقات استغنى من الوزارة واحتج بالشيخوخة وقلة النهضة ، فأمره المقتدر بالصبر وقال له : أنت عندي بمنزلة والدي المتضد ١ فُلح في الاستعفاء ، فشاور المقتدر مؤنساً في ذلك فأشار بمداراة وإبقائه . ثم لقي مؤنس الوزير ولاطفه وسكّنه فأبى / إلا الزل ، وبلغ الخبر ابن مقله فسعى وضمن الضمانات الكثيرة وواصل بالهدايا واستمال نصراً الحاجب ، فساعده عند المقتدر ، فأمر في نصف شهر ربيع الأول بالقَبْضِ عَلَى علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن ، وخلع على أبي علي بن مقله واستوزره وأعانه عليها أبو عبد الله البريدي لمودّة كانت بينهما .

ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب الخال

واستيجاش مؤنس

في هذه السنة وقعت الفتنة بين نازوك - صاحب الشرطة - وهارون بن غريب ، وأدت إلى خلع المقتدر . وسبب ذلك أنَّ سامّة

دَوَابُّ هَارُونَ وَسَامَةَ دَوَابُّ نَازُوكَ تَغَايَرُوا ^(١) عَلَى غَلَامٍ أَمْرَدٍ ^(٢) وَنَضَارِبُوا بِالْحَصَى ، فَضَرَبَ نَازُوكُ سَامَةَ هَارُونَ وَحَبَسَهُمْ . فَسَارَ أَصْحَابُ هَارُونَ إِلَى مَجْلِسِ الشَّرِطَةِ ، وَوَثَبُوا عَلَى نَائِبِ نَازُوكَ وَانْتَزَعُوا أَصْحَابَهُمْ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَكِبَ نَازُوكُ وَثَبَكَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ فَقَالَ :
كَلَّا كَمَا عَزِيزٌ وَلَسْتُ أَدْخُلُ بَيْنَكُمَا !

فَعَادَ وَجَمَعَ رِجَالَهُ وَجَمَعَ هَارُونَ رِجَالَهُ ، وَزَحَفَ أَصْحَابُ نَازُوكَ إِلَى دَارِ هَارُونَ فَغَلَقَ بَابَهُ ، وَبَقِيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ خَارِجَ الدَّارِ فَقَتَلَ فِيهِمْ أَصْحَابُ نَازُوكَ وَجَرَحُوا . فَفَتَحَ هَارُونُ الْبَابَ ، وَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فَوَضَعُوا السِّلَاحَ فِي أَصْحَابِ نَازُوكَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَجَرَحُوا ، وَاسْتَبَيْكَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . وَأَرْسَلَ الْمُقْتَدِرُ يَنْكُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ فَكَفَّ ، وَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ، وَاسْتَوْحَشَ نَازُوكُ . ثُمَّ رَكِبَ إِلَيْهِ هَارُونَ وَصَالِحُهُ ، وَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ وَنَزَلَ بِالْبِسْتَانِ النَّجْمِيِّ لِيَبْعَدَ عَنْ نَازُوكَ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْأَرَاجِيْفَ وَقَالُوا : قَدْ صَارَ هَارُونُ أَمِيرَ الْأَمْرَاءِ !

فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ مَوْنَسٍ وَكَتَبُوا لَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالرُّقَّةِ ، فَاسْرَعَ الْقَوْدَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَنَزَلَ بِالشَّعْأَسِيَةِ فِي أَعْلَى بَغْدَادَ . وَلَمْ يَلْقَ الْمُقْتَدِرَ فَصَعِدَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ وَالْوَزِيرُ ابْنُ مَقْلَةٍ فَأَبْلَغَاهُ سَلَامَ الْمُقْتَدِرِ وَاسْتِيحَاثَهُ لَهُ ثُمَّ حَادَا وَاسْتَشْمَعَرُ كُلُّهُ مِنَ الْمُقْتَدِرِ

(١) إِذَا كَانَتْ مِنَ الْغِيَرَةِ فَلَا وَجْهَ لَهَا هُنَا ، وَأَقُولُ غَايَرَتَهُ بَسَلَتْهُ أَيْ بَادَتْهُ ، وَغَارَ عَلَى أَمْرَاتِهِ غِيَرَةً وَغَيْرَ غَارًا وَغَيْرَ غَارًا .

(٢) أَمْرَدٌ : طَرَّ شَارِبُهُ وَلَمْ تَنْتَبِطْ لِحْيَتُهُ ، يَقُولُ مُرْدٌ (كَفْرَجٌ) مُرْدًا إِذَا بَقِيَ زَمَانًا ثُمَّ التَّمَيُّ (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ) .

ومؤنس من صاحبه (١) فأحضر المقتدر هارونَ بنَ غريب الخال - وهو ابنُ خاله - فجعله معه في داره . فلما علم مؤنس بذلك ازداد نفوراً واستيحاشاً وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل في عسكر كبير فنزل [عند] (٢) مؤنس وترددت المراسلات من الخليفة إلى مؤنس ، وانقضت السنة وهم على ذلك .
ودخلت سنة سبع عشرة وثلثمائة :

١ ذكر خلع المقتدر بالله وبيعة القاهرة

١ - ٣٧

في هذه السنة خلع المقتدر بالله من الخلافة وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد ، فبقى يومين ثم أعيد المقتدر بالله . قال (٣) : ولا نزل مؤنس باب الشماسية وانضم إليه ابن حمدان وتازوك صاحب الشرطة وغيرهما جمع المقتدر عنده هارون بن غريب وأحمد بن كيفة وأحمد بن كيفة وأحمد بن كيفة والعلبان الحجرية والرجالة المصافية وغيرهم . فلما كان آخر النهار مستهل المخرم انقض أكثر من عند المقتدر ، وخرجوا إلى مؤنس . ثم كتب إلى المقتدر رقعة يذكر أن الجيش عاتب منكر للسرف فيما يطلق باسم الخدم والخرم من الأموال والضياح ، ولدخولهم في الرأي وتدمير المملكة ، ويطالبون بخروجهم من الدار وأخذ ما في أيديهم من الأموال

(١) كذا في ١ وفي الكامل ٦ : ٢٩٥ وفي ك صفحة ١٩ . واستشعر كل منهما من المقتدر

ومؤنس من صاحبه « والعبارة بخاتمة »

(٢) زيادة من الكامل ٦ : ١٩٥ .

(٣) بن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠٠ .

والأملاك ، وإخراج هارون بن غريب من الدار . فجابه المقتدر أنه يفعل من ذلك ما يمكنه ويقتصر على ما لا بُدَّ له منه ، واستعطفه وذكره ومنَّ معه ببينته التي في أعناقهم مرة بعد أخرى وخوفهم عاقبة النكث . وأمر هارون أن يخرج من بغداد وأقطع الثغور الشامية والجزيرية فخرج في تاسع المحرم ، فعندها دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك إلى بغداد ، وأرجف الناس أن مؤنسا ومنَّ معه قد عزموا على خلع المقتدر .

فلما كان في الثاني عشر من المحرم خرج مؤنس بالجيش إلى باب الشامسية فتشاوروا ساعة ثم زحفوا^(١) بأسرهم إلى دار الخليفة ، فلما قربوا منها هرب المظفر بن ياقوت الحاجب وسائر الحُجَّاب والخدم والوزير ابن مُقْلَة ، ودخل مؤنس والجيش إلى دار الخليفة وأخرج المقتدر والدته وخالته وخواصَّ جواريه وأولاده من دار الخلافة ، وحملوا إلى دار مؤنس واعتقلوا بها . وبلغ الخبر هارون وهو يَقْطَرْ بِل^(٢) فدخل بغداد واستتر ، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فحضر محمد بن المعتضد وبايعوه بالخلافة ولقبوه القاهر بالله ، وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر ليشهدوا عليه بالخلع وعنده مؤنس ونازوك وابن حمدان وبُني بن يعيش^(٣) فقال مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من

(١) في ك صفحة ٢٠ « ثم رجعوا » .

(٢) قطر بل : أسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الحمر الجيد ، وقيل أسم لطويج من طساسيج بغداد أى كورة كما يقول ياقوت .

(٣) في الكامل ٦ : ٢٠١ « ابن نفيس »

الخلافة فنَجَابَ وأنشده عليه القاضي بالخلع ، فقام ابنُ حمدان وقال
 للمقتدر : يا سيدي يعزُّ عليَّ أن أراك على هذه الحال وقد كنتُ
 أخافُها عليك وأحذرُها وأنصحُ لك وأحذرك عاقبةَ القبول من
 الخدم والنساء فتوثر أقوالهم على قولي ، وكأنني كنت أرى هذا ،
 وبعدُ فنحنُ عبيدُك وخدمُك ! ودمعت عيناه وعينا المقتدر وشهد
 الجماعة على المقتدر بالخلع وأودعوا الكتاب عند القاضي أبي عمر
 فكتمه ولم يظهر عليه غيره . فلما عاد المقتدر إلى الخلافة سلَّمه
 إليه وأعلمه أنه ما أظنَّ عليه أحدا ، فاستحسن ذلك منه ، وولاه
 قضاء القضاة

قال (١) : ولما استقرَّ / أمرُ القاهر بالله أخرج مؤنسُ المظفرُ عليَّ بنَ عيسى
 من الحبس وأقرَّ أبا عليَّ بن مقلَّة على وزارته ، وأضاف نازوك مع الشرطة
 حَجَبَةَ الخليفة وأقطع ابنَ حمدان مُضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق
 خرمسان حُلوانَ (٢) والدينورَ وهمدانَ وكنكورَ (٣) وكرمان شاهانَ (٤)

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠١

(٢) حلوان : مدينة في آخر حدود السواد ما يلي الجبال من بغداد ، ولم يكن بأرض العراق
 بعد البصرة والكوفة وواسط وبغداد وسر من رأى ، كما يقول ياقوت ، مدينة أكبر منها .

(٣) كنكور : بلدة بين همدان وقرميسين التي تقع قرب الدينور ، بها قصر عجيب
 يقال له قصر الصوص وكانت لصاحب الموصل قبل أن تخرب .

(٤) كرمان شاهان : يقصد بها قرميسين قرب الدينور .

والراذانات ودقوقا^(١) وخانيجار^(٢) ونهاوند والصيمرة^(٣) والسيروان^(٤) وما سبذان^(٥) وغيرها . ونهبت دار الخليفة ومضى بُنَى بن يعيش إلى بَرِيَّةٍ لوالدة المقتدر فأخرج من قبر فيها مائة ألف دينار وحملها إلى دار الخليفة . وكان خلعُ المقتدر للنصف من المحرم منها ، ثم سَكَنَ النَّهْبُ وانقطعت الفتنة .

قال^(٦) : ولما تَقَلَّدَ نازوكُ حجةَ الخليفة أمرَ الرجالَ المصافية^(٧) بِقَلْعِ خِيَامِهِمْ من دارِ الخليفة وأن لا يَعْبُرَ الدارَ إلا مَنْ له وَطْرٌ ، وأمرَ رجاله وأصحابه أن يقيموا مقام المصافية ، فعظم ذلك عليهم وتقدم إلى خلفاء الحُجَّاب أن لا يَمَكَّنُوا أَحَدًا أن يدخلَ إلى دارِ الخليفة إلا مَنْ كانت له مرتبةٌ ، فاضطرب الحَجَرِيَّةُ من ذلك .

ذكر عود المقتدر بالله إلى الخلافة

وقتل نازوك وابن حمدان

٣٨ ب / قال^(٨) : ولما كان في يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكَرَّ

(١) دقوقا : مدينة معروفة بين إربل وبغداد وقدم فيقال دقوقا .

(٢) خانيجار : في ك صفحة ٢٠ « خانيجان » والصواب ما أثبتناه ، بليدة قرب دقوقا بين بغداد وإربل .

(٣) الصيمرة : سقطت من ك ، وهي بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان بها نخل وزيتون وفواكه وثلج .

(٤) السيروان : بلد أو كورة بالجبل ، قال الاصطخرى « الصيمرة والسيروان مدينتان صغيرتان غير أن بنيانها الغالب عليه الحص والحجارة وفيها الليمون والجوز » .

(٥) ماسبذان : قرب حلوان والصيمرة .

(٦) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠١

(٧) فرقة من فرق الحرس خيمت في ساحة القصر بدعوى حماية الخليفة ، وكانت تكره نازوك فأراد استبدال الحَجَرِيَّةِ بها .

(٨) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠١

النَّاسُ إِلَى دارِ الْخِلافةِ لِأَنَّهُ يَوْمَ مَوَكِبٍ وَدَوْلَةٍ جَدِيدَةٍ ، فَأَمْتَلَّتْ
 الْمَرَاتُ وَالرَّحَابُ وَتَطَايَأَ دَجَلَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَحَضَرَ الرِّجَالَةَ
 الْمَصَافِيَّةُ فِي السِّلَاحِ يَطَالِبُونَ بِحَقِّ الْبَيْعَةِ وَرِزْقِ سَنَةٍ وَهُمْ حَاقِقُونَ
 لِمَا فَعَلَ بِهِمْ نَازُوكُ ، وَلَمْ يَحْضُرْ مَوْئِسُ الْمَظْفَرِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . وَارْتَفَعَتْ
 الْأَصْوَاتُ وَزَعَقَاتُ الرِّجَالِ ، فَسَمِعَهَا نَازُوكُ فَاشْفَقَ أَنْ يَقَعَ
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فَتَنَّهُ وَقَتَالَ . فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا
 لَهُمْ وَلَا يَقَاتِلُوهُمْ ، فَزَادَ تَغَيُّبُ الرِّجَالَةِ وَهَجَمُوا يَرِيدُونَ الصَّخْنَ
 التَّسْمِينِي ، فَلَمْ يَمْنَعَهُمْ أَصْحَابُ نَازُوكِ . وَدَخَلَ مَنْ كَانَ عَلَى الشُّطِّ
 بِالسِّلَاحِ ، وَقَوِيَتْ زَعَقَاتُهُمْ مِنْ مَجْلَسِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ وَعِنْدَهُ الْوَزِيرُ
 ابْنُ مَقْلَةٍ وَنَازُوكُ (١) وَأَبُو الْهَيْجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ ، فَقَالَ الْقَاهِرُ
 لِنَازُوكِ : أَخْرِجْ إِلَيْهِمْ فَسَكَّنْتَهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ ! فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَازُوكُ
 وَهُوَ مَخْمُورٌ قَدْ شَرِبَ طَوِيلَ لَيْلَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الرِّجَالَةَ تَقَدَّمُوا
 إِلَيْهِ لِيَشْكُوا إِلَيْهِ حَالَهُمْ بِسَبَبِ أَرْزَاقِهِمْ فَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَهَرَبَ
 مِنْهُمْ ، فَطَمَعُوا فِيهِ وَتَبِعُوهُ ، فَأَنْتَهَى بِهِ الْهَرَبُ إِلَى بَابٍ كَانَ هُوَ
 سَلْدَةً بِالْأَمْسِ فَقَتَلُوهُ عِنْدَهُ ، وَقَتَلُوا خَادِمَهُ عَجِيْبًا وَصَاحِبًا : مَقْتَدِرُ
 يَامَنْصُورُ ! فَهَرَبَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الدَّارِ مِنَ الْوَزِيرِ وَالْحُجَّابِ وَمَنَائِرِ
 الطَّبَقَاتِ وَبَقِيَتْ الدَّارُ فَارِغَةً . وَصَلَبُوا نَازُوكَ وَعَجِيْبًا بِحَيْثُ يَرَاهُمَا مَنْ
 عَلَى تَطَايَأِ دَجَلَةٍ ، ثُمَّ صَارَ الرِّجَالَةُ إِلَى دَارِ مَوْئِسٍ يَصِيحُونَ وَيَطَالِبُونَهُ
 بِالْمَقْتَدِرِ بِاللَّهِ . وَبَادَرَ الْخَدَمُ فَأَغْلَقُوا أَبْوَابَ دَارِ الْخَافِيفَةِ وَكَانُوا جَمِيعًا
 خَدَمَ الْمَقْتَدِرِ وَمَا لِيَكِهِ وَصَنَائِعِهِ .

١-٣٩

(١) مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ « فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَازُوكُ وَهُوَ » سَقَطَ مِنْ كِتَابِي ٢١ وَهُوَ ثَابِتٌ فِي

وأراد ابن حمدان الخروج من الدار فَمَلَقَ به القاهرُ وقال :
 أنا في ذمّك فقال : والله لا أَسْلَمُكَ أبداً ! وأخذ بيده وقال : قم
 بنا نخرج جميعاً ، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون دونك !
 فقاما ليخرجا فوجدوا الأبواب مغلقةً ومعهما فائقُ المعروفِ يَوجِدُ
 القَصَّةَ ، فآشرف القاهرُ من سطحٍ فرأى كثرةَ الجمعِ ، فنزل هو
 وابنُ حمدان وفائقُ فقال ابن حمدان للقاهر : قِفْ حتى أعود إليك !
 ونزع سواده وثيابه وأخذ جُبَّةً صوفٍ لظلامٍ هناك فلبسها ومشى نحو باب
 النوبة^(١) فرآه مغلقاً والناسُ حوله . فعاد إلى القاهر وتأخر عنهما
 وجه القصة ، وأمر مَنْ معه من الخدم بقتلهما أخذاً بِشَارِ المقتدرِ
 وما صنعاه به ، فعاد إليهما عشرةٌ من الخدم بالسَّلاح^(٢) ، فعاد إليهم
 أبو الهيجاء وسيفه بيده فقاتلهم فقتلوه ، وهرب القاهرُ إلى آخر
 البستان واختفى .

٣٩-ب

وأما الرّجالة فإنهم لما انتهوا إلى دارِ مؤنسٍ وسمع زعماتهم
 قال : ما الذي تريدون ؟ قالوا : نريد المقتدر ! فأمر / بتسليمه إليهم
 فامتنع المقتدرُ من ذلك وخاف أن تكونَ حيلةٌ ، فحُبِّلَ وأُخرج إليهم
 فحملوه على أعناقهم حتى أدخلوه دارَ الخلافةِ . فلَمَّا حَصَلَ في الصُّخْرِ
 التسميني اطمأنَّ وجلس وسأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان
 فقيل لهما حيّان فهَنَّهْما بِخَطِّه ، وأمر خادماً بالسَّرعَةِ بكتاب الأمان
 لكلا يحدث على أبي الهيجاء حادثٌ ، فمضى بالخطِ . إليه فلقبه خادمٌ

(١) في ك صفحة ٢١ « باب النوبة »

(٢) في س ، ف « عشرة من الخدم من السلاح »

ومعه رأسه فرجع به إلى المقتدر، فلما رآه استرجع وقال : ما كان
يدخل إلى ويسلميني ويظهر لي الغم غيري ! ثم أخذ القاهر وأخضر
إلى المقتدر فأجلسه إلى جانبه وقبل جبينه وقال : قد علمت أنك
لا ذنب لك وأنت قهرت ولو لقبوك بالمقهور كان أولى بك من القاهر !
والقاهر يبكي ويقول : يا أمير المؤمنين نفسي نفسي اذكرن الرحم التي
بينى وبينك ! فحلف له أنه لا يناله بسوء أبداً (١) ، فمكن .

قال (١) : ثم أخرج رأس نازوك ورأس أبي الهيجاء وشورا ،
ونودى عليهما « هذا جزاء من عصى مولاه » وأما بنى بن يعيش فإنه
كان من أشد القوم على المقتدر بالله ، فهرب عن بغداد وغير زيه
وسار حتى بلغ الموصل ومنها إلى أرمينية ، وسار حتى دخل
القسطنطينية وتناصر . وهرب أبو السرايا نصر بن حمدان أخو أبي
الهيجاء إلى الموصل وسكنت الفتنة . وعاد الوزير ابن مقله إلى
وزارته ، وكتب إلى البلاد بهذه الحادثة ، وأطلق للجند
أرزاقهم وزادهم وباع ما في الخزائن من الأمتعة والجواهر ،
وأذن في بيع الأملاك من الناس فبيع ذلك بأرخص الأثمان لتتم أعطيات
الجند . وقيل إن مؤنسا المظفر لم يكن مؤثرا لما جرى على المقتدر من
الخلع ، وإنما وافق الجماعة مغلوبا على رأيه ولعلمه أنه إن خالفهم لم
ينتفع به المقتدر فوافقهم ليأمنوه وسعى مع القلمان المصافية والحجربة
ووضع قوادهم على أن عملوا ما عملوا ، فلهذا آمنه المقتدر . وأما القاهر

(١) في ك ، ف « لا يناله سوءا » كذا

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠٢

فإن المقتدر حبسه عند والدته فأحسنّت إليه وأكرمته ووسعت عليه
النّفقة واشترت له السراي والجواري للخدمة وبالغت في إكرامه

نعود إلى بقية حوادث سنة ست عشرة [وثلاثمائة] فيها وصل
الدمستق (١) في جيش كبير (٢) من الروم إلى أرمينية فحاصروا
خلاط (٣) فصالحه أدلّها ، وأخرج المنبر من الجامع وجبل مكانه
صليبا ورحل إلى بدليس (٤) ففعل بها مثل ذلك وخافه أهل أرزن (٥) الروم
وغيرهم ، ففارقوا بلادهم ، وانحدر أعيانهم إلى بغداد فلم يغاثوا .

وفيه وصل سبعائة رجل من الروم والأرمن إلى ملطية ومعهم
الفرّوس والمعاول وأظهروا أنهم يتكسبون بالعمل ، ثم ظهر أن ملتيحا
الأرمني صاحب الدروب / وضعهم ليكونوا بها ، فإذا حضر سأموها إليه ،
فعلم بهم أهل ملطية فقتلواهم [عن آخرهم] (٦)

وفي سنة سبع عشرة جاء أبو طادر القرمطي إلى مكة يوم التروية (٧)
فنهب أموال الحجاج ، وقتلوه حتى في المسجد الحرام وفي البيت ،
وقام الحجر الأسود ، وفعل ما ذكره إن شاء الله تعالى في أخباره .

(١) في «ه» وفي ك صفحة ٢١ «الدمستق» وما هنا عن ف صفحة ٢٤ - ب

(٢) في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٠ أن الجيش كان ثلاثمائة ألف .

(٣) خلاط : قصبة أرمينية الوسطى

(٤) بدليس : قال ياقوت «إنه اسم بطن من النخ» وأما في المعجم ففيه تغليس وتبريزة ،

بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط ذات بساتين .

(٥) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط . كانت من أعر نواحي أرمينية

(٦) ليس في «ه» ولكنه في ك صفحة ٢٢

(٧) يوم التروية : كان القوم يرتون فيها من الماء لما بعد ، وقور أسى كذلك لأن إبراهيم

الخليل كان يتروى ويتفكر في رؤياه (لحيظ)

ودخلت سبعة ثمانى عشرة وثمانمائة :

ذكر هلاك الرجالة المصافية

فى هذه السنة هلك الرجالة المصافية فى المحرم . وسبب ذلك أنهم لما أعادوا المقتدر إلى الخلافة - كما ذكرنا - زاد إدلائهم واستطلائهم ، وصاروا يقولون أشياء لا يحتملها الخلفاء ، منها أنهم يقولون : من أعان ظالماً مسلطاً عليه ، ومن يصد الحمار إلى السطح يقيدر أن يخطه وإن لم يفعل المقتدر شيئاً ما نستحقه قايلاًنا بما يستحق ! إلى غير ذلك ، وكثر ثغيبهم ومطاولتهم وأدخلوا فى الأرزاق أولادهم وأهليهم ومعارفهم وأثبتوا أسماءهم ، فصار لهم فى الشهر مائة ألف وثلاثون ألف دينار .

واتفق أن الفرسان تبعوا فى طلب أرزاقهم فقيل لهم إن بيت المال فارغ وقد انصرفت الأموال إلى الرجالة ، فثار بهم الفرسان واقتتلوا (١) / فقتل من الفرسان جماعة فاحتج المقتدر على الرجالة بقتلهم وأمر محمد ابن ياقوت (٢) صاحب الشرطة فطرد الرجالة من دار المقتدر ونودى فيهم بخروجهم عن بغداد ومن أقام حبس ، وهُدِمت دور عرقائهم وقبضت أملاكهم ، وظفر بعد النداء بجماعة منهم فضرهم وحلق لحاهم وشعورهم

(١) فيما يرويه عريب فى الصلة ١٤٨ ، ومسكويه فى تجارب الأمم ١ : ٢١٢ ما يوحى بأن

المقتدر كان يدبر خطاً للإيقاع بفرق الجيش

(٢) كان قبل أن يتولى الشرطة والياً على فارس وكانت الشرطة إذ ذاك مع ابنى رائق الذين

صحبها مؤنس (تجارب الأمم ١ : ٢٠٢ ، صلة الطبرى ١٤٥)

وشهرهم . وهاج السودان تَعْصِباً للرجالة فركب محمد أيضاً في الحجرة وأوقع بهم وأحرق منازلهم ، فاحترق فيها جماعة منهم ومن أولادهم ونسائهم ، فخرجوا إلى واسط . واجتمع منهم جمع كبير وتغلبوا عليها وطردها عامل الخليفة ، فسار إليهم مؤنس فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم ، فلم يبق لهم بعدها قائمة .

ذكر عزل ابن مقله ووزارة سليمان

في هذه السنة عَزَلَ أبو علي محمد بن مقله عن وزارة الخليفة . وكان سبب عزاه أن المقتدر كان يتهمه بالميل إلى مؤنس المظفر وكان المقتدر مستوحشاً من مؤنس ويظهر له الجميل ، فاتفق أن مؤنس يخرج إلى أوانا وعكبرا ، فركب ابن مقله إلى دار المقتدر آخر جمادى الأولى فقبض عليه وكان بين ابن مقله وبين محمد بن ياقوت عداوة فأنفذ إلى داره من حرقها ليلاً .

قال : وأراد المقتدر أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبد الله وكان مؤنس قد عاد ، فأنفذ إلى المقتدر يسأله أن يعاد ابن مقله فلم يجبه إلى ذلك وأراد قتله ، فردّه على بن عيسى عن ذلك فسأله مؤنس أن لا يستوزر الحسين ، فتركه واستوزر سليمان بن الحسن في منتصف جمادى الآخرة ، وأمر المقتدر على بن عيسى بالاطلاع على النواوين وأن لا ينفرد سليمان عنه

بشيء . وصودر ابن مقلّة بمائتي ألف دينار ، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة (١) أيام

وفيهما أمر المقتدر بالقبض على أولاد البريدى . وكان ابن مقلّة لما ولى الوزارة قلّدهم الأعمال ، فقلّد أبا عبد الله الأهواز جميعها سوى السوس (٢) وجنّديسابور وقلّد أخاه الحسين الفراتية ، وقلّد أخاهما يوسف الخاصة والأسافل ، وارثى منهم على ذلك عشرين ألف دينار من أبي عبد الله . فلما قبض على ابن مقلّة كتب المقتدر بخطّه إلى أحمد بن نصر القشورى الحاجب يأمره بالقبض عليهم ، ثم استحضرهم إلى بغداد ، وصودروا على أربعمئة ألف دينار ، وكان لا يطعم منهم بهذا المبلغ وإنما طلب منهم ليحبسوا إلى بعضه فنجابوا إلى الجميع .

ذكر خروج صالح والأغر

في هذه السنة في جمادى الأولى خرج خارجى من بجيلة من أهل البوازيج (٣) بها اسمه صالح بن محمود وعبر إلى البرية ، واجتمع إليه جماعة من بني مالك . وسار إلى سنجار (٤) فاتخذ من أدلها مالا وخطيبا ، فذكر بامر الله وحذر وأطال في هذا

(١) راجع المنتظم ٦ : ٢٣١ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٧

(٢) السوس : بلدة بخورستان ، ويقال إنها تعريب الشوش ومعناه الحسن والطيّف والنزه

(٣) البوازيج : بلدة قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ، ويقال لها بوازيج الملك وهي الآن - كما يقول ياقوت - من أعمال الموصل .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لخم

جبل عال سميت باسم بانها كبيت وآند ، وقيل هي تعريب سنكار مدينة طيبة في وسطها نهر جار ويكثر بها الشجر والتخيل والمواالح

ثم قال : تنولّى الشيخين ونبرأ من الخبيثين ولا نرى المسح على الخفين ! وسار منها إلى الشجاعة من أرض الموصل فطالب أهلها بالعشر ثم انحدر إلى الحديثة تحت الموصل وطالب المسلمين بركة أهوالهم والنصارى بجزية رؤوسهم فجري بينهم حرب فقتل من أصحابه جماعة ، فعبر إلى الجانب الغربي فأمر أهل الحديثة ابناً له اسمه محمد فادخلوه الموصل . ثم صار صالح إلى السن (١) فصالحه أهلها على مال أخذه ، وانحدر إلى تكرت فحاربه أهلها فقتل منهم جماعة ثم صالحوه على مال أخذه منهم ، وانصرف إلى البوازيج وتنقل في بلاد الموصل فسار إليه نصر بن حمدان لخمس خلون من شعبان من السنة فقاتله قتالاً شديداً فقتل من رجال صالح نحو مائة رجل ، وأسر صالح وابنان له فدخلوا إلى الموصل ، وحملوا إلى بغداد فدخلوا مشهورين .

وخرج في شعبان خارجي بارض الموصل اسمه الأغربن مطر (٢) الثغلي ، وسار من رأس عين إلى كفر توذا واجتمع عليه ألف رجل فدخلها ونهبها وقتل فيها ، وسار إلى نصيبين فنزل بالقرب منها فقاتله أهلها ومعهم جمع من الجنود فقتل منهم مائة رجل وأمر ألف رجل فباعهم نفوسهم ، وصار أهلها على أربع مائة ألف درهم . وبلغ خبره ناصر الدولة بن حمدان - وهو أمير ديار ربيعة -

٤٢ ب

(١) السن : مدينة على دجلة فوق تكرت لها سور وبها جامع ضخم للمسلمين وكنائس للنصارى وفي أهلها علماء ، وعندها مصب الزاب الأسفل ، وقد يقال لها سن بارما
(٢) يقول ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢١٠ إنه كان يذكر أنه من ولد عتاب بن كلثوم الثغلي أخى صرد بن كلثوم الشاعر .

ففسر إليه جيشاً فقاتلوه فظفروا به وأسرود فسيره ناصراً الدولة
إلى بغداد .

وفيهما خلع المقتدر بالله على ابنه هارون ، وركب معه الوزير
والجيش وأعطاه ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران . وفيها أيضاً
خلع على ابنه أبي العباس الراضي وأقطعه بلاد المغرب ومصر والشام
وجعل مؤتمناً المظفر يخلفه فيها ، وحج بالناس عبد السميع بن
أيوب بن عبد العزيز الهاشمي .

ودخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

ذكر عزل سليمان عن الوزارة

وتولية أبي القاسم الكلوذاني الوزارة

في هذه السنة قبض المقتدر على وزيره سليمان . وسبب ذلك
أن الأموال ضاقت عليه ، وكثرت المطالبات من الجند وغيرهم
بإرزاقهم ، واتصلت رقاع من يردئح للوزارة بالسعاية فيه والضمان
بالقيام بإرزاق الجند وأرباب الوظائف ، فنهز المقتدر بالقبض
عليه / وكان المقتدر يسئل إلى وزارة الحسين بن القاسم ، فامتنع
مؤنس من الموافقة عليه ، وأشار بتولية أبي القاسم الكلوذاني فاستوزره
المقتدر بالله لثلاث بقين من شهر رجب ، فكانت وزارة سليمان مدة
واحدة وشهرين ، ولم يستمر الكلوذاني في الوزارة غير شهرين
وثلاثة أيام .

ذكر عزل الكلوذاني ووزارة الحسين

في هذه السنة عَزَلَ أَبُو القاسم الكَاوَدَانِيُّ عن وزارة الخليفة ،
 ووزر الحسينُ بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . وكان
 مسبب ذلك أنه كان ببغداد إنساناً يعرف بالدانيالي وكان زرافاً
 ذكياً محتالاً ، فكان يُعْتَقُ الكاغذَ ويكتب فيه أشياء قد وَقَعَتْ فيها
 مَضَى من الزمان وأشياء تقع في المستقبل ويُرَى ذلك للناس . واتصل
 هذا الدانيالي بمفلح الخادم وأظهره على أشياء استماله بها . فتَوَصَّل
 الحسينُ لهذا الرجل حتى جعلَ اسمَه في جُمْلَةِ كتابٍ وَضَعَهُ وَعَتَقَهُ ،
 وذكر فيه علامةً في وجهه وما فيه من الآثار ويقول « إنه يزرُ
 للخليفة الثامن عشر من الخلفاء العباسيين وتستقيم الأمور على يديه
 ويقهر الأعداء » وذكرني هذا الكتاب حوادثٍ وَقَعَتْ وحوادثٌ
 تقع في المستقبل ، ونسب ذلك إلى دانيال . وقرأ الكتاب على
 مفلح فأنخذه / منه وأوقف المقتدر عليه فقال له : أتعرف في الكتاب
 من هو هذه الصفة ؟ فقال : ما أعرف إلا الحسين بن القاسم قال :
 صدقت ، قلبي يميل إليه ، فإن جاءك رَقعةٌ منه فاعْرِضْها عليّ واكْتُمِ
 حاله .

٤٣ - ب

فخرج مفلح إلى الدنيالي وقال : هل تعرف في الكتاب من هو
 هذه الصفة ؟ قال : لا ! قال : فمن أين لك هذا الكتاب ؟ قال :
 ورثته عن أبي ، وورثته أبي عن آبائه ، وهو من ملاحم دانيال عليه
 السلام ! فأعاد ذلك إلى المقتدر بالله فقبله . فكتب الحسينُ

رقعة إلى مفلاح وهو يطلب الوزارة ، فكان ذلك من أعظم الأسباب لوزارته مع كثرة الكارهين له .

ثم اتفق أن الكاؤذاني عمل حسبة بما يحتاج إليه من النفقات ومالهم ^(١) من الأموال وعليها خطوط الدواوين فبقى يحتاج إلى سبعمائة ألف دينار لاجهة لها ، فعرضها على المقتدر وقال : ليس لهذه جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين من بيت مال الخاصة ! فعظم ذلك على المقتدر ، وكتب الحسين رقة عندما بلغه ذلك سأل فيها الوزارة وأنه بضمن جميع النفقات ويستخرج بسوى ذلك ألف ألف دينار تكون في بيت المال ، فاستقال الكاؤذاني ، فعُزل الليتين بقيتا من شهر رمضان ، واستوزر المقتدر بالله الحسين بن القاسم في هذا التاريخ

ذكر تأكيد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

١ - ٤٤ / في هذه السنة في ذى الحجة تجددت الوحشة بينهما .
وسبب ذلك أن مؤنسا بلغه أن الوزير قد وافق جماعة من القواد في التدبير عليه ، فتنكر له مؤنس . وبلغ الوزير أن مؤنسا يريد أن يكبس داره ليلا ويقبض عليه ، فتنقل في عِدَّة مواضع ثم انتقل إلى دار الخلافة . وطلب مؤنس من المقتدر عزل الحسين ومصادرته فأجابه إلى عزله ولم يصادره ، وأمر الحسين بلزوم داره فلم يقنع مؤنس بذلك فبقى في وزارته . فأوقع الحسين عند المقتدر أن مؤنسا

يريد أخذ ولد أبي العباس ويسيره إلى الشام ويباع له ، فردّه
المقتدر إلى دار الخلافة فعلم ذلك أبو العباس ، فلما أفضت إليه الخلافة
فعل بالحسين ما ذكره إن شاء الله تعالى . وكتب الحسين إلى هارون
- وهو يريد العاقول - بعد انصرافه من حرب مرداويج وانهازمه وهو
يستقدمه إلى بغداد ، وكتب إلى محمد بن باقوت - وهو
بالأهواز - يأمره بالإسراع إلى بغداد ، فصَحَّ عند مؤنس أن الوزير
يدبر عليه وزاد مؤنسا نقارا .

ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة :

ذكر مسير مؤنس الى الموصل

في هذه السنة في المحرم سار مؤنس المظفر إلى الموصل مغاضبا ،
للمقتدر لما صحح عنده إرسال الوزير إلى هارون بن غريب
الخال ومحمد بن باقوت يستنحضرهما . قال : (١) وسير مؤنس
خادمه بشرى (٢) برسالة إلى المقتدر ، فسأله الحسين عن الرسالة
فقال : لا أذكرها إلا للآمير المؤمنين . فانفذ إليه المقتدر يأمره بذكر
رسالته للوزير فامتنع وقال : ما أمرنى صاحبي بهذا ! فسبه الوزير وشتم
صاحبه وأمر بضربه وصادرت بثلاثمائة ألف دينار وأخذ خطه بها
وحبسه ونهب داره . فلما بلغ مؤنسا ما جرى على خادمه وكان ينتظر
أن المقتدر يطيب قلبه ويعيده ، سار معه جميع قواده ومماليكه ،
ومعه من الساجية ثمانمائة رجل . فتقدم الوزير بقبض إقطاع

٤٤ - ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢١٩

(٢) يذكر في بعض الأثبات « بشر » وفي كصفحة ٢٨ يرسم هكه

مؤنس وأملاكه وأملاك من معه ، فَحَصَلَ من ذلك أموالاً عظيمة فزاد ذلك في محله عند المقتدر ولقبه عميد الدولة وضرب اسمه على الدنانير والدرهم وتمكّن من الوزارة وولى وعزل ثم أخذ في التهوير فعزله المقتدر بالله .

ذكر عزل الحسين عن الوزارة

وزارة ابن الفرات

كان سبب عزله أنه ضاقت عليه الأموال وكثر الخرج ، فاستسلف جملة من مال هذه السنة وأخرجها في سنة تسعة عشر . فنسبى هارون ابن غريب ذلك إلى المقتدر ، فرتب معه الخصمي . ٤٥ - ١ فلما تولى به نظر في أعماله فرآه قد عمل حسنة للمقتدر ليس فيها عليه [وجه] (١) فأظهر ذلك للمقتدر ، فأمر بجمع الكتاب وكشف الحال . فاعترفوا بصدق الخصمي وقابلوا الوزير ، فقبض عليه في شهر ربيع الآخر فكانت وزارته سبعة أشهر إلا أياماً . واستوزر المقتدر بالله الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات (٢) ، وسلم إليه الحسين بن القاسم فلم يؤاخذه بإساءته .

ذكر استيلاء مؤنس على الموصل

قال (٣) : ولما سار مؤنس إلى الموصل كتب الحسين الوزير إلى سعيد وداود ابني حمدان وإلى ابن أخيهما ناصر الدولة الحسين

(١) زيادة من الكامل ٦ : ٢٢٠ يقتضيا السياق

(٢) في « ١ » وك ٢٥ و ف ٢٧ - ب « أبا الفضل بن جعفر » لكنه الفضل ، على ما يذكر سكويه وعريب وابن تغري بردي والحسين المذكور هو الحسين بن القاسم بن عبيد الله .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٠

ابن عبد الله بن حمدان يأمرهم بمحاربته وصدده عن الموصل ، فاجتمع بنو حمدان على محاربته إلا داود فإنه امتنع لإحسان مؤنس إليه ؛ فإنه قد كان رباه في حجره بعد أبيه فما زال به إخوته حتى وافقهم ، ولما أجابهم قال لهم : إنكم لتحملوني على البغي وكفران النعمة والإحسان وما آمن أن يجيشني سهم عائر فيقع في نحرى فيقتلنى ! فلما اتفقوا أتاد سهم كما وصف فقتله ، ولما قرب مؤنس من الموصل كان في ثمانمائة فارس . واجتمع بنو حمدان في ثلاثين ألفا فالتقوا واقتتلوا فانهمز بنو حمدان / ودخل مؤنس الموصل واستولى على أموال بنى حمدان وديارهم ، فخرج إليه كثير من العساكر من بغداد والشام ومصر ، وعاد إليه ناصر الدولة بن حمدان فصار معه وكان دخول مؤنس إلى الموصل في ثالث صفر ، وأقام بها سبعة أشهر ، وعزم على الانحدر إلى بغداد .

٥٠ ب

ذكر مقتل المقتدر بالله

قال (١) : ولما اجتمعت العساكر إلى مؤنس بالموصل قالوا له : اذهب بنا إلى الخليفة فإن أنصفنا وأجرى أرزاقنا وإلا قاتلناه فانحدر مؤنس من الموصل في ثمّال ، وبلغ خبره جند بغداد فشغبوا وطلبوا أرزاقهم ، ففرق المقتدر فيهم أموالا كثيرة إلا أنها لم تسعهم وأنفذ المقتدر أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافيا البصرى في خيل عظيمة إلى سامراء . وأنفذ أبا بكر محمد

ابن ياقوت في ألفى فارسٍ ومعه الغلمان الحجرية إلى المعشوق .
فلما وصل مؤنس إلى تكريت جعل العسكر الذين مع ابن ياقوت
يتسللون ويهربون إلى بغداد . ونزل مؤنس بباب الشَّامِسيَّة
فلما رأى ذلك رجع ابن ياقوت إلى عكبرا ، وسار مؤنس فتأخر
ابن ياقوت وغيره وعادوا إلى بغداد . ونزل مؤنس بباب
الشَّامِسيَّة ، ونزل ابن ياقوت وغيره مُقَابِلَهُمْ واجتهد المقتدرُ
بِخَالِهِ (١) هارون بن غريب / ليخرج فلم يفعل وقال : أخاف من
٤٦ - ١ عسكري فإنَّ بعضهم أصحابُ مؤنس وبعضهم قد انهزم آمن
من مرداويج فأتخاف أن يسلموني وينهزموا عني ! فلم يزل به حتى
أخرجه ، وأشار النَّاسُ على المقتدرِ بإخراج المال منه . ومن أمه ليرضى
الجند وقالوا : إنه متى سمع أصحاب مؤنس يتفريق الأموال
تفرقوا عنه ، فاضطرَّ إلى الهرب فقال : لم يبقَ لي ولا لوالدي
شيء !

وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط . ويكاتب العساكر من
البصرة والأهواز وفارس وكرمان وغيرها ويترك بغداد لمؤنس إلى أن
يجتمع إليه العساكر ويعود إلى قتاله ، فردَّ ابن ياقوت عن
ذلك ، وزبَّ له اللقاء وقوى نفسه أن القوم متى رأوه عادوا يجمعهم
إليه فرجع إلى قوله وهو كارد ، ثم أشار عليه بحضور الحرب فخرج
وهو كارد وبين يديه الفقهاء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة (٢).

(١) كذا في ١ ، ك ، ف ، وفي الكامل ٦ : ٢٢١ « بابت خاله » وهو الأصح

(٢) أي بردة الخلافة

والناس حوله ، فوقف على تل عال بعيد من المعركة فأرسل إليه قواده يسألونه التمتع مرة بعد أخرى ، فلما ألحوا عليه تقدم من موضعه فانهمز أصحابه قبل وصوله إليهم . وكان قد أمر فتوذي . « من جاء بأسير فله عشرة دنائير ومن جاء برأس فله خمسة » . فلما انهزم أصحابه لقيته على بن يلبق - وهو من أصحاب مؤنس - فترجل وقبل الأرض وقال له : أين تمضي ؟ ارجع ، فلعن الله من أشار عليك بالحضور !

٤٦- ب

فأراد الرجوع ، فلحقه قوم من المغاربة والبربر ، فتركه على وسار ، فشهروا سيوفهم فقال : ويحكم أنا الخليفة ! فقالوا : قد عرفناك يا سفله ، أنت خليفة إبليس ، تبذل في كل رأس خمسة دنائير وفي كل أسير عشرة دنائير . وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط إلى الأرض ، وذبحه بعضهم - وقيل إن على بن يلبق رمى إلى بعضهم فقتله - وذلك في يوم الأربعاء اثلاث بقرين من ثوال سنة عشرين وثلاثمائة .

قال (١) : ولما قتل رفعوا رأسه على خشبية وهم يكبرون ويلعنونه ، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، وتركوه مكشوف الثورقة إلى أن مر به رجل أكثار فسبره بحشيش ، ثم حفر له في موضعه ودفن ، وعفا قبره . هذا ومؤنس في الراشدية لم يشهد الحرب ، فلما حُمل رأس المقتدر إليه بكى واطم وجهه ورأسه وقال : يا مفسدون ما هكذا أوصيتكم ، والله لنقتلن كلنا ، وأقل ما في الأمر أن تظهروا أنكم قتلتموه خطأ ولم تعرفوه !

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢١ وفي مرآة الجنان ٢ : ٢٧٩ عرض الموقف الأخير له

وتقدم مؤنسٌ إلى الشَّاسِيَّة ، وأنفذَ إلى دارِ الخلافة من عندها من النَّهْب . ومضى عبد الواحد بن المقتدر ودارُونُ بنُ غريبٍ و محمدُ ابنُ ياقوت وابنا رائق إلى المدائن . وكان ما فعله مؤنسُ سبباً لجرأء أصحاب الأطراف على الخلفاء وطعمهم واستبدادهم ، وانحرفت حرمة الخلافة لقتل المقتدر ، وضعف أمرها حتى انتهى إلى ما نذكره ٤٧ - ١ إن شاء الله تعالى (١) .

قال (٢) : وقتل وعمره ثمان وثلاثون سنة وخمسة أيام ، وكان مدة خلافته أربعاً وعشرين سنةً وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً ، وكان ربيع (٣) القامة ذُرَى اللون أحور أصهب ، وكان نقش خاتمة « الحمد لله الذى ليس كمثله شئ » وهو السميع خالق كل شئ » ويقال إن المقتدر بذَّر من الأموال تضييعاً في غير وجهها نيِّفاً وتسعين ألفَ ألفِ دينارٍ (٤) سوى ما أنفقه في الوجوه ، وكان يصرف إلى الحرمين وفي طريقهما في كلِّ سنة ثلاثمائة ألفٍ وخمسة عشر ألفَ دينارٍ وأربعمائة وستة وعشرين ديناراً ، وإلى الثغور أربعمائة ألفٍ وواحدًا وتسعين ألفاً وأربعمائة وستة وخمسين ديناراً وكان يُجرى على القضاة في كلِّ الممالك سنةً وخمسين ألفاً

(١) يستحسن أن يراجع هنا غريب في الصلة ١٧٤ وما بعدها وسكويه في تجارب الأمم ٢٣٤ : ١ وما بعدها

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) يقال الريع أى الرجل بين الطول والقصر ، كالربعة والمربوع .

(٤) في المنتظم ٦ : ٢٤٣ « نيِّفاً وسبعين ألف ألف دينار » وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٢٣٤

وشذرات الذهب ٢ : ٢٨٥ « ثمانين ألف ألف دينار » وما يأتي بعد ذلك حتى قوله « خمسة عشر ألف دينار » سقط من س ، ف .

وخمسمائة وواحدًا وأربعين دينارًا . وعلى الفقهاء بالحضرة
ثلاثة عشر ألفًا وخمسمائة وتسعة وستين دينارًا ، وعلى من يتولى
الحسبة والمظالم في جميع البلاد أربعة وثلاثين ألفًا وأربعمائة وتسعة
وثلاثين دينارًا ، وعلى أصحاب البريد تسعة وسبعين ألفًا وأربعمائة
دينار ، وغير ذلك من الجرايات على أصناف الناس وظيفاتهم . وعجز ارتفاع
ممالكه عن نفقاته ألفي ألف وتسعة وثمانين ألفًا وثمانمائة وأربعة وسبعين
دينارًا ، ولم يُنْقِصْ أحدًا شيئًا فأنفق ما كان في بيوت الأموال
قبله (١) .

قال (٢) : ومات في أيامه خمسة عشر ألف أمير ومقدم مذكور
فكازت والدته تطوى عنه الرزايا والفجائع وتقول : إظهارها يؤلم
قلبه ! فأدى ذلك إلى انتشار الفساد في ممالكه (٣) .

وكان الناس قد ملؤا أيامه لطولها ، حتى إذا تَصَرَّمتَ تَمِنُوا
ساعة منها ، فأعوزتهم : وشملتهم الحوادث والطوارق . وكان له
من الأولاد الراضى والمتقى والمطيع وعبد الواحد وعباس وهارون وعلى
وإسماعيل وعيسى وموسى وأبو العباس (٤) .

(١) في عقد الجمان للمبني وتجارب الأمم لمسكويه وشذرات الذهب لأبي الفلاح الحنبلي أنه بدد
جميع جواهر الخلافة عدا الذهب والتحف الأخرى ، وأعطى له الدرة الثمينة التي ترن ثلاثة مثاقيل
لواحدة من حظاياها ، وأخذت زيدان القهرمانة سبعة قيمتها ثلاثمائة ألف دينار .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) المعروف أن شغب أمه - الإغريقية الأصل - كانت تشجبه على الأنهار في الملاذ
وعلى التبذير أيضا . كانت تدقه وكان هو ينصاع لها ويحترمها ، غير أن غفلتها وضعفها
الناجم عن تدينها جعلها تقف في سلبية . دمرت الخليفة الصغير ! راجع ما كتبه . بوين
Bowen في كتابه The life and Times of Ali b. Isa وما كتبه Le Strange

في كتابه Lands of Eastern Caliphate

(٤) قال ابن الجوزي في المنتظم ٦ : ٢٤١ إن مؤنسا لما رأى رأس المقتدر وروع طلب =

ووزر له من ذكرنا وهم : العباسُ بن الحسين ^(١) ، وأبو الحسن بن الفرات ثلاث دفعات وقد ذكرنا أخباره ، ومحمد بن عبد الله بن خاقان . وعلى بن عيسى دفعتين ، وكان موصوفاً بالعلم والدين والعقل ، وساس الدنيا سياسةً التي عُمِّرت البلاد ، وكان يستغلُّ ضياعه في السنة سبعمائة ألف دينارٍ يُخرج منها في وجوه البرِّ ستمائة ألف دينارٍ وينفق أربعين ألف دينارٍ على خاصته ، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله ، ولما حُيس كان يلبس ثيابه ويتوضأ ويقوم ليخرجَ إلى صلاة الجمعة فيرده الموكلون به فيقول : اللهمَّ اشهد ! وكانت له آثارٌ حسنةٌ ومآثرٌ جميلةٌ منها أنه أشار على المقتدر / أن يوقف المستغلاتِ ببغدادَ على الحرس والثغور - وغلَّتْها في كلِّ شهرٍ ثلاثة عشر ألف دينارٍ - والضياع الموروثة بالسَّواد وارتفاعها نيِّفَ وثمانون ألف دينارٍ سوى الغلة ، ففعل ذلك وأفرد لهذا الوقف ديواناً سَمَّاه ديوان البرِّ ، وكان يُجرى على خمسة وأربعين ألف إنسانٍ جرياتٍ تكفيهم ، وخدم السلطان سبعين سنةً لم يُزل فيها نعمةً أحد ولم يقتلَ أحداً ، ولم يشعَ في ذمِّه ولم يهتك حرمةً أحد ، ومات في آخر ذى الحجة سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة ^(٢) وله تسعٌ وثمانون سنةً وستة أشهرٍ ويوم واحد ، رحمه الله !

== أن ينصبوا ابنه أبا العباس « فإنه إذا جلس في الخلافة سمعت نفسه ونفس جدته والد المقتدر باخراج الأموال » ولكنهم - غيروا رأيه !

(١) في المنتظم ٦ : ٦٧ أنه بقى في وزارته أربعة أشهر وسبعة أيام ثم قتل .

(٢) في كصفحة ٢٦ « سنة خمس وثلاثين وخمسمائة » وهو خطأ واضح .

ووزر له حامد بن العباس ، وأبو القاسم الخاقاني ، وأحمد بن عبد الله الخصيبي ، وأبو علي بن مقلة ، وسليمان بن الحسين بن مخلد ، وعبد الله الكلؤذاني ، والحسين بن القاسم بن عبيد الله ، والفضل ابن جعفر بن الفرات .

قضاته : يوسف بن يعقوب ثم ابنه محمد ^(١) بن يوسف ، ثم أبو عمر ، ثم عبد الله بن أبي الشوارب ، ثم ابنه محمد ، ثم أحمد بن إسحاق بن البهلول ، ثم عمر بن محمد بن يوسف ، والحسن بن عبد الله ، وعمر بن الحسن بن أبي الشوارب .

حجابه : سوسن مولى المكتفى ، ونصر القشوري ، وياقوت مولى المعتضد ، وغيرهم .

الأمرء بمصر : عيسى النوشري ، ثم تكين الخزري ^(٢) ، ثم وصل مؤنس / إلى مصر فصرف تكين وولاه ذكاء الأعور ثم مات فأعيد تكين ، ثم هلال بن بدر ، ثم أحمد بن كيخلف ^(٣) ، ثم تكين مرة ثالثة .

٤٨ - ب

القضاة بها : أبو عبيد الله بن علي بن الحسين البرزاز ^(٤) إلى أن ورد كتاب ابن الفرات بصرفه ورد القضاء إلى عبد الله بن

(١) بعد ذلك إلى « ثم أحمد بن إسحاق بن البهلول » سقط من ك صفحة ٢٦

(٢) في الأصل وفي س ، ف « الخزري » وهو تصحيف ، وفي بعض الأثبات « الخزري »

وهو تصحيف أيضا

(٣) في الأصل « ثم هلال بن بدر بن أحمد بن كيخلف » والخطأ فيه واضح ، وقد قول الأول

سنة ٣٠٩ بعد عزل تكين ، وقول الثاني من قبل المقتدر سنة ٣١١ بعد عزل هلال (راجع النجوم

الزاهرة ٣ : ٢٠١ ، ٢٠٦)

(٤) في ك ، ف « أبو عبد الله » ولعله أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب كما يقول الكندي ،

وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٢٠٧ أنه يعرف بابن حربويه ، ولما صرفه ابن الفرات عن القضاء خلفه

أبو يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مكرم ، وهذا ما أثبتته النويري بعد .

مُكْرَمٌ شَابٌ من شهود أبي عمر ، فاستُخْلِفَ له أبو المذكر محمد بن يحيى التَّمَار ، ثم ورد إبراهيم بن محمد الطبري خليفة لعبد الله ، ثم صُرف عبد الله وولّى إبراهيم بن حمّاد فاستُخْلِفَ أبا عليّ عبد الرحمن بن إسحاق ، ثم صرف هارون وولّى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن رزين ، وولّى تَكِينُ أبا هاشم إسماعيل بن عبد الواحد الرُّبَعي .

ذكر خلافة القاهر بالله

هو أبو منصور محمد بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد و [قد] (١) تقدم ذِكْرُ نَسَبِهِ ، وأمه أم ولد اسمها قَبُول . وهو التاسع عشر من الخلفاء العباسيين ، بويج له بعد مقتل أخيه المقتدر في يوم الخميس لَيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة . قال (٢) ولما قتل المقتدر بالله عظم قتله على مؤنس كما ذكرناه فقال : /الرأى ننصب ولده أبا العباس في الخلافة فإنه تربيتي ، وهو صبيٌّ عاقلٌ فيه دين وكرم ووفاء بما يقول ، فإذا جلس في الخلافة سمحت نفسُ جدّته والدَةِ المقتدر وإخوته وغلماَن أبيه ببذلِ الأموال ولم ينتطح في قتل المقتدر عنزان !

فعارضه أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي (٣) وقال : بعد الكدّ استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود إلى تلك الحالة ، لا والله لا نَرْضَى إلا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا !

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

(١) زيادة من كصفحة ٢٦

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) بضم الباء نسبة إلى الجده نوبخت .

وما زال حتى ردّ مؤنسلاً عن رأيه ، وذكر له أبا منصور محمد فأجابته
مؤنس إلى ذلك . وكان التوبخى فى ذلك كالباحث عن حقيقته بظلفه !
فإنَّ القاهر قتله كما نذكر إن شاء الله تعالى ، فأمر مؤنس بإحضاره
فبايعوه بالخلافة ، ولقبوه القاهر بالله . وكان مؤنس كارها لخلافته
والبيعة له ويقول : أنا عارفُ بِشَرِّه وسوء نيته ولكن لا حيلة !
قال : ^(١) ولما بويح استخلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه على بن يلبق ،
وأخذ خطه بذلك .

ولما استقرَّت الخلافة له وبايعه الناس استوزر أبا على بن
مقلّة وكان بفارس فاستقدمه ، واستحجب على بن يلبق . وشرع
القاهرُ فى البحث عن استتر من أولاد أخيه المقتدر وحرمه ، وأحضر
والدته ^(٢) - وكانت مريضةً بالاستسقاء - وسألها عن المال
/ فاعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب ولم تعترف بشيء من
المال والجوهر ، فضربها أشدَّ ما يكون من الضرب وعلّقها
بِرِجْلِها وضرب المواضع المستورة من بدنِها فحلّفت أنها لا تملك
غير ما أطلّعه عليه وقالت : لو كان عندى مال لما سلّمت ولدى
للقتل اولىم تعترف بشيء .

٤٩ - ب

وأصدر جميع حاشية المقتدر بالله وأصحابه ، وأخرج والدته لِتشهد
على نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلّت أوقافها ووكّلت فى بيعها ،
فامتنعت من ذلك وقالت : قد أوقفتها على أبواب البرّ والقربات

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٢

(٢) والدّة المقتدر ولم تكن أما للقاهر ، وقد أخطأ بعض القدماء - منهم أبو محمد عبد الله

ابن أسد اليمنى - حين قرروا أنها أم الخليفين (راجع مرآة الجنان وجرة اليقظان ٢ : ٢٧٩)

مكة والمدينة والشَّوَرِ وعلى الضعفاء والمساكين ولا أستحل حلها ولا يَبِيعُها ، وإنما أوكل في بيع أملاكى ! فلما علم القاهر بذلك أحضر القاضى والشهود وأشهدهم على نفسه أنه قد حل وقوفها جميعها ووكل في بيعها ، فبيع ذلك كله واشتراه الجُنْدُ من أرزاقهم .

وتقدم القاهر بكبس الدار التى سعى إليه أن أولاد المقتدر اختفوا بها ، فلم يزل كذلك إلى أن وجد منهم أبا العباس الراضى وعلياً والعباس وهارون وإبراهيم والفضل فحُمِلوا إلى دار الخلافة فصودروا على مال كثير ، وسلمهم على بن يلبق لكاتبه الحسن بن هارون ، فأحسن صحبتهم وخدمهم . قال : ^(١) وقبض الوزير على جماعة من العمال وعزل بنى البريدى وصادرهم .

/ودخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة :

ذكر خبر عبد الواحد بن المقتدر ومن معه

كان عبد الواحد بن المقتدر بالله قد هرب عند قتل أبيه ومعه هارون بن غريب ومفلح ومحمد بن ياقوت وابنارائق إلى المدائن كما قدمنا ، ثم انحدروا منها إلى واسط . فخافهم الناس . فأتى هارون بن غريب فإنه كتب إلى بغداد في طلب الأمان لنفسه وببذل مصادرة ثلاثمائة ألف دينار على أن يطلق له أملاكه وينزل

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٣

(٢) في ك صفحة ٢٧ « ومعه هارون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت »

عن الأملاك التي استأجرها ، ويؤدى من أملاكه حقوق بيت المال القديمة . فأجابته القاهر ومؤنس إلى ذلك ، وكتب له كتاب أمان . وقلد أعماله الكوفة وما سبذان ومهريجانقذق ، وسار إلى بغداد

وأما عبد الواحد فإنه خرج من واسط . فيمن بقي معه ومضوا إلى السوس وسوق الأهواز فجنوا المال وطردهوا العمال ، وأقاموا بالأهواز ، فجهز مؤنس إليهم جيشا كثيفا وجعل عليه يلبق . وكان الذى حرصهم على إيفاد الجيش أبو عبد الله البريدى وبذل مساعدته معجلة خمسين ألف دينار على أن يؤلى الأهواز وعند استقراره فى الولاية يعجل ما بقى . فسار الجيش وفيهم أبو عبد الله ، وكان محمد بن ياقوت قد استبد بالأموال والأمر ، فنفرت قلوب من معه من القواد لذلك . فلما قرب يلبق من واسط . أظهروا ما فى نفوسهم وفارقوه . ولما وصل إلى السوس فارق عبد الواحد ومحمد بن ياقوت الأهواز وسار إلى تستر ، وفارقهما من معهما من القواد إلى يلبق بأمان .

٥٠ - ب

وبقى مفلح وسرور الخادم مع عبد الواحد فقالا لمحمد بن ياقوت : أنت معتصم بهذه المدينة وبمالك ورجالك ونحن لا مال معنا ولا رجال ومقامنا يضررك ولا ينفعك وقد عزمنا على أخذ الأمان لنا ولعبد الواحد بن القندر ، ! فأذن لهما فى ذلك فكتب إلى يلبق فأمنهم ، فعبروا إليه . وبقي محمد بن ياقوت منفردا فتحير وضعفت نفسه فتراسل هو ويلبق واستقر بينهما أن يلبق يؤمنه ويضمن له أمان مؤنس والقاهر ، ففعل . وخرج محمد بن ياقوت

معه إلى بغداد ولما وصلوا وفي لهم القاهر بالله ، و أطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لوالدته المصادرة التي كان صادرها بها واستولى أبو عبد الله البريلدي على البلاد ، وعسف أهلها ، وأخذ أموال التجار وعمل بأهل البلاد ما لا تعماله الفرنج ولم يمتعه أحد عما يريد وأعاد إخوانه إلى أعمالهم .

ذكر استيعاش مؤنس وأصحابه من القاهر

٥١ - ١ / في هذه السنة استوحش مؤنس المظفر ويابق الحاجب وولده علي والوزير أبو علي بن مقله من القاهر بالله وضيقوا عليه وعلى أسبابه . وكان سبب ذلك أن محمد بن ياقوت تقدم عند القاهر وعلت منزاته وصار يخاوبه ويشاوره ، فعظم ذلك على ابن مقله لعداوة كانت بينه وبين ابن ياقوت ، فالتقى إلى مؤنس أن محمداً يسمى به عند القاهر وأن عيسى الطيب يسفر بينهما في التدبير غايه ، فوجه مؤنس علي بن يلق لإحضار عيسى الطيب فوجده بين يدي القاهر ، فأخذه وأحضره عند مؤنس فسيره من ساعته إلى الموصل ، واجتمعوا على الإيقاع بمحمد بن ياقوت وكان في الخيام . فركب علي ابن يلق في جند ليكرسه ، فوجده قد اختفى فذهب أصحابه ، واستتر محمد بن ياقوت .

ووكل علي بن يلق علي دار الخليفة أحمد بن زيزك (١) وأمره بالتضييق على القاهر بالله وتفتيش كل من يدخل الدار ويخرج منها ،

(١) في ثلثات الذهب ٢ : ٢٨٧ « ابن زيزك » و « هنا عن ف صفحة ٢٢ - ب وفي «

وأن يكشف وجوه النساء ، وإن وجد رقعة رفعها إلى مؤنس ففعل ذلك وزاد عليه حتى إنه حمل إلى دار القاهر لينفذ يده فيه . ونقل يلبق من كان بدار القاهر محبوساً إلى داره كوالدة القندر وغيرها ، وقطع أرزاق حاشيته . فعلم القاهر أن العتاب لا يفيد وأن ذلك يرأى مؤنس وابن مقله ، فأخذ في الحيلة والتدبير على جماعتهم . وكان ب ٥١ - ب قد عرف فساد قلب طريف السبكى وبشرى خادم مؤنس (١) وحسدتهما ليلبق وولده على مراتبهما ، فشرع في إغرائهما بيلبق وابنه . وعلم أيضاً أن مؤنسا ولبق أكثر اعتمادهما على الساجية أصحاب يوسف بن أبي الساج وغلماں المنتقلين إليهما بعده ، وكانا قد وعدهما بالموصل مواعداً أخلفاها فأرسل القاهر إليهم وأغراهم بهما وحلف لهم على الوفاء بما أخلفاه ، فتغيرت قلوب الساجية . ثم أرسل أبا جعفر محمد بن القائم بن عبيد الله وكان صاحب مشورة ابن مقله ، ووعدته بالوزارة فكان يطالعه بالأخبار .

ذكر القبض على مؤنس المظفر

ويلبق الحاجب وابنه

وسبب ذلك أنه صبح عندهم أن القاهر يُدبر عليهم فخافوه ، وحملهم الخوف على الجد في خلعه ، واتفق رأيهم على البيعة لأبي أحمد بن المكتفى ، فاستخلفوه وعقدوا له البيعة يسراً ، وحلف له يلبق وابنه على الوزير ابن مقله والحسن بن هارون ثم كشفوا الأمر لمؤنس فقال : لست أشك في شر القاهر وخيئه ، ولقد كنت كارهها

١ - لخلافته وأُشْرَتْ بابن المقتدر بالله فخالقتم رأيي ، وقد بالغتم
في الاستهانة به وما صبر على الهوان إلا من خُبث طويته
ليدبر عليكم ، فلا تعجلوا حتى تؤنسد وينبسط إليكم ثم تعرفوا
من وطأه من القواد والساجبة والحجرية واعملوا بعد ذلك ! فقال
علي بن يلبق والحسن بن هارون : ما يحتاج إلى هذا التطويل فإن
الحجة لنا والدار في أيدينا وما نحتاج [إلى] ^(١) أن نستعين في
القبض عليه بأحد لأنه بمنزلة طائر في قفص ! وعملوا على معالجهته .

فاتفق أن سقط يلبق من الدابة فاعْتَلَّ ولزم بيته ، فاتفق علي وابن
مقلة وحسناً لمؤنس خلع القاهر وهونا عليه أمره ، فاذن لهما .
فاتفق رأيهما علي أن يُظهِرَ أَنَّ أبا طاهر القرمطي دخل الكوفة وأن علي
بن يلبق سائر لِقِتَالِهِ ومنعه من بغداد ، فإذا دخل لوداع القاهر بالله
قبض عليه ، فإذا ساعا ذلك ، وكتب ابن مقلة رقعة إلى الخليفة
يعرفه ذلك ويقول : « إني قد جهزت علي بن يلبق ليمسير في هذا اليوم
وأن يحضر العُصْرَ للخدمة ليأمره مولانا بما يراه » فكتب القاهر
في جوابه يشكره ويأذن في حضور ابن يلبق . فجاء جواب الخليفة
وابن مقلة نائم فتركوه ولم يوصلوه إليه . فلما استيقظ كتب رقعة
أخرى في المعنى ، فدُكر القاهر الحال .

فهو في هذا إذ وصلته رقعة طريف السبكري يذكر أن عنده
نصيحة وأنه قد حضر في زِيَّ النِّسَاءِ لينهيها إليه ، فاجتمع به القاهر .
فذكر له جديع ما عزموا عليه [وما هم فيه] ^(٢) وما فعلوه من

(١) زيادة يفضيها السياق .

(٢) زيادة من ك صفحة ٢٩ .

التدبير . فَأَنْفَذَ الْقَاهِرُ إِلَى السَّاجِيَةِ فَأَحْضَرَهُمْ مُتَفَرِّقِينَ وَكَمْنَهُمْ فِي الدَّهَالِيزِ وَالْمَرَاتِ وَالرَّوَاقَاتِ ، وَحَضَرَ عَلَى بَن يَلْبِقَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَفِي رَأْسِهِ نَبِيذٌ وَمَعَهُ عَدَدٌ يَسِيرُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَيَّارٍ لَهُ . وَأَمَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ بِالرَّكُوبِ إِلَى الْأَبْوَابِ وَصَعِدَ مِنَ الطَّيَّارِ وَطَلَبَ لِذَنْ الْقَاهِرِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَغَضِبَ وَأَسَاءَ أَدَبَهُ وَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ لِقَائِهِ شَاءَ أَوْ أَبَى ! فَأَمَرَ الْقَاهِرُ السَّاجِيَةَ بِرَدِّهِ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَشْتَمُوهُ وَشْتَمَوْا أَبَاهُ ، وَشَتَّهَرُوا سِلَاحَهُمْ وَاتَّقَدَمُوا إِلَيْهِ ، فَفَقَرَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الطَّيَّارِ وَعَبَّرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَاخْتَفَى مِنْ سَاعَتِهِ

وَبَلَغَ ابْنُ مَقْلَةَ الْخَبِيرَ فَاسْتَتَرَ ، وَاسْتَتَرَ الْحَسَنُ بْنُ هَارُونَ ، فَلَمَّا سَمِعَ طَرِيفُ الْخَبِيرِ رَكِبَ فِي أَصْحَابِهِ بِالسِّلَاحِ ، وَحَضَرَ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ وَوَقَفَ عِنْدَ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ . فَعَظُمَ الْأَمْرُ حِينَئِذٍ عَلَى ابْنِ يَلْبِقَ وَجَمَاعَتِهِمْ وَأَنْكَرَ يَلْبِقُ مَا جَرَى عَلَى ابْنِهِ ، وَسَبَّ السَّاجِيَةَ وَرَكِبَ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ فِي جَمِيعِ الْقَوَادِ الَّذِينَ بَدَارَ مَوْئِسَ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْقَاهِرِ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَحْمَدَ بْنِ زَيْرِكَ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَحَبِيسَهُمَا وَحَصَلَ الْجَيْشُ / كُلُّهُمْ فِي الدَّارِ فَأَنْفَذَ الْقَاهِرُ إِلَيْهِمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ وَوَعَدَهُمُ الزِّيَارَةَ ، وَأَنَّهُ يُوَقِّفُ هَؤُلَاءِ عَلَى ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يَطْلُقُهُمْ وَيَحْسِنُ إِلَيْهِمْ فَعَادُوا

١ - ٥٣

وَرَأْسِلَ الْقَاهِرُ مَوْئِسًا فِي الْحَضَرِ وَرَعْنَدَ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ لِيَفْعَلَ مَا يَرَاءُ وَقَالَ : : إِنَّهُ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَعْمَلَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ! فَاَعْتَذِرْ مَوْئِسَ عَنِ الْحَرَكَةِ : وَنَهَادَ أَصْحَابَهُ عَنِ الْحَضَرِ إِلَيْهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَحْضَرَ الْقَاهِرُ طَرِيفًا لِيَسْبِكِرِي وَنَآوَلَهُ خَاتَمَهُ

وقال له : قد قَوَّضْتُ إلى ولدى عبد الصمد ما كان المقتدر قَوَّضَهُ إلى ابنه محمد وقلدتك خلافتَه ورئاسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال كما كان ذلك إلى مؤنس فأنض إياه واحمله إلى الدار فإنه مادام في منزله يجتمع إليه من يريد الشر ولا نأمن أمره ! فمضى إلى دار مؤنس وعنده أصحابه في السلاح فسأله أصحاب مؤنس عن الحال فذكر سوء صنيع يلبق وابنه فكلُّهم سبُّهُما ، وعرفَهم ما أخذ لهم من الأمان والعهود فمكثوا . ودخل إلى مؤنس وقد استولى عليه الكبيرُ والضعفُ وأشار عليه بالحضور عند القادر وقال : إن تأخرت طمع ولو رأكَ نائماً ما تجاسر أن يوقظك ! / فسار إليه ، فلما دخل الدار قبض عليه وحبسه ، وذلك في مستهل شهر شعبان .

٥٣-ب

وأمر القادر بالختم على دور مَنْ قَبَضَ عليهم ونقل دوابهم وركل بحريمهم ، وأمر بنقل ما في دار ابن مقله وحرقتها ، ونُهبت دور المعتقلين بها . وظهر محمد بن ياقوت وقام بالحجبة ، ثم رأى كراهة طريقه والساجية له فاختمى وهرب إلى ابنه بفارس ، فكاتبه القاهر يلومه على عجايبه بالهرب وقلده كورا الأذواز ، واستقدم القاهر عيسى الطبيب من الموصل ، وجَدَّ القادرُ بالله في طلب أحمد بن المكتفى ، فقتل به ، فبنى عليه حائطا وهو حَيٌّ فمات . وظفر بعل بن يلبق ، واستعمل على الحجبة سلامة الطوائف وعلى الشرطة أحمد بن .

ذكر مقتل مؤنس ويلبق

وابنه علي والنوبختي

كان مقتل هؤلاء في شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .
وسبب ذلك أن أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا ، وتبعهم سائر الجند ،
ونادوا بشعار مؤنس ، وقالوا لا نرضى إلا بإطلاقه . وكان القاهر
قد ظفر بعلي بن يلبق ، وأفرد كل واحد منهم في بيت ،
فلما / شغب الجند دخل القاهر إلى علي بن يلبق فأمر به فذبح
وجعل رأسه في طست . ومضى والطست بين يديه حتى دخل على
يلبق ، فلما رأى رأس ابنه بكى وقبله ، فأمر به القاهر فذبح
وجعل رأسه في طست . وحبالا بين يديه ، ومضى حتى دخل على
مؤنس فوضعهما بين يديه .

۱- ۵۴

فلما رآهما تشهّد واسترجع ولعن قاتلهما ، فقال القاهر :
جروا برجل الكلب الملعون ! فجروا برجله وذبحوه ، وجعلوا رأسه
في طست . وطيف بالرووس في جاني بغداد ووردى عليها « هذا
جزاء من يخون الإمام ويسعى في فساد دولته ثم أعيدت فنظفت وجعلت في
خزانة الرووس على العادة ^(۱) . ولما قتلهم القاهر بالله اشتد أمره ،
وقويت نفسه ، وخافه من حوله بمن وافقه وباطنه على قتلهم . وقتل
أبا يعقوب النوبختي ، ولقب نفسه بعد ذلك « القاهر بالله المنتقم من
أعداء الله لدين الله . » وضرب ذلك على الدنانير والمدراهم .

(۱) راجع مرآة الجنان ۲ : ۲۸۱ وشنرات الذهب ۲ : ۲۸۷ وعجالة صاحب
الشنرات « بدت من القاهر شهامة وإقدام فتحيل حتى قبض على مؤنس ... » وهي توحى
بما كان لدى هؤلاء من سلطان وما أقدم عليه القاهر من خطر !

ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم

وعزله وولاية الخصيبي

قال (١) : ولما قبض القاهر بالله على من ذكرناه ودرب ابن مقلّة سأل : / من يصلح للوزارة ؟ فدلّ على أبي جعفر ابن القاسم ٥٤ - ب بن عبيد الله ، فاستوزره في شعبان فبقى وزيرا إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة ، فقبض القاهر بالله عليه وعلى أولاده وأخيه عبيد الله وحرمه ، وكان مريضا بقولنج ، فبقى محبوبا ثمانية عشر يوما ومات ، فحُبل إلى منزله وأُطلق أولاده . واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبي فكانت وزارة أبي جعفر ثلاثة أشهر واثني عشر يوما [والله تعالى أعلم] (٢)

ذكر القبض على طريف السبكري

كان طريف كما ذكرناه قد أعان القاهر بالله على القبض على من ذكرناه ، وثبت قواعده دولته . فلما قوى القاهر بالله لم يقف عند أمانه لطريف وبقي يُسمعه ما يكره ، ويستخف به ، ويعرض له بالأذى . فلما رأى ذلك خافه وتيقن سوءه ، فلما قبض القاهر على الوزير أبي جعفر أحضر طريفاً وقبض عليه ، فبقى محبوبا يتوقع القتل صباحاً ومساءً إلى أن خلع القاهر بالله .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٩

(٢) زيادة من ك صفحة ٢٠

وفي هذه السنة أمر القاهر بتحريم الخمرة والغناء (١) وسائر
الأنبذة ، ونَفَى بَعْضَ مَنْ كَانَ يُعْرِفُ بِذَلِكَ إِلَى البصرة والكوفة
وأمر بِبَيْعِ الجوارى والمغنيات على أَنَّهُنَّ سَوَاجُ لَا يُعْرِقَنَّ / الغناء ، ١٥٥-
ثم وضع مَنْ يَشْتَرِي لَهُ كُلَّ حَازِقَةٍ فِي صَنْعَةِ الغناء ، فاشترى
له مِنْهُنَّ مَا أَرَادَ بِإِخْصِ الْأَثْمَانِ . وكان القاهر مُشْتَهَرًا بِالْغِنَاءِ
وَالسَّمَاعِ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ طَرِيقًا إِلَى تَحْصِيلِ غَرْصِهِ ، وَهَذِهِ نَهَايَةُ
فِي الْخِصَّةِ وَالشُّجِّ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ !

وفيها كان ابتداء الدولة الدَّيْلَمِيَّةِ الْبُوهِيَّةِ ، وَسَمَّيْنِي ذَكَرَهَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (٢) . وفيها أمر علي بن يلبق - قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ -
بِلَعْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَابْنِهِ يَزِيدَ عَلَى الْمَنَابِرِ (٣) .

ودخبت سنة اثنَين وعشرين وثلاثمائة :

ذكر خلع القاهر وسمله وشيء من أخباره

كان خلع القاهر وسمُّهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لَيْسَتْ خُلُونٌ مِنْ جُمَادَى
الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ بْنَ مَقْلَةَ وَالْحَسَنَ بْنَ

(١) يروى أنه أمر بكسر آلات الطرب (مرآة الجنان ٢ : ٢٨١)

(٢) في المنتظم ٦ : ٢٠٧ أن يده ظهور الديلم كان سنة ٣١٥ بتغلب لنكي بن النعمان على لاي ،
وفيه أيضا ٦ : ٢٤١ وفي شذرات الذهب ٢ : ٧٨٣ أن مرداويج الديلمي لما قوى وخافه
الخليفة عقده سنة ٣٢٠ على أذربيجان وأرمينية وإيران وقم ونهاوند وسجستان . واهمروف
أن بلاد الديلم الأصاية هي ما بين طبرستان والجيل وجيلان وبحر الخزر كما يقول القديس ،
إلا أن توسمهم في القرن الرابع الهجري جعل الختافزين يضيفون إليهم الأراضي المحيطة
ببحر الخزر والتي تحدها خراسان شرقا وأذربيجان غربا .

(٣) راجع المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٦ : ٢٤٩ وفيه أن العامة اضطربت من

هارون كانا قد استمترا من القاهر ، وجدَّ في طلبهما فلم يظفر بهما فكانا يرسلان قُواد السَّاجية والحجرية ويخوفانهم من شرِّه ويذكُران غُدْرَه ، وأنه لا يَمُتُّكَ بِأَيِّمَانِه ، وأنه قَبَضَ على طَريفٍ بعد نُضجِه له ، إلى غير ذلك . وكان ابنُ مقلَّة يجتمع بالقُواد ليلاً - تارة في زِيٍّ أعمى وتارة في زِيٍّ مكِدٍ وتارة في زِيٍّ امرأة - ويغريهم بالقاهر . ثم إنه أعطى منجماً كان لِسِيما رئيس الساجية ومقدّمهم مائتي دينار ، / وأعطاهُ الحسنُ مائةً دينارٍ فكان يذكُر لِسِيما أن ظالعه يقتضى أنَّ القاهر ينكبه ويقتله . وأعطى ابنُ مقلَّة . أيضاً شيئاً لمُعَبِّرٍ ^(١) كان لِسِيما ، فكان يُحذِّره من القاهر [بالله] ^(٢) فازداد نُفُوراً ونَقَلَ إلى سِيما أنَّ القاهر يريد القَبْضَ عليه ، فجمع الساجية وأعطاهم السَّلاح ، وأنفذ إلى الحجرية فاجتمعوا وتحالفوا على اجتماع الكلمة وقتل من خالف منهم . فاتصل ذلك بالقاهر وبوزيره الخَصِيبي فآرسل إليهم « ما الذي حملكم على هذا ؟ » فقالوا : قد صَحَّ عندنا أنَّ القاهر يريد القَبْضَ على سِيما وقد عمل مظامير ليحبس قوادنا فيها .

فلما كان في يوم الأربعاء لستُ خلون من جمادى الأولى اجتمع الساجية والحجرية عند سِيما وتحالفوا على القَبْضِ على القاهر ، فقال سِيما : قوموا بنا الساعة حتى نُمضي العزم ، فإنه إن تأخر عَليم به واحترز وأهلكنا ! وبلغ ذلك الوزير فآرسل سَلَاماً الحاجب

(١) المبر : مفسر الأحلام .

(٢) زيادة من ك صفحة ٣٠

وعيسى الحاجب وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك ، فوجداه نائماً قد شرب أكثر ليلته ، فلم يقدر على إعلانه بذلك ، وزحف الحجرية والساجية إلى دار الخلافة ، ووكل سينا بأبوابها من يحفظها ، وبقي هو على باب العامة وداجموا الدار من سائر الأبواب . فلما جمع القاهر الأصوات والجلبة امتيقظ . وهو مخمور ، وظب باباً يهرب منه ، فقبل له إن الأبواب جميعها مشحونة بالرجال / فهرب إلى سطح حمام ودخل القوم فلم يجدوه ، فدللهم خادم صغير على موضعه فقصده . فإذا بيده سيف فألأنوا له واجتهدوا به ، فلم ينزل وقال : من صعد إلى قتاته ! فأخذ بعضهم سهماً وقال : : إن نزلت وإلا وضعت في نحر ! فنزل حينئذ إليهم وساروا إلى الموضع الذي فيه طريف السبكرى فأخرجوه وحبسوا القاهر مكانه ^(١) واستدعوا في تلك الليلة أحمد بن أبي الحسين الصلي فكحل ^(٢) القاهر بعد أن أقيم بين يدي الراضي بالله ، وسلم حليه بالإمارة .

وقيل في سبب خلعه إنه لما تمكن من الخلافة تنقص الساجية والحجرية على مر الأيام حتى كان لا يقضى لأكابرهم حاجة ، ويلزمهم التوبة في داره ، ويؤخر أعطياتهم ويغفل لمن يخاطبه منهم في أمر ، فأقبل بعضهم ينذر بعضاً ويتشاكرون . ثم كان يقول

(١) راجع واقعة القبض عليه في مرآة الجنان ٢ : ٢٨٤ وفي شذرات الذهب ٢ : ٢٩٢

وفي المعظم ٦ : ٢٦٥ .

(٢) كان كحل العينين وسيلة للسل ، وقد ذكر ابن تغري بردي أن عيني القاهر بعد الكحل سالتا على خديه فمسي ، وذكر مسكويه أن بختيشوع بن يحيى المطلب هو الذي ذك المنتصرين إلى الذي سله !

لسلامة حاجبه : أنت بين يديّ كنز مال يمشي فأى شيء يتبين في مالك لو أعطيتني ألف ألف دينار ! فيحمل ذلك عليّ الهزل ، وكان وزيره الخصيب خائفا لما يرى منه

ثم لأنه حفر في الدار نحو خمسين مظلورة وأحكم أبوابها ، فقبل إنها لمقدمي الساجية والحجرية ، فازدادوا نفورا ، ثم إن جماعة من القرامطة أخذوا من فارس وأرسلوا إلى بغداد فحبسوا في تلك المطاير ، فتقدم القاهر سراً بفتح الأبواب عليهم والإحسان إليهم ، وعزم على أن يتقوى بهم بالقبض على مقدمي الساجية والحجرية . فأنكروا حال القرامطة وكونهم معه في داره وهو يحسن إليهم ، وذكروا ذلك لوزيره وحاجبه فقالا له ، فأخرجهم من دار الخلافة وسأهم إلى محمد بن ياقوت وهو على شرطة بغداد ، فنزلهم في دار وأحسن إليهم . ثم صار القاهر يذم الساجية والحجرية في مجلسه ويظهر كراحتهم ، فلما تبينوا ذلك من وجهه وحركاته أظهروا أن لبعض قوادهم عرسا ، فاجتمعوا بحجبتهم^(١) وقرروا بينهم ما أرادوا وافترقوا . وأرسلوا إلى سايور خادم والدة المقتدر^(٢) وكان قد اختص به فقالوا له : قد علمت ما فعل القاهر بولايك وقد ركبته في موافقته كل عظيم فإن وافقتنا على ما نحن عليه وتقدمت إلى الخدم بحفظه فعفا الله عما سلف منك وإلا فنحن نبدأ بك !

(١) في الأصل : فاجمعوا بحجبه ، وفي ك صفحة ٣١ : فاجتمعوا لحجبه . وهو نصيف

(٢) في ك ، ف ٢٢ - ب : خادم أم المقتدر بالله .

فأعلمهم ما عنده من الخوف والمكرادة للقادر ، وأنه موافقهم .
هذا وابن مقلّة يسعى كما ذكرنا

قال (١) : ولما قُبِضَ على القاهر حرب وزيره الخصمي وحاجبه
سلافة ، فكانت خلافة القاهر بالله سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام
وهدر أول خليفة سجيل ، ولم يزل في دار السلطان إلى أن أخرج
المستكن بالله في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة
ورده إلى داره فقام / مدة ثم خرج إلى جامع المنصور في يوم الجمعة ،
وقام فعرف الناس نفسه وتصدق منهم وقال : أنا خليفةكم بالأمن
وسائلكم اليوم ! فأعطاه ابن أبي موسى ألف درهم (٢) وردّه إلى
داره وتوفي في خلافة المطيع في يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة سنة
تسع وثلاثين ، ودُفن في دار طاهر وله اثنتان وخمسون سنة . وكان
أبيض يعلو حمرة مربوعا أعين وافر اللحية ألغ شد بد
الإقدام على سفك الدماء ، أذوج محييا لجمع المال قبيح السيادة .
وقد تقدم من أفعاله وضربه لوالدة أخيه المقدر ومصادرتها
ومصادرة أولاد أخيه وأمّهات أولاده ما يستدل به على قبح أفعاله
وسوء طبيئته وعدم تمسكه بما يبذله من الإيمان المدلظة والعهود
المؤكدة ثم لا يقف عند ذلك . وكان نقش خاتمه « محمد رسول الله »
وكان له من الأولاد أبو الفضل عبد الصمد وأبو القاسم عبد العزيز
وهو ولي عهده .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٧

(٢) في المعظم ٦ : ٢٦٥ وقرأه أبو عبد الله بن أبي موسى فسنه من ذلك وأعطاه خمسمائة

وزراؤه : أبو علي بن مقله ، ثم محمد بن القاسم ، ثم أحمد بن عبد الله الخصيبى .

حُجَّابُهُ : علي بن بابق ، ثم سلامة الطولونى .

قاضيه : عمر بن محمد بن يوسف .

الأمرء بمصر : تكين ثم محمد بن صُنَّج التمرغانى (١) المعروف بالإخشيد ، ثم أحمد بن كيغَلَم ، وتغلَّب محمد بن تكين في أيامه ثم عاد الأمر إلى ابن كيغَلَم .

٥٧ - ب

القضاة بها : ولَّى القاهرُ محمد بن الحسين من أبى الشوارب فانه تخلف أباً جعفر أحمد بن عبد الله بن قُتَيْبَةَ فشغب الرعية عليه ولم يزل إلى أن صُرِف ابن أبى الشوارب ، ورد القضاء إلى أبن عثمان أحمد ابن إبراهيم بن حماد وإلى عبد الله بن موسى السرخسى .

ذكر خلافة الراضى بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ، وأمه أم ولد اسمها ظُوم ، . وهو الخليفةُ العشرون من الخلفاء العباسيين بويغ له بعد خلع عمِّه القاهر في يوم الأربعاء لستُ خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وذلك أنه لما قُبِضَ القاهر كما ذكرناه سألوا الخدم عن المكان الذى هو فيه وكان محبوباً هو ووالدته ، فدُلُّوهم عليه فقصدوه وفتحوا عليه وسلموا عليه بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على سرير القاهر بالله ولقبوه الراضى

(١) فى ك صفحة ٣١ « محمد بن مفلح التمرغانى » وهو تصحيف ، وعن النجوم الزاهرة

٢٢٥ محمد بن طنج بن جف بن يلتكين بن قوران بن قورى الأمير أبو بكر التمرغانى

بالله ، وبإيعه القَوَادُ والنَّاسُ ، وأقيم القاهر بين يديه وسلَّم عليه بالإمارة ..

قال (١) : ولما ولي أمر بإحضار علي بن عيسى وزير المقتدر بالله وأخيه عبد الرحمن وصدر / (٢) عن رأيهما فيما يفعله . وأراد علي بن عيسى على الوزارة فامتنع ، لكبره وضعفه ، وأشار بابن مقله ثم قال سيما للراضى بالله : إن الوقت لا يحتمل أخلاق علي وابن مقله أليق ، فكتب له أماناً فحضر واستوزره .

فلما وزر أحسن إلى كل من أساء إليه وقال عاهدت الله عند استيتاري بذلك وأرسل إلى الخصيبي وعيسى الطبيب بالأمان فظهرا ، فأحسن ابن مقله إليهما ، فاستعمل الخصيبي واستعمل [أباً] (٣) الفضل بن جعفر بن القرات نائبا عنه على سائر الأعمال بالموصل والجزيرة وديار بكر وطريق القرات والثغور الجزيرية والشامية ، وأجناد الشام ومصر . واستعمل الراضى بالله على الشرطة بدارا الخرمشني واستعمل محمد بن ياقوت على الحجبة ورئاسة الجيش ، وأدخل يده في أمر الدواوين ، وتقدم إليهم بأن لا يقبلوا توقيعا بولاية وعزل وإطلاق إلا إذا خطه عليه ، وأمرهم بحضور مجلسه فصبر ابن مقله على ذلك وألزم نفسه بالمصير إلى دار ابن ياقوت في بعض الأوقات كالمتعطل .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٧

(٢) سقطت هذه الصفحة ٥٨ بأكملها من الأصل ، واستغفنا عنها بما ورد في ٣٢ وف

صفحة ٣٥ - ١

(٣) زيادة من الكامل ٦ : ٢٣٨

ذكر مقتل هارون بن غريب

في هذه السنة قُتل هارون بن غريب الخال ، وسبب ذلك أن القاهر بالله كان استعمله على ماء الكوفة وما سبذان وغير ذلك كما ذكرناه . فلما استخلف الراضي بالله رأى هارون أنه أحق بالدولة من غيره لِقَرَابَتِهِ مِنَ الرَّاضِي بِاللَّهِ . وَكَاتَبَ الْقَوَادِ بِبَغْدَادِ يَعْدُهُمُ الْإِحْسَانَ وَالزِّيَادَةَ فِي الْأَرْزَاقِ ، ثُمَّ سَارَ مِنَ الدِّينُورِ إِلَى خَانْقَيْنِ ^(١) ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ مَقْلَةَ وَابْنِ يَاقُوتَ وَالْحَجَرِيَّةِ وَالسَّاجِيَّةِ ، وَشَكُوا ذَلِكَ إِلَى الرَّاضِي بِاللَّهِ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ كَارَهُ لَهُ وَأَذَنَ لَهُمْ فِي مَنْعِهِ . فَرَأَسُوا لَهُ وَبَذَلُوا طَرِيقَ خُرَاسَانَ زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِهِ ، فَلَمْ يَقْنَعُوا وَتَقَدَّمُوا إِلَى النَّهْرَوَازِ وَشَرَعَ فِي جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ ، وَظَلَمَ النَّاسَ ، سَفَهَهُمْ وَقَوَّيْتُ شَوْكَتَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتَ فِي سَائِرِ جِيُوشِ بَغْدَادِ وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَهَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ ابْنِ يَاقُوتَ إِلَى هَارُونَ . فَرَأَسَهُ ابْنُ يَاقُوتَ بِسِتْمِيلِهِ ، وَبَبَذَلَ لَهُ فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ دُخُولِ بَغْدَادِ !

فلما كان في يوم الثلاثاء لَيْسَتْ بِتَمِينٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ تَزَاحَفَ الْعَسْكَرَانِ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ فَاسْتَضْهَرَ أَصْحَابُ هَارُونَ لَكثَرَتَهُمْ ، وَانْهَزَمَ أَكْثَرُ مَنْ مَعَ ابْنِ يَاقُوتَ وَنَهَبَ أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ وَكَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ ، فَسَارَ مُحَمَّدٌ حَتَّى قَطَعَ قَنْطَرَةَ نَهْرٍ هُنَاكَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ هَارُونَ ، فَسَارَ نَحْوَ الْقَنْطَرَةِ مَنْفَرِدًا عَنْ أَصْحَابِهِ طَمَعًا فِي أَسْرِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتَ وَقَتْلِهِ ،

(١) بلدة في السواد بطريق همدان يقول ياقوت إنه كان بها عين نغت ، وقال البشاري وخانقين أيضا بلدة بالكوفة .

فتقنطربه فرسه فسقط. عنه في ساقية فلحقه غلام له اسمه يمن
فضربه بالطبرزين حتى أنخنه / وكسر عظامه ثم نزل إليه فذبحه ، ثم
رفع رأسه وكبر فانهزم أصحابه وتفرقوا ودخل بعضهم بغداد
يسراً . ونهب سواد هارون ، وقتل جماعة قواده ، وأسر جماعة ،
وسار محمد إلى موضع جثة هارون فأمر بحملها إلى مضربه وأمر
بغسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه ، ودخل بغداد ورأس
هارون بين يديه ورؤوس جماعة من قواد هارون فنصبت ببغداد !

ذكر مقتل ابن الشلمغاني ومذهبه

في هذه السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني
المعروف بابن أبي العراقيد ^(١) ، وشلمغان التي ينسب إليها قرية
بنو احي واسط . وكان سبب ذلك أنه قد أحدث مذهباً غالياً في
التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه ، إلى غير ذلك ، وكان ظهوره
في مبدأ وزارة حامد بن العباس أحد وزراء المقتدر بالله ، ثم اتصل
الشلمغاني بالمحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة ، ثم طلب
في وزارة الخاقاني فاستتر وهرب إلى الموصل . وبقي سنين عند
ناصر الدولة بن حمدان ، ثم انحدر إلى بغداد واستتر ، ثم ظهر
عنه أنه يدعى الربوبية لنفسه . وقيل إنه أتبعه على ذلك
الحسين ابن القادم بن عبيد الله ^(٢) بن سليمان بن وهب / الذي

(١) في الكامل ٦ : ٢٤١ المعروف بابن أبي القراق ، وفي المنتظم ٦ : ٢٨١

ويعرف بابن المزاقير ، وقد ورد ذكره في مرآة الجنان ٢ : ٢٨٤ وشذرات الذهب

٢ : ٢٩٣ .

(٢) في الكامل ٦ : ٢٤١ عبد الله ،

وزر للمقتدر بالله ، وأبو جعفر ، وأبو علي ابنا بسطام ، وإبراهيم ابن محمد بن أبي عون ، وابن شبيب ويزيد وأحمد بن محمد بن عبدوس .. كانوا يعتقدون ذلك فيه وظهر ذلك عنهم ، وطلبوا في وزارة بن مقله للمقتدر فلم يوجدوا .

فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ظهر ابن السَّلمَغَانِي فَقَبِضَ عليه الوزيرُ ابنُ مقله وسجنه وكبس داره فوجد فيها رقاعا وكتبا ممن يدعى فيه الربوبية يخاطبونه بما لا تخاطب به البشر بعضهم بعضا . وفيها خط الحسين بن القاسم ، فعرضت الخطوط . عليه فأقر أنها خطوطهم وأنكر مذهبه ، وأظهر الإسلام وتبرأ مما يقال فيه . فأخذ ابن أبي عون وابن عبدوس فأحضرا معه عند الخليفة وأمرأ بصفعه فامتنعا ، فلما أكرها صفعه ابن عبدوس ، ومدَّ ابن أبي عون يده إلى لحيته ورأسه فارتعدت يده فقَبَّلَ لحيته ورأسه وقال : إلهي وسيدي ورازقي ! فقال له الراضي : قد زعمت أنك لا تدعى الإلهية فما هذا ؟ فقال : وما على من قول ابن أبي عون ، والله يعلم أنني ما قلتُ له إني إله قط . ! فقال ابن عبدوس : إنه لم يدع الإلهية وإنما ادعى أنه البابُ إلى الإمام المنتظر مكان الحسين بن روح !

ثم أحضروا عدة مراتٍ معهم القضاة والفتهاء وغيرهم ، وفي آخر الأمر أفتى الفتهاء بإباحة دمه / فَصْلِبَ هو وابن أبي عون ، ٦٠ - ١ وأُخْرِقا بالنَّارِ في ذى القعدة . وكا الحسينُ بن القاسم بالرقَّة فأرسل الراضي بالله إليه فقتل في ذى القعدة ، وحُيِّلَ رأسه في بغداد .

وكان مذهب الشلمغاني أنه إله الآلهة بحق الحق ، وأنه الأول القديم ، الظاهر الباطن ، الرازق النام ، المومناً إليه بكل معنى . وكان يقول : إن الله سبحانه وتعالى يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل ، وإنه خلق الضد ليدل على المضدود ، فمن ذلك أنه حل في آدم عليه السلام لما خلقه ، وفي إبليس لما خلقه وكلاهما ضد لصاحبه لمصادته إياه في معناه ، وأن الدليل على الحق أفضل من الحق ، وأن الضد أقرب إلى الشيء من شبيهه ، وأن الله عز وجل إذا حل في جسد ناسوتي أظهر من المقدرة المعجزة ما يدل على أنه هو ، وأنه لما غاب آدم ظهر اللاوت في خمسة ناسوتية كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر في خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة ، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس وإبليس وتفرقت بعدهما كما تفرقت بعد آدم ، واجتمعت في نوح عليه السلام وإبليس وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في صالح وإبليس عاقر الناقة وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في إبراهيم عليه السلام وإبليس غمرود وتفرقت لما غابا واجتمعت في موسى وإبليس / فرعون وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في سليمان وإبليس وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في عيسى وإبليس فلما غابا تفرقت في تلاميذ عيسى وأبالستهم ، ثم اجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليس .

وإن الله يظهر في كل شيء وكل معنى ، وإنه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر في قلبه فيتصور له ما يغيب عنه حتى كأنه يشاهده . وإن الله اسم للمعنى ، وإن من اجتاح الناس إليه فهو إليه ،

ولهذا المعنى يستوجب كل أحد أن يسمى إلهاً ، وأن كل أحد من أتباعه لعنه الله يقول : إنه رب لمن هوى دونه درجته . وأن الرجل منهم يقول : أنا رب فلان وفلان رب ربي ، حتى يقع الانتهاء إلى ابن الشلمغاني فيقول : أنا رب الأرباب لاربوبية بعده ! ولا ينسبون الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما إلى علي ، لأن من اجتمعت له الربوبية لا يكون له ولد ولا والد .

وكانوا يسمون موسى ومحمداً صلوات الله عليهما الخائنين ، لأنهم يدعون أن هارون أرسل موسى وعلياً أرسل محمداً فخاناها . ويزعمون أن علياً أمهل محمداً عدة مدينين أصحاب الكهف فإذا انقضت العدة وهي ثلاثمائة وخمسون سنة انتقلت الشريعة .

ويقولون : إن الملائكة كل من ملك نفسه وعرف الحق ، وإن الجنة معرفتهم وانتحال مذهبهم والنار الجهل بهم والعدول عن مذهبهم / ويعتقدون ترك الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات ، ولا يتناكحون بعقد ويبيحون الفروج ، ويقولون : إن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث إلى كبراء قريش وجهابذة العرب ونفوسهم أبية فأمرهم بالسجود ، وإن من الحكمة الآن أن يمتحن الناس بإياحة فروج نسائهم ، وإنه يجوز أن يجامع الإنسان من شاء من ذوى رحمه وحرم صديقه وابنه بعد أن يكون على مذهبه ، وإنه لا بد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه ، ومن امتنع من ذلك عُيب في الدور الذي يأتي بعد هذا العالم امرأة ؛ إذ كان مذهبهم اتناسخ .

وكانوا يعتمدون إهلاك الطالبين والعباسيين ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ! وهذا المقالة شبيهة بالمقالة النصيرية ، فإنهم يعتمدون في ابن انقرت ، ويجعلونه رأساً في مذهبهم .

ذكر ظهور انسان ادعى النبوة

وفي هذه السنة ظهر بباسند ^(١) من أعمال الصفانيان رجل ادعى النبوة فقصده فوج بعد فوج واتبعه خلق كثير وحارب من خالفه ، فقتل خلقا كثيرا من كذبه ، وكثر أتباعه خصوصا من أهل الشاش . وكان صاحب جبل ومخاريق ، وكان يدخل يده في حوض ماء فيخرجها مملوءة دنانير إلى غير ذلك من المخاريق ، فكثر جمعه . فانفذ إليه ، أبو علي بن المظفر ، جيشا فحاربوه وضميقوا عليه - وهودوق جبل عال - حتى قبضوا عليه ، وقتلوه وحملوا رأسه إلى أبي علي ، وقتلوا خلقا كثيرا من اتبعه وآمن به . وكان يدعى أنه منى مات عاد إلى الدنيا ، فبقى جماعة كبيرة بتلك الناحية مدة طويلة على مدعاهم إليه ثم اضمحلوا وفنوا .

وفيهما سار الدمستق قرقاش في خمسين ألفا من الروم فنازل ملطية وحصرها مدة طويلة حتى هلك أهلها بالجوع ، وضرب خيمتين

(١) باسند : مدينة فيها وراء قنبر ، وهي في الصفانيان الولاية الضخمة التي تتصل بأعمال ترمذ ، وشاربها من أنهار تمد إلى جيحون . وهي شديدة الصلابة كثيرة الخيرات (بماقوت في معجم البلدان)

على إحداهما صليبٌ وقال : من أراد النصرانية انحاز إلى خيمة الصليب ليُرَدَّ عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى وله الأمان على نفسه ونبلغه عامته ، فانحاز أكثر المسلمين إلى خيمة الصليب طمعاً في أهلهم ومالهم . وسير مع الباقيين بطريقاً يبلغهم مأمنهم ، وفتحها بالأمان في مستهل جمادى الآخرة ، وملكوا شمشاط^(١) . وخربوا الأعمال ، وأكثروا القتل ، وفعلوا الأفاعيل الشنيعة ، وصار أكثر البلاد في أيديهم .

ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة :

ذكر القبض على ابنى ياقوت

١ / في هذه السنة في جمادى الأولى قبض الراضى بالله على محمد والمظفر ابنى ياقوت ، وكان سبب ذلك أن الوزير أبا على بن مقلة كان قد قلق لتحكم محمد بن ياقوت في الدولة بأسرها ، وأنه هو ليس له حكم في شيء ، فسعى به إلى الراضى وأدام السعاية . فلما كان في خامس الشهر ركب جميع القواد إلى دار الخليفة على عادتهم ، وحضر الوزير وأظهر الراضى أنه يريد يقلد جماعة من القواد أعمالاً ، وحضر محمد بن ياقوت للحجبة ومعه كاتبه أبو إسحاق القراريطى . فخرج الخدم فاستدعوا محمد بن ياقوت إلى الخليفة فدخل مبادراً ، فعدلوا به إلى حجرة هناك فحبسوه . ثم استدعوا القراريطى فدخل فعدلوا به إلى حجرة ، ثم استدعوا

(١) في الأصل : شياطونى ك صفحة ٢٤ شياط وقد آثرنا شياط لقرها من ملطية .

المظفر من بيته وكان مخمورا فحبسوه أيضا ، . وأنفذ الوزير ابن مقلة إلى دار محمد من يحفظها من النهب ، وكان ياقوت حينئذ مقيما بواسط ، فلما بلغه القبض على ابنه انحدر يطلب فارس ليحارب ابن بويه ، وكتب إلى الراضى بالله يستعطفه ويسأل إفاد ولدنيه ليساعده على حربه .

ذكر حال أبي عبد الله محمد البريدى وتقدمه

في هذه السنة قوى أمر أبي عبد الله البريدى وعظم شأنه ، / وسبب ذلك أنه كان ضامنا لأعمال الأهواز ، ثم استولى عليها عسكر مرداويج الديلمي ^(١) ، وهزم ياقوت ، ف جاء إلى البصرة وصار يتصرف في أسافل أعمال الأهواز مضافا إلى كتابة ياقوت . وادعى أخواه وكان إليهما ضمان السوس وجند يسابور أن دخل البلاد لسنة اثنتين وعشرين أخذ عسكر مرداويج وأن دخل البلاد لسنة ثلاث وعشرين لا يحصل منه شيء ، لأن نواب مرداويج ظلموا الناس فلم يبق لهم ما يزرعونه . وكان الأمر يصد ذلك في السنتين ، فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة فأنفذ نائبا له ليحقق الحال فواطأ ابن البريدى وكتب بصدقهما فحصل لهما بذلك مالا عظيما وقويت نفوسهما وكان مبلغ ما أخذ أربعة آلاف ألف دينار .

وفيها قتل ناصر الدولة بن حمدان عمه أبا العلاء بن حمدان ،

(١) كان كبير الديلمية ، وفي ظله تمت السلالة البويجية بالأخوة الثلاثة عماد الدولة وركن الدولة ومعاذ الدولة وكان مرداويج يقول : أنا أرد دولة المعجم وأبطل ملك المنتظم (٢٦٨٦)

وسبب ذلك أن أبا العلاء سعيدها ضمن الموصل وديار ربيعة سرا ، وكان بها ناصر الدولة أميرا . فلما وصل إلى الموصل خرج ابن أخيه للقائه فخالفه في الطريق قسداً منه ، فوصل أبو العلاء ودخل دار ابن أخيه وقعد ينتظره ، فأنفذ ناصر الدولة جماعة من غلمانهم فقبضوا عليه ثم أنفذ جماعة غيرهم فقتلوه .

ذكر مسير ابن مقله الى الموصل

وما كان بينه وبين ناصر الدولة

١ / قال (١) : لما قتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء واتصل خبره بالراضي بالله عظم ذلك عليه وأنكره ، وأمر الوزير ابن مقله بالمسير إلى الموصل ، فصار إليها في شعبان بالعساكر . فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوزان (٢) ، وتبعه الوزير إلى جبل التنين (٣) ثم عاد عنه ، وأقام بالموصل يجبي أموالها . فلما طال مقامه بالموصل احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير - وكان ينوب عنه في الوزارة ببغداد - فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه فكتب إليه يقول : إن الأمور بالحضرة قد اختلت وإن تأخره لم يؤمن معه حدوث ما يبطل أمرهم . فانزعج الوزير لذلك ، واستعمل على الموصل علي بن خلف بن

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٤٩

(٢) الزوزان : مدينه أهلها أرمن في كورة بين جبال أرمينية وبين أذربيجان وديار

بكر الموصل .

(٣) جبل التنين : مشهور كما يقول ياقوت قرب جبل اليهودي من أعمال الموصل

طباب (١) وما كرد الديلمي - وهو من الداجية - وانحدر إلى بغداد في منتصف شوال . فلما فارق الموصل عاد إليها [ناصر الدولة] (٢) بن حمدان فاقتتل هو وما كرد الديلمي ، فانهزم ابن حمدان . ثم عاد وجمع عسكرا آخر ، والتقوا على نصيبين في ذي الحجة فانهزم ما كرد إلى الرقة ثم إلى بغداد ، وانحدر ابن طباب أيضا ، واستولى ابن حمدان على الموصل والبلاد وكتب إلى الخليفة يسأله الصلح وأن يضمن البلاد فأجيب إلى ذلك . وفيها في المحرم قلّد الراضي بالله وأمينه أبا جعفر وأبا الفضل ناحيتي المشرق والمغرب مما أبيده ، وكتب بذلك إلى البلاد . ب - ٦٣

وفيها في ليلة الثاني عشر من ذي القعدة انقضت الكواكب انقراضاً دائماً مستمرا من أول الليل إلى آخره ، وهي الليلة التي أوقع القرمطي فيها بالحجاج .

وفيها مات محمد بن ياقوت في الحبس ، وانهم ابن مقله أنه سمه وأطلق أخوه المظفر من الحبس بشفاعته ابن مقله ، وحلف للوزير أنه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له ولا لولده بمكره فلم يف له .

وفيها أرسل الوزير ابن مقله رسولا إلى محمد بن رائق بواسط . وكان قطع الجمل عن الخليفة فطالبه بارتفاع أموال واسط . والبصرة

(١) في ١ ، ك صفحة ٣٥ « بن طباب » وما هنا من ف صفحة ٣١ - ب موافقا لابن الأثير .

(٢) زيادة من ك صفحة ٣٥

وما بينهما فأحسن إلى رسوله وَرَدَّهُ بِرِسَالَةٍ ظَاهِرَةٍ إِلَى ابْنِ مَقْلَةٍ
بِغَالِطِهِ ، وَأُخْرَى بَاطِنَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاضِي بِاللَّهِ مَضْمُونُهَا أَنَّهُ
إِنْ اسْتُدْعِيَ إِلَى الْحَضُورِ وَقُوِّضَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ وَتَدْبِيرُ الدَّوْلَةِ : فَامْ
بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْخَلِيفَةِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ . وَلَا سَمْعَ
الْخَلِيفَةِ ، لَمْ يُعِدْ إِلَيْهِ جَوَابَهَا .

ودخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة :

ذكر القبض على الوزير ابن مقلة

ووزارة عبد الرحمن بن عيسى وغيره

٦٤ - ١ في هذه السنة عَزَمَ الْوَزِيرُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى ابْنِ رَاقٍ لَمَّا عَادَ رَسُولُهُ / بَغِيرَ
مَالٍ ، وَحَضَرَ إِلَى دَارِ الرَّاضِي فِي مِنتَصَفِ جُمَادَى الْأُولَى . فَلَمَّا حَضَرَ الدَّارَ
قَبِضَ عَلَيْهِ الْمُظْفَرُ بْنُ يَاقُوتَ وَالحَجَرِيَّةُ وَأَعْلَمُوا الرَّاضِي بِذَلِكَ ، فَوَافَقَ رَأْيَهُ
فِيهِ ، وَاسْتَحْسَنَ فِعْلَهُمْ ^(١) . وَاخْتَفَى أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ بْنُ مَقْلَةٍ
الْوَزِيرُ ، وَسَائِرُ أَوْلَادِهِ ، وَحُرْمُهُ وَأَصْحَابُهُ . وَطَلَبَ الْحَجَرِيَّةُ وَالسَّاجِيَّةُ مِنْ
الْخَلِيفَةِ أَنْ يَشِيرَ بِوَزِيرٍ فَرَدَّ الْإِخْتِيَارَ إِلَيْهِمْ ، فَأَشَارُوا بِوَزَارَةِ عَلِيِّ بْنِ
عِيْسَى ، فَأَحْضَرَهُ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، فَامْتَنَعَ وَأَشَارَ بِأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَاسْتَوَزَرَهُ . وَسُلِّمَ إِلَيْهِ ابْنُ مَقْلَةٍ فَصَادَرَهُ ، ثُمَّ عَجَزَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ تَمْشِيَةِ
الْأُمُورِ وَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَالُ فَاسْتَعْفَى مِنَ الْوَزَارَةِ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ عَلِيٍّ
فِي سَابِعِ شَهْرِ رَجَبٍ ، وَاسْتَوَزَرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَرْخِيُّ ،

(١) في ك صفحة ٣٥ . واستحسن فعله .

وخلع عليه وسُلِّمَ إليه على بن عيسى فصادره على مائة ألف دينار ،
 وصادر أخاه عبد الرحمن بسبعين^(١) ألف دينار .

وفيهما قتل ياقوت ، وعظم البريدى وإخوته ، وكان من أمره
 ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عزل أبي جعفر ووزارة سليمان بن الحسن^(٢)

قال^(٣) : ولما تولى أبو جعفر الكرخى الوزارة رأى قلة الأموال
 وانقطاع / المواد فعمد عن تدبير الحال ، وضاق الأمر عليه ، وقطع
 ابن رائق حِمْلَ واسط. والبصرة ، وقطع البريدى حِمْلَ الأهواز
 وأعمالها . وكان ابن بويه قد تغلب على فارس ، فتحير أبو جعفر
 وكثرت المطالبات عليه ونقصت هيبته ، فاستقر بعد ثلاثة أشهر ونصف
 من وزارته ، فاستوزر الراضى أبا القاسم سليمان بن الحسن فكان فى
 الوزارة كتابى جعفر فى وقوف الحال وقلة المال^(٤) !

ذكر استيلاء ابن رائق على العراق وتغلب الملوك على الأعمال
 وخروجهم عن الطاعة وتغير أحوال الوزارة وإبطال الدواوين
 قال^(٥) : لما رأى الراضى بالله وقوف الحال بالحضرة ألبجاته

(١) فى ك صفحة ٣٦ « تسعين ألف دينار »

(٢) فى ا ، ك ، ف « سليمان بن الحسين » وذكرته المصادر التاريخية « ابن الحسن »

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٥٤

(٤) يعلق ابن الجوزى على ذلك بقوله « وكان هذا كله من حمل الأتراك والفلان »

المنتظم ٦ : ٢٨١ .

(٥) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٥٤

الضرورة إلى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط يعرض عليه إجابته إلى ما كان بذله من القيام بالذمقات وأرزاق الجند ببغداد . فلما أتاه الرسول فرح بذلك وشرع بتجهيز للمسير إلى بغداد ، فأنفذ إليه الراضى بالله الساجية وقلدة إمارة الجيش وجعله أمير الأمراء وولاه الخراج والمعاون في جميع البلاد والدواوين . وأمر أن يُخطب له على جميع المنابر ، وأنفذ إليه الخلع وانحدر إليه أصحاب الدواوين / والكتاب والحجاب وتأخر الحجريه . فلما استقر الذين نزلوا إلى واسط بها قبض على الساجية في ذى الحجة ونهب أموالهم ودوابهم ، وأظهر أنه إنما فعل ذلك لتتوفر أرزاقهم على الحجريه ، فاستوحش الحجريه من ذلك وقالوا: اليوم للهؤلاء وغد لنا وخيموا بدار الخلافة . وصعد ابن رائق إلى بغداد ومعه بجكم ، فخلع الخليفة عليه في أواخر ذى الحجة ، وأتاه الحجريه يسلمون عليه فامرهم بقلع خيامهم فقلعوها وعادوا إلى منازلهم .

وبطلت الدواوين من ذلك الوقت ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور ، إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها (١) ، وكذلك كل من تولى إمارة الأمراء ببغداد ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنها في تصرفون فيها كما يريدون ، وبطلت بيوت الأموال وتغلب أصحاب الأطراف وخلعوا الطاعة ، ولم يبق بيد الخليفة غير بغداد وأعمالها ، والحكم في جميعها لابن رائق ليس

(١) يحسن هنا مراجعة تجارب الأمم ١ : ٣٤٠ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٥٨ والبداية

والنهاية ١١ : ١٨٤ وكتاب

The Life and Times of Ali b. Isa. p. 320, 321, 322 (cambridge 1929).

للخليفة حُكْمٌ . وأما باقي الأطراف فكانت البصرة بيد ابن رائق ،
 وخوزستان والأهواز في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة
 ابن بويه ، وكرمان في يد أبي محمد علي بن إلياس ، والري وأصفهان
 والجيل في يد ركن الدولة بن بويه ويدا وشمكير أخى مرداويج يتنازعان
 عليها ، / والموصل وديار بكر ربيعة ومُضَر في يد بنى حمدان ، ومصر
 والشام في يد إلاخشيدي أبي بكر محمد بن طُغْج والمغرب وأفريقية في يد
 أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن
 محمد الملقب بالناصر الأموي ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن
 أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليهامة في
 في يد أبي طاهر القرمطي (١) .

٦٥- ب

ذكر وزارة الفضل بن جعفر

(ابن الفرات)

قال (٢) : ولما ولي ابن رائق كتب كتابا عن الراضى بالله إلى
 أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستقدمه للوزارة . وكان
 يتولى الخراج بمصر والشام ، فظن ابن رائق أنه إن استوزر جئ
 له أموال الشام ومصر ، فنفذت إليه الخِلاعة قبل وصوله فلقيته بيت ،
 فلبسها ودخل بغداد وتولى وزارة الخليفة ووزارة ابن رائق جميعا .
 ودخلت سنة خمس وعشرين وثلثمائة :

(١) وليم الأعظم ٦ : ٢٨٨

(٢) فريدة من لا صفحة ٢٦

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٥٦

ذكر مسير الراضي بالله لحرب البريدى

في هذه السنة أشار ابن رائق على الراضي بالله بالانحذار /
 معه إلى واسط ليقترب من الأهواز ويراسل أبا عبد الله البريدى :
 ٦٦- فإن أجاب إلى ما يطلب منه وإلا قرب قصده عليه ، فأجاب الراضي
 بالله إلى ذلك . وانحدر أول المحرم فخالف الحجرية وقالوا :
 هذه حيلة علينا ليعمل بنا مثل ما عمل بالساجية ! فلم يلتفت
 ابن رائق إليهم ، وانحدر ومعه بعضهم ، ثم انحدروا بعده .
 فلما صاروا بواسط اعترضهم ابن رائق فأسقط أكثرهم ،
 فاضطربوا وثاروا فقاتلهم قتالا شديداً ، فاهزم الحجرية وقتل
 منهم جماعة . ولما وصل للنهزمون إلى بغداد ركب لؤلؤ صاحب
 الشرطة ببغداد ، ولقيهم وأوقع بهم ، فاستتروا ، فنُهبت دورهم
 وقبضت أملاكهم ، وقطعت أرزاقهم .

ولما فرغ ابن رائق منهم قتل من كان قد اعتقله من الساجية
 سوى صافي الخازن وهارون بن موسى ، ثم أخرج مضاربه ومضارب
 الراضي بالله نحو الأهواز ، وراسل البريدى في تأخير الأموال وما
 قد ارتكبه من الاستبداد وإفساد الجيوش إلى غير ذلك ، ثم قال له
 بعد ذلك : إنه إن حمل الواجب عليه وسلم الجند الذين أفسدهم
 أقر على عمله وإن أبى قوبل بما يستحق . فلما سمع الرسالة
 جند ضمان الأهواز في كل سنة بثلاثمائة ألف وستين ألف دينار
 يحصل كل شهر بقسطه وأجاب إلى تسليم الجيش إلى من
 / يؤمر بتسليمه إليه ، ممن يسير بهم إلى قتال ابن بويه إذ كانوا
 ٦٦- ب

كارهين للعود إلى بغداد لضيق الأموال بها واختلاف الكلمة . فعقد عليه الضمان وعاد الراضى وابن رائق إلى بغداد فدخلها في ثامن صفر ، وكان هذا القول من البريدى خديعة ومكرا ؛ فإنه ما حمل من المال درهما واحدا ولا سلّم الجيش .

قال (١) : ثم سعى ابن مقاتل عند ابن رائق في عزل وزيره الحسين بن على التوبختى ، وأشار عليه بالاعتضاد بالبريدى وأن يجعله وزيراً ، وبذل له ثلاثين ألف دينار ، فأجاب ابن رائق إلى ذلك بعد امتناع شديد وأمر ابن مقاتل أن يكتب إلى البريدى أن يرسل من ينوب عنه في وزارته فكتب إليه بإنفاد أحمد الكوفى لينوب عنه في وزارة محمد بن رائق فأنفذه واستولى على الأمور هو وابن مقاتل ، وشرعا في تضييع البصرة من أبى يوسف أخى أبى عبد الله البريدى . فامتنع ابن رائق فخذعه حتى أجاب إليه ، وكان نائب ابن رائق بالبصرة محمد بن يزداد ، وقد أساء الميرة وظلم أهلها ، فوعدهم يوسف ومناهم وذم ابن رائق عنده بما كان يفعله ابن يزداد ، فدعوا له . ثم أنفذ أبو عبد الله البريدى غلامه إقبالا فى ألفى رجل وأمرهم بالمقام بحصن مهدى إلى أن يأمرهم بأمره ، فلما علم ابن يزداد بهم علم أن البريدى يريد التغلب على البصرة ، وأمر البريدى بإسقاط بعض ما كان ابن يزداد يأخذه من أهل البصرة ، فاطمأنوا وقاتلوا معه عسكر ابن

رائق ، ثم عطف عليهم بعد ذلك وعمل بهم أعمالاً تَمَنُّوا أيام ابن رائق وعدُّوها أعياداً !

ذكر الوحشة بين محمد بن رائق والبريدى والحرب بينهما

في هذه السنة ظهرت الوحشة بينهما ، وكان لذلك أسباب منها أن ابن رائق لما عاد إلى بغداد أمر بظهور من اختفى من الحجرية ، واستخدم منهم نحو ألف رجل ، وأمر من بقي بطلب أرزاقهم ؛ فخرجوا [من بغداد] والتحقوا بأبي عبد الله البريدى فأكرمهم وأحسن إليهم وضمَّ ابن رائق وعابه ، وكتب إلى بغداد يقول : إني خفتهم فلماذا قبلتهم ! وجعلهم طريقاً إلى قطع ما استقر عليه من المال ، وذكر أنهم اتفقوا مع الجيش الذى عنده ومنغود من حمل المال ؛ فأنفذ إليه ابن رائق يلزمه بإيفادهم فاعتذر ولم يفعل . ومنها أنه بلغه ما ذمَّ به عند أهل البصرة فسأه ذلك وبلغه مقام إقبال في جيشه بحصن مهدى فعظم عليه ، فأمر الكوفى أن يكتب / إلى البريدى يعاتبه على هذه الأشياء ويأمره بإعادة عسكره من حصن مهدى ، فكتب إليه في ذلك فأجاب « أن أهل البصرة يخافون القرامطة وأن ابن يزداد عاجز عن حمايتهم وقد تمسكوا لخوفهم بناصحائي »

فسار ابن رائق إلى واسط. فبلغ البريدى ، فكتب إلى عسكره بحصن مهدى يأمرهم بدخول البصرة وقتال من منهم (١) ،

(١) في ك صفحة ٣٨ « وقال ابن رائق من منهم »

وأنفذ إليهم جماعةً من الحجرية فقلدوا وقاتلوا ابن يزداد مرة بعد أخرى وهزموا إلى الكوفة ، فكتب ابن رائق إلى البريدي يأمره بإعادة أصحابه من البصرة وتهذد إن لم يفعل ، فاعتذر إليه وغالطه !

ذكر استيلاء بَجْجَمَ على الأهواز

وخروج ابن البريدي منها

قال (١) : ولما وصل جوابُ رسالة ابن البريدي إلى محمد بن

رائق بالمعاطلة عن إعادة جُنْدِهِ مِنَ البصرة استدعى بدرًا الخرشني وخطم عليه وعلى بَجْجَمَ وسيّرهما في جيش وأمرهما أن يقيما بالجامدة ، فبادر بَجْجَمَ ولم يتوقف على بدرٍ وسار إلى السوس ، فنُخِرَ إليه البريدي جيشًا مع غلامه المعروف بالحمال عدته ثلاثة آلاف مقاتل ، فالتقوا واقتتلوا بظاهر السوس . وكان مع / بَجْجَمَ مائتان ومبعضون رجلًا من الأتراك فانهزم أصحابُ البريدي وعادوا إلى صاحبهم فضرب الحمال ومسيه ووبّخه على انهزامه ثم ردّد وأضاف إليه من لم يشهدوا الواقعة فبلغوا ستة آلاف رجل .

٦٨ - ١

فلما التقوا انهزموا من غير قتال ، فلما رآهم البريدي ركب هو وإخوته ومن يلزمه في سفينة (٢) ومعه ما بقى عنده من المال وهو ثلاثمائة ألف دينار فغرقت السفينة بهم ، فأخرجهم الغواصون وقد كادوا يهلكون ، وأخرج الغواصون باقي المال لبَجْجَمَ ووصل

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٠

(٢) في ك صفحة ٢٨ . في ستة آلاف سفينة وهي إحالة ظاهرة .

أولاد البريدي إلى البصرة وأقاموا بالأبلة^(١) وأعدوا المراكب للهرب إن هُزِم إقبال ، وسيّر أبو عبد الله البريدي غلامه إقبالاً إلى مطارا فالتقوا مع أصحاب ابن رائق فانهزمت الرائقية وأسروا منهم جماعة فأطلقهم البريدي ، وكتب إلى ابن رائق يستعطفه ، وأرسل إليه جماعة من أعيان البصرة فلم يجيبهم وطلبوا منه أن يحلف لأهل البصرة ليكونوا معه ، فامتنع وحلف لئن ظفر بها ليحرقنها ويقتل كل من فيها فازدادوا بصيرة في قتاله واطمأن البريدي وأقام بالبصرة .

ثم جهز ابن رائق جيشاً آخر وسيّر في البر وفي الماء ، فالتقى عسكره الذي في البر مع عسكر البريدي فانهزم الرائقية ، وأما عسكر الماء فانهم استولوا على الكلاء^(٢) فلما رأى أبو عبد الله البريدي ذلك ركب في السفن وهرب إلى جزيرة أوال ، وترك أخاه أبا الحسين بالبصرة في عسكر يحميها . فخرج أهل البصرة مع أبي الحسين لدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فقاتلهم وأجلوهم عنه فسار ابن رائق بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر وكتب إلى بجكم ليلحق به فأتاه فيمن عنده من الجند ، فتقدموا وقاتلوا أهل البصرة فاشتد القتال . فرجع ابن رائق وبجكم إلى معسكرهم ، وأما أبو عبد الله البريدي فإنه سار إلى عماد

(١) الأبلة : فرسة البصرة وأحد أحيائها يقال بناها اليونان ولما جاء العرب وعمرها الحرية أعادوا بناها ويقول عنها القزويني في « آثار البلاد » صفحة ١٩٠ إنها طيبة جداً نضرة الأشجار متعلقة الأنهار (راجع الحياة الأدبية في البصرة صفحة ٣٦ للدكتور أحمد كمال زكي ، وكذلك الخريطة الملحقة بالكتاب)

(٢) حتى مشهور من أحياء البصرة كانت تصل إلى المراكب من الأبلة عن طريق نهر

الدولة بن بويه واستجار به وأطمعه في العراق وهون عليه أمر الخليفة وابن رائق ، فَمَقَّذَ معه أخاه معز الدولة وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

قال : ^(١) ولما سمع ابن رائق إقبالهم من فارس إلى الأهواز سَيرَ بِجَنَاحِهِم إليها ، ثم قَصَدَ جماعة من أصحاب البريدي عسكر ابن رائق ليلا فصاحوا في جوانبه ، فانهزموا . فلما رأى ابن رائق ذلك أمر بإحراق سواده وآلاته لئلا يغنمه البريديون . وسار إلى الأهواز جريدة ^(٢) وأقام بها أياما ، وعاد إلى واسط . وكان باقى عسكره قد سبقه إليها .

ودخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة :

ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهواز

في هذه السنة سار معز الدولة أبو الحسين بن بويه ^(٣) إلى الأهواز وتلك النواحي فملكها . وسبب ذلك ما

٦٩ - ١

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦١

(٢) في من ورقة ٣٨ « جرنده » وفي الأصل غير منقوطة ، وبيانها « جريدة » وهي الفرقة من الخيل لارجاله فيها .

(٣) في عقد الجمان والكامل إشارات قوية إلى الدبلوماسية لاسيما منذ بدء حوادث ٣٢١ وفي

المختصر ٦ : ٢٦٨ تلخيص لابتداء البويهيين ، وقد أثبت ابن تيمى بردى في النجوم الزاهرة

٣ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ موجزا طيبا لكل ذلك مع اختلافات لا بأس من الإلمام بها هذا ويعترف

مينورسكى V Minorsky في كتابه « دولة الديلمة » La Domination de Dailamites خير

من كتب عن هذا الموضوع موجهة روايات القدماء كالمسعودى والمقدسى وابن مسكويه

وحمزة الأصفهاني وجهات ذكية ، هذا ويحسن مراجعة E.G.U. Browne في كتابه

ذكرناه من مسير أبي عبد الله البريدى إلى عماد الدولة بن بويه وترك البريدى ولديه أبا الحسن محمداً وأبا جعفر الفياض عند عماد الدولة رهينة . وساروا فبلغ الخبر بجهنم بنزولهم أرجان (١) ، فسار لحربهم فانهزم من بين أيديهم إلى الأهواز ، ثم إلى واسط . وأرسل إلى ابن رائق يعلمه الخبر ويقول له « إن العسكر يحتاج إلى المال فإن كان معك مائتا ألف درهم فاقم بواسط حتى نصل إليك وتنفق فيهم المال وإلا فالرأى أن تعود إلى بغداد ، فعاد ابن رائق من واسط إلى بغداد ، ووصل بجهنم إلى واسط .

قال (٢) : ودخل [معز الدولة] (٣) بن بويه الأهواز فأقام بها خمسة وثلاثين يوماً ، ثم هرب البريدى خوفاً منه على نفسه ، وأمر جيشه الذين بالسوس فصاروا إلى البصرة ، وكاتب معز الدولة أن يُفْرِجَ له عن الأهواز حتى يتمكن من ضمانه ، فإنه كان قد ضمن الأهواز والبصرة من عماد الدولة في كل سنة بمائتي عشر ألف ألف درهم . فرحل عنها عسكر مكرم (٤) وأنفذ البريدى خليفته إلى الأهواز وأنفذ إلى معز الدولة يذكر خوفه ويطلب منه أن ينتقل إلى السوس ليبعد عنه ويأمن بالأهواز ،

(١) أرجان : هامة المعجم يسمونها أرخان كما يقول ياقوت ، ويقول الإصطخرى إنها مدينة شهيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه ، وهي برية بحرية ، سهلية جبلية مازها يسبح ، بينها وبين البحر مرحلة ، وبينها وبين شيراز ستون فرسفاً وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسفاً أيضاً .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٣

(٣) زيادة من ك صفحة ٣٩

(٤) أحد قواد الديالة وكان في صف بجهنم قال ابن كثير عنه في البداية والنهاية ١١ : ٢٠٠

به أمير الأمراء ببغداد قبل بنى بويه يفهم العربية ولا يتكلم بها خشية أن يخطئ .

٦٩ - ب

فامتنع / معز الدولة من ذلك وعلم بجكم بذلك فأنفذ جماعة من أصحابه واستولوا على السوس وجند يسابور وبقيت الأهواز بيد البريدي ، ولم يبق مع معز الدولة من كور الأهواز إلا عسكر مكرم فامتنع الحال عاياه وفارقه بعض جنده وأراد الرجوع إلى فارس فكتب إلى أخيه عماد الدولة يعرفه الحال فأنفذ إليه جيشا تقوى بهم ، وعاد استولى على الأهواز ، وهرب البريدي إلى البصرة . واستقر ابن بويه بالأهواز ، وبجكم بواسط . طامعا في الاستيلاء على بغداد ومكان ابن رائق ، وهو لا يظهور ذلك .

قال (١) : ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الأمور أطمع ابن رائق في مصر والشام ، وصاهره وعقد بينه وبين ابن طغج عهدا وصهرا وقال لابن رائق : أنا أجي لك مال مصر والشام إن سيرتني إليهما ! فسيره إلى الشام في شهر ربيع الآخر .

ذكر الحرب بين بجكم والبريدي

والصلح بعد ذلك

قال : ولما أقام بجكم بواسط وعظم شأنه خافه ابن رائق أن يتغلب على العراق ، فراسل أبا عبد الله البريدي وطلب منه / الصلح على بجكم ، فإذا انهزم تعلم البريدي واستطا وضمنها بستمائة ألف دينار في السنة . فسمع بجكم بذلك

٧٠ - أ

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٤

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٤

فاستشار أصحابه فيما يفعله فأنشأوا عليه أن يبتدي بآبى عبد الله البريدي وأن لا يهجم إلى حضرة الخلافة ولا يكادى ابن رائق إلا بعد الفراغ من البريدي . فجمع عسكره وسار إلى البصرة يريد البريدي ، فسير أبو عبد الله البريدي جيشاً بلغت عدتهم عشرة آلاف رجل عليهم علامة أبو جعفر محمد الحمال ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر البريدي فلم يتبعهم بجكم وكف عنهم . ثم أرسل إلى البريدي في ثاني يوم الهزيمة يعتذر إليه مما جرى وية قول له : أنت بدأت وتعرضت لي وقد عفوت عنك وعن أصحابك ولو تبعتهم لقتلت أكثرهم ^(١) ، وأنا أصالحك على أن أقفلك واسطاً إن ملكت الحضرة وأصاهرك ! فسجد البريدي شكراً لله تعالى وحلف لبجكم وتصالحا ، وعاد إلى واسط . وأخذ في التدبير على ابن رائق

ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه

في هذه السنة في منتصف شوال قطعت يد الوزير أبي علي بن مقلة ^(٢) وكان سبب ذلك أن الوزير أبا الفتح بن جعفر بن الفرات لما عجز عن الوزارة وسار إلى الشام استوزر الراضي بالله أبا علي / بن مقلة وليس له من الأمر شيء ، وإنما الأمرُ والنهي لمحمد بن رائق . وكان ابن رائق قد قبض على أموال ابن مقلة وأملاكه وأملاك ابنه ،

(١) في ك صفحة ٣٩ . ولو تبعتم لقتلهم .

(٢) رددت كتب التاريخ هذه الحادثة منها المنتظم ٦ : ٢٩٣ . والنجوم الزاهرة ٢ :

لمخاطبه في ردّها فلم يفعل ، فاستمال أصحابه وسألهم مخاطبته في ردّها فوعدوه ولم يفعلوا . فلما رأى ذلك سعى بابن رائق فكاتب بجكم يُطعمه في موضع ابن رائق ، وكتب إلى وشمكير مثل ذلك ، وكتب إلى الراضى بالله يشير عليه بالقَبْضِ على ابن رائق وأصحابه ويضمن أنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار ، وأشار باستدعاء بجكم وإقامته مقام ابن رائق فأطعمه الراضى وهو كاره لما قاله ، فعجل ابن مقلّة وكتب إلى بجكم يعرفه إجابة الراضى ويستحثه على الحركة والمجيء إلى بغداد . وطلب ابن مقلّة من الراضى بالله أن ينتقل ويقيم عنده بدار الخلافة إلى أن يتم على ابن رائق ما اتفقاً عليه ، فأذن له في ذلك فحضر متنكراً في آخر ليلة من شهر رمضان . فلما حضر إلى دار الخلافة لم يصل إلى الراضى وأمر باعتقاله فاعتُقل في حجرة .

فلما كان من الغد أرسل الراضى إلى ابن رائق يعرفه الحال ، وعرض عليه خطّ ابن مقلّة ، وما زالت الراسل تتردد بينهما في المعنى إلى منتصف شوال ، فأخرج ابن مقلّة من محبسه وقُطعت يده ، وعولج فبرأ .

ثم كاتب الراضى يخطب الوزارة ويذكر / أن قطع يده لم يمنعه من عمله ، وكان يشدُّ القلم على يده المقطوعة ويكتب ، فلما قرب بجكم من بغداد سمع الخدم يتحدثون بذلك فقال : إن وصل بجكم فهو يستخلصني وأكافئ ابن رائق ! وصار يدعو على من ظلمه وقطع يده ، فوصل خبره إلى الراضى بالله وابن رائق فأمر

بقطع لسانه ، ثم نُقِلَ في محبسٍ ضيقٍ ولم يكن عنده من يخدمه ، فألت به الحال إلى أن كان يستقى الماء من البئر بيده اليسرى ويمسك الحبل يمينه وناله شقاء شديدٌ إلى أن مات في حادى عشر شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ودفن بدار الخلافة ثم إن أهله سألوا فنبش وسُلم إليهم فدَفَنوه ، ثم نبشته زوجته ودفنته في دارها . ومن العجب أنه ولى الوزارة ثلاث دفعات ، ووَزَرَ اثلاثة خلفاء وسافر ثلاث سفرات اثنتين منفيا إلى شيراز وواحدة إلى الموصل في وزارته ، ودفن بعد موته ثلاث مرات وخُصَّ به من خدامه ثلاثة ، وكان في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر ضرب ابن شنبوذ^(١) سبع درر لقراءات أنكرت عليه ، فدعا عليه بقطع اليد وتشتيت الشمل ، فاستجاب الله له !

٧١-ب ذكر استيلاء بجكم على بغداد /

وشىء من أخباره وكيف تنقلت به الحال إلى أن بلغ هذه المرتبة^(٢)

قال ابن الأثير الجزرى في تاريخه الكامل^(٣) : كان بجكم هذا

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب المرقى البغدادى ، ويعرف بابن شنبوذ بتشديد النون . وضع التباة على ما ذكر في الأصل ، س ، ف وفي شذرات الذهب ٢ : ٢٩٧ والمنظم ٦ : ٢٧٥ وابن شنبوذ على ما ذكر في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٤٨ وقد توفي سنة ٢٧٤ ، وأثر عنه قراءات استكرها علماء عصره كآبى بكر بن مجاهد وعمر بن أبى عمر محمد بن يوسف القاضى ، وأجبر على أيام ابن حنبل أن يقر بخطه غصبا ويستيب ومن ثم نرى إلى البصرة . ومن القراءات التى أخذ بها فامضوا إلى ذكر الله فى الجملة « و » ثبت هذا أبى طيب وقد تب « وه تكون الجبال كالصوف المنفوش » .

(٢) كذا فى الأصل وفى ف وأما فى ك صفحة ٤٠ فالعنوان « ذكر استيلاء بجكم على بغداد » وشىء من أخباره ، وابتداء أمره ، وكيف تنقلت به الحال إلى أن بلغ هذه المرتبة .

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦٦

من غلمان أبي العارض وزير ما كان بن كالي الديلمى فطلبه ما كان منه فوجه له ، ثم فارق ما كان مع من فارقته . من أصحابه ، والنحن بمرداويج ، وكان من جملة من قتله ، وسار إلى العراق والنحن بمحمد بن رائق . وكان من أمره ما ذكرناه ، فلما استقر بواسط. تعلقت همته بالاستيلاء على حضرة الخليفة ، وهو مع ذلك يظهر التبعية لابن رائق ، وكان على أعلامه وتراسه بجكم الرائقى . فلما وصلته كتب [الوزير] ^(١) ابن مقله تذكر أنه استقر مع الراضى أن يقلده إمرة الأمراء زاد طمعه في ذلك وكاشف ابن رائق وقاع نسبته إليه من أعلامه ، وسار من واسط. نحو بغداد في غرة ذى القعدة . واستعد ابن رائق لحربه وسأل الراضى أن يكتب إلى بجكم يأمره بالعود إلى واسط. ، فكتب إليه فلما قرأ الكتاب ألقاه من يده وسار حتى نزل شرفي نهر ديبالى . وكان أصحاب ابن رائق على غير تهيئة ، فالتقى أصحاب بجكم نفوسهم في الماء فانهمز أصحاب ابن رائق ، وعبر أصحاب بجكم وساروا إلى بغداد ، وخرج ابن رائق عنها إلى عكبرا . وكان دخول بجكم بغداد في ثالث عشر ذى القعدة ، ولقى الراضى بن الغد وخط عليه وجعله أمير الأمراء ، وكتب كتابا عن الراضى إلى القواد الذين كانوا مع ابن رائق بالرجوع إلى بغداد ، ففارقوه جميعهم وعادوا . فلما رأى ابن رائق ذلك عاد

١-٧٢

إلى بغداد واستتر ، فكانت مدة إمارته سنةً واحدةً وعشرة أشهر وستة عشر يوماً .

ودخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة :

ذكر مسير الراضى بالله وبجكم الى الموصل

وظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام

في هذه السنة في المحرم سار الراضى وبجكم إلى الموصل وديار ربيعة لِقَصْدِ ناصرِ الدَّوْلَةِ ابنِ حمدان ، فإنه كان قد أخرج المال المُقَرَّرَ عليه من ضمان البلاد ، فلما بلغا تَكَرَّبت (١) أقام الراضى بها وسار بجكم ، فلقيه [ناصر الدولة] (٢) بن حمدان على سِتَّةِ فراسخ من الموصل ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم ابن حمدان إلى نصيبين وتبعه بجكم إليها ، فسار إلى آمد ثم وقع الصِّلْحُ بينهما على أن يحمل ابن حمدان خمسمائة ألف درهم معجلة فأجابه إلى ذلك .

قال (٣) : وفي هذه الغيبة ظهر ابن رائق ببغداد واستولى

عليها ولم يتعرض لدار الخليفة / فعاد الراضى وبجكم إليها فراسلهما ابن رائق في طلب الصلح فأجابا إلى ذلك ، فعقد له الخليفة على طريق القرات ، وديار مضر حرَّان والرها وما

(١) في «غير منقوطة» وفي ك صفحة ٤٠ «تكرنت» بنصيف وما هنا عن ف صلحة

(٢) زيادة من ك صفحة ٤٠

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٩

جاورهما ، وجند قنسرين والعواصم ، فأجاب ابن رائق أيضا وسار عن بغداد إلى ولايته ، ودخل الراضى وبجكم بغداد في تاسع شهر ربيع الآخر ، ثم استولى ابن رائق على الشام وملك مدينة حمص ثم سار إلى دمشق وبها بدر بن عبد الله الإخشيدى المعروف ببدر واليا عليها من قبل الإخشيد ، فأخرجه ابن رائق وملكها . وسار إلى الرملة وإلى عريش مصر يريد الديار المصرية ، فلقبه الإخشيد وحاربه فانهمز الإخشيد . واستغل أصحاب ابن رائق بالنهب ونزلوا في خيم الإخشيدية ، فخرج عليهم كمين للإخشيد فأوقع بهم وهزمهم ، فتنجا ابن رائق في سبعين رجلا ووصل إلى دمشق في أقبح صورة .

فسير إليه الإخشيد أخاه أبو نصر بن طنج في جيش كثيف ، فالتقوا في رابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين فانهمز الإخشيدون وقتل أبو نصر فأخذ ابن رائق وكفنه وحمله إلى أخيه بمصر ، وأنفذ معه ابنه مزاحما ، وكسب إلى الإخشيد يعزيه بأخيه ويعتذر بما جرى ويحلف أنه ما أراد قتله ، وأنه قد أنقذ ابنه ليقيده به . إن أحب ذلك ، / فلقبى الإخشيد مزاحم بن محمد بن رائق بالجميل وطلّع عليه ورّده إلى أبيه واصطالحا ، على أن تكون الرملة وما وراعا إلى مصر للإخشيد وباقى الشام لمحمد بن رائق ، ويحمل إليه الإخشيد عن الرملة في كل سنة مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار .

٧٣ - ١

نعود إلى أخبار الراضى وبجكم .

ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي

للخليفة الراضي بالله

وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة سعى أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد^(١) وزير بجكم في الصلح بين بجكم والبريدي^(٢) حتى تمّ وضمن البريدي أعمالاً واسطاً بستمائة ألف دينار في كل سنة . ثم شرع ابن شيرزاد في تقليد البريدي الوزارة ، فأرسل إليه الراضي في ذلك فأنجاب إليه ، وذلك في شهر رجب واستناب بالحضرة عبد الله بن علي النقري .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي^(٣) : كان الحج قد بطل من سنة سبع عشرة وثلاثمائة . فلم يحج أحد من العراق ، فلما كان في هذه السنة كاتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي القرامطة وسألهم أن يؤمنوا الحاج ليسير بهم ويعطيهم عن كل جمل خمسة دنانير ومن المحمل سبعة دنانير ، فأذنوا له في الحج فحج الناس . وهي أول سنة مكس^(٤) فيها الحاج . وخرج في تلك السنة القاضي أبو علي بن أبي هريرة الشافعي فلما طول بالخفارة لوى راحلته

(١) في ك ، ف « وأبو عبد الله البريدي » والخطأ اللغوي واضح .

(٢) كذا في أ ، ف وفي ك صفحة ٤١ « شيرازاد » وقد رسمه ابن الأثير بما أثبتناه . وقال إنه أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد .

(٣) في المنتظم ٦ : ٢٩٦

(٤) مكس : مكس في البيع يمكن إذا جرى مالا ، والمكس دراهم تؤخذ من بائني السلع في السوق أو درهم كان يأخذه المتصدق بعد دفع الصدقة ، ولكنه ها هنا ضريبة ، وقد قال ابن تقي بردي في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٦٤ « وهي أول سنة أخذ فيها المكس من الحاج »

ورجع وقال : لم أرجع شحاً على الدراهم ولكن قد سقط الحج بهذا المكسر !

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة : في هذه السنة سار ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه إلى واسط. فنزل بالجانب الشرقي ، وكان البريدي بالجانب الغربي فاستأمن من أصحاب ابن بويه مائة إلى البريدي ^(١) . ثم سار الراضي وبجكم من بغداد نحو واسط. يريدان حرب ابن بويه فعاد إلى الأهواز ثم إلى رامهرمز ^(٢) .

وفيها استولى بجكم على واسط. في ذي الحجة ، وسار إليها ففارقها ابن البريدي إلى البصرة ، وأسقط. بجكم اسم البريدي من الوزارة ، وجعل مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مغلد . ودخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

ذكر وفاة الراضي بالله وشيء من أخباره

كانت وفاته في منتصف شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وكانت مدة خلافته بست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وعمره / اثنتان وثلاثون سنة وأشهر ^(٣) ، وكانت علته الاستسقاء ، وكان أديبا شاعرا ، فمن شعره :

٧٤ - ١

(١) في ك صفحة ٤١ « في هذه السنة سار ركن الدولة أبو علي الحسين إلى واسط فتول بالجانب الشرقي ، وكان البريدي بالجانب الغربي ، فاستأمن من أصحاب ركن الدولة بن بويه مائة إلى البريدي ، والخطأ والزيادة واضحان !

(٢) ورامهرمز : مدينة مشهورة بتواحي خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج ، والعامية يسمونها رامز ، هي بالفارسية مراد هرمز لأن رام بالفارسية المراد والمقصود .

(٣) في البداية والنهاية والنجوم الزاهرة أن عمره يوم مات إحدى وثلاثون سنة وعشرة أشهر ، وفي المتظم إحدى وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، ودفن في تربته بالرصافة .

يَضْفَرُ وجهي إذا ماتاً له طرفي ويحمرُّ وجهه خجلاً
حتى كأنَّ الذي بوجنته من دم جسمي إليه قد نُقِلَا (١)
وقال يرثي أباه المقتدر بالله :

ولو أنَّ حيًّا كان قبراً لمِيتَ لصيرتُ أحشائي لأعظمه قبراً
ولو أنَّ عمرى كان طَوْعَ مشيئتي وساعدني التقديرُ قاسمته العمرا
بنفسي ثرّى ضاجعتُ في تربةِ البلى لقدصمُ منك الغيثَ والليثَ والبдра
وكان سَمَحاً سخياً ، يحبُّ محادثةَ الأدباءِ والفضلاء . وكان
الراضي بالله أَسَمَرَ أَغْيَنَ ، خفيفَ العارضين . وختمَ الخلفاءَ في عِدَّةِ
أشياء فمنها أنه آخرُ خليفةٍ له شعرُ يدُون ، وآخرُ خليفةٍ خطبَ على
المنبر كثيراً - وإن كان غيره خطبَ نادراً - وآخرُ خليفةٍ جالسَ الجلساءِ
ووصلَ الندماءَ ، وآخرُ خليفةٍ كانت [له] (٢) نفقاته وجوائزه
وعطاياه وخزائنه ومطابخه وجراياته وخدامه وحجابه وأموره على
ترتيب الخلفاء المتقدمين (٣) . وكان له من الأولاد أبو جعفر
أحمد ، وأبو الفضل عبد الله .

وزراؤه : أبو علي بن مقلة ، وابنه الحسن ، ثم عبد الرحمن بن
عيسى ، ثم محمد بن القاسم الكرخي ، ثم سليمان بن الحسين بن

(١) يورد ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٤ البيتين باختلاف جد يسير منسويين لابن رائق ،
وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٦ أن الصوك ينسبهما لابن رائق أيضاً مقررأ أنهما في فتاة
مشرقية ، ولكن ابن كثير يوافق ابن الأثير ويثبت له أيضاً الأبيات الثلاثة التالية (البداية
والنهاية ١١ : ١٩٧)

(٢) زيادة من الكامل ٦ : ٢٧٧ يقتضيها السياق

(٣) يقول ابن كثير : وأخبرهم انفراد بتدبير الجيوش والأموال ، البداية والنهاية

٧٤- ب مخلد ، ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم أبو عبد الله البريدي .

قضاؤه : عمر بن محمد بن يوسف ، ثم ابنه يوسف بن عمر

حجابه : محمد بن ياقوت ، وذكاء مولاه

الأمير بمصر : الإخشيد محمد بن طنج بن جُفَّ القرغاني

القضاة بها : محمد بن الحسن بن أبي الشوارب من قبل الراضي
واستخلف أبا بكر محمد بن بدر^(١) ، ثم صرفه بعبد الرحمن بن
أحمد بن الزين ، ثم ولَّى الإخشيد الحسين بن محمد بن أبي
زُرعة القضاء ، واستخلف له أبا بكر محمد بن أحمد بن الحداد الشافعي ،
ثم وزد العهد للحسين بن محمد بن أبي زرعة من قبل محمد بن أبي
الشوارب ، ثم صرفه محمد بن أبي نصر يوسف بن عمر بن أبي
عمر القاضي ، وأقرَّ الحسين بن أحمد إلى أن توفى وأبو بكر بن
الحداد خليفته ، ثم صرف يوسف بن عمر عن قضائهما بمحمد بن
أبي الشوارب واستخلف أحمد بن بدر ثانية ، ثم صرف ابن أبي
الشوارب بالحسين بن عيسى بن هارون فأقرَّ محمد بن بدر ، ثم عاد
ابن أبي الشوارب فاستخلف عبيد الله بن أحمد بن رزين ، ثم
استخلف عبد الله بن الوليد من قبل الحسين بن علي

١ / ذكر خلافة المتقي لله

٧٥- ا

هو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن
المتضد بالله ، وأمه أم ولد اسمها خلوب . وهو الخليفة الحادي

(١) في ك صفحة ٤٢ ، ابن زبد ،

والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويغ له يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

قال (١) : ولما مات الراضي بالله بقي الأمر في الخلافة موقوفاً انتظاراً لورود خبر من بجكم ، فإنه كان بو اسط . واحتيط على دار الخلافة . فورد كتاب بجكم مع كاتبه أبي العباس عبد الله الكوفي يأمر فيه بأن يجتمع مع أبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضي وكل من تقلد الوزارة وأصحاب الدواوين والعلويون والعباسيون والقضاة ووجوه البلد ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ومن يرضى مذهبه وطريقه . فجمعهم الكوفي واستشارهم ، فذكر بعضهم إبراهيم بن المقتدر ونفروا على هذا ، فلما كان الغد اتفق الناس عليه فأحضرود إلى دار الخلافة وبويغ له في التاريخ الذي تقدم ، وعرضت عليه ألقاب فاختار منها المتقى لله . وبايعه / الناس كافة وسير الخلع واللواء إلى بجكم بو اسط . (٢) وكان بجكم بعد موت الراضي وقبل استخلاف المتقى أرسل إلى دار الخلافة أخذ منها فرشاً وآلات كان يستحسنها ، وجعل سلامة الطولوني حاجبه ، وأقر سليمان بن الحسين على وزارته وليس له من الوزارة إلا اسمها والتدبير كله للكوفي كاتب بجكم (٣) .

٧٥-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٧٧ وفي البداية والنهاية ١١ : ١٩٨ أخبار أخرى

منه

(٢) في ١ « إلى بجكم إلى واسط » وما حنا من الكامل ٦ : ٢٧٨ .

(٣) في ٥ « والتدبير كله لأبي عبد الله الكوفي كاتب بجكم »

ذكر مقتل بجكم

كان سبب قتله أن أبا عبد الله البريدى أنفذ جيشاً من البصرة إلى المذار ، أنفذ بجكم جيشاً إليهم عليه توزون ^(١) فاقتتلوا قتالاً شديداً . كانت الحرب أولاً على توزون فكتب إلى بجكم أن يلحق به فصار من واسط . في منتصف شهر رجب ، فلقية كتاب توزون « أنه ظفروهم وهزمهم » فأراد الرجوع إلى واسط . فأشار عليه بعض أصحابه أن يتصيد فقبل منه وتصيد حتى بلغ نهر جور ^(٢) ، فسمع أن هناك أكراداً لهم مال وثروة فشرهت نفسه في أموالهم فقصدهم في قلة من أصحابه وهو بغير حجة ^(٣) فقبه ، فهرب الأكراد من بين يديه فأتاه غلام من الأكراد من خلفه وضعه في خاصرته فقتله وهو لا يعرفه ، وذلك لأربع بقين من شهر رجب / واختلف عسكره فمضى الديلم خاصة نحو البريدى - وكانوا ألفاً وخمسمائة - فأحسن إليهم وأضعف أرزاقهم وأوصلها إليهم دفعة واحدة ، وعاد الأتراك إلى واسط . وكان تكينك محبوباً بها - حبسه بجكم - فأخرجوه فصار بهم إلى بغداد وأظهروا طاعة المتقى . وصار أبو الحسين أحمد بن ميمون يدبر الأمور .

٧٦ - ١

قال ^(٤) : واستولى المتقى لله على دار بجكم وأخذ ما فيها ،

(١) في تجارب الأمم « وأنفذ نوشكين وتوزون في جيش لقائه » وتوزون هو أبو الوفاء التركي وكان مغلباً على ما أبقاه بجكم للخليفة من سلطان .

(٢) جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً وأهل فارس تسميها كور ، أي القبر في الفارسية ، ولكنها مدينة نزهة طيبة على قول ياقوت في معجم البلدان .

(٣) الجنة : كل ما وقى (المحيط)

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٧٩

وكان مبلغ ما أخذه من دفائنه ألف ألف ومائتي ألف دينار^(١) ، وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ذكر اصعاد أبي عبد الله البريدي إلى بغداد

قال^(٢) : لما قُتِلَ بجكم وسارت الدَّيْلَمُ إلى [أبي عبد الله]^(٣) البريدي تَقَوَّى بهم وعظمت شوكتهم ، فأصعدوا من البصرة إلى واسط. في شعبان ، فأرسل المتقي إليهم يأمرهم أن لا يضرعوا فقالوا : نحن محتاجون إلى مال ! فأنفذ إليهم مائة ألف وخمسين ألف دينار ، فقال الأتراك للمتقي : نحن نقاتل بني البريدي فأطلق لنا مالا وانصب لنا مقدما ! فأنفق فيهم وفي جند بغداد القدماء أربع مائة ألف دينار وجعل عليهم سلامة الطولوني ، وبرزوا مع المتقي^(٤) إلى نهر دِيَالِ يوم الجمعة لثمان بقين من شعبان . وسار البريدي من واسط إلى بغداد ، فلما قرب منها اختلفت الأتراك اليجكمية ، واستأمن بعضهم إلى البريدي ، وبعضهم [استتر]^(٥) وسار إلى الموصل ، واستتر سلامة الطولوني وأبو عبد الله الكوفي ، ولم يحصل الخليفة

(١) في المنتظم ٦ : ٢٢٢ أن المتقي لما سمع بمصرعه ركب إلى داره فترها ونقل ما فيها وحفر بها أماكن حصل منها على ما يزيد على ألف ألف عينا وورقا وغسل التراب فخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم ، وقيل ظهر ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار عينا ، وبيع له من أصناف الجواهر والأواني والسلاح والكساء والرقيق أمر عظيم ، سوى ما نهب وتلف ، ثم ظهر مال عظيم في داره غير ما ظهر أولا وكان عبارة عن ستة عشر قمعا من الذهب يحمل القمقم في الدفق لثقله !

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٧٩

(٣) زيادة من ك ٤٣

(٤) نهر دِيَالِ : نهر كبير قرب بغداد وهو نهر تمارا بعينه أو نهر بمقويا الأعظم ويعتبر

الحد بين طريق خراسان والخالص .

(٥) زيادة من ك ٤٣

إلا على أخراج المال (١) . وَهَمَّ أَرَبَابُ النِّعَمِ والأموالِ بالانتقال من بغداد خوفاً من ظلم البريدى وتَهَوُّره .

ودخل أبو عبد الله البريدى إلى بغداد في ثانی شهر رمضان ونزل بالشفيعي ، وَلَقِيَهِ الوزيرُ أبو الحسين والقضاة والكتّابُ وأعيان الناس . وَأَنفَذَ إِلَيْهِ الْمُتَّقَى يَهْنُئُهُ بِالسَّلامَةِ ، وَأَنفَذَ لَهُ طَعَامًا وَغَيْرَهُ عِدَّةَ لَيَالٍ ، وَكَانَ يَخَاطَبُ بِالْوَزِيرِ ، وَكَذَلِكَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ مَيْمُونٍ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ ، ثُمَّ عَزَلَ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ زَارَتِهِ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَسِيرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَجَبَسَهُ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي صَفَرٍ مَسْنَةً ثَلَاثِينَ .

قال (٢) : ثُمَّ أَنفَذَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى الْمُتَّقَى اللَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ لِيَفْرُقَهَا فِي الْجَنْدِ ، فَامْتَنَعَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَتَهَدَّدُهُ وَيَذْكُرُهُ بِمَا جَرَى عَلَى الْمُعْتَزِ وَالْمُسْتَعِينِ وَالْمُهْتَدِي ، وَتَرَدَّدَتِ الرِّسَالُ حَتَّى أَنفَذَ إِلَيْهِ تَمَامَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَلَمْ يَلْقَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ الْمُتَّقَى مَدَّةً مَقَامِهِ بِبَغْدَادَ (٣) .

١٧٧ - ١

ذكر عود البريدى الى واسط هارباً

قال (٤) : كَانَ الْبَرِيدِيُّ يَأْمُرُ الْجَنْدَ بِطَلْبِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْخَلِيفَةِ ، فَلَمَّا أَنفَذَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْمَالَ انصرفت أطماعُ الجند عن الخليفة

(١) أخراج المال : جمع كالأخراج وأخرجه ، المفرد عراج وعرج وهو الإجماع

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٠

(٣) في ك ٤٣ « وَتَرَدَّدَتِ الرِّسَالُ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهِ تَمَامَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَلَمْ يَلْقَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيُّ الْخَلِيفَةَ مَدَّةً مَقَامِهِ بِبَغْدَادَ »

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٠

إلى البريدي ، فشغب الجندي عليه . وكان الديلم قد قدموا على أنفسهم كورتكين الديلمي ، وقدّم الأتراك عليهم تكينك التركي غلام بجكم . وسار الديلم إلى دار البريدي فأحرقوا دار أخيه أبي الحسين التي كان ينزلها ، وانضاق تكينك التركي إليهم واتفقوا على قصد البريدي ونهب ما عنده . فساروا إلى النجفي ووافقهم العامة ، فقطع البريدي الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثب العامة بالجانب العربي على أصحاب البريدي ، فهرب هو وإخوته وابنه وانحدروا في الماء إلى واسط ، ونهبت داره ودور قواده ، وكان هربه في سابع شهر رمضان من السنة .

ذكر إمارة كورتكين الديلمي

لما هرب البريدي استولى كورتكين الديلمي على الأمور ببغداد ، ورحل إلى المتقي لله فقلده إمارة الأمراء ، وخلع عليه . واستدعى المتقي / علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن ، فأمر عبد الرحمن فدبر الأمر من غير تسميته بوزارة ، ثم قبض كورتكين على تكينك^(١) التركي في خامس شهر شوال وغرقه وتفرّد بالأمر . ثم اجتمع العامة يوم الجمعة سادس شوال وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم فلم ينكروا ذلك ، فمنعوا الخطيب من الصلاة واقتتلوا هم والديلم فقتل من الفريقين جماعة .

(١) كذا في ف صفحة ٤٦ - ١ ، وفي المصوتين ك ، ا و تكينك . خلاف ما في المجلد .

ذكر عود محمد بن رائق الى بغداد

وولايته إمرة الأمراء

كان سبب عودِه أن الأتراك البجكمية لما ساروا إلى الموصل لم يروا عند ابن حمدان ما يريدون ، فساروا نحو الشام إلى ابن رائق ، وكان فيهم من القواد نوزون وجُجُجُج ونوشتكين وصيغون . فلما وصلوا إليه أطمعوه في العود إلى العراق ، ثم وصل إليه كُتُبُ المتقي تستدعيه ، فسار من دمشق في العشرين من شهر رمضان واستخلف على الشام أبا الحسن أحمد بن علي بن مقاتل ، وسار حتى وصل إلى الموصل فتَنَحَّى عن طريقه ناصر الدولة . ابن حمدان ، ثم تراسلا وتصالحا على مائة ألف دينار يحملها [ناصر الدولة] (١) ابن حمدان إليه .

وسار ابن رائق إلى بغداد ، وخرج كورتيكين إلى عكبرا ، ووصل إليه ابن رائق فوَقعت الحرب بينهما عدة أيام . فلما كان ليلة الخميس لتسع بقين من ذي الحجة سار ابن رائق ليلا من عكبرا هو وجيشه فأصبح ببغداد ، قد خلها من الجانب الغربي ، ونزل في النجى ، وعبر من الغد إلى الخليفة فلقبه ، وركب المتقي معه .

١-٧٨

ووصل في هذا اليوم بعد الظهر كورتيكين من الجانب الشرقي بجميع جيشه وهم يستهزئون بأصحاب ابن رائق ويقولون : أين نزلت هذه القافلة الواصلة من الشام ؟ ولما دخل كورتيكين

(١) في اضطراب في النقط وفي ك ٤٤ بلا نقط وما هاهنا عن ف صفحة

بغداد أيس^(١) ابن راثي من ولايتها وعزم على العود ، وأمر بحمل أثقاله فرفعت ، ثم عزم على أن يناوشهم شيئاً من قتال قبل مسيره ، فأمر طائفة من عسكره أن يعبروا دجلة ويأتوا الأتراك من ورائهم . ثم ركب هو في سميرية وركب معه عدة من أصحابه في عشرين سميرية ووقفوا يترامون بالشباب ، ووصل أصحابه وصاحوا من خلفهم ، واجتمعت العامة وصاحوا على أصحاب كورتيكين فانهمز هو وأصحابه واختفى هو . ورجعتهم العامة بالآجر وغيره ، وقوى أمر ابن راثي ، وقتل من أساء إليه من الديلم وكانوا نحو أربعمئة ، وقتل من قوادهم بضعة عشر رجلاً ، وخلع عليه المتقى وجعله أمير الأمراء ، ثم ظهر بكورتيكين فحبسه بدار الخليفة .

وفي هذه السنة في شوال استوزر المتقى لله / أبا إسحاق محمد ابن أحمد الإسكافي المعروف بالقراريطي بعد عود البريدي ، وجعل بداراً الخرشني^(٢) حاجبه ، فبقى وزيراً إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة فقبض عليه كورتيكين واستوزر بعده أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ، فبقى وزيراً إلى الثامن والعشرين من ذي الحجة منها فعزله ابن راثي ، ودبر الأمور أبو عبد الله أحمد الكوفي كاتب ابن راثي من غير تسمية بوزارة .

(١) أيس : لغة في يس

(٢) في « الجوشى » وفي « ٤٤ » الجرشى ، وما هنا من البداية . النهاية ١١ : ٧٠٢ ، بالكامل نسبة إلى خرشة إحدى بلاد الروم . مطبعة .

وفيها انقطع الغيث بالعراق فاستسقى الناس في شهر ربيع الأول فسقوا مطرا قليلا لم يجز منه ميزاب ، فاشتد الغلاء والوباء وكثر الموت حتى دُفِنَ الجماعة في القبر الواحد من غير غسل ولا صلاة عليهم ، ورخص العقار والأثاث ببغداد حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم ، وانقضى تشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني وشباط الأول ولم يطر الناس غير المطرة التي كانت عند الاستسقاء ، ثم جاء المطر في آذر ونيسان .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في سبب هذا المطر يسند رفعه إلى أبي محمد الصَّلَاحِي (١) الكاتب أنه قال : لما نادى المتقي في زمن خلافته في الأسواق أن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيته : إِنَّ امرأةً صالحةً رأت النبي صلى الله عليه وسلم في منامها فشكت / احتباسَ المطرِ فقال لها : « قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى ويستسقون ويدعون فإنه يسقيهم في يومهم » وإن أمير المؤمنين يأمركم كما أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نياتكم وإقلاع عن ذنوبكم - قال - فَأَخْبَرَنِي الْجُمْ الْفَقِيرُ (٢) أَنَّهُمْ لما سمعوا النداء ضَجَّتِ الأسواق بالبكاء والدعاء ، فشق ذلك على وقلت : « منامُ امرأةٍ لا تُدْرِي ما تأويله ، هل يصح أم لا ، ينادى به في الأسواق في مدينة السلام ، فإن لم يسقوا كيف يكون

١-٧٩

(١) في المنتظم ٦ : ٣١٩ وفيه « اله لحي » وماها هنا عن ا ، ت ٤٦ - ب ،

ك صفحة ٤٤

(٢) في اوغيرها « والخير في الجمال الفقير » وماها هنا عن ا ، الجوزي في المنتظم .

حالتنا مع الكفار ؟ فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا ، وما زلت قلقاً حتى أتى يوم الثلاثاء فقبل لي : إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسين أحمد بن الفضل بن عبد الملك إمام الجامع ، وخرج أكثر أصحاب السلطان والفقهاء والأشراف ، فلما كان قبل الظهر ارتفعت ^(١) سحابة ثم طبقت الآفاق ثم أسدلت غزاتها ^(٢) بمطر جود ، فرجع الناس حفاة من الوحل .

ودخات سنة ثلاثين وثلاثمائة

ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي

٧٩-ب في هذه السنة وَزَرَ أبو عبد الله البريدي للخليفة المتقي لله ، وسبب ذلك أن ابن رائق استوحش منه لأنه أخرجه من المال وانحدر إلى واسط. عاشر المحرم ، فهرب البريدي إلى البصرة وسعى أبو عبد الله الكوفي للبريدي وإخوته حتى عادوا وضمنوا بقاءها واسط. بمائة وتسعين ألف دينار ، وضمنوها كل سنة بمائة ألف دينار ، وعاد ابن رائق إلى بغداد فشغب الجند عليه ثاني شهر ربيع الآخر وفيهم توزون وغيره من القواد ، وتوجهوا إلى البريدي في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر بواسط. ، ففوى بهم فاحتاج ابن رائق إلى مداراته فكاتبه بالوزارة ، وأنفذ إليه

(١) في ك ه ه انقضت »

(٢) كذا في ف صفحة ٤٧ - أوما في ا ، ك مضطرب عزالها : مصبات الماء من الراوية ، المفرد عزلاء . وتطلق أيضاً على قم الراوية ، أي الأعلى الذي يصب الماء فيه أولاً (المحيط)

الخِلْعَ واستخلف أبا عبد الله بن شيرزاد . ثم وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ إِلَى
بَغدَادَ فَعَزَمَ الْبَرِيدِيُّ عَلَى الْإِصْعَادِ إِلَى بَغدَادَ ، فَأَزَالَ ابْنُ رَائِقٍ
[اسم الوزارة عنه ، وَأَعَادَ أبا إِسْحَاقَ الْقَرَارِبِيَّ وَلَعْنُ بَنُو الْبَرِيدِيِّ
عَلَى الْمَنَابِرِ بِجَانِبِي بَغدَادَ .

ذِكْرُ اسْتِيلَاءِ الْبَرِيدِيِّ عَلَى بَغدَادَ

وإِصْعَادِ الْمُتَّقَى ﷺ إِلَى الْمَوْصِلِ

قال (١) : وسير أبو عبد الله البريدي أخاه أبا الحسين إلى بغداد
في / جميع الجيش من الأتراك والديلم ، فعزم ابن رائق على
أن يتحصن بدار الخلافة ، فأصلح سورها ونصب عليها العرادات (٢)
والمجانيق وعلى دجلة ، وأنهض العامة وجند بعضهم ، فثاروا في
بغداد وأحرقوا ونهبوا ، وأخذوا الناس ليلاً ونهاراً . وخرج المتقي
ﷺ وابن رائق إلى نهر دِيَالٍ في منتصف جمادى الآخرة ، وواقاهم
أبو الحسين في الماء والبر ، واقتتل الناس فانهزم أهل بغداد ،
واستولى أصحاب البريدي على دار الخلافة ودخلوا إليها من
الماء ، وذلك لتسع بقين من جمادى الآخرة . وهرب المتقي وابنه
الأمير أبو منصور في نحو عشرين فارساً ، ولحق بهما ابن رائق
في جيشه ، وساروا جميعاً إلى الموصل .

وَقَتَلَ أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ مَنْ وَجَدُوهُ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ مِنْ
الْحَاشِيَةِ ، وَهَبُوا دُورَ الْحُرَمِ ، وَكَثُرَ النَّهْبُ فِي بَغدَادَ لَيْلًا وَنَهَارًا .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٢

(٢) للعرادات : مفرداً العرادة وهي شيء أصفر من المنجنيق تقوم بهززه (المحيط)

وأخرجوا كورتيكين من محبسه ، فأنفذه أبو الحسين إلى أخيه
بواسط . فكان آخر العهد به . ونزل أبو الحسين بدار مؤنس
التي يسكنها ابن رائق ، وأقام أبو الحسين توزون على الشرطة
بشرقي بغداد ، وجعل نوشتكين على شرطة الجانب الغربي فسكن
الناس ، وأخذ أبو الحسين رهائن القواد فسيرهم إلى أخيه أبي
عبد الله بواسط .

قال (١) : وعسف أهل العراق وظلمهم ظلما لم يُسمع بمثله
قط . ذكر / ابن الأثير رحمه الله ذلك في تاريخه الكامل وأفرده
بترجمة وهي « ذكر ما فعله البريدي ببغداد » ، ولما انتهى
كلامه قال « وإنما ذكرنا هذا الفصل ليعلم الظلمة أن أخبارهم
تُنقل وتبقى على وجه الدهر ، فربما تركوا الظلم لهذا إذا لم
يتركوه لله سبحانه وتعالى (٢) » وأظنه رحمه الله تعالى قال هذا لما
علمه من حال الظلمة في عصره ، وأنهم يستقبحون الظلم .
ويتركونه خشية أن ينقل عنهم . وإنما تركت أن أشرح ما قاله من
ظلم البريدي خوفا أن يسمعه ظلمة هذا العصر فيقتدون بأفعاله
ويحملون الناس على مثاله ، فإن فيهم من يتحلى بالظلم ولا يتحاشى
من فعله ويردُّ فرع كل مظلمة إلى أصله ويقول : قد فعله فلان
وفلان وجرت عليه القاعدة في كل عصر وأوان ! ويبرز بالظلم
بروز اللَّيْث من غابه ، وتصدر عنه الحوادث كصدور الغيث من

(١) راجع ذلك في ٦ : ٢٨٤

(٢) هذا ختام الفصل الصغير الذي عقده صاحب الكامل ٦ : ٢٨٤

سحابه ، ويرى أن ذلك فرصة يغتنمها وكعبة يستلمها ، ثم لا يقنعه ذلك إلى أن يسمي المظالم بالحقوق الواجبة ، ويرى الملازمة عليها من المشن الراتبية . لا جرم أن الله تعالى يأخذه من مأمنه ، ويستلبه ما حوله من نعمة ومنته ، لأن ملك هذا العصر (١) - خلد الله سلطانته وثبت أركانه ونصر جيوشه وأعوانه - ينكر المظالم إذا أنهيت إليه ويزيل اسمها ، ويمحو من دواوين دولته رسمها ، ويكف الأكف العادية إذا عدت ، ويقبض الأيدي الجارية إذا انبسطت في العالم واعتدت (٢).

١-٨١

ذكر قتل ابن رائق

وولاية ابن حمدان إمرة الأمراء

كان المتقي لله قد أنفذ إلى ناصر الدولة بن حمدان يستمده على البريدي ، فأرسل أخاه سيف الدولة (٣) نجدة في جيش كثيف ، فلقى المتقي لله وابن رائق بتكريريت قد انهزما ، فخدم سيف الدولة المتقي خدمة عظيمة ، وسار معه إلى الموصل ففارقها ناصر الدولة إلى الجانب الشرقي وتوجه نحو معشاي (٤) وترددت الرسائل بينه وبين ابن رائق . ثم تعامدا واتفقا فحضر ناصر الدولة ونزل على دجلة بالجانب الشرقي ، فعبر إليه

(١) الناصر محمد

(٢) يلاحظ أن تعليق المؤلف على فصل ابن الأثير أكبر من الفصل نفسه ، ولكننا إذا عرفنا أن الكنويري خاض معركة التتار ، ورجع إلى مصر بعد النصر ليكتب كتابه هذا أدركنا مدى حساسيته للظلم ورغبته في دفعه بأى سبل !

(٣) هو أبو الحسين علي بن عبد الله بن حمدان .

(٤) ١ ، ك ٤٦ « ملياتا » وما هنا من الكامل ٦ : ٢٨٤ قال ياقوت معشاي بليد

قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل (معجم البلدان ١٨ : ١٥٨)

الأمير أبو منصور بن المتقى وابن رائق يسلمان عليه ، فنشر
الدنانير والدراهم على ولد المتقى . فلما أراد الانصراف من عنده
ركب ولد المتقى وأراد ابن رائق الركوب فقال له ناصر الدولة :
أقم اليوم عندي لتتحدث فيما تفعله ! فاعتذر بابن المتقى ، فألح
عليه ابن حمدان فامتراب به / وجذب كُمه من يده فقطعه ،
وأراد الركوب فشَبَّ به فرسه فسقط ، فصاح ابن حمدان « أن
اقتلوه » فقتلوه وألقوه في دجلة . وأرسل ابن حمدان إلى المتقى
يقول : إنه علم أن ابن رائق أراد أن يغتاله ففعل ما فعل (١) ،
فردَّ عليه المتقى ردا جميلا وأمره بالمسير إليه فصار ناصر الدولة
إليه فخلع المتقى عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الأمراء ،
وذلك في مستهل شعبان ، وخلع على أخيه أبي الحسين ولقبه
سيف الدولة ، وكان قتل ابن رائق يوم الإثنين لسبعين بقين من
شهر رجب (٢) ، ولما قُتل سار الإخشيد من مصر إلى الشام فتسلمها .

ذكر عود المتقى لله إلى بغداد

وهرب البريدى عنها

قال (٣) : ولما قتل ابن رائق سارع الجند إلى الهرب من
البريدى لسوء سيرته فهرب جُحجج وتوزون إلى المتقى في
جماعة من الأتراك : فاتوا الموصل في خامس شهر رمضان فقوى

(١) في ك ٤٦ « أراد أن يغتاله فقتله وفعل به ما فعل »

(٢) راجع البداية والنهاية ١١ : ٢٠٢ .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٥ .

بهم ابن حمدان ، وسار هو والمتقى لله إلى بغداد . فلما قاربها هرب أبو الحسين البريدي منها إلى واسط . وكان مقامه ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . ودخل المتقى إلى بغداد ومعه بنو حمدان في / جيوش كثيرة ، واستوزر المتقى أبا إسحاق القراريطي وقلاد نوزون ١-٨٢ جاني بغداد وذلك في شوال .

ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدي

قال (١) : ثم خرج بنو حمدان نحو واسط . لقتال البريدي ، وسار أبو الحسين البريدي من واسط . أيضا لقتالهم . فأقام ناصر الدولة بالمدائن وسير أخاه سيف الدولة وابن عمه الحسين بن سعيد في الجيش لقتاله ، فالتقوا تحت المدائن بفرسخين واقتتلوا عدة أيام آخرها رابع ذى الحجة فانهزم سيف الدولة إلى أخيه ، فأضاف إليه جماعة ورده ، فقاتل وهزم أبا الحسين البريدي وأسر جماعة من أصحابه وقتل جماعة . وعاد ناصر الدولة إلى بغداد ، فدخلها في ثالث عشر ذى الحجة ، وانحدر سيف الدولة من موضع المعركة إلى واسط . فرأى البريدي قد انحدر منها إلى البصرة ، فأقام سيف الدولة بها . ودخلت سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة .

ذكر ما اتفق لسيف الدولة بواسط

ورجع ناصر الدولة إلى الموصل

قال (٢) : ولما أقام سيف الدولة بواسط ، قصد الانحدر إلى

٨٢-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٥ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩٠ .

البصرة ليأخذها من البريديين ، فلم يمكنه لقلة المال عنده . فكتب إلى أخيه ناصر الدولة مرة بعد أخرى فأنفذ إليه مالا مع أبي عبد الله الكوفي ليفرّقه في الأتراك فأسمعه توزون وجُخجخ المكرود وثارا به فغيبه سيف الدولة عنهما ، وسيّره إلى بغداد . وأمر توزون أن يسير إلى الجامدة^(١) ويأخذها وينفرد بحاصلها ، وأمر جُخجخ أن يسير إلى المذار^(٢) ويأخذ حاصلها .

وكان سيف الدولة يزهد الأتراك في العراق ويحسن لهم قضاء الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويقع في أخيه عندهم ، فكانوا يصدقونه في أخيه ولا يجيبونه إلى الشام ويتجنّون عليه ، ثم ثاروا به في سُلخ شعبان وكبسوه ليلا ، فهرب من معسكره إلى بغداد ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه .

وأما ناصر الدولة فإنه لما وصل إليه الكوفي وأخبره الخبر برز للمسير إلى الموصل ، فركب المتقى إليه وسأله التوقف عن المسير ، فظاهر له الإجابة إلى أن عاد ثم سار إلى الموصل ، ونهبت داره ، ودبر الأمر أبو إسحاق القراريطي من غير تسمية بوزارة ، وكانت إمارة ناصر الدولة ببغداد ثلاثة عشر شهرا وخمسة أيام ، ووصل سيف الدولة إلى بغداد ١

(١) الجامدة : قرية كبيرة جامعة بين البصرة واسط ومن أعمال واسط (معجم البلدان ٥ : ٩٥) .

(٢) المذار : محبة في بيسان وهي قصبها بينها وبين البصرة أربعة أيام (معجم البلدان ١٧ : ٨٨) .

أذكر حال الأتراك

١ - ٨٣

بعد إصعاد سيف الدولة من واسط.

قال^(١) : ولما هرب سيف الدولة عاد الأتراك إلى معسكرهم ، فوقع الخلاف بين توزون وجُخجخ وتنازعا الإمارة ، ثم استقرت الحال أن يكون توزون أميراً وجُخجخ صاحب الجيش ، وتصاهرا . وطمع البريدى في واسط . فأصعد إليها ، وتراسل هو وتوزون ولم يتفقا ، ثم بلغ توزون أن جُخجخ يريد الانتقال إلى البريدى فكبسه في فراشه في ليلة الثاني عشر من شهر رمضان وسمله^(٢) .

ذكر عود سيف الدولة إلى بغداد

وهربه منها

قال^(٣) : ولما هرب سيف الدولة من واسط . قصد بغداد ، وأرسل إلى المتقي بالله يطالب منه مالا ليقا تل توزون إن قصد بغداد ، فأنفذ إليه أربع مائة ألف درهم ففرقها في أصحابه . وكان وصوله في ثالث عشر شهر رمضان ، ولما بلغ توزون وصول [ابن حمدان]^(٤) سيف الدولة إلى بغداد ترك كيغلق بواسط . في ثلاثمائة رجل وأصعد إلى بغداد / ، فلما سمع سيف الدولة بإصعاده رحل من بغداد .

٨٣ - ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩١ .

(٢) استطاع مطهر بن طاهر المقدسي في كتابه « البدء والتاريخ » والمسعودي في كتابه « مروج الذهب » ومسكويه في « تجارب الأمم » أن يقدموا صوراً دقيقة لموقف الأتراك - ولا سيما توزون - من الخلافة ، وبدأ واضحا أن على الخليفة أن يستجد بأحد ، وفي ترجمة الإخشيد يقفنا ابن تترى برى على صفحات من ذلك الصراع - راجع كتاب النجوم الزاهرة

٣ : ٢٥٥ ، ٢٨٠ سيف الدولة لماريوس كانار . Canard (M) Sayfal Dawla .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩١ .

(٤) زيادة من ك ٤٧ .

ذكر امارة توزون

قال^(١) : ولما فارق سيف الدولة بغدادَ دخلها توزون ، وكان دخوله في الخامس والعشرين من شهر رمضان ، فخلع عليه المتقي لله وجعله أمير الأمراء ، وصار أبو جعفر الكرخي ينظر في الأمور كما كان الكوفي ينظر فيها . ولما سار توزون عن واسطٍ أصعد إليها البريدي ، فهرب من بها ون أصحاب توزون إلى بغداد ، فلم يمكنه المبادرة إلى واسط . حتى استقرت الأمور ببغداد ، ثم انحدر إلى واسط . في ذي القعدة ، فأتاه أبو جعفر بن شيرزاد هارباً من البريدي ، ففرح^(٢) توزون به وقلده جميع أموره .

ذكر الوحشة بين المتقي وتوزون

قال^(٣) : كان محمد بن ينال الترجمان أكبر قواد توزون - وهو خليفته ببغداد - فلما انحدر إلى واسط سعى بمحمد إليه وقبّح ذكره عنده^(٤) فبلغ ذلك محمداً ، فنفر منه . وكان الوزير أبو الحسين ابن مقلة ضمن القرى المختصة بتوزون ببغداد فخر فيها جملة ، فخاف أن يطالب بها ، وانضاف إلى ذلك اتصال ابن شيرزاد بتوزون / فخافه الوزير وغيره ، وظنوا أن مسيره إلى توزون

٨٤-١

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩١

(٢) في ك ٤٧ هـ ففرح توزون به وقلده توزون جميع أموره .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩٢

(٤) في أ هـ وقبّح ذكره لله ولا معنى له ، وما هنا من الكامل ٦ : ٢٩٢ وفي ك

٤٨ هـ وقبّح ذكره عند المتقي لله .

بأنفاق من البريدي ، فاتفق الترجمسان وابن مقلة ، وكتبوا إلى ابن حمدان لينفذ عسكرياً يسير صُحْبَةَ المتقي لله ، وقالوا للمتقي : قد رأيتَ ما فعل البريديُّ معك بالأمس ، أخذ منك خمسمائة ألف دينار وأخرجتَ على الأجناد مثلها ، وقد ضمنك البريدي من توزون بخمسمائة ألف دينار أخرى رغم أنها في يدك من تركة بجكم ، وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك إلى البريدي ! فانزعج لذلك ، وعزم على الإصعاد إلى ابن حمدان ، وورد ابن شيرزاد جريدة^(١) في ثلاثمائة رجل ، فوصل في خامس المحرم . وفيها تزوج الأمير أبو منصور بن المتقي لله بابنة ناصر الدولة بن حمدان ، وكان الصداق ألف ألف درهم ، والحِمل مائة ألف دينار .

وفيها صرف ناصر الدولة أبا إسحاق القراريطي عن الوزارة وقبض عليه ، واستوزر أبا العباس ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني في شهر رجب ، ثم استوزر المتقي لله بعد إصعاد ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل أبا الحسين بن مقلة في ثامن شهر رمضان .

وفيها أرسل ملك الروم إلى المتقي لله يطلب منديلا زعم أن المسيح مَسَحَ به وجهه فصارت صورة وجهه فيه ، وأنه في بيعة الرُّها^(٢) ، وذكر أنه إن أرسل إليه أطلق عددا كبيرا

٨٤ - ب

(١) جريدة : خلا لا رجالة فيها (القاموس) وراجع أيضا R. Dozy في

Dictionnaires Arabes (I : 184)

(٢) الرها : مدينة عظيمة في جزيرة أنطوريينها وبين حران يوم .

من أسارى المسلمين ، فأحضر المتقى الله الفقهاء والقضاة واستفتاهم
فاختلفوا فيه ، فقال بعضهم إن في تسليمه غشاً ضاعاً على الإسلام ،
وبعضهم رأى تسليمه وفكاً كالأمرى أولى من بقاءه ، فقال على
ابن عيسى الوزير : إن خلاص المسلمين من الأسر والضرب والضنك
الذى هم فيه أولى من حفظ هذا المندبل ! فأمر الخليفة المتقى
الله بتسليمه إليهم وإطلاق الأسرى من بلاد الروم ، فأطلقوا^(١) !
ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

ذكر مسير المتقى الله إلى الموصل

في هذه السنة أصعد المتقى الله إلى الموصل ، وسبب ذلك
ما ذكرناه من إغراء من أغراه بتوزون وخوفه منه ووصول ابن شيرزاد
إلى بغداد في خامس المحرم جريدة ، فازداد خوف المتقى الله .
وأقام ابن شيرزاد ببغداد يأمر وينهى ولا يرجع المتقى في شيء ،
وكان المتقى قد أنفذ في طلب جيش من ناصر الدولة ليصحبه إلى
الموصل ، فأنفذهم مع ابن عمه الحسين بن سعيد ، فوصلوا إلى
بغداد ونزلوا بباب حرب . فاستتر ابن شيرزاد وخرج المتقى الله
إليهم في حرمة وأهله ووزيره وأعيان بغداد ، ولما سار المتقى
الله من بغداد ظلم ابن شيرزاد الناس وعسفهم وصادرهم / ، وأرسل
إلى توزون وهو بواسط . يخبره بذلك . فلما بلغه الخبر عقد
ضمان واسط . على البريدى وزوجه ابنته وسار إلى بغداد ، وسار

ناصر الدولة للقاء المتقى إلى تكريت فوصل في الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر وركب إليه الخليفة وأكرمه . وأصعد الخليفة إلى الموصل ، وأقام ناصر الدولة بتكريت ، وسار توزون نحو تكريت فالتقى هو وسيف الدولة بن حمدان تحت تكريت بفَرَسَخَيْن فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم انهزم سيف الدولة لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ، وغنم توزون سواده وسواد أخيه ناصر الدولة . وعادا من تكريت إلى الموصل ثم التقوا مرة ثانية فانهزم سيف الدولة وتبعه توزون ، فسار المتقى لله وبنو حمدان إلى نصيبين ودخل توزون الموصل وسار المتقى إلى الرقة ، ولحقه سيف الدولة .

وأرسل المتقى لله إلى توزون يذكر أنه استوحش منه لانصاله بالبريدى ، فإن آثر رضاه يصالح ناصر الدولة وسيف الدولة ليعود إلى بغداد ، وترددت الرسائل بين المتقى وتوزون حتى تم الصلح ، وعقد الضمان على ناصر الدولة عمّا بيده من البلاد (١) ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، وعاد توزون إلى بغداد وأقام المتقى لله عند بنى حمدان .

/ ذكر قتل أبى يوسف البريدى

٨٥- ب

في هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبى يوسف ، وسبب ذلك أن أبى عبد الله كان نفذ ما عنده من المال في محاربة بنى حمدان ومقامهم بواسط . ومحاربة توزون ، فلما رأى جُنْدُه

(١) كذا في ١ وفى ك ٤٨ هـ وعند الضمان على ناصر الدولة بن حمدان عما بيده من البلاد .

قلّة ماله مالوا إلى أخيه أبي يوسف لكثرة أمواله ، فاستقرض أبو عبد الله منه المال مرة بعد أخرى فكان يعطيه القليل من المال ويعينه ويد كر تضييمه وهوّجه وتهوّه ، فبلغ ذلك أبا عبد الله . ثم صَحَّ عنده أنه يريد القَبْضُ عليه والاستبداد بالأمر وحده ، واستوحش كلُّ منهما من صاحبه ؛ فدبّر أبو عبد الله عليه وأقام غلماناً في طريق مسقف بين داره والشط . ، فدخل أبو يوسف في ذلك الطريق فثار به العلمان فقتلوه وهو يستغيث : ياأخي قتلوني ! وهو يقول : إلى لعنة الله ! ولما قتل دفنه فثار الجند وشغبوا ظناً منهم أنه حي ، فأمر به فُنِشَ وألقاه على الطريق ، فلما رأوه سكتوا فأمر بدفنه . وانتقل أبو عبد الله إلى دار أبي يوسف ، فأخذ ما فيها ونم يحصل من مال أخيه على طائل فإن أكثره انكسر عند الناس !

ذكر وفاة أبي عبد الله البريدي

ومن قام بعده بالأمر

وفي هذه السنة في شوال مات أبو عبد الله البريدي بعد أن قتل أخاه بثمانية أشهر / واستقر الأمر بعده لأخيه أبي الحسين ؛ فأساء البصرة في الجند ، فثاروا به ليقتلوه فهرب إلى هجر واستجار بالقرامطة ، ونصب الجند أبا القاسم بن أبي عبد الله .

قال (١) : وسار أخوان لأبي طاهر مع أبي الحسين في جيش إلى البصرة ، فرأوا أبا القاسم قد حفظها صلحوا بينه وبين ابن

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩٦ .

أخيه ، وعادوا ودخل أبو الحسين البصرة ، فتجهز منها وسار إلى توزون ببغداد ، واستقام أمر أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدى .

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

ذَكَرَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُتَّقَى لِلَّهِ

إلى أَنْ خُلِعَ وَسُلِّ

كان المتقى لله قد راسل توزون في طلب الهود إلى بغداد ، وسبب ذلك أنه رأى من بنى حمدان تضجراً^(١) منه وإيثاراً لمفارقة ، فاضطر إلى مراسلة توزون . فأرسل إليه الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي في المصلح ، فلقيهما توزون وابن شميرزاد بن نهاية الرغبة فيه والحرص عليه واستوثقاهما / توزون وحلفاه للمتقى وحضر اليمين خلق كثير من القضاة والعدول ، والعباسيون والمولويون وغيرهم . وحلف توزون للمتقى والوزير ، وكتبوا خطوطهم بذلك ، وكان ذلك في سنة اثنين وثلاثين .

٨٦- ب

وكان أيضاً قد كتب إلى الإخشيد محمد بن طغج صاحب مصر يشكو إليه حاله ويستقدمه ، فقدم إليه إلى الرقة في منتصف المحرم من هذه السنة ووقف بين يديه موقف الغلمان ، ومثى بين يديه ، وحمل إلى المتقى لله هدايا جليلة وإلى الوزير أبي انحسين بن مقله وسائر الأصحاب ، واجتهد بالمتقى ليمير معه إلى مصر والشام ويكون بين يديه فلم يفعل ، فأشار عليه

(١) كذا في ف صفحة ٥١ - اوما في ١ ، ك مضطرب .

بالمقام مكانه ولا يرجع إلى بغداد وخوفه من توزون فأبى إلا
العود إلى بغداد . وَعَرَضَ على ابن مَقْلَةَ المسير معه إلى مصر
ليحكمه في جميع بلاد ، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك ، فخوفه أيضا من
توزون ، فكان ابن مَقْلَةَ يقول بعد ذلك : نصحنى الإخشيد فلم
أقبل نصيحته . ١

ثم انحدر المتقى لله إلى بغداد لأربع بقين من المحرم ، وعاد
الإخشيد إلى مصر ، فلما وصل المتقى لله إلى هيت ^(١) أقام بها
وأنفذ من يجدد اليمين على توزون ، فَحَلَفَ وسار عن بغداد لعشر
بقين من صفر للقاء المتقى لله ، فلقيه بالسندية ونزل توزون
وقبل الأرض بين يدي المتقى وقال : ها أنا قد وفيت بيمينى
والطاعة لك ! ثم وكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزلهم في مضربه
مع حرم المتقى ثم كمل له فأذهب عينيه ، فصاح وصاح
من عنده من الحرم والخدم فازتجت الأرض فامر توزون بضرب
الدباب ^(٢) فخفيت الأصوات ، وعمى المتقى ^(٣)

وانحدر توزون من القد إلى بغداد ، وكان خلع المتقى لله ومعه
في يوم السبت لعشر بقين من صفر ، فكانت مدة خلافته ثلاث
سنين وأحد عشر شهرا ، وعاش إلى أيام المطيع ، وتوفي في منتصف
شعبان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وله ستون سنة وأمر
المطيع أبا تمام الزينبي فصلى عليه وكبر خمسا ، ودفن في

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار .

(٢) الدباب : جمع دباب وهو الطبل (القاموس مادة دهب) .

(٣) راجع المتظم ٦ : ٣٣٨ .

داره ثم ابتاعها عز الدولة بختيار من ورثة بثلاثين ألف دينار فنقلوه إلى تربة بإزائها فاهتحن في الحياة وفي المات .

قال أبو الحسين عياش اجتمع في أيام المتقى إسحقاوات كثيرة ، فانه حقت خلافة بنى العباس في أيامه وانهدمت قبة المنصور الخضراء التي كان فخرهم بها ، قيل له ما كانت الإسحقاوات ؟ قال : كان يُكنى أباً إسحاق ، وكان وزيره القراريطى يكنى بأبى إسحاق ، وكان قاضيه ابن إسحاق الخرقى^(١) وكان محتسبه أبو إسحاق بن بطحان ، وكان صاحب شرطته أبو إسحاق بن أحمد أمير خراسان ، / وكانت داره القديمة دار إسحاق بن إبراهيم المصعبى وهى دار إسحاق ابن كنداج^(٢)

٨٧ - ب

وكان المتقى لله أبيض أشبهل العينين^(٣) أشقر الشعر . قال بعض المؤرخين : كان في أيامه غلاء وشدة حتى بيع كُر الحنطة بمائتين وعشرة دنانير ، وخرج عدة من الخدم من قصر الخلافة بالرصافة ينادون : الجوع الجوع^(٤) وكان نقش خاتمه « المتقى لله » .

ولده ولى عهده : أبو منصور ، وزراؤه : قد تقدم ذكرهم في في أنباء دولته ، ولم يكن لهم من الأمر شيء على ما قدمناه

(١) في ١ ، ك صفحة ٥٠ ، ف صفحة ٥١ - ب « الحرمى » وما هنا عن النجوم الزاهرة ٢٧٤ : ٣ والمنظم ٦ : ٣١٩ : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى ، كان من وجه البرازين بباب الطاق فمجب الناس لتقلده القضاء .

(٢) راجع الخبر في المنظم ٦ : ٣١٨ .

(٣) الشبل : تشرب الحديقة حمرة ، فهو أقل من الزرق (المسمى) وأحسن منه كما يقول صاحب القاموس (باب اللام فصل الشين) .

(٤) ورد الخبر باختلاف يسير في المنظم ٦ : ٣١٨ وأورده كما هنا ابن قنرى برهوى في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٣ .

قضااته : أبو نصر يوسف بن عمر ، ثم أخوه أبو محمد الحسين ،
 ثم محمد بن عيسى بن إبراهيم ، ثم أبو طاهر محمد بن أحمد بن
 نصر ، ثم أبو الحسن أحمد بن أبي موسى .
 حجابيه : سلامة الطولوني مولى خمارويه ، ثم بدر الخرهني (١)
 ثم أحمد بن خاقان . الأمير بمصر : الإخشيد محمد بن طغج .
 القضاء بها : عبد الله بن الوليد ، ثم محمد بن بدر ، ثم أبو الذكر
 التمار ، ثم الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق ، ثم أحمد بن
 عبد الله الليثي ، ثم عبد الله بن وليد .

ذكر خلافة المستكفي بالله

٨٨ / هو أبو القاسم عبد الله بن المكنفي بالله أبي محمد علي
 ابن المعتض بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله بن المتوكل
 على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق
 محمد بن هارون الرشيد أبي محمد بن المهدي أبي عبد الله محمد
 ابن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهم . يجتمع هو والمتقي لله في المعتضد بالله ، وأمه أم
 ولد اسمها ثمن ، وهو الخليفة الثاني والعشرون من الخلفاء العباسيين ،
 بويج له بعد خلع المتقي لله لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين
 وثلاثمائة .

(١) في ١ ، ف ١٥ - ب ، ك صفحة ٥٥ « الجوهري » مع النقط والضغط ، وهو
 ليس كذلك لأنه ينسب إلى خرشة (بلد قرب ملطية في الروم) فيقال له الجوهري على
 هذا قلنا .

قال^(١) : ولما قبض توزون على المتقى أحضر المستكفي إلى
 المستشفى وباعه هو وعامة الناس ، وكان سبب البيعة له ما حكاه
 أبو العباس التميمي الرازي وكان من خواص توزون قال : أنا كنت
 السبب في البيعة للمستكفي ، وذلك أنني دعاني إبراهيم بن
 الزوييندار^(٢) الديلمى فمضيت إليه ، فذكر لي أنه تزوج إلى قوم
 وأن امرأة منهم قالت له : « إن هذا المتقى قد عاداكم وعاديتهمود
 وكاشفكم ولا يصغوا قلبه لكم ، وها هنا رجل من أولاد الخلفاء من ولد
 المكتفى ، وذكرت عقله ودينه » تنصبونه للخلافة فيكون صنيعكم
 وغرسكم ، ويدلكم على أموال جليلة لا يعرفها غيره ، وتستريحون من
 الخوف والحراسة » قال - فعلمت أن هذا أمر لا يتم إلا بك ، فدعوتك
 له فقلت : أريد أسمع كلام المرأة ، فجاءني بها فرأيت امرأة عاقلة جزلة
 فذكرت لي تحوا من ذلك ، فقلت : لا بد أن ألقى الرجل ! فقالت :
 تعود [غذا]^(٣) إلى هاهنا حتى أجمع بينكما فملت من القدر
 فوجدته قد أخرج من دار ابن طاهر في زى امرأة فعرفني نفسه
 وضمن لي إظهار ثمانمائة ألف دينار منها مائة ألف لتوزون ، وذكر
 وجوهها وخاطبني خطاب رجل فهم عاقل ، ورأيت به ينشيع - قال -
 فتأيت توزون فتخبرته فوقع الكلام بقلبه وقال : أريد أبصر
 الرجل ! فقلت : لك ذلك ، ولكن اكتم أمرنا من ابن شير زاد [فقال :

٨٨ ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣٠١ .

(٢) في الكامل الزويندار ، وفي تجارب الأمم : الزينيد .

(٣) إضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢ .

أفعل !] ^(١) - قال - وعدت إليهم وأخبرتهم الذي جرى ،
ووعدهم حضور توزون من الغد ، فلما كان ليلة الأحد لأربع
عشرة خلت من صفر مشيت مع توزون مُستَخْفِيَيْن واجتمعنا به ،
وخاطبه توزون وبأبعه تلك الليلة وكم الأمر . فلما وصل المتقى
قلت لتوزون : أنت على ذلك العزم ؟ قال : نعم ! قلت : فافعله
الساعة فإنه إن دخل الدار بعد عليك مرأته ، فوكل به وسمله وجرى
ما جرى ، وبويع للمستكفي بالخلافة ، وأحضر المتقى فبايعه وأخذ منه
البردة والقضيب ، وصارت تلك المرأة قهرمانة المستكفي وسمت نفسها
« علم » وغلبت على أمره كله ، واستوزر المستكفي بالله أبا الفرج محمد
ابن علي السامري ^(٢) يوم الأربعاء لست بقين من صفر منها ولم يكن
[له] ^(٣) غير اسم الوزارة ومغناها لابن شيرزاد ، ثم قبض عليه المستكفي
في شهر ربيع الآخر وصادره على ثلاثمائة ألف درهم فكانت وزارته اثنين
وأربعين يوما .

قال ^(٤) : وخلق المستكفي بالله على توزون وتوجه ، وطلب
أبا الفضل بن المقتدر بالله - وهو الذي ولي الخلافة ولقب المطيع لله -
لأنه كان يعرفه يطلب الخلافة فاستتر مدة خلافة المستكفي بالله
فهدمت داره حتى لم يبق منها شيء .

(١) الإضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣٠٢ وفيه « محمد بن علي السامري »

(٣) إضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣٠٢

ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

في هذه السنة في المحرم لَقِبَ المستكفي بالله نفسه إمام الحق ،
وضرب ذلك على الدنانير والدراهم ، وكان يُخَطَّب له بلقبين إمام
الحق والمستكفي بالله .

ذكر وفاة توزون وامارة ابن شيرزاد

في هذه السنة في المحرم مات توزون ببغداد ، وكانت مدة
إمارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً . ولما مات كان ابن
شيرزاد كاتبه ببغداد بهيت ليخلص أموالها ، فلما بلغه الخبر أراد
عقْدَ / الإمارة لناصر الدولة بن حمدان فاضطرب الجند ، وعقدوا
الرياسة عليهم لابن شيرزاد فعاد إلى بغداد ونزل بباب حرب (١)
في مستهل صفر . وخرج إليه الأجناد جميعهم وحلفوا له ووَجَّهَ إلى
المستكفي بالله ليحلف له فأجابته إلى ذلك ، وحلف له بحضور القضاة
والعدول ودخل إليه وولاه إمرة الأمراء . فزاد الأجناد زيادة كثيرة
فضاقت عليه الأموال ، فأرسل إلى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال
زيعده برَدَ الرياسة إليه ، فأرسل له خمسمائة ألف درهم ففرقها في
عسكره فلم تُغْنِ شيئا ، فقسط. أرزاق الجُند على العمال والكتاب
والتجار وغيرهم ، وظلم الناس ببغداد . واستعمل على واسط. ينال
كوشة وعلى تكريت الفتح يشكري ، فأما ينال فإنه كاتب معز
الدولة بن بويه واستقدمه وصار معه ، وأما الفتح فإنه التحق بناصر
الدولة بن حمدان وصار معه فأقره على تكريت .

٨٩- ب

(١) أخذ أبواب بغداد المشهورة .

ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد

قال (١) : لما كاتب ينال كوشة معز الدولة بن بويه وهو بالأهواز ودخل في طاعته مسار نحوه ، فاضطرب الناس فلما وصل إلى باجسري (٢) اختفى المستكفي بالله وابن شيرزاد فلما استترا مسار الأتراك إلى الموصل ، فلما بعدوا ظهر المستكفي بالله وعاد إلى دار الخلافة . وقدم أبو محمد الحسن بن محمد المهدي صاحب معز الدولة إلى بغداد فاجتمع بابن شيرزاد بمكانه الذي استتر فيه ، ثم اجتمع بالمستكفي بالله فإظهار السرور بقدوم معز الدولة بن بويه وأعلمه أنه إنما استتر من الأتراك ليتفرقوا ليحصل الأمر لمعز الدولة بغير قتال .

ثم وصل معز الدولة إلى بغداد لإحدى عشرة خات من جمادى الأولى فنزل بباب الشماسية ودخل من الغد إلى المستكفي وبإيعه ، وحلف له المستكفي . وسأله معز الدولة أن يأذن لابن شيرزاد بالظهور وأن يأذن له أن يستكتبه فأجابه إلى ذلك ، فظهر ولقى معز الدولة فولاه الخراج وجباية الأموال . وخلع الخليفة على معز الدولة ولقبه بهذا اللقب ، وأمر بضرب ألقابه وألقاب إخوته وكنائهم على الدنانير والدراهم (٣) . ونزل معز الدولة بدار مؤنس ، ونزل أصحابه

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣١٤ .

(٢) باجسري : بلدة في شرق بغداد بينها وبين حلوان على عشرة فراسخ من حلوان وهي عامرة نزهة كما يقول ياقوت .

(٣) قال ابن تقي بردي أبو الحسن في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٨٥ هـ هو أول من ملك من الديلم من بني بويه .

فی دور الناس فتال الناس من ذلك شدة عظيمة وصار رسماً عليهم وهو أول من فعله ببغداد ، ولم يعرف بها قبله .

وأقيم للمستكفي بالله في كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته ، وكانت ربما / تأخرت عنه فأقرت له بعد ذلك ضياع سُلِّمت إليه تولاهما ٩٠ - ب له أبو أحمد الشيرازي كاتبه !

ذكر خلع المستكفي بالله وسمله

في هذه السنة خلع المستكفي بالله لثمان بقين من جمادى الآخرة ، وكان سبب ذلك أن علم القهر مائة صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم والأتراك ، فاتهما معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ البيعة للمستكفي بالله ويزيلوا معز الدولة ، فساء ظنه لذلك . فلما كان في التاريخ المذكور حضر معز الدولة والناس عند الخليفة ، وحضر رسول صاحب خراسان ومعز الدولة جالس ، ثم حضر رجلان من نُقباء الديلم فتناولوا يد الخليفة فُضَّ أنهما يريدان يُقبِّلان يده ، فجذباه عن سريبه وجعلتا عمامته في حلقه .

ونَهَضَ معز الدولة ، واضطرب الناس وأخرج الديلميان المستكفي بالله إلى دار معز الدولة ماشياً واعتُقل بها ، ونُهِّبَت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء ، وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي وأخذت علم القهر مائة فقطع لسانها . وكانت مدة خلافة المستكفي بالله سنة واحدة وأربعة أشهر وما زال مغلوباً / على أمره . ١٩١ -

ولما بويع للمطيع لله سُلِّمَ إليه المستكفي فسمله ، وبقي محبوباً إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وله ست

وأربعون سنة . وكان أبيضَ حسنَ الوجه قد وَخَّطَهُ الشَّيْبُ ، وَلَقِبَ نفسه في آخر سنة ثلاثٍ وثلاثين إمامَ الحق ، ونقشته على الدنانير والدراهم وقد تقدم ذكر ذلك ، وكان نَقْشُ خاتمه « المستكفي بالله » .

وزراؤه: محمد بن علي السامري وهو آخر من دُعِيَ بالوزارة ، ثم استكتب أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي . قضاته في الجانبين : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخَرَقِي وَقَلَّدَ محمد بن أبي الحسن بن أبي الشوارب [الجانب] (١) الشرقي والمدينة ثم صرفه عن الشرقي بآبي الطاهر محمد بن أحمد بن نصر ، وعن المدينة بآبي السائب عُتْبَةَ بن عبد الله الهمداني ، ثم جمع لعتبة الجانبين بعد وفاة ابن أبي موسى ، وجعل المدينة إلى محمد بن صالح بن شيبان الكوفي الهاشمي . حاجبُه : أحمد بن خاقان . الأمير بمصر : الإخشيد بن طنج . القضاة بها : الحسين بن عيسى بن هارون ، ثم الوليد من قبل المستكفي .

ذكر خلافة المطيع لله

هو أبو القاسم الفضل وقيل أبو العباس بن المقتدر بالله / أبي الفضل جعفر بن المعتض بالله أبي العباس أحمد ، وأُمُّه أم ولد ٩١-ب اسمها مشعلة ، وهو الخليفة الثالث والعشرون من الخلفاء العباسيين بويج له يوم خلع المستكفي ، وهو يوم الخميس الثمان بقين من جمادي الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان مستترا كما قد مناه من

(١) زيادة يقتضها السياق .

أول خلافة المستكفي بالله . فلما قديم مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى بغداد قيل إن المطيع انتقل إليه واستتر عنده وأغراه بالمستكفي بالله حتى قبض عليه وشجله ، وبويع للمطيع بالله ولقب بهذا اللقب ، وحضر المستكفي عنده فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع .

وزاد أَمْرُ الخلافة إِدْبَاراً ولم يَبْقَ لهم من الأمر شيء أَلْبَتَةً ، وقد كانوا يرجعون قبل ذلك والحرمة قائمة بعض شيء ، فلما كان في أيام مُعِزِّ الدَّوْلَةِ زال ذلك جميعه بحيث إن الخليفة لم يَبْقَ له وزير ، إنما كان له كاتب يدبر إقطاعه وأخراجاته لا غير . وصارت الوزارة إلى معز الدولة يستوزر لنفسه من يريد ، وكان الديلم يغالون في التشيع (١) ويعتقدون أن بني العباس قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها فلم يكن باعث ديني يحشهم على الطاعة حتى قيل إن معز الدولة قصد إخراج الأمر عن بني العباس والبيعة للمعتز لدين الله العلوي أو لغيره / من العلويين . ١-٩٢

واستشار جماعة من خواص أصحابه فكلهم أشار عليه بذلك إلا بعض خواصه ، فإنه قال : ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أدل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجاست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافتهم ولو أمرتهم بقتله لقتلوك ! فاعرض عن ذلك .

ومن حيث استقل مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بالأمر اختصرنا الأخبار في أيام

(١) راجع ابن حنبل في فضيل الأتراك على سائر الأجناد صفحة ٣٢ .

الخلفاء ، ونذكر ذلك في أخبار الدولة البويهية وغيرها من الدول ، فإن الأمر والنهي صار لهم دون الخلفاء ، ولم يبق للخليفة من الأمر شيء إلا ما أقطعه له مُعِزُّ الدولة ما يقوم بِنَقْضِ حاجته . فالذي نذكره الآن في أيام الخلفاء بنى العباس ما يتعلق بحال الخليفة وأتباعه وأقاربه ومن خرج عليه من أهل بيته ، وننبه على ابتداء دول الملوك وانقراضها ونحيل عليها في موضعها الذي تشرح فيه ، ونذكر أيضا في أيام الخلفاء ما غلب عليه الروم والفرنج من البلاد الإسلامية وما وقع من الحوادث العامة كالزلازل العظيمة والسيول ، وما يناسب ذلك على ما يراه المطالع في مواضعه إن شاء الله تعالى .

/ وفي هذه السنة توفي القائم بن المهدي صاحب إفريقية والمغرب ، ٩٢ - ب
وولي بعده ابنه المنصور .

وفيهما توفي الإخشيد صاحب مصر والشام وولي بعده ابنه أبو القاسم ودبر الأمر كافور الخادم بمصر^(١) ، واستولى سيف الدولة بن حمدان على دمشق .

وفيهما اشتد الغلاء ببغداد حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنانير ، وأخذ بعضهم ومعه صبي قد شواه لياكله ، وأعقبه وباء حتى عجز الناس عن دفن موتاهم فكانت الكلاب تأكل الناس والناس تأكل الكلاب .

(١) في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٩١ هـ : أنوجور بن الإخشيد محمد بن جف الفرغانى ، وأنوجور اسم أصحى معناه محمود ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٢١٣ هـ أبوجور ، ، وكان كافور المذكور يطلق في كل سنة لابن أستاذة أربعمائة ألف دينار ويصرف هو فيما يبق من أمواله .

قال أبو الفرج بن الجوزي ^(١) : وفي هذه السنة كثر القملُ برستاق اليمن الكبرى ^(٢) حتى يثس الناس من غلاتهم فانحط. من الطير طائر يزيد على جرم العصفور ، فكان الطائر يعلمو على شجرة فيصفقر فتطير الطير أفواجا ، فينحط. كل فوج منها على ضيعة فيلقط. القمل حتى فني !

ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . في هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم على يد نصير الثملي ^(٣) أمير الثغور لسيف الدولة ، وكان عدة الأسرى ألفين وأربعمائة أسير وثمانين أسيرا . وفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة استولى معز الدولة بن بويه على البصرة وهرب أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي منها إلى هجر إلى القرامطة ، ثم استأمن بعد ذلك ، ووصل إلى بغداد في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فأحسن إليه وأقطعه .

٩٣ - ١

وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ملك الروم مرعش من سيف الدولة بن حمدان ، وكان قد قاتلهم فهزموه .

وفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة كانت وفاة عماد الدولة أبي الحسن على بن بويه بمدينة شيراز ^(٤) .

(١) في كتابه المنتظم ٦ : ٣٤٥ .

(٢) هكذا في سائر النسخ ، وفي المنتظم « برستاق التيرة الكبرى »

(٣) في ك ٥٣ « نصر الثمل » وفي ٥٤ - ١ « الثمل » وفي البداية والنهاية

١١ : ٢١٦ « نصير الثمل » .

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٢٢١ عنه إنه أول من ملك البويهيين وكان

عاقلا حسيده السيرة ، بمكسر من الدولة الذي حكى أبو الفرج أن العامة كانت تشبهه شيئا مرفعا

(المنتظم ٦ : ٣٤٩) .

ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة شرفها الله تعالى وقالوا : أخذناه بأمرٍ وأعدناه بأمرٍ ! وكان بجكم قد بذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يجيبوا إلى رده وردوه الآن بغير شيء في ذي القعدة ، وكانوا أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان مكته عندهم اثنتين وعشرين سنة . ولمسا أرادوا رده حملوه إلى الكوفة وعلقوه بجامعها ، حتى رآه الناس ثم حلوه إلى مكة ^(١) .

وفي سنة تسع وثلاثين أيضا توفي أبو نصر محمد بن القاراني الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف ، وكانت وفاته بدمشق .

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة توفي المنصور العلوي صاحب المغرب / ، وملك بعده ابنه العزيز الدين الله .

٩٣ - ب

وفيها ملك الروم مدينة سروج ^(٢) وسبوا أهلها وغنموا أموالهم وخربوا المساجد .

وفي سنة ست وأربعين نقص البحر ثمانين باعا فظهر فيه جبال وجزائر لم تعرف قبل ذلك . وفيها كان بالعراق وبلاد الجبل وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوما ، تسكن

(١) وقف ابن تقي يردى عند هذه الحادثة وقفة شحسة طويلة ، وقدم دفاها عن الحق وفند حجج القرامطة بمنطق سليم (النجوم الزاهرة ٣ : ٣٠١ ، ٣٠٢) .
(٢) بلدة قريبة من حران في ديار مصر (معجم البلدان) .

وتعود ؛ فتهلّمت الأبنية ، وغارت المياه وهلك تحت الرّدم ما لا يحصى من العالم ، وكذلك كانت أيضا بالرّى والطاقان^(١) .

ذكر ظهور المستجير بالله

وفي سنة تسعم وأربعين وثلاثمائة ظهر بأذربيجان رجل من أولاد عيسى بن المكتفى بالله وتلقّب بالمستجير بالله وبابيع اللوصى من آل محمد ، ولبس الصّوف ، وأظهر العدل ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر . وكثر أتباعه واستفحل أمره . فسار إليه جستان^(٢) وإبراهيم ابنا المرزيان صاحب أذربيجان وانتقوا فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب المستجير وأخذوه أسيراً فعدم فقيلاً إنه مات ! وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خرگاه^(٣) .

ذكر ضمان الحسبة والقضاء والشرطة ببغداد

وفي سنة خمسين وثلاثمائة مات القاضي أبو المسائب^(٤) عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه وتولى قضاء القنّاء أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب ، وضمن أن يؤدى في كل سنة مائتي ألف درهم ولم يسمع بشئ ذلك فيما سلف ! فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول إليه ، وأمر أن لا يحضر المركب لئلا ارتكبه من ضمان القضاء ، ثم ضمنت الحسبة والشرطة . ثم عزل ابن أبي الشوارب عن

٩٤ - ١

(١) الطالقان ؛ يقول ياقوت : إنها بلدتان إحدهما بخراسان بين مرو الروذ وبلغ بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل ، وقال الاصطخرى : الطالقان أكبر مدينة بطخارستان

(٢) في ك صفحة ٥٤ « حسان » وفي غير منقوطة رماها عن ف صفحة ٥٤ - هـ

(٣) بالفارسية خارقاه ومعناها الحيمة الكبيرة .

(٤) في ك ٥٤ « أبو الشائب » وفي غير منقوطة رماها عن ف صفحة ٥٤ - ا .

القضاء وأمر بإبطال أحكامه وسجلاته ، وذلك في سنة اثنتين وخمسين
وتقلد القضاء بعده أبو بشر بن أكرم بغير ضمان

ذكر استيلاء الروم على عين زربة

وما حولها من الحصون

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة في المحرم نزل الدمستق بالروم
على عين زربة ^(١) ، وهي في سفح جبل عظيم والجبل مشرف عليها .
وكان في جمع عظيم ^(٢) فأنفذ بعض عسكره ، فصعدوا الجبل
وملكوه . فلما رأى أهلها ذلك وأنّ الدمستق قد ضيق عليهم ووصل
إلى السور وشرع في التقرب طلبوا الأمان ، فأمنهم الدمستق
ففتحوا أبواب المدينة فدخلها ، فرأى أصحابه الذين في الجبل نزلوا
إلى المدينة فندم على إجابتهم إلى / الأمان ونادى في البلد أن يخرج أهله
إلى المسجد الجامع ومن تأخر في منزله قتل .

٩٤-ب

وكان ذلك في أول الليل ، فخرج إلى الجامع من أمكنه الخروج ،
فلما أصبح أنفذ رجاله إلى المدينة وأمرهم بقتل من يجدونه في منزله ،
فقتلوا خلقا كثيرا . ثم أمر من بالمسجد أن يخرجوا من البلد حيث
شاءوا ، فخرجوا على وجوههم لا يرون أين يتوجهون فماتوا في الطرقات .
وقتل الروم من وجدوه بالمدينة إلى آخر النهار ، وهدم سور المدينة .
وأقام الدمستق في بلاد الإسلام واحداً وعشرين يوما ، وفتح حول
عين زربة أربعة وخمسين حصنا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها

(١) هكذا في الأصل وفي أكثر المصادر ، وعين زربي ، بألف مقصورة .

(٢) كان مائة وستين ألفا يقول ابن تقي بردي (النجوم الزاهرة ٣ : ٣٣١) .

بالأمان ، فلما أدركه المصوم انصرف على أن يعود بعد العيد ، وخلف جيشه بقيسارية وراسله أهل بفراس^(١) وبذلوا له مائة ألف درهم فآثرهم وترك معارضتهم .

وهيها استولى الدمستق على مدينة حلب وعاد عنها ، على ما نذكره في أخبار ابن حمدان .

ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس

كان استيلاؤهم عليهما في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وذلك أن الدمستق حصر المصيصة في سنة ثلاث وخمسين^(٢) وقاتل أهلها ونقب أسوارها واشتد القتال وأحرق الروم رستاقها /ورستاق^(٣) أذنه وطرسوس لمساعدتهم أهلها : وتُئيل من المسلمين خمسة عشر ألف رجل . ثم ضاقت العيرة على الروم فرحل الدمستق إلى بلاد الروم ، وأرسل إلى أهل المصيصة وأذنه وطرسوس « أنى منصرف عنكم لا إيجز ولكن لضيق العلوقة وشدة الغلاء ، وأنا عائد إليكم ، فمن انتقل منكم فقد نجى ومن وجدته بعد عودى قتلته^(٤) .

٩٥-١

(١) بفراس : مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ (الفرسخ نحو ثلاثة أميال) على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب .

(٢) راجع الخبر في الكامل ٧ : ١١ .

(٣) ذكر ياقوت الحموى عن حمزة بن الحسن أن الرستاق فارسي مشتق من روزه فستا ، وروزه اسم للسطر والصف والسماط ، وفستا اسم للحال . فالمنى أنه على التسطير والنظام ، ولكنه لا يوافق على ذلك ويقول بالحرف الواحد « إنهم يمتنون بالرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ، ولا يقال ذلك للبدن كالبصرة وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد ، وهو أخص من الكورة » راجع معجم البلدان صفحة ٣٨ (ط . دار صادر بيروت) .

(٤) راجع الكامل ٧ : ٩ .

ونزل ملك الروم أيضا على طرسوس وحصرها وجري بينه وبين أهلها حروب كثيرة مقط. في بعضها الدهم. متق ابن الشمشقيق^(١) إلى الأرض وكاد يؤسر فقاتل عليه الروم وخلصوه. وأسر أهل طرسوس بطريقا كبيرا من بطارقة الروم ، ورحل الروم عنهم لاشتداد الغلاء والعناء .

وكان نقفور^(٢) ملك الروم قد بنى بقبصارية^(٣) مدينة وأقام بها بأدله ليقرّب من بلاد الإسلام ، فلما كان في سنة أربع وخمسين أرسل أهل طرسوس والمصيصة إليه يبذلون الطاعة ويطلبون منه أن يُنفذ إليهم بعض أصحابه ليقسم عندهم ، فعزم على إجابتهم إلى ذلك فأتاه الخبر أنهم قد ضعفوا وعجزوا وأنهم لا ناصر لهم وأن الغلاء قد امتد عندهم وعدموا القوت وأكلوا الكلاب والميتة وكثر فيهم الوباء فيموت منهم في اليوم ثلاثمائة نفس ، فرجع نقفور عن إجابتهم وأحضر الرسول وأحرق الكتاب على رأسه فاحترقت لحيته وقال لهم : أنتم كالحية في الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت ، فإن أخذها إنسان وأحسن إليها وأدفاها انتعشت ونهشت ، وأنتم إنما أطعتم لضعفكم ، وإن تتركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذنت بكم !

(١) كذا في ف صفحة ٥٥ - ب وفي « الشمشقيق » .

(٢) كذا في ف صفحة ٥٦ - ا وفي ا بلا نقط وفي ك ٥٤ ، ٥٥ « نقفور » .

و « نقفور » والرسم الأخير هو ما اختاره ابن الأثير في الكامل في حين رسمه ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٢٤٣ بالنون بزيادة ألف ولام « النقفور » .

(٣) قال السام الخليل في شذرات الذهب ٣ : ١٣ « وقيل قيصرية » .

وأعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار إلى المصيصة بنفسه ،
فحاصرها وفتحها عنوة يوم السبت ثالث عشر شهر رجب سنة
أربع وخمسين وثلاثمائة ، ووضع السيف في أهلها فقتل منهم مقتلة
عظيمة . ثم أمر برفع الديف عنهم ، ونقل كل من بقى منهم إلى بلد
الروم ، وكانوا نحو مائتي ألف إنسان . ثم سار إلى طرسوس فحاصرها
فأذعن أهلها بالطاعة وطلبوا الأمان فأتتهم ، وفتحوا له البلد فلقبهم
بالجميل وأمرهم أن يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون حمله
ف فعلوا ذلك برا وبحرا ، وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا أنطاكية .

وجعل الملك المسجد الجامع إسطيلا لدوابه ، وأحرق المنبر ،
وعمر طرسوس وحصنها ، وجلب إليها الميرة حتى رخصت الأسعار
ورجع إليها كثير من أهلها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم ،
وأراد المقام بها ليقرب من بلاد الإسلام ثم عاد إلى القسطنطينية .
وأراد الدمستق وهو ابن الشمشقيق أن يقصد ميافارقين وبها سيف
الدولة بن / حمدان فأمره الملك باتباعه إلى القسطنطينية فمضى إليه .
ثم فتح نفقور أذنه .

١-٩٦

وفي سنة أربع وخمسين أيضا قتل المتنبي الشاعر واسمه أحمد
بن الحسين الجعفي^(١) بالقرب من النعمانية وقتل معه ابنه ، وكان
قد عاد من عند عضد الدولة بفارس فقتله الأعراب وأخذوا ما معه .

(١) راجع الكامل ٧ : ١٦ وبها شه أنه ولد في كندة الكوفة ، وفي النجوم الزاهرة أنه ادمى
النوبة (٣ : ٣٤٠) سنة ثلاث وثلاثمائة ، وفي البداية والنهاية ١١ : ٢٥٧ أنه زعم أن
قرأنا نزل عليه منه « والنجم السيار والفلك النوار والليل والنهار ، إن الكافر لن يفسد » .

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة كانت وفاة معز الدولة بن بويه وولاية ابنه عز الدولة بختيار على ما ذكره في أخباره . ومات وشمكير بن زيار ، والحسن بن الفيرزان ، وكافور الإخشيدى (١) ، ونقفور ملك الروم ، وأبو علي محمد بن إلياس صاحب كرمان ، وسيف الدولة بن حمدان .

وفيها توفي أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني الأموي ، وهو من ولد مروان بن الحكم وكان شيعيا وهذا من العجب ، وهو صاحب كتاب الأغاني (٢) .

ذكر البيعة لأحمد بن المستكفي

وما كان من أمره

وفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (٣) ظهر ببغداد بين الخاص والعام دعوة إلى رجل من أهل البيت اسمه محمد بن عبد الله ، وقيل إنه الرجل الذي وعد به النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنه بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحدد ماعفى من أمور الدين ، فمن كان من السنة قال : إنه عباسي : ومن كان من الشيعة قال : إنه

٩٦-ب

(١) كان صاحب مصر في هذا العهد ، اشتراه الإخشيد وجعله أتابك ولده من بعده والمعتز المذكور ملحق فيه وهجاء .

(٢) كان يحفظ من الأغاني والأشعار والأخبار والآثار ما يدل على سعة علمه ، وقيل إنه سلب كتابة مؤلفين غيره ، وقيل كان يمتك مكتبة أعانتة على إثبات الأحاديث المستندة والنسب والروايات الصحيحة والمغازي المختلفة والخرافات العجيبة ، وقد أضاف ذلك كله إلى كتابه في خمسين سنة !

(٣) فات النويري أن يذكر وفاة معز الدولة الذي حطم كبرياء الخلافة وأظهر الرقص وخلع خليفة وسجن آخر (راجع تجارب الأمم ٢ : ٨٦ وما بعدها ، البداية والنهاية ١١ :

٢٦٢ ، المنتظم ٦ : ٤٣٢ ، ٣٩٠ : ٧ ، ٣٩٠ ، ومواضع مختلفة في كتاب براون

La Domination des Dailamites; p. 11, 12, 13 (Paris 1932) A Literary History of Persia (Cambridge 1928)

علوي . فكثرت دعائته وظهرت بينعته ، وكان الرجل بعصر وقد أكرمه كافرؤ الإخشيدى وأحسن إليه . وكان فى جملة من بايع له مسبككنين العجمى (١) من أكابر قواد معز الدولة وكان يتشيع فظنه علويا ، فكتب إليه يستدعيه من مصر . فسار حتى بلغ الأنبار ، وخرج مسبككنين إلى طريق الفرات وهو يتولى حمايتها فلقى ابن المستكفى وترجل له وخدمه وأخذه ، وعاد به إلى بغداد ودولا يشك فى حصول الأمرله . ثم ظهر لمسبككنين أنه عباسى فعاد عن رأيه فيه ، فخاف ابن المستكفى وهرب هو وأصحابه وتفرقوا ، ثم أخذ معه أخ له وأخضرا عند بختيار فأمنهما ثم تسلمه المطيع لله من بختيار فجَدع أنفه ، ثم خفي خبره (٢) .

وفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة انقطعت الدعوة العباسية من الديار المصرية والشامية ، وقامت الدعوة العلوية بها للمعز لدين الله صاحب أفريقية والمغرب ، على يد جوهر القائد غلام المنصور ووالد المعز عني ما نذكره . - إن شاء الله تعالى - فى أخبار الدولة العبيدية .
وفيهما مات ناصر الدولة بسن حمدان (٣) .

١ / ذكر ما فعله الروم بالشام والجزيرة

٩٧ - ١

فى هذه السنة دخل ملك الروم الشام فلم يخنه أحد ولا قاتله ، فسار فى البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدها ، وملك قلعة عرقة . وكان

(١) Sabuktakin فى تاريخ البيهقى الذى ترجمه الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت صور عن هذا الأمير (ص ٩٨ ، ١٠٢ ، ٢١٥ وما بعدها) .

(٢) راجع الكامل ٧ : ٢٧ ويقول ابن تفرى بردى : وفيها ملك جوهر القائد العبيدى مصر وخطب لبني عبيد (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦) .

(٣) كان صاحب الموصل ونواحيها .

صاحب طرابلس قد أخرجه الروم لشدّة ظلمه ، فقصده عرقة فأخذه الروم وجميع ماله ، وقصد ملك الروم حصن وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها ، فأحرقها الروم ورجع إلى بلد الساحل ، فأتى عليها نهباً وتخريباً وملك ثمانية عشر شهراً وما لا يحصى من القرى ، وأقام بالشام شهرين يقصد أى موضع شاء ويخرب ما شاء فلا يذمه أحد ، وعاد إلى بلاده ومعه من السبي نحو مائة ألف رأس ولم يأخذ إلا الصبيان والصبايا والشباب ، وأما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من أطلقه ، وسير سرية إلى بلاد الجزيرة فبلغوا كفر توثا وتعصبوا وسبوا وأحرقوا وعادوا .

ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية

وفى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة أنطاكية ، وسبب ذلك أنهم حصروا حصناً بالقرب منها يقال له حصن لوقا ، فوافقوا أهله وهم نصارى على أن يرتحلوا منه إلى أنطاكية ، ويظهر أنهم / انتقلوا منه خوفاً من الروم فإذا صاروا بأنطاكية أعانهم على فتحها . وانصرف الروم عنهم بعد هذا التقرير ، وانتقل أهل الحصن ونزلوا بأنطاكية بالقرب من الجبل الذى بها . فلما كان بعد انتقاليهم بشهرين وافى الروم مع أخى نقفور وكانوا نحو أربعين ألف رجل ، فأحاطوا بالسور وصعدوا الجبل إلى الناحية التى بها أهل الحصن فأخلوا لهم السور ، فملكه الروم وملكوا البلد ووضعوا السيف فى أهله ، ثم أخرجوا العجائز والأطفال والمشايخ من البلد وقالوا لهم : اذهبوا حيث شئتم ! وأخذوا الشباب من الرجال والنساء

والصبيان والصبايا فحملوهم إلى بلاد الروم سبياً ، وكانوا يزدون على عشرين ألف إنسان .

قال (١) : وأنفذ الروم جيشاً كثيفاً إلى حلب وبها قرعوية غلام سيف الدولة بن حمدان قد تغلب عليها ونزع يده من طاعة أبي الهادي بن سيف الدولة ، فملك الروم المدينة دون القلعة وحصروا القلعة ، وترددت الوسائط والرسائل بينهم وبين قرعوية ، فاستقر الأمر على هدنة مؤبدة على مالٍ يحمله قرعوية إليهم وأن يكون الروم إذا أرادوا الغزو لا يمكن قرعوية أهل القرى عن الجلاء عنها لبيتاغ الروم ما يحتاجون إليه منهم . وكان مع حلب في الهدنة حماه وحمص وكفرطاب / والمعرة وأقامية وتبزر (٢) وما بين ذلك من الحصون والقلاع والقرى ، وسلموا الرهائن إلى الروم ، وعادوا عن حلب .

٩٨ - ١

ذكر ملك الروم ملاز كرد

وفيهما أرسل الروم جيشاً إلى ملاز كرد من أعمال أرمينية ، فملكها عنوة وقهراً من المسلمين ، وعظمت شوكتهم ، وخافهم المسلمون في أقطار البلاد .

ذكر مقتل ملك الروم نقفور

وفي سنة تسع وخمسين وثلثمائة قتل نقفور ولم يكن من أهل بيت المملكة ، وإنما كان دمستقا والد مستق عندهم الذي يلي بلاد

(١) ابن الأثير الكامل في ٧ : ٣٧ .

(٢) كل هذه من قرى الشام وبلاد ، وقد بسط الخبر عنها ابن كثير في البداية والنهاية

الروم التي هي شرقي خليج قسطنطينية . وكان نقفور هذا شديداً على المسلمين ، وهو الذي فتح طرسوس والمصيصة وأذنه وعين زربة وغيرها ، ولم يكن نصراني الأصل وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن الفقاس (١) تنصر ، وكان ابنه هذا شهيداً شجاعاً حسن التدبير لما يتولاه . فلما عظم أمره وصار دمستقا قتل الملك الذي كان قبله وملك الروم بعده ، وتزوج امرأة الملك المقتول على كُرْدٍ منها وكان لها ابنان من الملك / ، فعزم على أن يخصيهما ليقطع نسلهما ويبقى الملك فيه وفي ذريته . فلما علمت أمهما ذلك احتالت في قتله ، فأرسلت إليه ابن الشمشقيق - وهو الدمستق حينئذ - ووافقته على أن يسير إليها في زي النساء ومعه جماعة وقالت لزوجها : إن نسوة من أهلها قد زرنها ! فلما سار إليها هو ومن معه جعلتهم في بيمة تتصل بدار الملك . فلما كان في ليلة الميلاد نام نقفور واستنقل في نومه ، ففتحت امرأته الباب وأدخلتهم إليه فقتلوه ، وثار بهم جماعة من خاصته وأهله فقتل منهم نيف وسبعون رجلاً ، وأجلس في الملك الأكبر من ولدي الملك المقتول ، وصار المدبر له ابن الشمشقيق ، ويقال : إن نقفورا بات قطة بغير سلاح إلا في تلك الليلة التي قتل فيها (٢)

(١) في مرآة الزمان ، وفي عقد الجمان و ابن النقاش ، وفي آية التفاس وماها هنا من الكامل وف صفحة ٥٦ - ١ .

(٢) الكامل ٧ : ٣٨ وشذرات الذهب ٣ : ٢٧ ، ٢٨ ولتظم ٧ : ٥١ .

ذكر الفتنة ببغداد

ومصادرة الخليفة المطيع لله

وفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة وقعت ببغداد فتنة عظيمة، وكان سببها أن الروم استطالوا على أهل بلاد الجزيرة وامتدوا في البلاد وعظم أمرهم وقويت شوكتهم، فسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين، وقاموا في المساجد والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا ما فعله الروم من النهب والأسر والسبي. فاستعظمه الناس واجتمع أهل بغداد وقصدوا دار الخليفة، وأرادوا أن يهجموا عليه فَمُنِعُوا وأغْلِقَتِ الأبوابُ فاستمعوه القبيح، ثم تجمعوا وثاروا في البلد، ونهبت الأموال وقُتِلَتِ الرجال، وأُخْرِقَتِ الدور، وفي جملة ما أحرق محلة الكرخ وكانت معدن التجار والشعبة.

٩٩ - ١

فأنفذ عز الدولة بختيار ^(١) إلى المطيع لله يطلب منه مالا يخرج به على الغزاة فقال المطيع: إن النفقة على الغزاة وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي والأموال تُجبي إلي، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده وأنا ليس لي إلا الخطبة، فإن شئتم أن أعتزل فعلت.

وترددت الرسائل بينهما حتى بلغا إلى التهديد، فبذل المطيع لله أربعمائة ألف درهم فاحتاج إلى بيع ثيابه وإنقاص داره وغير ذلك. وشاع عند الناس من أهل العراق وحجاج خراسان وغيرهم

(١) هو ابن ماز الدولة المتوفى يقول عنه مسكويه في تجارب الأمم ٢ : ٢٢٤ • اشتغل

بالهوى واللعب ومعاينة المساخر والمغنين والنساء •

أن الخليفة قد صودر فلما قبض بختيارُ المال صرقه في مصالح نفسه وبطلَ حديث الغزاة ، ولم يسمع بمثل هذا فيما مضى .

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة / وقعت الفتنة بين بختيار ٩٩ ب وسبكتكين التركي الحاجب^(١) ، فانتصر الحاجبُ عليه واستولى على بغداد ، وأخرج من فيها من أهل بختيار وأصحابه ، وترك الأتراك في دُور الديلم ، وأخذوا أموالهم على ما نذكر ذلك مبيناً في أخبار الدولة البويهية إن شاء الله تعالى .

ذكر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة

وخلافة ابنه الطائع لله

وفي منتصف ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وقيل في الثالث عشر منه خلع المطيعُ لله نفسه من الخلافة . وكان سبب ذلك أنه أصابه مرض الفالج وثقل لسانه وتعدرت الحركة عليه ، وكان يشتر ذلك ، فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه إلى خلع نفسه وتسليمها لولده ففعل ذلك وأشهد عليه به . فكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوماً ، وكان له من الأولاد أبو بكر وهو الطائع وعبد العزيز وجعفر .

وزراؤه : أبو الحسن محمد بن علي بن مقلة ، وأبو الفضل أحمد الشيرازي . قضااته : محمد بن الحسين بن أبي الشوارب ، ومحمد بن أمّ شيبان الهاشمي^(٢) / ، وأبو السائب^(٣) ، وأبو بشر ١٠٠-١

(١) كانت هذه الفتنة شملت الأتراك ضد الديلم بالأهواز ثم عمت العراق كله .

(٢) كذا في المنتظم ٧: ٦٤ ، صفحة ٥٨ - ١ ، وفي كصفحة ٥٨ - محمد بن شيبان .

(٣) في ١ هـ وأبو الشائب هـ مع أنه ذكره قبل بلا تحريف .

عمر بن أكرم : حجابيه : بختيار بن معز الدولة ويخلفه عبد الواحد ابن أبي عمر الشراي (١) . الأمير بمصر : الإخشيد إلى أن مات ، ثم ثم ابنه أنوجور ، ثم أخوه ، ثم كافور الإخشيدى إلى أن مات ، ثم عُقِدَ الأمرُ لأحمد بن علي بن الإخشيد وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ثم خرجت مصر عن الدولة العباسية باستيلاء المغاربة عليها . القضاة بمصر : أبو الوليد ، ثم عمر بن الحسن بن عبد العزيز العباسي من قبيل أخيه محمد ، واستخلف ابن الحداد ، ثم وليها أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصب ، ثم ابنه محمد ، ثم أبو طاهر محمد بن نصر .

ذكر خلافة الطائع لله

هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ، وأمه أم ولد اسمها عتب . وهو الخليفة الرابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، وبويع له في يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وسنة يوم ذلك ثمان وأربعون سنة ، ولم يل الخلافة أكبر منه سنًا من بني العباسي ، ولم يتقلد الخلافة من له / أبٌ حيٌ بعد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه غيره (٢) !

١٠٠ - ب

معين التارخ
جروب
لأهل التارخ

ذكر الحوادث في أيام خلافته

في هذه السنة خطب للمعز صاحب مصر بمكة والمدينة . وفي سنة أربع وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على العراق وقبض على

(١) الشراي : كان يتولى تقديم الشراب في القصر كالساق .

(٢) في المنتظم ٧ : ٦٦ تفصيل أكثر .

بختيار ، ثم عاد بختيار إلى مُلْكِهِ على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة توفي المعز لدين الله صاحب مصر ، وقام بعده ابنه العزيز .

وفي سنة ست وستين وثلاثمائة توفي ركن الدولة بن بويه ، وملك ابنه عضد الدولة وفيها كان ابتداء الدولة الغزنوية وأول من ملك منهم بغزنة سُبُكْتِكِين^(١) ، وسند كر أخباره في دولتهم إن شاء الله تعالى .

وفيها في جُمادى الأولى نُقِلَت ابنة عَزْ الدولة بختيار إلى الطائع لله ، وكان قد تزوّجها .

وفي سنة سبع وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على العراق وأخرج بختيار عنها ثم قتله ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبارهم^(٢) .

وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة تزوج الطائع ابنة عضد الدولة ، وكان عضد الدولة قد زوجه بها ، وقال : لعلها / تلد منه ولدا ذكرا فنجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولدهم ! وكان الصداق مائة ألف دينار ، وزُفَّت إليه في سنة سبعين وكان معها من الجواهر والجهاز ما لا يحصى .

(١) في المنتظم ٧ : ٧٦ يموت سبكتكين في حوادث ٣٦٤ فلول التويري يقصد ابنه محمود (أنظر المقرئ في كتاب السلوك ١ : ٢٠ قم أول) .

(٢) راجع هنا تاريخ البيهقي صفحة ٢٠٨ وتجارب الأمم ٢ : ٤٠٦ وما بعدها .

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة توفى عضد الدولة بن بويه^(١) ،
وولى صمصام الدولة ولده .

وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة خرج طائر من البحر بعمان وهو
أكبر من الفيل ، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عالٍ ولسان
فصيح : قد قرب قد قرب قد قرب ! ثلاثاً ، ثم غاص في البحر ،
فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ولم يُرَ بعد ذلك .

وفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة ملك شرف الدولة العراق ،
وقبض على أخيه صمصام الدولة وسَمَلَه في سنة تسع وسبعين ،
ومات شرف الدولة في السنة ، وملك بعده أخوه بهاء الدولة وله إخوة .

ذكر القبض على الطائع وشيء من أخباره

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة في يوم السبت لثمان من شعبان
قبض بهاء الدولة بن بويه على الخليفة الطائع لله ، / وكان سبب
ذلك أن بهاء الدولة قَلَّتْ عنده الأموال وكثر شَغَبُ الجُندِ عليه ،
فَقَبَضَ على وزيره سابور فلم يُغْنِ عنه شيئاً . وكان أبو الحسن بن
المعلم^(٢) قد غَلَبَ على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحَسَّنَ له القبض
على الطائع وأطعمه في ماله ، وهوَون ذلك عليه وسَهَّلَه . فأقدم عليه بهاء
الدولة وأرسل إلى الطائع لله وسأله الإذن في الحضور إليه ليجدد العهد

١٠١-ب

(١) انظر المستظم ٧ : ١١٣ والبدية والنهاية ١١ : ٢٩٩ وشذرات الذهب ٣ : ٧٨ .
(٢) كذا في ١ ، وفي صفحة ٥٨ - ب وفي الكامل ٧ : ١٤٧ كذلك ، ولكنه ذكر
قبل بابي الحسين المعلم (٧ : ١٤٥) وفي النجوم الزاهرة (٤ : ١٥٩) أبو الحسين
المعلم .

بخدمته ، فأذن له بذلك . وجلس له كما جرت العادة ، فدخل بهاء الدولة ومعه جمعٌ كبيرٌ فلما دخل قَبِلَ الأرض . فأجلس على كرسي ، فدخل بعض الدَّيْلَمِ كأنه يريد تقبيلَ يدِ الخليفة ، فعجبه وأنزله عن سريره والخليفة يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ويستغيث ولا يُلْتَفَتُ إليه ، وأخذ ما في دار الخلافة من الذخائر ، ونهب الناس بعضهم بعضاً . وكان في جملتهم الشريف الرضى فبادر بالخروج فسلم وقال أبياتاً من جملتها :

من بَعْدِ ما كان ربُّ المالِ ميسماً

إلى أدنوه في النجوى ويدني^(١)

أَمْسَيْتُ أَرْحَمُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْبَطُهُ

لقد تقارب بين العِزِّ والهَوْنِ^(٢)

ومنظرٍ كان بالسراء يُضْحِكُنِي

ياقُربَ ما عاد بالضرَّاء يُبْكِيُنِي

هيهاتَ اغتَزَّ بالسُّلْطَانِ ثَانِيَةً

قد ضَلَّ وَلَاجُ أَبْوَابِ السُّلْطَانِينَ

قال^(٣) : ولما حُدِلَ الطائِعُ إلى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخلع ، فكانت مدة خلافته سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وتسعة أشهر وثمانية أيام ، وبقي في حبس القادر بالله إلى أن توفى في يوم

(١) في ذيل تجارب الأمم ، ف صفحة ٥٩ - ١ « أدنيه » .

(٢) في ذيل تجارب الأمم « من أصبحت أغبطه » .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ١٤٨ .

الثلاثاء سَلَخَ شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه
القادر بالله في دار الخلافة وكَبُرَ خَمْسًا ، وتحدّث النَّاسُ في ذلك
فقال : هكذا يصلى على الخلفاء ! ودفن بالرصافة ، ويقال : إن القادر
بالله شيع جنازته إليها ورثاه الشريف الرضى بقصيدته التي أولها :

ما بَعْدَ يَوْمِكَ مَا يَسْلُو بِهِ السَّالِي

ومثلُ يَوْمِكَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِي

وكان مولده في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان أبيضَ مربوعاً
حسنَ الجسم ، وكان أنفه كبيراً جداً ، وكان شديد القوة كثير
الإقدام ، ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يُعرف به حاله
ويستدلُّ على سيرته .

ذكر خلافة القادر بالله

هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل
جعفر بن المعتضد بالله أبي أحمد بن الموفق ، وأمه أم ولد اسمها دمنة
وقيل غنى ^(١) ، وهو الخليفة الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين .
١٠٢ ب وبويع له في يوم خلع الطائع لثان / بقين من شعبان سنة إحدى
وثمانين وثلاثمائة وكان يوم ذاك بالبطيحة ^(٢) عند مُهَنَّب الدولة أميرها .

(١) كذا في ك صفحة ٥٩ وفي ف صفحة ٥٩ - ب .

(٢) أرض ضحلة بالعراق يحدد المسموئى مساحتها بخمسة وثلاثين ألف ميل ، بينما
لا تزيد مساحة العراق كله على خمسة وأربعين ألفاً ، وكان سكانها خليطاً من التبط والزنج
والأساورة والزلط والسباجمة يعيشون في فقر شديد (راجع الحياة الأدبية في البصرة صفحة ٥٦
وما بعدها) .

وكان سبب توجهه إليها أن إسحاق بن المقتدر والد القادر لما توفى جرى بين القادر وبين أخيه منازعة في ضيعة ، وطال الأمر بينهما . ثم إن الطائع لله مرض مرضاً شديداً أشفى (١) منه ثم أبلى (٢) فسعت إليه بأخيها القادر وقالت : إنه شرع في طلب الخلافة عند مرضك ! فتعير رأيته فيه ، وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النعمان وغيره للقبض عليه وكان بالحریم الطاهري ، فأصعدوا في الماء إليه .

وكان القادر قد رأى في منامه كأن رجلاً يقرأ عليه . « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » (٣) فهو يحكى هذا المنام لأهله ويقول : أنا خائف من طلب يطلبنى !

ووصل أصحاب الطائع لله وقبضوا عليه ، فأراد ليس ثيابه فمنعوه ولم يمكنوه من مفارقتهم ، فأخذته النساء منهم قهراً وخرج من داره واستتر وذلك في سنة تسع وسبعين . ثم سار إلى البطيحة فسار فنزل على مذهب الدولة ، فأكرم نزله ووشع عليه وبالع في خدمته ، ولم يزل عنده حتى أفضى إليه الأمر فجعل علامته « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قال (٤) : ولما قبض على الطائع ذكر / بهاء الدولة من يصلح ١٠٣ - ١

(١) شفى : برأ ، شفا يشفيه برأه وطلب له الشفاء كإشفاء (القاموس المحيط) .

(٢) بلى : نجا ، وأبلى من مرضه حسنت حاله بعد الهزال (المحيط) .

(٣) سورة آل عمران (٣) آية ١٧٣

(٤) ابن الأثير في الكامل ٧ : ١٤٨

للمخلافه فاتفقوا على القادر بالله ، فأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه إلى بغداد .

وَشَغَبَ الْجُنْدُ وَالْدَّيْلَمُ ببغدادَ ، وَمَنَعُوا مِنَ الْخُطْبَةِ لَهُ ، فَقِيلَ عَلَى الْمَنِيرِ : **اللَّهُمَّ أَصْلَحْ عَبْدَكَ وَخَلِيفَتَكَ الْقَادِرَ بِاللَّهِ !** وَلَمْ يُذَكَّرْ اسْمُهُ ، ثُمَّ أَرْضَاهُمْ بهاء الدولة (١) .

قال (٢) : ولما وصل الرسول إلى القادر بالله كان في تلك الساعة يحكى مناً ما رآه في تلك الليلة هو ما حكاه عبد الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة قال : كنت أحضر عند القادر بالله كل أسبوع مرتين ، فكان يكرمني ، قد خلت عليه يوماً فوجدته قد تأهب لم تجر به عادته ، ولم أر منه ما ألفت من كرامته (٣) فاختلفت بي الظنون ، فسألته عن سبب ذلك فإن كان لزلّة وبني اعتذرت عن نفسي فقال : « بل رأيت البارحة في منامي كأن نهركم هذا نهر الصليق قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات ، فسرت على جانبه متعجباً منه ، ورأيت عليه قنطرة عظيمة فقلت من قد حدث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ؟ ثم صعدتها - وهي محكمة - فبينما أنا عليها أتعجب منها إذ رأيت شخصاً يتأملني من ذلك الجانب فقال : أتريد أن تعبر ؟ قلت : نعم ، فمد يده حتى وصلت إلى فأخذني وعبرني فهالني ، وتعاظمني فِعْلُهُ ، فقلت : / من أنت ؟ قال : علي بن ١٠٣ب

(١) يبدو أنه كان من نتيجة ذلك منح الخليفة بهاء الدولة لقباً جديداً هو « غياث الأمة » وخطب له بذلك على المنابر كما يقول بن الجوزي في المنتظم ٧ : ١٦٣ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ١٤٨ .

(٣) كرامة : عزارة كافي القاموس : وفي الكامل ٧ : ١٤٨ « من إكرامه » .

أبي طالب وهذا الأمر صائر إليك ويطول عمرك فيه فأحسن إلى ولدي وشيئتي ١

قال (١) : فما انتهى القادر إلى هذا القول حتى سمعنا صباح الملاحين وغيرهم فسألنا عن ذلك فإذا هم الوردون إليه لإصعاده ليتولى الخلافة ، فخطابته « يا أمير المؤمنين » وقام مهذب الدولة بخدمته أحسن قيام ، وحمل إليه من المال وغيره ما يحمله كبار الملوك إلى الخلفاء وشيئعه ، فسار القادر إلى بغداد ، فلما وصل جبل (٢) انحدر بهاء الدولة وأعيان الناس إليه واستقبلوه وساروا في خدمته ، فدخل دار الخلافة في ثاني عشر شهر رمضان وبأيعه بهاء الدولة والناس ، وخطب له في ثالث عشر الشهر المذكور .

وجدد أمر الخلافة وعظم ناموسها (٣) وحمل إليه ما نهب من دار الخلافة ، ولم يخطب له في جميع خراسان بل كانت الخطبة فيها للطائع لله وحلف له بهاء الدولة على الطاعة والقيام بشروط البيعة ، وحلف القادر له بالوفاء والخلوص ، وأشهد عليه أنه قلده ما وراء بابه .

ذكر تسليم الطائع لله الى القادر

وما علمه معه

١٠٤ - ١ / وفي شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة سلم بهاء الدولة الطائع لله إلى الخليفة القادر بالله ، فأنزله في حجرة من خاص

(١) عبد الله بن عيسى ، انظر الكامل ٧ : ١٤٩ .

(٢) بلدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرق كما يقول ياقوت .

(٣) كانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك فلما وليها حقق رغائبهم جميعا

فأطاعوه أحسن طاعة !

حُجِّرَهُ ، وَوَكَّلَ بِهِ مِنْ ثِقَاتِ خِدْمِهِ مَنْ يَقُومُ بِخِدْمَتِهِ وَبِالْعَمَلِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ الطَّائِعُ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ فِي الْخِدْمَةِ كَمَا كَانَ أَيَّامَ الْخِلَافَةِ فَيُؤَمَّرُ لَهُ بِذَلِكَ . حَكَى عَنْهُ أَنَّ الْقَادِرَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ طَبِيبًا فَقَالَ : مَنْ هَذَا يَتَطَيَّبُ أَبُو الْعَبَّاسِ ؟ يَعْنِي الْقَادِرَ فَقَالُوا : نَعَمْ ! فَقَالَ : قُولُوا لَهُ عَنِّي : فِي الْمَوْضِعِ الْفُلَانِي كَنْدُوجٌ ^(١) فِيهِ طِيبٌ مِمَّا كُنْتُ أَسْتَعْمَلُهُ ، فَلْيُرْسِلْ إِلَيَّ بَعْضَهُ وَيَأْخُذْ الْبَاقِيَ لِنَفْسِهِ ! فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْقَادِرُ يَوْمًا عَدْسِيَّةً فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عَدَسٌ وَسَلَقَ ! فَقَالَ : أَوْقَدْ أَكَلْتُ أَبُو الْعَبَّاسُ مِنْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : قُولُوا لَهُ عَنِّي : لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ تَأْكُلَ عَدْسِيَّةً لِمَ اخْتَفَيْتَ فِيمَا كَانَتْ الْعَدْسِيَّةُ تَعُوزُكَ ، وَلَمْ تَقْلُدْتَ هَذَا الْأَمْرَ ؟ فَأَمَرَ حِينَئِذٍ الْقَادِرُ أَنْ تُفْرَدَ لَهُ جَارِيَةٌ مِنْ طِبَاخَانِهِ تَحْضِرُ لَهُ مَا يَلْتَمِسُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَأَقَامَ عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عُقِدَ نِكَاحُ الْقَادِرِ بِاللَّهِ عَلَى بَنَاتِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ^(٢) عَلَى صَدَاقٍ مَبْلُغِهِ مِائَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَمَاتَتْ قَبْلَ النَّقْلِ إِلَيْهِ .

وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغُلَاظُ بِالْعِرَاقِ وَبِيعَتِ الْكَارَةُ الدَّقِيقُ بِمِائَتَيْنِ وَسِتِّينَ

دِرْهَمًا ، وَالْكُرُّ الْحَنْطَةُ بِسِتَّةِ آلَافٍ / وَسِتِّمِائَةِ دِرْهَمٍ غِيَاثِيَّةٍ ^(٣) .

(١) كَنْدُوجٌ : بِالْفَارْسِيَةِ صَنْدُوقٌ أَوْ مَخْزُونُ أَصْلِهِ هُ كَنْدُو هُ وَعَرَبٌ بِإِضَافَةِ الْهِمِ (الْحَيَاةُ الْأَدَبِيَّةُ فِي الْبَصْرَةِ ٣٧٠) .

(٢) اسْمُهَا سَكِينَةُ وَقِيلَ سَيْتَةُ (رَاجِعِ الْمُنْتَظَمَ ١٧٢ : ٧ وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣ : ١٠٤) .

(٣) غِيَاثِيَّةٌ : نِسْبَةٌ إِلَى غِيَاثِ الْأُمَةِ لَقِبَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ الَّذِي خَلَعَ عَلَيْهِ عَامَ ٣٨١ .

وفي سنة ست^١ وثمانين وثلاثمائة توفي العزيز بالله صاحب مصر ،
 وولي بعده ابنه الحاكم .

وفي سنة تسع وثمانين انقرضت الدولة السامانية وملك الترك
 ما وراء النهر (١)

وفيهما عمل أهل باب البصرة ببغداد يوم السادس والعشرين من
 ذى الحجة زينة عظيمة وفرحاً كثيراً ، وعملوا في ثامن عشر
 المحرم مثل ما تعمل الشيعة في يوم عاشوراء . وسبب ذلك أن
 الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب ويعلقون الثياب للزينة
 في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وهو يوم الغدير . وكانوا
 يعملون - يوم عاشوراء - المآتم والنوح ، ويظهرون الحزن لمقتل
 الحسين ، فعمل أهل باب البصرة مقابل ذلك بعد يوم الغدير
 بثمانية أيام مثلهم وقالوا : يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم
 وأبو بكر رضي الله تعالى عنه الغار ! وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام
 مثل عدل الشيعة يوم عاشوراء وقالوا : هذا يوم قتل مصعب بن
 الزبير رضي الله تعالى عنهما .

وفي سنة تسعين وثلاثمائة ظهر في سجمستان معدن
 الذهب الأحمر (٢)

(١) كان الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين قد استولى على أعمال خراسان بعد أن
 هزم الأمير عبد الملك بن نوح الساماني فأزال بذلك السامانية وأقام الدعوة بخراسان للخليفة القادر
 بعد أن كانت للطائع الذي خلع (راجع البداية والنهاية ١١ : ٣٢٥ وتاريخ البيهقي ٢١٤
 وما بعدها) .

(٢) قال ابن الأثير : فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الأحمر (٧ :

ذكر البيعة لولي العهد

وفي شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة أمر القادر بالله / بالبيعة لولده أبي الفضل بولاية العهد ، ولقبه بالغالب بالله . وكان سبب ذلك أن أبا عبد الله بن عثمان الوثاقى من ولد الوثاقى بالله كان من أهل نصيبين ، فقصده بغداد ثم سار إلى خراسان وعبر النهر إلى هارون بن أيلك بغراخان ^(١) ، وصحبه الفقيه أبو الفضل التميمي وأظهر أنه رسول من الخليفة إلى هارون يأمره بالبيعة لهذا الوثاقى وأنه ولي عهده . فأجاب بغراخان إلى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده ، فبلغ ذلك القادر فعظم عليه وأرسل إلى بغراخان في معناه فلم يضع إلى رسالته . فلما توفي هارون وولى بعده أحمد بغراخان كاتبه الخليفة في معناه ، فأمر بإياعه فحينئذ بايع القادر لولده ، وأحضر حجاج خراسان وأعلمهم ذلك .

وأما الوثاقى فإنه خرج من عند أحمد بغراخان وقصد بغداد فعرف بها ، فطلب منها فهرب إلى البصرة ثم إلى فارس وكرمان ، ثم إلى بلاد الترك ، فلم يتم له ما أراد ، وأرسل الخليفة إلى الملوك يطلبه فضاقت عليه الأرض ، فسار إلى خوارزم فأقام بها ثم فارقها ، فاخذ يمين الدولة محمود بن سبكتكين فحبسه إلى أن مات .

(١) في ك ٦١ « بغداخان » وفي ف صفحة ٦١ - ١ ، كما في « بغراخان »

وما هاهنا من تاريخ البيهق صفحة ٢١٤ .

وفي سنة إحدى وأربعمئة خطب قرواش ^(١) بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم العلوي صاحب مصر بالكوفة / والموصل والأنبار والمدائن ١٠٥-ب وغيرها من أعماله ثم قطعت في السنة ^(٢).

وفي سنة إحدى عشرة وأربعمئة مات الحاكم صاحب مصر وولي بعده ابنه الظاهر لا عزاز دين الله ^(٣).

وفي سنة اثنتي عشرة وأربعمئة توفي علي بن هلال المعروف بابن البواب ، وإليه انتهى الخط ، وتُقيل عنه إلى وقتنا هذا ، ودفن بجوار أحمد بن حنبل ، وكان يقص بجامع بغداد ، وقيل إنه مات في سنة ثلاث عشرة وأربعمئة ورثاه المرتضى ^(٤).

ذكر الفتنة بمكة

وفي سنة أربع عشرة وأربعمئة في يوم النفر الأول وكان يوم الجمعة ، قام رجل من أهل [مصر] ^(١) بإحدى يديه سيف

(١) هو أبو المنيع قرواش بن المقلد ويلقب بعمد الدولة للحاكم صاحب مصر بالموصل (انظر المنتظم ٧ : ٢٤٨)

(٢) يقول ابن تغري بردى : « فلما سمع الخليفة ذلك أزعجه وأرسل عميد الجيش في تجهيز المسافر ، فلما بلغ قرواشا ذلك أرسل يعتذر للخليفة . وأبطل دعوة الحاكم من بلاده وأعادها للقادر على العادة » (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٧) .

(٣) قيل لم يمت وقيل فقد ، وفي بعض الروايات قتل ، ونرى في النجوم الزاهرة الشيء الكثير عن هذا الموضوع .

(٤) لأبي العلاء شعر فيه منه هذا البيت الذي رواه ابن تغري بردى (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٥٧)

ولاح هلال مثل نون أجادها بماء النصار الكاتب ابن هلال فلم يكن أكتب منه بعد ابن مقلد ! قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٢ : ١٤ « وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعريفا من خط أبي علي بن مقلد »

(١) في كل النسخ بياض فيما نقل بين الحاصرتين والتكملة عن الكامل ٧ : ٢١٤ ويبدو أن التويري =

مسلول والأخرى دبوس ، بعد فراغ الإمام من الصلاة فقصد الحجر الأسود فضربه ثلاث ضربات بالدبوس وقال : إلى متى يُعبدُ الحجرُ الأسود ومحمدٌ وعلى ؟ فليمنعني مانعٌ من هذا ، فبني أريد هدم هذا البيت ! فخاف أكثر من حضر وتراجعوا عنه وكاد يفلت ، فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله ، وقطعه الناس وأحرقوه ، وقُتل مِن أتهم بمصاحبتهم جماعة وأحرقوا ، وثارَت الفتنَةُ ، وكان الظاهرُ من القَتلى أكثر من عشرين رجلاً غير ما أخفى منهم .

وَأَلَحَّ / النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى الْمَغَارِبَةِ وَالْمَصْرِيِّينَ بِالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ ؛
فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل فقالوا : نحن مائة رجل ! فَضْرِبْتَ أعناق الأربعة . وَتَقَشَّرَ بَعْضُ وَجْهِ الْحَجَرِ مِنَ الضَّرَبَاتِ ، فَأُخِذَ ذَلِكَ الْفَتَاتُ وَعُجِنَ بِمَلَكٍ وَأُعِيدَ إِلَى مَوْضِعِهِ .

١٠٦ - ١

وَفِي مِئَةِ ثَمَانِي عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مَسْقُطٍ بِالْعِرَاقِ جَمِيعِهِ بَرْدٌ كِبَارٌ وَزَنُّ الْوَاحِدَةِ رَطْلٌ وَرَطْلَانِ ، وَأَصْغَرُهُ كَالْبَيْضَةِ ، فَأَهْلَكَ الْعَلَاتِ وَلَمْ يَصِحْ مِنْهَا إِلَى الْقَلِيلِ ، هَكَذَا حَكَاهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ الْكَامِلِ (١) .
وَفِيهَا فِي آخِرِ تَشْرِينِ الثَّانِي هَبَّتْ رِيحٌ بَارِدَةٌ بِالْعِرَاقِ جَمَدَ مِنْهَا الْمَاءُ وَالْخَلُّ ، وَبَطَلَ دَوْرَانُ الدَّوَالِبِ الَّتِي عَلَى دَجَلَةٍ .

وَفِي مِئَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ انْقَطَعَ الْحَيُّ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَمَضَى

= استعمل أن يلحق هذا العام واحداً من أهل بلده ! ويلاحظ أن هناك شبه إجماع على أن الواقعة كانت في عام ٤١٣ (راجع شذرات الذهب ٣ : ١٩٧ والبداية والنهاية ١٢ : ١٣) .

(١) جز ٧ صفحة ٢٣٠ .

بعض حجاج خراسان إلى كرمان وركبوا في البحر إلى جدة وحجوا ١ .

ذكر البيعة لولي العهد

كان القادر بالله قد جعل ولاية العهد لولده أبي الفضل كما قدمناه فمات (١) فلما كان في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة مرض القادر وأرجف بموته ، فجلس جلوساً عاماً وأذن للخاصة والعامة / فدخلوا عليه . فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال : ١٠٦ ب خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له بالبقاء وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الأمير أبي جعفر لولاية العهد ! فقال القادر للناس : قد أذننا لكم في العهد له ! وكان أراد أن يبايع له قبل ذلك فنهاه عنه الحسن ابن حاجب النعمان ، فلما عيَّنه القادر الآن جلس على السرير الذي كان قائماً عليه . وأُقيمت الستارة التي على القادر ، فتقدم الحاضرون وخدعوا ولي العهد وهنَّشوه ، وتقدم أبو الحسن ابن حاجب النعمان فقبَّلَ يده وهنَّاه فقال له أبو جعفر : « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال » (٢) يعرض له بإفساده رأى القادر فيه فأكب على تقبيل قدميه وتعفير خده بين يديه ، فقبَّلَ عنقه . ودعى لأبي جعفر على المنابر يوم الجمعة ليست بقين من جمادى الأولى ، ومات أبو الحسن ابن حاجب النعمان في نفس السنة .

(١) أنظر صفحة ٢١٢ من هذا الكتاب ، والكمال ٧ : ٣٥١ .

(٢) سورة الأحزاب (٣٣) آية ٢٥ .

ذكر ملك الروم مدينة الرها

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ملك الروم مدينة الرها وكانت بيد نصير الدولة ^(١) بن مروان صاحب ديار بكر ، ملكها من صاحبها عطير في سنة ست عشرة وأربعمائة ثم مات عطير فشفع صالح بن مرداس صاحب حلب إلى نصير الدولة في إعادتها إلى ابن عطير وإلى ابن شبل بينهما ، فقبل شفاعته وسلمها إليهما . وكان في الرها برجان حصينان أحدهما أكبر من الآخر فتسلم ابن عطير الكبير وابن شبل الصغير ، وبقيت المدينة منهما إلى هذه السنة . فراسل ابن عطير أرماتوس ملك الروم وباعه حصنه من الرها بعشرين ألف دينار وعدة قرى من جملتها القرية التي عرفت بسن ابن عطير ، وتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل . وقتل الروم المسلمين ، وخرّبوا المساجد ، فسمع نصير الدولة الخبير فسير جيشا كثيفا إلى الرها فحصرها وفتحها عنوة ، واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتوى النصاري بالبيعة التي لهم ، فحصرهم المسلمون بها وأخرجهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد ، وبقي الروم بالبرجين . فسير إليهم ملكهم عسكريا نحو عشرة آلاف مقاتل ، فانهزم أصحاب ابن مروان من بين أيديهم ، ودخل الروم البلد ونهبوا ما جاورهم من بلاد المسلمين وصالحهم ابن وذاب [النعميري] ^(٢) على حرّان وسروج وحمل إليهم خراجا .

(١) في الكامل ٧ : ٣٥٣ نصر الدولة .

(٢) إضافة من الكامل ٧ : ٣٥٣ .

١٠٧-ب

/ ذكر وفاة القادر بالله

وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته رحمه الله في اليوم الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة ، وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر . وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر إلا أياما . وكان حليما كريما خيرا يحبُّ الخير وأهله ويأمر به ، وينهى عن الشر ويبغض أهله . وكان حسن الاعتقاد ، وصنف كتابا على مذهب السنة . وكان يخرج من داره في زى العامة ويزور قبور الصالحين كقبر معروف الكرخي ويره .

قال القاضى الحسين بن هارون : كان بالكرخ ملك ليتيم وكان له قيمة جيدة ، فأرسل إلى ابن حاجب النعمان - وهو حاجب القادر بالله - يأمرنى أهلك الحجر عنه ليشتري بعض أصحابه ذلك الملك فلم أفعل فأرسل إلى يستدعيني فقلت لغلामه : « تقدمنى حتى ألحقك » وخفته وقصدت قبر معروف الكرخي فدعوت الله أن يكفينى شره وهناك شيخ فقال : « على من تدعو ؟ » فذكرت له الخبر ووصلت إلى الحاجب فأغلظ لى فى القول ولم يقبل عذري ، فأتاه خادم برقعة ففتحها فقرأها فتغير لونه واعتذر إلى ثم قال : « كتبت إلى الخليفة رقعة ؟ » قلت : لا . وعلمت أن ذلك الشيخ كان الخليفة !

١٠٨-أ

وقيل إنه كان يقسم إفطاره كل ليلة ثلاثة أقسام ؛ فقسم يتركه بين يديه ، وقسم يرسله إلى جامع الرصافة ، وقسم يرسله إلى جامع المدينة يفرقه على المقيمين فيها . فاتفق أن الفراش حمل

الطعام ليلة إلى جامع المدينة ففرقه على الجماعة ، فأخذوا إلا شاباً فإنه رده ، فلما صلوا المغرب خرج الشاب وتبعه الفراش فوقف على باب فاستطعم فأطعموه كسيرات فأخذها وعاد إلى الجامع فقال له الفراش: وينحك أما تستحي . ينفذ إليك خليفة الله بطعام حلال فترده وترجع فتأخذه من الأبواب ؟ فقال : والله ما رددته إلا لأنك عرضته على قبل المغرب وكنت غير محتاج إليه فلما احتجت طلبت ! فعاد الفراش وأخبر القادر بالله فبكى وقال له : راع مثل هذا واغتنم أجره وأقم إلى وقت الإفطار .

ومناقبه كثيرة مشهورة وكان أبيض نقي الجسم كث اللحية طويلها يخضب . ودبر الملك في أيامه بهاء الدولة إلى أن مات ، ثم ابنه سلطان الدولة أبو شجاع إلى أن مات ، ثم أخوه أبو على شرف الدولة إلى أن مات ، ثم أخوه أبو طاهر جلال الدولة .

وكان للقادر بالله من الأولاد أبو الفضل الغالب بالله مات في حياته ، وأبو جعفر عبد الله القائم ، وأبو القاسم ومات في حياته أيضا . ١٠٨ - ب

وزراؤه : محمد بن أحمد الشيرازي صاحب : وسعيد بن نصر بن علي الفيروزبادي ، وسعيد بن الحسن بن برتك (١) البصري ، وعلي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان ، ثم ابنه أبو الفضل محمد بن علي .

(١) في البلا نقت لإطلاقا وفي ك صفحة ٦٣ « بريك » وفي ف صفحة ٥٩ « برتك » .

حجابه : أبو الفتح محمد بن الحسين السمعي ، ثم أبو القاسم بكران ، ثم ولده أبو منصور وغيرهم ، نقش خاتمه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وقيل : « حسبي الله ونعم الوكيل » .

ذكر خلافة القائم بأمر الله

هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق ابن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ، وقد تقدم ذكر نسبه . وأمه أم ولد اسمها بدر الدجي ، وقيل : قطر الندي وقيل : علم ، وكانت أرمنية وقيل : رومية . وهو الخليفة السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويح له البيعة العامة بعد وفاة أبيه في الحادي والعشرين من ذي الحجة في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة (١) . وصلى بالناس عشاء المغرب في صحن السلام من دار الخلافة ، وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد سنة إحدى وعشرين كما ذكرناه ، وأول من بايعه الآن الشريف أبو القاسم المرتضى ، وأنشد :

١٠٩-١١٤

فإِذَا مَضَى جِبْلٌ وَانْقَضَى فَمِنْكَ لَنَا جِبْلٌ قَدْ رَسَى
وإِذَا فُجِعْنَا بِبَدْرِ التَّمَامِ فَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ شَمْسُ الضُّحَى
فَكَمْ حَزَنٌ فِي مَحَلِّ السُّرُورِ وَكَمْ ضُحْكٌ فِي خِلَالِ الْبُكَى (٢)
فِيَا صَارِمًا أَعْمَدُهُ يَكْدُ لَنَا بِعَدِكَ الصَّارِمُ الْمُنْتَضَى

(١) في هذه السّنة تجددت الفتن بين الشيعة والشيعة ، ونهبت دور اليهود لأنهم أعانوا أهل الكرخ من الشيعة (البداية والنهاية ١٢ : ٣١) .
(٢) في الكامل والبداية والنهاية « لنا حزن » وفي البداية والنهاية « فكم ضحك في محل البكا » (الكامل ٧ : ٣٥٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٢) .

وأرسل القائم بأمر الله قاضي القضاة أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار ليأخذ عليه البيعة ، ويخطب له في بلاده ، فأجاب وباع ، وخطب له في بلاده ، وأرسل إليه هدايا جليلة وأموالا كثيرة .

ذكر الحوادث في أيام القائم

في منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة توفي الظاهر صاحب مصر ، وولي بعده ابنه المستنصر (١) .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة كان ابتداء الدولة السلجقية على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبارهم (٢) .

وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أظهر المعز بن باديس الدعوة للدولة العباسية ، وخطب ببلاده للخليفة القائم بأمر الله فسيّرت إليه الخلع والتقليد (٣) .

وفي سنة إحدى وأربعين / وأربعمائة في ذي القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلا فزادت ظلمتها على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالنار المضطربة ، وهبت ريح قلعت رؤس (٤) دار الخليفة ، ثم انكشف ذلك في بقية الليل .

١٠٩ سب

(١) كان الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي في الثالثة والثلاثين يوم مات ، مع أنه كان خليفة لحسن عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما (الكامل ٨ : ١٠) .

(٢) من خير ما كتب عن السلجقة ودولتهم وسياساتهم العامة كتاب « راحة الصلور وآية السرور » وضعه بالفارسية محمد بن علي بن سليمان الراوندي ، ونقله إلى العربية ثلاثة من أساتذة الجامعة بتكليف من وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٦٠ .

(٣) راجع الكامل ٨ : ٣٩ .

(٤) رؤس : شرقه ، وفي الكامل « رؤس » ٨ : ٥٣ .

وفي سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائة في يوم الأربعاء سابع صفر وقت العصر ظهر ببغداد كوكب غَلَبَ نوره على نور الشمس له ذؤابةٌ نحو ذراعين ، وسار سيرا بطيئًا ، ثم انقضى والناس يشاهدونه .

وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة زَلَزَلَتِ الأرضُ نحو رَمْتان وأرجان وغيرها زلازلٌ كثيرةٌ كان معظمها بأرجان فَخَرَّبَ كثيرٌ من بلادها ، وانفجر جبل كبير بالقرب من أرجان فانصدع فظهر في وسطه درجة بالآجُرِّ والجِصِّ وقد خُصِيت في الجبل ، فعجب الناس من ذلك !

وفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة وصل طغرل بك السُلْجُقى إلى بغداد ^(١) وخطب له بها ، وانقرضت الدولة البويهية .

وفي سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة تزوج الخليفة القائم بأمر الله بأرسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخى السلطان طغرل بك ، وقبل الخليفةُ النكاحَ لنفسه .

وفي سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة في العشر / الثانى من جمادى الآخرة ١١٠-١ ظهر وقتَ السَّحَرِ في السماء ذؤابةٌ بيضاء طولها نحو عشرة أذرع في رأى العين وعرضها ذراع ، وبقيت كذلك إلى نصف شهر رجب واضمحلت .

(١) في راحة الصدور ١٦٩ أنه خطب له ببغداد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، ثم قال المؤلف « وفي رمضان من تلك السنة قصد طغرل بك إلى بغداد » فتأمل ! .

وفيها أمر الخليفة القائم بأمر الله أن يؤذن بالكُرُخ والمشهد
وغيرهما « الصلاة خير من النوم » وأن يتركوا الحى على خير
العمل ، ففعلوا ذلك .

وفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة اشتدَّ الغلاء ببغداد والعراق
حتى بيعت الكارة الدقيق السמיד بثلاثة عشر ديناراً والكارة الشعير
والذرة بثمانية دنائير ، ومقدار الكارة [(١)] وأكل الناس الميتة
والكلاب وغيرها وكثر الوباء ، حتى عجز الناس عن دفن الموق فكانوا
يجعلون الجماعة في الحفيرة .

وفيها كثر الوباء ببخارى حتى قيل : إنه مات فى يوم واحد ثمانية
عشر ألف إنسان من أعمال بخارى ، وهلك فى هذه الولاية
فى مدة الوباء ألف ألف ومستمائة ألف وخمسون ألفاً ، وكان بسمرة عند
مثل ذلك ، ووُجد ميتٌ وقد دخل عليه تركى يأخذ لحافاً عليه فمات
التركى وطُرف اللّحاف بيده ، وبقيت أموال الناس سائبة لا تجد
من يجمعها (٢) !

(١) بياض فى كل النسخ ولكن ابن تفرى برى يقول : إن الكارة خمسون رطلاً
بالمشق ، وأربعاً وثلاثين كارة تساوى كراً واحداً ، والكر سبعة عشر قطاراً . (النجوم
الزاهرة ٣ : ٢٨٦) .

(٢) نقل ابن كثير عن أبى الفرج ابن الخوزى وغيره صوراً « بشعة هذه الكارثة التى كان
الطاعون يلعب الدور الأول فيها (البداية والنهاية ١٢ : ٧٠ ، ٧١)

١١٠-ب / ذكر أخبار أبي الحارث أرسلان البساسيري

وابتداء حاله وما كان منه إلى أن تغلب على بغداد
وقطع خطبة القائم بأمر الله وخطب للمستنصر
العسلاوي صاحب مصر

كان أبو الحارث البساسيري مملوكا تركيسا من ممالك بهاء
الدولة بن عضد الدولة البويهى ، وهو منسوب إلى مدينة بساسير
من بلاد فارس ، كان سيده الأول منها فقيل له : البساسيري
لذلك ^(١) . وأما ما وليه من المناصب التي ترقى منها إلى أن صار
منه ما صار ، فإنه ولي في سنة خمس وعشرين وأربعمائة حماية
الجانب الغربى ببغداد ، لأن العيارين كان قد اشتد أمرهم وعظم فسادهم
وعجز عنهم نواب السلطان فاستعمل لكفائه ونهضته وذلك في
سلطنة جلال الدولة أبى طاهر بهاء الدولة بن بويه ، فظهرت كفائه .
وتقلبت به الحال وصحب جلال الدولة في حروبه وأبلى بين يديه
بلاء حسنا ، فعظم شأنه وارتفع محله وعالت رتبته وتقدم على
الجيوش ، وكان بينه وبين العرب الذين خالفو جلال الدولة وخرجوا عن
طاعته وكانفوه بالعداوة حروب كان [المنصر] في / أكثرها له ، ثم
صار يخلف الملك الرحيم ببغداد . واستولى على الأنبار في سنة

١١١-أ

(١) أبو الحارث أرسلان بن عبد الله ينسب إلى « بسا » وليس إلى بساسير لأن هذه
ليست موجودة في بلاد فارس ، والموجود « بسا » وكانت تكون النسبة صحيحة لو قلنا
بسوى إلا أنها هنا نسبة شاذة قليلة « بساسيرى » (راجع شذرات الذهب ٣ : ٢٨٨) .

إحدى وأربعين وأربعمائة وملكها من قرواش بن المقداد ، واستولى على الدردار ، وملكها من سعيد بن أبي الشول . ولما استولى الملك الرحيم على البصرة في سنة أربع وأربعين وأربعمائة وأخذها من أخيه أبي علي بن أبي كاليجار سلمها إلى البساسيري فنهض فيها وضبطها وأوقع بالأكراد والأعراب في سنة خمس وأربعين وأربعمائة - وكانوا قد أفسدوا في البلاد - فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالهم وأجلاهم عن البلاد . ثم أتى بغداد ووقع بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله وحشة عظيمة في سنة ست وأربعين وأربعمائة لأسباب يطول شرحها أدت إلى إسقاطه مشاهرات الخليفة ومشاهرات رئيس الرؤساء ^(١) الوزير وحواشي الدار ، ودام ذلك من شهر رمضان إلى ذي الحجة ! ثم سار إلى الأنبار فمنعه أبو الغنائم ابن المحلبان من دخولها فحاصرها ونصب عليها المجانيق ، وفتحها عنوة ونهبها وأسر من أهلها خمسمائة رجل ومائة من بني خفاجة وأسر أبو الغنائم . وعاد إلى بغداد وهو بين يديه على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه برنس وهو مقيد ، وأتى إلى مقابل التاج وقبّل الأرض وعاد إلى منزله وهو يجعل الذنب كله لرئيس الرؤساء

١١١ - ب / وزير الخليفة - ويقول لست أشكو إلا منه فإنه أخرب البلاد .

وكانت السلجوقية وأطمعهم في البلاد ، ثم توجه البساسيري إلى واسط . فلما كان في سنة سبع وأربعين وضع رئيس الرؤساء

(١) هو علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة ، وقد وزر للقائم قبل ابن جبير ، ومن أجله وقعت فتنة البساسيري .

الأثرāk البغداديين على البساسيري وطلبه ونسب مايقع من النقص إليه ، ففعلوا ذلك وزادوا عليه حتى حضروا إلى دار الخلافة في شهر رمضان واستأذنوا في قصد دور البساسيري ونهبها فبأذن لهم في ذلك ، فنهبوا دُورده وأحرقوها ، ووكلوا بتسائه وأهله ونوابه ، ونهبوا دوابه وجميع ما يملكه ببغداد . وأطلق رئيسُ الرؤساء لسانه في البساسيري وذهه ونسبه إلى مكاتبة المستنصر صاحب مصر ، وأرسل الخليفة إلى الملك الرحيم بأمره بإبعاد البساسيري فابعده ، وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب في ملك السلطان طغرل بك العراق .

ووصل السلطان طغرل بك إلى بغداد إثر هذه الحادثة وماكها ، وانقرضت الدولة البويهية ، فعند ذلك أظهر البساسيري الخلاف وجاهر بالعصيان ، وانضم إليه نور الدولة دبيش بن مزيد . والتقوا هم وقريش بن بدران ^(١) صاحب الموصل وكان مع قريش قُتلُمِش ^(٢)

السلجوقي - / وهو ابن عم طغرل بك - واقتتلوا فكانت الهزيمة ١١٢-١ على قريش وقُتلُمِش ، وكانت هذه الواقعة عند سينجار في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . ثم صار قريش بن بدران مع البساسيري ونور الدولة دبيش ، فساروا إلى الموصل وخطبوا بها للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر - وكانوا قد كاتبوه بطاعتهم فأرسل إليهم الخلعَ عن مصر فلما بلغ ذلك السلطان طغرل بك سار إلى الموصل وديار بكر لإخلائها من البساسيري وغيره من المفسدين ، فاستولى

(١) هو أبو المعالي العقيل أمير بني عقيل ، توفي سنة ٤٥٣ .

(٢) راجع راحة الصدور ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

على المؤصل وأعمالها وسلمها إلى أخيه إبراهيم بنال^(١) وعاد إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وأربعمائة فأقام بها إلى سنة خمسين وأربعمائة . ثم فارقتها وتوجه نحو بلاد الجبل فعاد البساسيري إلى المؤصل واستولى عليها وحصر قلعتها أربعة أشهر ، وماكها فهدمها وعفى أثرها ، وكان السلطان قد فرق عساكره فكتب إلى أخيه إبراهيم واستدعاه ، فحضر إليه إلى بلاد الجبل فسار السلطان جريدة^(٢) في ألقى فارس إلى المؤصل فوجد البساسيري وقريش بن بدران قد فارقاها .

فسار إلى نصيبين ليتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ، ففارقه أخوه إبراهيم بنال إلى همدان فكتبه البساسيري وأطعمه في السلطنة ، فأظهر إبراهيم العصيان / على السلطان طغرل بك فسار طغرل بك إلى همدان في منتصف شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة ، واشتغل بحرب أخيه حتى ظفر به ، ثم عرض له ما شغله عن العود إلى بغداد .

ذكر استيلاء أبي العارث البساسيري على العراق

وخروج الخليفة القائم بأمر الله من بغداد
والخطبة للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر
وقطع الدعوة العباسية

قال^(٢) : ولما اشتغل السلطان طغرل بك بحرب أخيه

(١) في النسخ الثلاث يكتب هذا الاسم بأشكال مختلفة مثل ذبال ونيال وبنال وإينال ، وفي راحة الصدور إينال : ١٦٨ .

(٢) في النجوم الزاهرة ٥ : ٨٨ بجريدة في ألفين .

(٣) ابن الأثير في الكايل ٨ : ٨٢ .

قصداً البساسيري بغداداً ، فلما وصل إلى هيت أمر الخليفة الناس بالعبور إلى الجانب الشرقي ، وكان الأتراك كلهم قد التحقوا بالسلطان إلى همدان . وكان الخليفة قد كتب إلى نور الدولة دُبَيْسَ يأمره بالوصول إلى بغداد فورد إليها في مائة فارس ، فلما قوى الإرجاف بوصول البساسيري أرسل دُبَيْسَ بن مَزِيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء (الوزير يقول : الرأي عندي خروجكما من البلد معي ، فإني أجمع أنا وهزارسب بواء ط. على دفع عدوكما . فاتاه الجواب أن يقيم حتى يقع / الفكر في ذلك ، فقال : العرب لا تطيعني على المقام ، وأنا أتقدم إلى دِيَالِي فإذا انحدرتم سرت في خدمتكم ! وسار وأقام بديالِي ينتظرهما فلم ير لذلك أثراً ، فسار إلى بلده .

١١٣-١

ثم وصل البساسيري إلى بغداد في يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربعمئة غلام في غاية الضر والفقر ، فنزل بمشربة الروايا وكان معه قريش بن بدران وهو في مائتي فارس فنزل مشربة باب البصرة . وركب عميدُ العراق ومعه العسكر والنوام وأقاموا بإزاء عسكر البساسيري وعادوا ، وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر العلوي صاحب مصر فأذِنَ « حتى على خير العمل » وعقد الجسر وعبر عسكره إلى الزاهر واجتمعوا فيه ، وخطب في الجمعة الثانية للمصري بجامع الرصافة ، وجرى بين الطائفتين حروب في أثناء الأسبوع .

وكان عميدُ العراق يشير على رئيس الرؤساء وزير الخليفة بالتوقف عن المناجزة ، ويرى المحاجزة ومطاولَةَ الأيام انتظاراً لقيوم

١١٣- ب طفرل بك ، ولما يراه من ميل العوام للبساسيري . فاتفق في بعض الأيام أن القاضي الهمداني حضر إلى رئيس الرؤساء واستأذنه في الحرب وضمن له قتل البساسيري فأذن له من / غير علم عميد الدولة ، فخرج ومعه الخدم والهاشميون والعجم والعوام إلى الخليفة فاستخرجهم البساسيري حتى أبعدوا ، ثم حمل عليهم فعادوا منهزمين ، وقُتل جماعة منهم ، ومات في الزخمة جماعة ، ونهب باب الأزج . وكان رئيس الرؤساء واقفا دون الباب فدخل الدار وهرب كل من في الحرم ، ورجع البساسيري إلى معسكره .

واستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحرم فلم يرعهم إلا والزعقات قد علت ونهب الحرم ، ودخلوا الباب النوبي . فركب الخليفة لايسا السواد وعلى كتفه البردة وبيده سيف على رأسه اللواء ، وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة ، فرأى النهب قد وصل إلى باب الفردوس من داره ، فزجع إلى ورائه ومضى نحو عميد العراق . فوجده قد استأمن إلى قريش فعاد وصعد إلى المنطرة .

وصاح رئيس الدولة « يا علم الدين » يعنى قريشا « أمير المؤمنين يستأذنيك » فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء : قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك ، وأمير المؤمنين يستأذم^(١) منك على نفسه وأهله وأصحابه بذيام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه

(١) نقول استأذنا به وتذمنا به فأذم لنا ، ونقول لفلان ذمة وذمام وذمة أى عهد ، وهو ذمتنا وذماننا ، ويقال تذم منه أى استكف واستعيا ، وإنى أتذم من القوم أن أعول من متهم لي غيرهم (راجع أساس البلاغة ١ : ٣٠٢ طبعة دار الكتب المصرية) .

وسلم وذيّام العربية . قال : أَدَمَ اللهُ تعالى ! قال : ولى ولمن معه ؟
 / قال نعم ! وخلع قلنسوته وأعطاهما الخليفة ، وأعطى رئيس الرؤساء
 ١١٤-١ ذماما . فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء وسارا معه فأرسل
 إليه البساسيري : أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا
 عليه ؟ ^(١) فقال قريش : لا ! وكنا قد تعاهدا على المشاركة في
 الذى يحصل لهما وأن لا يستبدّ أحدهما دون الآخر بشيء ،
 فانفقا على أن يُسلم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري لأنه
 عدوّه ويترك الخليفة عنده !

ذكر مقتل رئيس الرؤساء وعميد العراق

قال ^(٢) ولما أرسل قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري
 قال له : مرحبا بمهلك الدول ومخرّب البلاد ! فقال : العفو
 عند المقدرة ! فقال له البساسيري : قدرت فما عفوت وأنت
 صاحب طيلسان ، وركبت الأفعال الشنيعة مع حُرْمى
 وأطفالي ، فكيف أعفو أنا وأنا صاحب السيف ؟ وأمر به
 فحبس إلى آخر ذى الحجة ، ثم أخرجه من محبسه مقيدا وعليه
 ١١٤-١ جبة صوف وطرطور من لَبَدٍ أحمر وفي رقبته - مُخَنَّقَةٌ / [جلد
 بغير ^(٣) وهو يقرأ « قل اللهم إلك الملك تؤتي الملك من

(١) يعاتبه البساسيري أن أخذ منه الخليفة ذماما لينته هو وأهله ووزيره القاسم بن

مسلمة .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٤ .

(٣) في ١ ، في ك ٦٦ ، في ف ٦٦ - ١ « مخنقة جلود كالتماويذ » وما بين حاصرتين
 من الكامل ٨ : ٨٤ وقد ساق ابن كثير العبارة في البداية والنهاية ١٢ : ٧٨ هكذا « وفي رقبته
 مخنقة من جلود كالتماويذ » .

تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ۖ الْآيَةُ .. (١) وَطِيفَ بِهِ مَحَالٌ بِغَدَادٍ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ وَوَرَاءَهُ مَنْ يَصْفَعُهُ .

فلما اجتاز بِالْكَرْخِ بَصَقَ أَهْلُ الْكَرْخِ فِي وَجْهِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعْصَبُ عَلَيْهِمْ ! وَجِءَ بِهِ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ وَقَدْ نُصِبَتْ لَهُ خَشَبَةٌ فَأَنْزَلَ مِنْ عَلَى الْجَمَلِ وَالْأَيْسَ جِلْدَ ثَوْرٍ قَدْ سُلِّخَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَجُمِلَتْ قُرُونُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَغُلِّقَ بِكُلُوبَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْطَرِبُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ وَمَاتَ ، فَقَالَ بَعْضُ الشَّعْرَاءِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ :

أَقْبَلَتِ الرَّايَاتُ مُبَيَّضَةً يَقْدُمُهُنَّ الْأَسَدُ الْبَاسِلُ
وَوَلَّتِ السُّودَاءُ مَنكُوسَةً لَيْسَ لَهَا مِنْ ذِلَّةٍ سَائِلُ
انْظُرْ إِلَى الْبَاغِي عَلَى جُدْعِهِ وَالْدَّمُ مِنْ أَوْدَاجِهِ سَائِلُ

يعنى رئيسَ الرؤساء ، قال : ودخل البساسيري داره ونهب ما فيها وشهر حرمة وأمر ينقض داره وقال عند ذلك : فواحدة بواحدة جزاء ! قال (٢) : وكان رئيس الرؤساء حسن التلاوة جيد المعرفة بالنحو .

وَقَتَلَ الْبَسَاسِيرِيُّ عَمِيدَ الْعِرَاقِ وَكَانَ فِيهِ شَجَاعَةٌ وَلَهُ فَتْوَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى رِبَاطَ شَيْخِ الشُّيُوخِ . وَأَمَّا الْخَلِيفَةُ فَإِنَّ قَرِيشًا نَقَلَهُ إِلَى مَعْسُكِرِهِ / أَكْبَأَ عَلَيْهِ السُّودَاءُ وَالْبُرْدَةُ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ وَعَلَى رَأْسِهِ اللِّوَاءُ وَأَنْزَلَهُ فِي خِيَمَةٍ ، وَأَخَذَ أَرْسِلَانَ خَاتُونِ ابْنَةِ أَخِي السُّلْطَانِ طَغْرَلِيكٍ فَسَلَّمَهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرْدَةَ لِيَقُومَ بِخِدْمَتِهَا .

١١٥-١

(١) سورة آل عمران (٣) آية ٢٦ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٤ .

ونُهِبَت دارُ الخلافة وحريمُها أياها ، ثم سَلِمَ قريشُ الخليفةَ إلى ابن عمِّه مهارش بن المُجَلِّي^(١) وهو رجل فيه دين وله مروعة فحملة في هودج وسار به إلى حديثة عانة^(٢) فنزل بها ، ولما وصل إلى الأنبار شكَا البرد ، فأنفذ إلى مقدمها يطلب منه شيئا يلبسه فأرسل إليه جبة فيها قطن ولحافا .

قال^(٣) وركب البساسيري يوم عيد النَّخَر وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقى وعلى رأسه الألوية المصرية ، فأحسن إلى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب ، وأقام بالعراق إلى ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

واشتهغل السلطان طغرل بك في هذا لَمُدَّةً بأمر أخيه إبراهيم حتى ظفر به وقتله ، ومات أخوه داود بخراسان فاحتاج طغرل بك إلى المقام حتى قَرَّرَ القواعد بعده لإلب أرسلان ابن أخيه داود^(٤) ثم عاد إلى العراق

(١) هو أمير العرب محيى الدين أبو الحارث مهارش بن الحبل الثقيل صاحب الحديثة وعانة (شذرات الذهب ٣ : ٢٨٨)

(٢) حديثة عانة . لعلها حديثة الفرات التي تعرف بحديثة النورة وتقع دون الأنبار ، . وهناك بلدة مشهورة بين الرقة وبيت تسي عانة وتمتد من أعمال الجزيرة ، بل هي مشرقا على الفرات قرب حديثة النورة (راجع معجم البلدان ٢ : ٢٣٠)

(٣) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٥

(٤) هو داود جفرى بك بن ميكائيل بن سلجوق وقد مات سنة ٥٠٠ (انظر سلسلة النسب السلجوقية في راحة الصلور صفحة ١٤٣ وكذلك صفحة ١٦٥)

ذكر عود الخليفة القائم بأمر الله الى بغداد

وخروج البساسيري منها وقتله

١١٥- ب / قال : (١) ولما فرغ السلطان طغرلبيك من أخيه إبراهيم بنال وقتله ، وقتل ابنه معه - وكان قد خرج عليه مرارا فعفا عنه ، وإنما قتله في هذه الوقعة لأنه علم أن الذي جرى على الخليفة كان بسببه فلماذا لم يَغْفُ عنه - عاد إلى العراق وليس له همٌ إلا إعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى داره . فأرسل إلى البساسيري وقريش في إعادة الخليفة إلى داره على أن لا يدخل طغرلبيك العراق ويقنع بالخطبة والسكّة ، فلم يُعْجِب البساسيري إلى ذلك ، فرحل طغرلبيك إلى العراق ، فلما وصلت مقدّمته إلى قصر شيرين خرج حُرَم البساسيري وأولاده ، ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم في دجلة وعلى الظهر .

وكان دخول البساسيري بغداد في سادس ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة ، وخروجه منها في سادس ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ووصل طغرلبيك إلى بغداد وقد أرسل من الطريق الإمام أبا بكر أحمد المعروف بابن فورك (٢) إلى قريش ابن بدران يشكره على فِعايه بالخليفة وحفظه وصيانته ابنة أخيه امرأة الخليفة ، ويعرفه أنه أرسل أبا بكر بن فورك لإحضارهما . ولما سمع قريش بقصد طغرلبيك العراق أرسل إلى مهارش يقول له : / « إنا أودعنا الخليفة عندك ثقةً بأمانتك لينكشف بلاء الغزّ عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك ،

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٥٠ .

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب .

فارحل بأهلك إلى البرية فإنهم إذا علموا أن الخليفة عندنا في البرية لم يقصدوا العراق ونتحكم عليهم بما نريد » فقال مهارش : « إن الخليفة قد استخلفني بعهود لا أخلص منها » .

وسار مهارش ومعه الخليفة في حادى عشر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين إلى العراق فوافيا ابن فورك في الطريق ، وأرسل إليه طغرل بك الخيام العظيمة والسراقات والخيال بمراكب الذهب وغير ذلك من التحف فلقوه .

ووصل الخليفة إلى النهروان في الرابع والعشرين من ذى القعدة ، وخرج السلطان إلى خدمته وقبل الأرض بين يديه وهذاه بالسلامة واعتذر من تأخره . فشكر له ذلك وقلده سيفاً وقال : لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك أمير المؤمنين به !

قال : (١) ولم يبق ببغداد من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضي أبي عبد الله بن الدامغانى وثلاثة نفر من الشهود . وتقدم السلطان في المسير ووصل إلى بغداد ، وجلس إلى الباب النوى مكان الحاجب ، ووصل القائم بأمر الله فقام طغرل بك وأخذ بلجام بغلته / حتى صار إلى حجرته . وكان وصوله يوم الإثنين لخمس بـ ١١٦ بـ بقين من ذى القعدة ، وكانت السنة مجدية ، ولم ير الناس فيها مطراً فجاء المطر في تلك الليلة (٢) .

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٦ .

(٢) راجع راحة الصلور ١٧٥ وما بعدها ثم ما كتبه براون في

قال (١) : ولما استقرَّ الخليفة القائم بأمر الله أنفذ السلطان جيشاً عليهم خمار تكتين الطُّغرائي في أَلْفَيَّ فارِس نحو الكوفة ، وسار في أثرهم فلم يشعر دُبَيْسُ والبساسيري إلا والسَّريَّة قد وصلت إليهم في ثامن ذي الحجة من طريق الكوفة ، فجعل أصحاب دُبَيْس ابن مَزِيد يرتحلون بأهلهم فيتبعهم الأتراك فيتقدم دُبَيْس ليردَّ العربَ إلى القتال فلا يرجعون ! فمضى ، ووقف البساسيري وقاتل فسقط عن فرسه ووقع في وجهه ضربة ، ودلَّ عليه بعضُ الجرْحَى فأخذه كمشتكين ، وأتى عميد الملك الكندري (٢) وزير السلطان وقتله ، وحمل رأسه إلى السلطان فأمر بحمله إلى دار الخليفة ، فطيف به على قناة في نصف ذي الحجة ، ومضى ، ومضى نور الدولة دُبَيْس إلى البطيحة .

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة رتب الخليفة أبا تراب الأثيري في الأنهار وحضور المواكب ولقبه حاجب الحُجَّاب ، واستوزر أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست ، بعد أن شرط على نفسه أن يخدم بغير إقطاع / ويحمل مالا . ١١٧ - ١

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة عقد السلطان طغرل بك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله وحمل مائة ألف دينار ، ولم يقع مثل هذا فيما تقدّم ، وامتنع الخليفة من ذلك ثم أجاب إليه .

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٦ .

(٢) في ١ ، ك ٦٨ ، ف ٦٦ - ب « كشتكين دوانى » وكشتكين هذا هو الأتابك كشتكين جاندار قائد جيش بركيارق (راحة الصلور ١٧ ، ٢١٨) الذى سيأتى ذكره .
بعد .

وفي هذه السنة عُزل ابن دارست عن الوزارة ووليها أبو نصر ابن جهير .

وفيهما عم الرخص جميع الأصقاع ، فبيع بالبصرة ألف رطل من الثمر بمائتي قرابط (١) .

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة وصل السلطان بابنة الخليفة في شهر المحرم ، وسار من بغداد في شهر ربيع الأول إلى الرمي فمرض بها وتوفي لثمان خلون من شهر رمضان .

وفيهما ملك ألب أرسلان بعد عمه طغرل بك (٢) .

وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة عادت ابنة الخليفة زوجة السلطان طغرل بك وسيّر السلطان في خدمتها الأمير إيتكين السليماني وجعله شحنة (٣) على بغداد وسأل ألب أرسلان أن يُخطب له ببغداد واقترح أن يخاطب بالولد المؤيد فأجيب إلى ذلك ، ولُقّب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوساعاما وشافه (٤) الرسل بتقديم ألب أرسلان في السلطنة وسيّر إليه الخلع .

(١) في هذه السنة توفي المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحيمري الصنهاجي ، وكان سلطان افريقية وما والاها من الغرب (راجع النجوم الزاهرة ٥ : ٧١) وإنما ذكرنا ذلك لوروده علينا قبل .

(٢) في راحة الصدور ١٨٥ السلطان الأعظم عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان محمد برهان أمير المؤمنين .

(٣) بلا نقط في أوهى في ك صفحة ٣٨ « سجنه » وما هنا عرف ٦٧ ب لفظة ليست في القواميس العربية المتداولة ، وهى عند Supp. Dict. or Dozy. رئاسة الشرطة ونقل « الشحنة » بمعنى وظيفة الشحنة .

(٤) كذا في كل النسخ ، واللفظ عربي بمعنى نظره ، وساقه ابن الأثير في الكامل

١١٧- ب وفيها / في شهر ربيع الأول ظهر ببغداد والعراق وخوزستان وكثير من البلاد أن جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فأروا في البرية خيماً سوداً ، وسمعوا فيها لطمًا شديدًا وسمعوا فيها قائلًا يقول : قد مات سيدوك ملك الجن وأى بلد لم يلطم أهله عليه [ويعملون له المأتم قلع أصله وأهلك أهله ! فخرج كثير من النساء في البلاد إلى المقابر يلطن وينحن وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك .

قال ابن الاثير (٤) : وقد جرى في أيامنا نحن في الموصل وما والاها إلى العراق وغيره أن الناس في سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلقوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وأن كل من لا يعمل له مأتمًا أصابه هذا المرض ! فكثر فعل ذلك ، وكانوا يقولون :

يا أم عنقود اعذرينا قد مات عنقود وما درينا

وكان النساء يلطن وكذلك الأوباش !

وفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد ، وكملت عمارتها في ذى القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة . وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في العشر الأوسط من جمادى ظهر كوكب كبير له ذوابة / طويلة ممتدة إلى وسط السماء عرضها نحو ثلاثة أذرع في رأى العين وهو بناحية المشرق ، وبقي إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب .

١١٨- ا

وفيهما في جُمادى الآخرة كان بخراسان والجمال زلزلة عظيمة بقيت تتردد أيا ما تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقا كثيرا ، وانخسفت منها عدة قرى ، وخرج الناس إلى الصحراء . وفيها وُلِدَتْ صَبِيَّةٌ بَبَابِ الْأَزْجِ لَهَا رَأْسَانِ وَرَقَبَتَانِ وَوَجْهَانِ وَأَرْبَعُ أَيْدٍ عَلَى بَدَنِ وَاحِدٍ (١) .

وفي سنة تسع وخمسين وأربعمائة في ذى القعدة قُتِلَ الصُّلَيْحِيُّ صاحب اليمن (٢) وَخُطِبَ بِهَا لِلدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .

وفي سنة ستين وأربعمائة كانت زلزلة عظيمة بمصر وفلسطين خربت الرملة ، وطلع الماء من رعوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة ، وانشقت صخرة البيت المقدس ثم عادت بإذن الله تعالى ، وانحسر البحر عن الساحل مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا .

وفيهما عزل فخر الدولة بن جهير عن الوزارة ثم أعيد في سنة إحدى وستين بشفاعة نور الدولة دُبَيْشِ بْنِ مُزَيْدٍ فَمَحَّدِجِهِ أَبُو الْفَضْلِ فَقَالَ :

أَقْدَرُ الْحَقِّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ دُونِ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ (٣) مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلَّتهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادَته إِلَى قَرَابِهِ

١١٨-ب

(١) سيق هذا الخبر وما قبله عن ابن الجوزي في البداية والنهاية ١٢ : ٩٣ .

(٢) يعتبر الصليحي واحدا من الذين حكموا بسداد ، وكان طموحا ففزا مكة عام ٤٥٥ ورفع جور من تقدمه فيها فأمن الحجاج في عهده وكسا البيت بالحريز الصيني الأبيض وابتاع عليه التي سلبها بنو حسن وردّها إليه . ويقول ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٥ : ٥٨ إنه في سنة ٤٤٧ استولى أبو كامل على بن محمد الصليحي على اليمن وانتمى إلى المستنصر صاحب مصر .

(٣) في الكامل ٨ : ١٠٧ . وأنت من كل الورى أولى به .

وهي قصيدة طويلة .

وفيها في شعبان احترق جامع دمشق ، وكان سبب ذلك أنه وقع بين المغاربة والمشاركة حربٌ فاحرقوا داراً مجاورة للجامع فاتصل الحريق بالجامع ، فدُثِرَت محاسبته وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

وفي سنة اثنتين وستين وردَ رسولُ صاحب مكة محمد بن أبي داثم بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان بمكة وإسقاط خطبة صاحب مصر وترك الأذان بـ « حى على خير العمل » فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلفاً نفيسة وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار . وخطب محمود بن صالح بن مرداس صاحب حلب لهما أيضاً في سنة ثلاث وستين على ماشرحه في أخبار الدولة السلجقية فقال أبو عبد الله بن عطية يمدح الخليفة :
كم طائع لك لم تجلب عليه ولم تعرف لطاعته غير الثقي سببا
هذا البشير بإذعان الحجاز وذا داعي دمشق وذا المبعوث من حلبا
وفيها خرج أرمانوس ملك الروم في مائتي ألف إلى / خلاط^(١) وأسر على ما تذكره - إن شاء الله - في أيام ألب أرسلان .

١١٩ - ١

وفي سنة أربع وستين وأربع مائة عزل إيتكين السلجاني من شحنة بغداد واستعمل عليها سعد الدولة كوهرايين^(٢) ، وكان سبب

(١) يقرر ابن الأثير في الكامل ٩ : ١٠٩ أنه وصل إلى ملاز كرد من أصال خلاط وكان معه جند من الروس هزمهم ألب أرسلان وأسر مقدمهم ، ثم أسر ملك الروم نفسه (راجع أيضا راحة الصلور ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٢) في كل النسخ « كوهرايين » وما هنا من راحة الصلور ١٨٩ .

عزل السليمانى أنه كان قد سار إلى السلطان ألب أرسلان واستخلف ابنه شحنة بغداد فقتل أحد مماليك الدارية فأنفذ قميصه من الديوان إلى السلطان ووقع الخطاب في عزله ، فورد إلى بغداد في ربيع الأول من هذه السنة وقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام أياماً فلم يُجب إلى ذلك ، وكان نظام الملك يعتنى بالسليمانى فأضاف إلى إقطاعه تكريت ، فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها . فلما رأى السلطان ونظامُ الملك إصرارَ الخليفة على الغضب على السليمانى عزلاه ، وسيراً سعد الدولة إليها ^(١) ، فتلقاه الناس وجلس له الخليفة .

وفي سنة خمس وستين وأربعمائة قُتل السلطان ألب أرسلان وملك بعده ابنه السلطان ملكشاه . وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس قدسه الله ...

ذكر غرق بغداد

وفي سنة ست وستين وأربعمائة غرق الجانب الشرقى / وبعض الغربى من بغداد ، وسبب ذلك أن دجلة زادت زيادة عظيمة ١١٩-ب وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة ، وجاء الماء إلى المنازل ونبع من البلايع والآبار بالجانب الشرقى ، وهلك خلق كثير تحت الهدم ^(٢) ، وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق . وقام

(١) يخطئ النويرى دائماً في استعمال الضمائر ، ولكنه هنا ربما قصد بغداد .

(٢) من طريق ما يحكى ما يرويه ابن الأثير من أن الناس شكوا إلى أول الأمر كثرة المجون وزيادة الموابير ، فلم يفعلوا شيئاً حتى كان الفرق فكان تلبية إلهية لشكواهم (الكامل ٨ : ١١٩) .

الخليفة يتضرّع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب ، وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد بن حنبل ومشهد باب التنين وتهدم سورته ، ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي .

ذكر وفاة القائم بأمر الله

وشيء من سيرته

كانت وفاته في ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان سبب وفاته أنه كان قد أصابه مأثر فافتصد^(١) ونام ، فانتفخ فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر ، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته . فأيقن بالموت وأحضر ولي عهده ووصاه وأحضر نقيب العباسيين ونقيب الطالبين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه / أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم ولي عهده .

١٢٠-١

ولما تورق غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي ، وصلى عليه المقتدي بأمر الله . ومات وله من العمر ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، ومدته خلافته أربع وأربعون سنة وثمانية أشهر إلا أياما . وقيل كان مولده في ثامن عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة فعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام .

وكان جميلا أبيض مشربا بحمرة ، حسن الوجه والجسم ، ورعا دينيا زاهدا عالما قوي اليقين بالله تعالى ، وله عناية بالأدب ومعرفة

(١) في البداية والنهاية ١٢ : ١١٠ أنه افتصد من بواسير كانت تعناه .

حَمِيَّةٌ بِالْكِتَابَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْضَى [عَنْ] أَكْثَرِ مَا يَكْتُبُ مِنَ الدِّيْوَانِ
وَيُصْلِحُ أَشْيَاءَ مِنْهُ . وَكَانَ مُؤَثِّرًا لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، مُرِيدًا لِقَضَاءِ
حَوَائِجِ النَّاسِ ؛ لَا يَرَى أَنْ يَمْنَعَ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ ، حُكِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ
ابْنِ عَامِرِ الْوَكِيلِ قَالَ : « دَخَلْتُ يَوْمًا إِلَى الْمَخْرَنِ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا
وَأَعْطَانِي قِصَّةً فَاثْمَلَاتٍ أَكْمَأَى فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ أَخِي
لَأَعْرَضَ عَنْ هَذِهِ كُلِّهَا فَالْقَيْتُهَا فِي الْبِيرِكَةِ وَالْقَائِمُ يَنْظُرُ وَلَا أَشْعُرُ ،
فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ أَمَرَ الْخَدَمَ بِإِخْرَاجِ الرَّقَاعِ مِنَ الْبِيرِكَةِ فَأَخْرَجَتْ
وَوَقَفَ عَلَيْهَا ، وَوَقَعَ بِأَغْرَاضِ أَصْحَابِهَا ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عَائِي ^(١) مَا حَمَلَكَ
عَلَى هَذَا ؟ فَقُلْتُ : خَوْفُ الضَّجَرِ مِنْهَا ! فَقَالَ : لَا تَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا فَإِنَا
مَا / أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا شَيْئًا .

١٢٠ - ب

وَمَا يُحْكِي مِنْ جُمْلَةٍ كَرَّمَهُ أَنْ أَحَدَ السُّلَاطِينِ فِي أَيَّامِهِ سَأَلَهُ
أَنْ يَتَقَدَّمَ بِاعْتِقَالِ وَزَرَائِهِ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ اسْتَوَلَوْا عَلَى أَمْوَالِهِ فَخَرَجَ
تَوْقِيعَهُ « لَيْسَتْ دَارُنَا دَارَ حَبِيسٍ وَسَجْنٍ بَلْ هِيَ دَارُ طُمَأْنِينَةٍ
وَأَمِنْ » وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ رَائِعٌ فَمِنْهُ قَوْلُهُ :

قَالُوا : الرَّحِيلُ ، فَأَنْشَبَتْ أَظْفَارُهَا

فِي خَدِّهَا وَقَدْ اعْتَلَقْنَ خِضَابَا

وَإِخْضَرُّ تَحْتَ بَنَانِيهَا فَكَأَنَّمَا

غَرَسَتْ بِأَرْضٍ بَنَفْسُجٍ عِنَابَا

وَفِي أَيَّامِهِ أَسْلَمَ مِنْ كُفَّارِ الْإِتْرَاكِ أَلْفَ خُرْكَاهِ وَصَحَّحُوا بِثَلَاثِينَ
أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ الْغَنَمِ وَقِيلَ : أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ .

(١) فِي كُلِّ النَّسخِ « يَا عَائِي » أَوْ « يَا حَائِي » وَمَا هُنَا عَنِ الْكَمَالِ .

ولم يخلف ولداً لأن ابنه ذخيرة الدين توفى في ذى القعدة سنة سبع وأربعين وعمره خمس عشرة سنة .

وزرلوه وكتابه : كتب له عميد الرؤساء أبو طالب محمد بن أيوب ، ثم رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسين بن مسلمة - وزر له ولقبه بهذا اللقب وبجمال الوري - ووُزِّرَ له بعده أبو الفتح منصور ابن أحمد بن دارست ، ثم فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد ابن جُهير . قضاته : قاضى القضاة أبو عبد الله الحسن بن علي بن ماکولا البصري إلى أن مات ، فَوَلَّى أبا عبد الله محمد بن علي الدامغاني شيخ أصحاب أبي حنيفة . **أُحْجَّابَه** : أبو منصور بن بكران ثم أبو عبد الله الحسن بن علي المردوسي ^(١) .

١- ٢٢١

ذكر خلافة المقتدى بأمر الله

هو أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن القائم بأمر الله ، وأمه أم ولد اسمها أرجوان وقيل شراب ، وتدعى قرّة العين . وهو الخليفة السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويح له بعد وفاة جدّه القائم بأمر الله في يوم وفاته وهو يوم الخميس ثلاث عشرة خلت من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة . وكان القائم جدّه قد عهد له كما ذكرنا ، فلما مات القائم حضر مؤيد

(١) يذكره البيهقي في تاريخه ٣١٥ ، ٣٦٤ « الأستاذ أبو عبد الله الحسين بن ميكائيل » و« الخواجه عبد الله الحسين بن علي بن ميكائيل » وفي هامش راحة الصدور ١٥٩ « وأبو عبد الله الحسين بن علي بن ميكائيل » يقول عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ١٢٧ « أبو عبد الله المودوسي كان رئيس أهل زمانه ، وكانت الملوك تعظمه وتكاتبه . »

الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة
والشيخ أبو اسحاق وأبو نصر الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب
المعمر بن محمد وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من
الأعيان والأنابكة فبايعوه ، وكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر
محمد بن أبي موسى الهاشمى بعد فراغه من غسل القائم وأنشد :
إذا سيّدنا مَضَى قام سيّد
وأُرْنج عليه فقال المقتدى :

١٢١ ب

/ قوّل عما قال الكرام فعول .

ولما فرغوا من البيعة صَلَّى المقتدى بِأمر الله بهم العصر .

ذكر الحوادث فى أيام المقتدى

فى ذى القعدة ملك الأقيسيّس دمشق وخطب بها للمقتدى
بأمر الله ، وكان آخر مَنْ خَطَبَ بها للمصريين (١) .

وفىها ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج من الروم .
وفىها قدم سعد الدولة بن كوهر آيين شحنةً إلى بغداد من قبل
السلطان ملكشاه ومعه العميد أبو نصر ناظرا على أعمال بغداد .

وفى سنة تسع وستين وأبعمائة قديم أبو نصر ابن الأستاذ
أبى القاسم القشيري حاجاً ، وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس ،
وفى رباط شيخ الشيوخ ، وجرى له مع الجنبلة فتنةٌ لأنّه كلّم على مذهب

(١) ويروى ابن الأثير أنه طلع فى مصر سنة تسع وستين وأربعمائة وحاصرها فلما
ولكنه انهزم هزيمة شنيعة بنير قتال (الكامل ٨ : ١٢٢) .

الاشعرى ونَصَرَد . وكثُر أتباعه والمتعصبون له ، فثار الحنابلة
ومن تبعهم من سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة من المتعصبين
للشيعى كالشيخ أبى إسحاق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان ،
فَجَرى بين الطائفتين أمورٌ عظيمة . فنسب أصحاب / نظام الملك
ذلك إلى الوزير فخر الدولة بن جُهير وكتب أبو الحسين محمد
ابن على بن أبى القصر الواسطى الفقيه الشافعى إلى نظام الملك :

١٢٢-١

يا نظامَ المُلْكِ قد حلَّ ببغداد الأنظامُ
وابنك القاطنُ فيها مستلانٌ مستضامٌ^(١)
وبها أودى له قتلى غلامٌ فغلامُ
والذى منهم تَبَقَّى سالماً فيه سهامُ
ياقوامَ الدين لم يَبْقَ ببغدادَ قوامُ
عظمُ الخطبُ فللهِ حربُ اتِّصالٍ ودوامُ
فمضى لم يُخْتمِ الدَّاءُ بأيديك الحسامُ^(٢)
ويكفَّ القومُ في بغدادَ قتلُ وانتقامُ
فعلى مدرسةٍ فيها ومَن فيها السلامُ
واعتصام بحريمٍ لك من بعدُ حرامُ

فلما اتَّصل ذلك بنظام الملك عَظُمَ عليه فأعاد سعد الدولة كوهراًيين
شحنةً إلى العراق في سنة إحدى وسبعين ، وحمله رسالةً إلى الخليفة

(١) في الكامل ٨ : ١٢٨ بتصحيح « وبق القاطن فيها مستلان مستضام » .

(٢) في الكامل « فمضى لم تخم الداء أياديك الحسام » وفيه تصحيح .

تتضمن الشكوى من بنى جُهير ويسأل عَزْلَ فخر الدولة عن الوزارة، فلما وصل إلى بغداد وأبلغ الخليفة الرسالة أمر فخر الدولة بلزوم داره واستوزر بعده أبا شجاع محمد بن الحسين / قال: ^(١) ولما بلغ ابن جهير تغير نظام الملك عليه أرسل ابنه عميد الدولة إليه يستعطفه، فسار إليه قبل وصول كوهر آيين إلى بغداد، ولم يزل يستعطفه حتى عاد إلى ما ألقه منه وزوجه بابنته. فعاد إلى بغداد فلم يرّد الخليفة أباه إلى الوزارة وأمرهما بملازمة منازلهما فأرسل نظام الملك إلى الخليفة في إعادة بنى جهير إلى الوزارة فأعيد عميد الدولة إليها وأذن لأبيه فخر الدولة بفتح بابه، وذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة.

وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ملك تاج الدولة تنش بن ألب أرسلان دمشق على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة السلجقية.

وفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة في شوال توفي نور الدولة أبو الأغر دُبَيْس بن علي بن مَزِيد الأسدي، وولى بعده أبو كامل منصور ولقب بهاء الدولة.

وفيهما أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة إلى السلطان ملكشاه بأصبهان يخطب ابنته للخليفة فسار إليه وخطبها، فتقررت القاعدة على أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأن لا يبقى الخليفة سريولا زوجة غيرها فأجيب إلى ذلك.

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٢٦

١٢٣-١

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

وفي سنة خمس وسبعين كانت الفتنة بين الطائفتين ، وسببها أنه ورد إلى بغداد الشريف أبو القاسم البكري القرشي الواعظ وكان أشعري المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك فأجبه ومال إليه وسيره إلى بغداد ، وأجرى عليه الجراية الوفرة . وكان يعظ بالمدرسة النظامية ، ويذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول « وما كفر سليمان ولكن الشاطين كفروا » (١) وما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ثم قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغانى فجري بينه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة . وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم ومنها كتاب الصفات لأبي يعلى فكان يقرأه بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ ، وشنع عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن . ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ، ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري رحمهما الله تعالى .

١٢٣-ب

ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق برسالة الخليفة

إلى السلطان ملكشاه

وفي ذى الحجة سنة خمس وسبعين وأربعمائة أرسل الخليفة المقتدى الشيخ أبا إسحاق الشيرازي برسالة إلى السلطان تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث عميد العراق ، وأمره أن ينهى إليه وإلى نظام الملك ما يجرى على أهل البلاد من النظر . فسار الشيخ ، فكان الشيخ كلما وصل إلى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون

من تراب بقلته للتبرك . وكان في صُحبته جماعة من أعيان أصحابه فلما وصل إلى ساوة خرج إليه جميع أهلها وسأله كل من فقهاها أن يدخل بيته فلم يفعل . ولقيهُ أربابُ الصناعات ومعهم ما ينشرونه على محفته ، فخرج الخبازون ينشرون الخبز وهو ينهام فلم ينتهوا ، وكذلك أصحاب الفاكهة والحلوى وغيرهم ، وخرج إليه الأساكفة وقد عملوا مداسات لطافاً تصلح لأرجل الأطفال ونشروها فكانت تسقط على رؤوس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ويقول : ما كان حظكم من ذلك النثار؟ فقال بعضهم : ما كان حظ سيدنا منه ! فقال الشيخ : أما أنا فتغطيت بالمحفة ! يقول ذلك وهو يضحك .

قال (١) : ولما وصل الشيخ إلى السلطان وإلى نظام الملك أكرماه ، وأُجيب إلى جميع ما التمسه من الخليفة . ولما عاد أهين عميد العراق ، ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة . وفيها قدم مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من أصفهان ونزل بالمدرسة النظامية ، وضرب على بابيه الطبول في أوقات الصلوات الخمس ، فأعطى مالا جزيلاً حتى قطع ذلك ، فأرسل الطبول إلى تكريت والله تعالى أعلم .

ذكر عزل عميد الدولة عن الوزارة

وميسر والده إلى ديار بكر

وفي سنة مِئتين وسبعين وأربعمئة في صفر عزل عميد الدولة فخر الدولة بن جهير عن الوزارة ، ووصل في يوم عزله له رسول

من السلطان ومن نظام الملك إلى الخليفة يطلبان [معه] أن يرسل إليهم ما ينى جهير فآذن لهم فصاروا بجميع أهلهم ونسائهم ، فصادفوا من السلطان ومن نظام الملك الإكرام والاحترام ، وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات (١) وسير معه العساكر وأمره أن يأخذها من بني مروان ، وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على المسكة ، فصار إليها .

قال (٢) : ولما فارق بنو جهير بغداد رتب الديوان أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزله في السنة وولى أبا شجاع محمد ابن الحسين وخلع عليه خلع الوزراء (٣) .

وفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة استولى عميد الدولة على الموصل . وفيها فتح سليمان بن قتلمش السلجقي صاحب الروم أنطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وفي شهر صفر انتفض كوكب من الشرق إلى الغرب كان حجمه وضوؤه كالقمر ، وسار مدني بعيدا على مهل في نحو ساعة .

وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة استولى الفرنج على مدينة طليطلة وأخذوها من المسلمين على ما ذكره - إن شاء الله تعالى - في أخبار الأندلس (٤) .

(١) الكوسات : الطبول فارسية ، أنظر . Lane (H.W.) : an arabic English Bock I.

Party. Dozy : Supplement Dic ar. 2 : 498.

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٢٣

(٣) ولقبه ظهير الدين (البداية والنهاية ١٢ : ١٢٤) .

(٤) سيرد ذلك في هذا الجزء في القسم الخامس بالأندلس .

وفيها في شهر ربيع الأول هاجت ريحٌ عظيمةٌ مسوداء بعد العشاء ،
وكثرت الرغدُ والبرق وسقط على الأرض رملٌ أحمرٌ وترابٌ كثيرٌ ،
وكانت النيران تضطرم في أطراف السماء ، وكان أكثر ذلك بالعراق
والموصل ، فألقت النخل ، وسقط معها صواعق في كثير من البلاد
ثم انجلي ذلك نصف الليل .

وفيها في شهر ربيع الأول توفي أبو المالح عبد الملك بن عبد الله
ابن يوسف الجويني إمام الحرمين ، ومولده سنة سبع عشرة
وأربعمائة (١) .

وفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة ملك السلطان ملكشاه مدينة
حلب واللاذقية وكفر طاب وأفامية (٢) .

وفيها في شهر / ربيع الأول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن
كُبَيْس بن علي بن مزيد الأسدي صاحب الحلة والنيل (٣) وولي
ابنه سيف الدولة صدقة .

وفيها أسقط اسم العلوي صاحب مصر من الحرمين الشريفين
وذكر اسم الخليفة المقتدى بأمر الله .

وفيها أسقطت المكوس من العراق .

وفي سنة ثمانين وأربعمائة في المحرم زُفَّت ابنة السلطنة ملكشاه
إلى الخليفة ، ونُقل جهازها على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج

(١) الجويني : ينسب إلى جوين من قرى نيسابور ، وقد ترجم له ابن كثير في
البيداء والنهاية ١٢ : ١٢٨ كما ترجم لأبيه إمام الشافعية ١٢ : ٥٥ .

(٢) انظر هنا راحة الصلور ٢٠٢ وما بعدها .

(٣) يقول عنه ابن كثير في البيداء والنهاية ١٢ : ١٣٠ كان أدبياً ويروي له شعراً .

الرومي، وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة، وثلاث عماريات، وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدُها من الذهب، وعلى مئة منها اثنا عشر صندوقًا من فضة فيها من الجواهر والحلي ما لا تُقدَّر قيمته، وأمام اليقال ثلاث وثلاثون فرسًا من الخيول السوابق عليها مراكبُ الذهب. وسار أمام الجهاز سعدُ الدولة والأمير برسقى وغيرُهما، وكانت ليلة مشهورة، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان إسماعيل أمر بعملة حكي أنه عُمِلَ فيه أربعون ألف من السكر. وخلع الخلفية على جميع أمراء السلطان ومن له ذكْرٌ في العسكر، وأرسل الخلع إلى جميع الخواتين. وولدت في هذه السنة من الخليفة ولدا وهو أبو الفضل جعفر.

١٢٥-ب

وفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة في شهر ربيع الآخر أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته من حريم دار الخلافة، وكان سبب ذلك أن تركيًّا منهم اشترى فاكهة من طواف فتكالمًا فشتمه الطواف فضربه التركي فشجّه، فاجتمعت العامة وشنعوا واستغاثوا، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك فأجروا على أقبح صورة.

وفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أرسل السلطان ملكشاه إلى الخليفة يطلب ابنته طلبًا لا بُدَّ منه، وسبب ذلك أنها كانت قد أرسلت إليه تشكو من اطراح الخليفة لها وإعراضه عنها فأذن لها في المسير، فسارت في شهر ربيع الأول ومعها ابنتها من الخليفة فوصلت إلى أصفهان فأقامت إلى ذى القعدة وتوفيت.

وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة في شهر ربيع الأول عزل الوزير أبو شجاع ، وكان عزله في يوم الخميس فقال :

تولأها وليس له عَدُوٌّ وفارقَهَا وليس له صديق

فلما كان من الغد يوم الجمعة خَرَجَ من دارِهِ إلى الجامع ماشياً فاجتمع عليه خلق كثير ، فأمر أن لا يخرج من بيته ، واستنوب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الإنشاء وأرسل الخليفة إلى السلطان يستدعي منه عميد الدولة بن جُهير يستوزره ، فسُير إليه فاستوزره / في ذي الحجة من السنة .

١٢٦ - ١

وفيها ملك الفرنج جزيرة صِقْلِيَّة .

وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازلٌ ، فصارق الناس مساكنهم وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن والدور ، وهلك تحتها خلق كثير ، وخرَّب من بروجها تسعون برجاً .

وفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة قُتِلَ نظام الملك في عاشر شهر رمضان .

وفيها توفي السلطان ملكشاه وملك بعده ابنه محمود .

وفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة خطب للسلطان بركيارق بن ملكشاه ببغداد في يوم الجمعة رابع المحرم (١) .

(١) في كل النسخ « بركيازوق » وماها هنا عن راحة الصدور ٢١٤ ، ويقول الراوندي فيه إنه تول سنة ست وثمانين وأربعمائة .

ذكر وفاة المقتدى بأمر الله

وشيء من أخباره

كانت وفاته في يوم السبت خامس عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة فجأة ، وكان قد أُخْضِرَ إليه تَقْلِيدُ السلطان بركيارق ليعلم عليه فقرأه ثم قَدَّمَ إليه الطعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمائه شمسُ النهار فقال لها : ما هذه الأشخاص التي قد دخلت على بغير إذن - قالت - فالتفتُ فلم أَر شيئاً فرأيتُه قد تَغَيَّرَ حالُّه واسترَحَّت يداه ورجلاه / وانحَلَّت قُوَّتُهُ فسقط إلى الأرض ، فَظَنَنْتُهَا غَشِيَةً لِحِقَّتِهِ ، فحللت أزرار ثوبه فوجدتُه قد ظهرت عليه أمارات الموت ، فقامتُ وقلت لجارية عندي : ليس هذا وقت إظهار الجزع والبكاء ! وأحضرت الوزيرَ وأعلمته الحالَ فشرعوا في البَيْعَةِ لولى العهد ، وَجَهَّزُوا المقتدى وصَلُّوا عليه ابنه المستظهر بالله ودُفِنَ .

١٢٦-ب

وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام ، وخلافته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وبومين ، وكان عظيمَ الهمة شديد العزيمة ، ولم يكن له أعوان على ذلك تذبُّ عنه بل كانت له دعوة مجابة ، وكانت أيامه كثيرةَ الخير واسعةَ الرزق . وعظُمَتِ الخلافةُ فيها أكثرَ من كان قبله ، وعُمِّرَ ببغدادَ عدة محال في خلافته منها البصلية والقطيعية والحلبية والمعيدية والأجمة ودرب القبار وخرانة الهراس والخاتونتين .

قال (١) : وأمر يَنْفَى المغنيَّات والمفسدات من بغداد ، وأمر

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٧٠ .

ببيع دورهن ومنع دخول الحمام إلا بمئزر ، وقلع الهراي والأبراج
التي للطيور ، ومنع من اللعب بها لأجل الاطلاع على حرم الناس ،
ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة ، وألزم أربابها بحضر آبار
للمياه ، ومنع الملاحين / من حمل النساء والرجال مجتمعين . ١٢٧ - ١

ووزر له : من ذكرناهم . قضاته : أبو عبد الله الدامناني إلى أن مات ،
ثم أبو بكر محمد بن المظفر الشامي الشافعي . حجابيه : أبو عبد الله
ابن دوشي (٢) ثم أبو منصور بن محمد محمد .

ذكر خلافة المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن
ذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن القائم بأمر الله ، وهو الخليفة
الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين قال (١) : ولما مات المقتدي
بأمر الله أخضر ولده المستظهر بالله وأُعلِمَ بموته فبايعه الوزير ، وركب
إلى السلطان بركيارق فأعلمه الحال ، وأخذَ بَيْعَتَهُ للمستظهر بالله .
فلما كان في اليوم الثالث من وفاة المقتدي أظهر موته ، وحضر عزُّ
المُلك بن نظام الملك وزير بركيارق ، وأمر السلطان جميع أرباب
المناصب بالجلوس للعزاء والبيعة للمستظهر بالله . فبويع له البيعة
العامة في السادس عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ،
وله من العمر ستة عشر سنة وشهران .

(١) كذا في ١ ، ك ٧٤ ، ف ٧١ - ب فلمه هكذا ولمله « ابن دوست » كأحمد بن
محمد بن دوست صاحب الرباط المشهور (انظر شذرات الذهب ٣ : ٣٦٣) وقد سبق أن
وقفتا عند اسمه في حوادث سنة ٤٦٧ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٧٠ .

ذكر الحوادث في أيام المستظهر بالله

١٢٧ - ب

في سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة كان بين الملوك السلاجقة وبين بعضهم حروب كثيرة نذكرها إن شاء الله تعالى في أخبارهم (١).

وفيهما شرع الخليفة في عمل سورٍ على الحريم ، وأمر الوزير عميد الملك بالجِدِّ في عمارته .

وفيهما في شهر ربيع الأول خطب لولى العهد أبى الفضل منصور بن المستظهر بالله .

وفي سنة تسعٍ وثمانين وأربعمائة اجتمع ستة كواكب في برج الحوت ، وهى الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفانٍ يكون في الناس ، وأحضر الخليفة ابن عسّون المنجم فسأله فقال : إن في طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع منها فيه ستة وليس فيها زحل ، فلو كان فيها لكان مثل طوفان نوح ، ولكن أقول إن مدينة أوبقعة من الأرض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون ، فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها ! فأحكمت المواضع التى يُخشى منها الانفجار والغرق . واتفق أن الحجاج نزلوا في المناقب (٢) فاتّاهم سيل عظيم فغرق أكثرهم ، ونجا من تعلّق بالجبال ،

(١) في هذه السنة يقول ابن الأثير : إن شاهك توجه إلى مصر ثم رحل عنها إلى المغرب وفيها قتل تتش بن ألب أرسلان بعد هزيمة بركيارق (الكامل ٨ : ١٧٤ ، ١٧٥)
ويسجل الراوندى هذه الواقعة ويعقبها بوقائع أخرى في راحة الصدور ٢١٩ وما بعدها .

(٢) في ١ وفى له ٧٥ « المناقب » وما هنا عن ف ٧٣ موافقا لما جاء في البداية والنهاية

وذهب المال والدواب والأزواد وغير ذلك ، فخلع الخليفة على المنجم !

وفي سنة تسعين وأربعمائة كان ابتداء الدولة الخوارزمية/ وفيها ١٢٨ - ١
خطب الملك رضوان بولايته بالشام للمستعلى صاحب مصر^(١) ، ثم
رجع عن ذلك وأعاد الخطبة للدولة العباسية^(٢) .

وفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة كان ابتداء استيلاء الفرنج
على بلاد السواحل الشامية ، وملكوا مدينة أنطاكية ومعرة النعمان
وبيت المقدس ، وغير ذلك على ما نذكره في أخبار العلويين ملوك
مصر ، فإن أكثر ذلك كان في ولايتهم .

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قُتل أبو القاسم ابن إمام الحرمين
أبي المعالي الجويني بنيسابور - وكان خطيبها - فاتهم العامة أبا البركات
الشعبي أنه هو الذي سعى في قتله ، فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه .

وفي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة في شهر رمضان عُرِلَ عميد
الدولة من وزارة الخلافة وُخِذَ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار ،
وتوفي في سادس عشر شوال .

وفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج مدينة سروج
من ديار الجزيرة ، وقتلوا كثيرا من أهلها ، ونهبوا أموالهم وسبوا
حريمهم ، ولم يسلم إلا من انهزم ، وملكوا مدينة حيفا وهي بقرب

(١) راجع الكامل ٨ : ١٨٤ وأما رضوان المذكور فهو ابن تاج الدولة تنش بن
أبى أرسلان السلجوقي ومنه أخذت الفرنج أنطاكية .

(٢) قيل في سبب إعادة الخطبة للعباسيين أن سقمان بن أرتق التركاني وباغيسيان صاحب
أنطاكية زارا الملك رضوان . وأنكرا عليه دعوته للمصريين فرجع .

١٢٨ - ب عكا ، وملكوا أرسوف بالأمان وأخرجوا منها أهلها / ، وملكوا قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها (١) .

وفيها تقدم أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن يصلي فيه التراويح ولم تجر بذلك عادة ، وأمر الخليفة بالجهير بالبسملة وبالحنوات على مذهب الإمام الشافعي .

وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة في شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزاق ولقبه عضد الدولة .

وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها [وإنما كان يسكن هو وآبائوه في البيوت العربية] (٢)

وفي سنة ست وتسعين وأربعمائة في منتصف شهر رجب قبض على الوزير سديد الملك وحبس بدار الخليفة ، وأعيد أمين الدولة أبو سعيد ابن موصلايا إلى الوزارة ، ثم استوزر في شعبان زعيم الرؤساء أبا القاسم ابن جهير واستقدمه من الحلة ، وكان عند سيف الدولة صدقة ، ولما حضر خلع عليه وجلس في الديوان ولقب قوام الدين .

وفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج جبيل (٣) وعكا .
وفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة توفي السلطان بركيارق بأصفهان

(١) كان المسلمون بقيادة سقمان بن أرتق التركاني حينا ضاعت سروج وكان ضياعها ليدانا بضياع غيرها !

(٢) إضافة من الكامل ٨ : ٢١٤

(٣) جبيل : بلد خارج دمشق على ثمانية فراسخ من بيروت شرقها كما يقول ياقوت

وخطب لابنه ملكشاه^(١) بالجوامع ببغداد .

١٢٩-١ وفي سنة خمسمائة في صفر عزل الوزير أبو القاسم ابن جُهير فقصَدَ دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئاً إليها فأرسل من أخذه وحمله إليه ، فأمر الخليفة بِنَقْضِ داره ، وكان في ذلك عبرة لمن يعتبر ، فإن أباه أبا نصر كان قد بناها بأنقاض دور الناس فخرِبَتْ عن قريب ، ولما عزل استنوب في الوزارة قاضي القضاة أبو الحسن الدامغانى ، ثم تقررَت الوزارة في المحرم سنة إحدى وخمسمائة لأبى المعالى هبة الله بن محمد عبد المطلب وخلع عليه .

وفي سنة إحدى وخمسمائة في شهر رجب قُتِلَ الأميرُ سيفُ الدولة صدقةُ بنُ منصور بن دُبَيْس بن مَزِيد الأسدي أمير العرب ، وهو الذى بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه واتسع جأه واستجار به كبار الناس وصغارهم .

وفيهما في شهر رمضان ورد القاضي فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام إلى بغداد مستنقراً على الفرنج ، فأنزله الخليفة وأكرمه وأجرى عليه الجرايات العظيمة ، وأحضر معه من التقدمة والهدية من الأعلاق النفسية والخيول العربية ، وغير ذلك ما لم يوجد مثله عند ملك ، وأقام ببغداد إلى أن رحل السلطان محمد عن بغداد في شوال . فتقدم إلى ١٢٩ ب الأمير حسين بن أتابك قتلغتكين أن يسيّر معه العساكر التى سيرها إلى الموصل مع أولاد مردود ، وخطع عليه السلطان خلعاً سنياً وأعطاها شيئاً كثيراً وودعه : وسار مع الأمير حسين فلم يجد ذلك نفعاً .

(١) يحسن مراجعة مادة Malik shah في Enc. of Islam علماً بأن أبا بركيارق كان اسمه ملكشاه أيضاً .

وفيهما عَزَلَ الخليفةُ وزيرَه مَجْدَ الدين هبةَ الله بن المطلب برسالةٍ من السلطان، ثم أعيدَ إلى الوزارة بإذن السلطان محمد، وشُرْطَ عليه شروطُها العدلُ وحُسنُ السَّيرَةِ وأن لا يستعملَ أحدًا من أهلِ الدِّمةِ.

وفي سنة اثنتين وخمسمائة في نيسان زادت دجلةُ زيادةً عظيمةً انقطعت منها الطرقُ، وغرقت الغلالُ الثَّنيَّةُ والصفيةُ، وحدث غلاءٌ عظيمٌ بالعراق، وعدمُ الخيرِ، وأكل الناسُ الثَّمَرُ والباقلاءَ الأخضرِ، وأما أهلُ السَّوادِ فإنهم لم يأكلوا في شهر رمضان ونصفِ شوالٍ إلا الحشيشَ والثَّوتَ.

وفيهما في شهر رجب عَزَلَ وزيرُ الخليفةِ أبو المعالي هبةَ الله ابن المطلب، ووَزَرَ أبو القاسمِ علي بن نصر بن جهير.

وفيهما في شعبان تزَوَّجَ الخليفةُ المستظهر بالله ابنةَ السلطان ملكشاه وهي أخت السلطان محمد، وتولَّى قبولَ العقدِ بوكالةِ الخليفةِ نظامُ الملك وزير السلطان، والصدق / مائة ألفِ دينارٍ، ونشَرَتِ الجواهرُ والدنانيرُ، وكان العقدُ بأصفهانَ، وخطَبَ خطبةَ النِّكاحِ القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابوري الحنفي.

وفيهما تولى مجاهدُ الدين بهروز شَحْنَكِيَّةَ بغداد.

وفي سنة ثلاثٍ وخمسمائة في حادى عشر ذى الحجة ملك الفَرَنْجِ طرابلس وجبيل وبيروت وبانياس^(١).

وفي سنة أربع وخمسمائة ملكوا صيدا في شهر ربيع الأول، وفيها

(١) بانياس : رسها ياقوت باناس وقال من أنهار دمشق.

في شهر رمضان المبارك زُفَّت ابنةُ السلطان ملكشاه إلى الخليفة المستظهر
بِالله فزُيِّنَتْ بِغَدَادَ لذلك

وفي سنة خمس وخمسمائة توفى الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله (١)
وفي سنة سبع وخمسمائة توفى أبو القاسم علي بن جهير وزير
الخليفة ، ووزر بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع
محمد بن الحسين [وزير السلطان] (٢) .

وفي سنة ثمان وخمسمائة في جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة
بديار الجزيرة والشام وغيرها : فَخَرَّبَتْ كَثِيرًا مِنَ الرُّهَا وَحِرَانَ
وَسَمِيسَاطَ وَبَالَسَ وَغَيْرَهَا ، وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ تَحْتَ الرَّدَمِ .
وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفى السلطان محمد بن ملكشاه
وملك ابنه محمود بن محمد .

وفيها غرقت مدينة سنجار وكان سبب / ذلك أن المطر دام فيها ليلا
ونهارا واشتد ، وجاء السَّيْلُ في واديا وأفسد الشباك الذي يجري فيه الماء
في سورها ، فاجتمع الماء وعظم على السور حتى ألقاه ، وهَجَمَ عَلَى الْمَدِينَةِ
بِشِدَّةٍ وَقُوَّةٍ فَلَمْ يَطِقِ النَّاسُ يَنْتَقِلُونَ عَنْهُ ، فَخَرَبَ كُلُّ مَا مَرَّ بِهِ مِنَ الْبَلَدِ ،
وَعَرَقَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . وَمِنْ عَجِيبِ مَا حَكَى أَنَّ الْمَاءَ حَمَلَ مَهْدًا
فِيهِ مَوْلُودٌ فَتَعَلَّقَ الْمَهْدُ بِشَجَرَةِ زَيْتُونٍ ، ثُمَّ نَقَصَ الْمَاءُ وَالْمَهْدُ مَعْلَقٌ بِالشَّجَرَةِ ،
فَدَلِمَ الْمَوْلُودُ .

وفيها تناثرت النجوم بديار الجزيرة جميعها - الموصِلَ وغيرها -

(١) راجع ما كتبه عنه كل من ابن السَّادِ الْخَبْلِيُّ في شُرُوتِ الذَّهَبِ ٤ : ١٠ وابن كثير
في البداية والنهاية ١٢ : ١٧٣ .

(٢) زيادة من الكامل ٨ : ٢٩٧ .

وكثير من البلاد ، وكانت الكواكب تنزل حتى تقرب من الأرض
ثم تضحل فلا يوجد لها أثر .

وفيها في يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من
البلاد ، وخربت ببغداد دواراً كثيرةً بالجانب الغربي .

ذكر وفاة المستظهر بالله

وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنى عشرة وخمسمائة
وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر . خلافته خمس وعشرون
سنة وثلاثة أشهر ، وكانت دعوته قائمةً بالمغرب ، قام بها أمير
المسلمين يوسف بن تاشفين ولم تنزل إلى أن ظهر محمد بن تومرت
على ما نذكره في أخبار ملوك المغرب إن شاء الله تعالى . ١٣١ - ١

وكان المستظهر بالله - رحمه الله - لين الجانب كريم الأخلاق
مشكور المسمى ، يحب اصطناع المعروف وفعل الخير ويسارع إلى أعمال
البرّ والثواب ، لا يردّ مكرمة تطلب منه . وكان كثير الوثوق بمن يوكله ،
غير مصغ إلى سعاية ساع ولا راجع إلى قوله . وكانت أيامه أيام سرور
للرعية ، وكان يسره ذلك ، وكان حسن الخط جيد التوقيعات . ولما توفي
صلى عليه ابنه المسترشد بالله ، وكبر أربعاً ، ودفن في حجرة له كان يألفها .

أولاده : أبو منصور الفضل المسترشد ، وأبو عبد الله محمد المقتضى ،
وأبو طالب ، وأبو الحسن . وكان له من الوزراء من قدمنا ذكرهم في
أخباره ، ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم : تاج

الدولة تتنحى بن ألب أرسلان ، وبركيارق ومحمد بن ملكشاه . ومن عجب الاتفاق أنه لما توفى السلطان ألب أرسلان توفى معه القائم بأمر الله ، ولما توفى السلطان ملكشاه توفى بعده المقتدي بأمر الله ، ولما توفى السلطان محمد توفى بعده الخليفة المستظهر بالله .

١ ذكر خلافة المسترشد بالله

١٣١-ب

هو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد ، وهو الخليفة التاسع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويغ له بالخلافة بعد وفاة أبيه في سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنى عشرة وخمسمائة . وكان ولي عهد أبيه الخليفة المستظهر وخطب له في خلافة أبيه ثلاثا وعشرين سنة .

قال (١) وبإيعه أخواه أبو عبد الله محمد - وهو المقتضى لأمر الله - وأبو طالب العباسي ، وعمومت بنو المقتدي بأمر الله ، وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان . وكان التولي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغانى - وكان نائبا عن الوزارة - فأقر المسترشد عليها ، ثم عزله (٢) واستوزر أباشجاع محمد بن الربيب أبي منصور وزير السلطان محمود .

ذكر هرب الأمير أبي الحسن

أخى المسترشد بالله وعوده

قال (٣) ولما اشتغل الناس ببيعة المسترشد ركب أخوه / الأمير أبو الحسن ابن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدروا إلى المدائن ، وسار

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٢٨١ .

(٢) أى أن المسترشد عزل قاضي القضاة عن نفاية الوزارة .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٢٨٢ .

منها إلى دُبَيْس بن صَدَقَة بالحلة فأكرمه دُبَيْس ورَتَّب له الإقامة الكثيرة . فلما علم المسترشد بالله خبره أهتمَّ ذلك وأقلقَه ، وأرسل إلى دبَّيس يطلب منه إعادته فأجاب « إنني عبد الخليفة وواقفٌ عند أمره وقد استندمُ بنِي ودخل منزلي ولا أكرِّهه على أمرٍ أبداً » . وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبي (١) ، فقصد الأمير أبا الحسن وتحدَّث معه في العودِ وضمن له كل ما يريد ، فأجاب إلى ذلك وقال : إنني لم أفارق خِدْمَة أخي لِشَرِّ أريدَه ، وإنما الخوفُ حَمَلَنِي على ذلك ، فإذا امْتَنَى قصدته !

وتكفَّل له دُبَيْس إصلاح الحال والمسير معه إلى بغداد ، فعاد النقيب وأعلم الخليفة فأجاب إلى ما طلب ثم تأخَّر بعد ذلك ولم يحضره وأقام عند دُبَيْس إلى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة . وسارعن الحلة إلى واسط وكثر جمعه وقوى الإرجافُ بأمره ، وملك مدينة واسط وخيف جانبُه ، فَتَقَدَّمَ الخليفةُ المسترشدُ بالله بالخطبة لولده أبي جعفر المنصور وجعلَه وليَّ عهدِه وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة . فخطب له في ثاني شهر ربيع الأول ببغداد وكتب إلى البلاد بذلك ، وأرسل إلى دُبَيْس في معنى الأمير أبي الحسن وأنه الآن فارق جوارَه ومدَّ يده إلى بلاد الخليفة وأمره بقصده ومُعَاجَلَتِه قبل قوته . فأرسل دُبَيْسُ العساكر إليه ففارق واسط وقد تحيَّر هو وأصحابه فضلوا الطريق ، وصادفتهم عساكر دُبَيْس فنهَبوا أثقالَه وهرب الأكرادُ من أصحابِه والأتراك ، وعاد الباقون .

١٣٢-ب

(١) يَتَنَبَّى نَسَبُه إلى عبد الله بن العباس ، وهومن الزينبيين لأن أهم كانت زينب بنت سليمان العباسية وقد عرفوا بها .

وبقي الأمير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ ، وكان الزمان قيظاً فأيقن بالتلف . وكان معه بدويان فراد الهرب منهما فلم يقلر ، وأخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه الماء وحملاه إلى دُبَيْس فسيره إلى بغداد وسلمه إلى الخليفة بعد أن بذل له عشرة آلاف دينار . وكان بين خروجه وعوده أحدَ عشرَ شهراً ، ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المترشد وبكيا ، وأنزله في دار حسنة كان يسكنها قبل أن يلي الخلافة ، وحمل إليه الخلع والتحف وأمنه .

وفيها نُقِلَ الخليفة المُستَرشد بالله من دار الخلافة إلى الرصافة ، ونُقِلَ كلُّ من كان مدفوناً بها .

ذكر ظهور قبور الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام :

قال ابن الأثير وأحال على حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (١) ١٣٣ - ١ أنه ذكر في تاريخه : وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ظهر قبر إبراهيم الخليل وقبرا ولديه إسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلّم بالقرب من المقدس ، ورآهم الناس ولم تبَلْ أجسادُهُم ، وعندهم قناديل من ذهب وفضة . وفيها توفى قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغانى ، ومولده في شهر رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وولى القضاء بباب الطاق من بغداد إلى الموصل وعمره ست عشرة (٢) سنة ولم يكن

(١) راجع الكامل ٨ : ٢٩١

(٢) في الكامل ٨ : ٢٩١ ست وعشرون .

ذلك لغيره . ولما توفى ولى القضاء بعده الأكمل أبو القاسم على بن طراد بن محمد الزينبي ، وخطب عليه فى ثالث صفر .

وفى سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج الكرج^(١) - وهم الخزر - إلى دار الإسلام ومعهم القفجاق وغيرهم من الأمم ، وحاصروا مدينة تفليس ، ودام الحصار إلى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة .

وفى سنة خمس عشرة كانت زلزلة تضعضع منها الركن اليماني فى البيت الحرام - زاده الله شرقا - وانهدم بعضه وتشتت بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم .

وفىها ظهر بمكة إنسان علوى أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكثر جمعه ونازع / أمير مكة ابن أبى هاشم وقوى أمره ، وعزم على أن يخطب لنفسه ، ثم ظفر به ابن أبى هاشم ونفاه عن الحجاز إلى البحرين ، وكان هذا العلوى من فقهاء المدرسة النظامية ببغداد .

١٣٣-ب

وفى سنة ست عشرة وخمسمائة قبض الخليفة المسترشد بالله على وزيره جلال الدولة صدقة^(٢) وأقيم نقيب النقباء على بن ضراد فى نيابة الوزارة ، فأرسل السلطان إلى الخليفة أن يستوزر نظام الدين أحمد بن نصر بن نظام الملك فاستوزره وخلع عليه^(٣)

وفىها ظهر بديار بكر بالقرب من قلعة ذى القرنين معدن نحاس .

(١) فى ابلا فقط ، وجعلتها صفحة ٧٨ « الكرخ » وماها هنا من ف ٧٦ - ١ .
 (٢) فى الكامل ٨ : ٣٠٩ « جلال الدين صدقة » ويحكى ابن طباطبا أن القبض عليه كان ضرورة وآما المسترشد لأن الوزير السلطان - آنذاك - كان يتعصب عليه (الفخرى ٢٦٥)
 (٣) يروى أن المسترشد لما عزم على عبارة سور بغداد قسط على الناس خمسة عشر ألف دينار فأداها نظام الدين من ماله عنهم (الفخرى ٢٦٧) .

ذكر مسير المسترشد بالله

لحرب دبیس بن صدقة

وفي سنة سبعٍ عشرة وخمسة كانت الحرب بين دُبَيْس بن صدقة وبين الخليفة ، وكان سبب ذلك أَنَّ دُبَيْسًا كان عنده عفيف خادم الخليفة مأسورا ، فأطلقه وحمله رسالة فيها تهديدٌ للخليفة ، وبالع في وعيده وليس السواد وجزء شعره ، وحلف لينهب بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب ، وتقدم إلى البرسقي بالتبريز إلى حرب دُبَيْس ، فبرز في شهر رمضان سنة ست عشرة .

١٣٤ - ١

وتجهز الخليفة وبرز من بغداد ، واستدعى العساكر فأتاه سليمان ابنُ مهارش صاحبُ الحديثة ، وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما . وأرسل دُبَيْس إلى نهر الملك فنبهه وعمل أصحابه كلَّ عظيم من الفساد فوصل أهل نهر الملك إلى بغداد ، فأمر الخليفة فنودي ببغداد « لا يتخلَّف من الجند أحدٌ ومن أحبَّ الجندية فليحضر » فجاء خلق كثير ففرق فيهم الأموال والأسلح فلما علم دُبَيْسُ الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضى عنه ، فلم يُعجب إلى ذلك . وأخرجت خيامُ الخليفة في العشرين من ذى الحجة سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد : النفير النفير الغرارة الغرارة ! وكثر الضجيج من الناس وخرج عالم كثير لا يُحصون كثرة وبرز الخليفة لست بقين من ذى الحجة سنة ست عشرة ، وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطرحه ، وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني .

وسار في سنة سبع عشرة إلى النيل ونزل بالمباركة ، وعباً
 البرسمقى / أصحابه ووقف الخليفة وراء الجَمْع في خاصته وجعل
 ١٣٤-ب دُبَيْسُ أصحابه صفّاً واحداً وجعل الرّجالة أمام الخيالة بالسلاح
 وكان قد وَعَدَ أصحابه بَنَهَبٍ وَسَبْيِ النِّسَاءِ . فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ
 بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم الإمام يضربن بالدُّفوف والمخانيثُ
 بالملاهي ، ولم يَرُ في عَسْكَرِ الخليفة غيرُ قمارى ومسيحٍ وداعٍ . فقامت
 الحرب على ساق ، فلما رأى الخليفة ذلك جَرَدَ سيفه وكَبُرَ وتقدم
 للقتال ، فانهزم دُبَيْسُ وحُمِلَتِ الْأَسْرَى بين يَدَيِ الخليفة فأمر
 بِقَتْلِهِمْ فَضْرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ صَبْرًا .

وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس واثني عشر ألف راجل ،
 وعسكر البرسمقى ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ، ولم يُقْتَلْ
 من أصحاب الخليفة غيرُ عشرة (١) وجُعِلَتْ نِسَاءُ دُبَيْسِ ومسراريه
 تحت الأسر .

وعاد الخليفةُ إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة وأما
 دُبَيْسُ بْنُ صَدْقَةَ فَإِنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَ نَجَا بِفَرَسِهِ وَسِلَاحِهِ وَاتَّبَعَنَهُ الْخَيْلُ
 ففاتها . وعبر الفرات فرأته عجوز فقالت له : دبير جئت ؟ فقال
 دبير من لم يجيء ! واختفى خبره بعد ذلك وأُرْجِفَ بقتله ثم ظهر أنه
 قصده غزوة من عرب نجد ، وطلب منهم أن يحالفوه / فامتنعوا عن
 ١٣٥-١ ذلك وقالوا لا نُسَخِّطُ الخليفة والسلطان ! ثم رحل إلى طائفة من

(١) في الكل ٨ : ٣١١ و غير مشرين فارما :

الأعراب واتَّفَقَ معهم على قصد البصرة وأخذها، فساروا إليها ودخلوها ونهبوها. وقُتِلَ مقدَّم عسكرها فتجهز البرسقى لقتاله. فسمع دببى ذلك ففارق البصرة وسار على البرِّ إلى قلعة جعبر والتحق بالفرنج. وحضر معهم حصار حلب وأطعمهم في أخذها فلم يظفروا وعادوا عنها في سنة ثمانى عشرة ثم فارقههم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد، وأقام معه وحسَّن له قصد العراق (١).

وفيهما في صفر أمر المسترشد ببناء سور بغداد وأن يجي ما يخرج عليه من البلد فشقَّ ذلك على النَّاس، وجُمِعَ منه مال كثير. فلما علم كراهة النَّاس لذلك أمر بإعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك، وقيل إن الوزير أحمد ابن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال «نقسط الباقي على أرباب الدولة» وكان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه ويتناوبون العمل. وفي سنة ثمانى عشرة وخمسمائة ملك الفرنج مدينة صور من نواب العلوى المصرى (٢).

ذكر الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله

وبين السلطان محمود :

١/ وفي سنة عشرين وخمسمائة وقع الاختلاف بينهما وسببه أن يرشق شحنة بغداد جرى بينه وبين نواب الخليفة منافرةً فهَدَّده الخليفة بسببها فخاف على نفسه، فسار عن بغداد إلى السلطان وشكا إليه وحذرده جانب الخليفة، وأعلمه أنه قاد العساكر وبأشَر الحرب وقويت

(١) قتل دببى بعد ذلك سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

(٢) هكذا في ١، ف صفحة ٧٧ - ١ وفي ك ٧٩ مدينة صور وهى من نواب العلوى.

نفسه و « متى لم تعالجه بِقَصْدٍ العراقِ ودخولِ بغدادِ ازداد قوة وجمعاً ومنَعَكَ عنها ، فتوجه السلطان نحو العراق ، فأرسل إليه الخليفة يعرفه البلاد وما أهلها عليه من الضَّعْفِ والوَهْنِ بسببِ دُبَيْسِ بنِ صدقةَ وأن الغلاء قد اشتدَّ لعدم الغلات والأقوات ، وطلب أن تتأخر هذه الدفعة إلى أن ينصلح الحال ثم يعود إلى البلاد ولا مانع له عنها وبذل له على ذلك ما لا عظمياً^(١) .

فلما سمع السلطان هذه الرسالة قَوِيَ عنده ما ذكر برنقش وصمَّم على العزم وجدَّ في السَّير فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وجيوشه ومن عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربي في ذي القعدة مظهرًا الغضب والانتزاع عن بغداد إن قصدها السلطان ، فبكى الناس بكاءً شديداً لخروجه من داره فبلغ ذلك من السلطان كل مبلغ واشتدَّ عليه ، وأرسل إلى الخليفة يستعطفه ويسأله العود إلى داره ١٣٦ - ١ فأعاد الجواب « أنه لا بد من عودة هذه الدفعة فإنَّ الناس هلكى لشدة الغلاء وخراب البلاد » وأنه لا يرى في دينه أن يُزاد ما بهم ! فغضب السلطان ورحل نحو بغداد ، وأقام الخليفة بالجانب الغربي وأرسل عفيفا الخادم - وهو من خواصه - في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان ، وكان بها عماد الدين زنكى فقاتله فانهمز عسكر الخليفة وقتل منهم جماعة وأسير مثلهم ، وتغافل زنكى عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما .

(١) في « ف » يعرفه ما البلاد وأهلها عليه من الضعف « وهو خطأ نقل !

ثم إن الخليفة جمع السفن جميعها وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبي ، وأمر صاحب الباب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الغربي سواه . ووصل السلطان إلى بغداد في العشرين من ذي الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره إلى بغداد ونزلوا في دور الناس ، فشكا الناس إليه ذلك ، وأمر بإخراجهم ، وبقي بها من له دار . وبقي السلطان يرسل الخليفة في العود ويطلب الصلح وهو يمتنع ، وكان يجري بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الشرقي يسبون السلطان أقبح سب وأفحشه .

ثم دخل جماعة من عسكر السلطان إلى دار الخلافة / ونهبوا التاج ، ١٣٦ ب-
فَصَجَّ النَّاسُ وناَدَوْا : الْغُرَاةُ الْغُرَاةُ ! وَأَقْبَلُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَخَرَجَ
الْخَلِيفَةُ مِنَ السَّرَادِقِ وَالشَّمْسِيَةِ عَلَى رَأْسِهِ وَالْوَزِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَمَرَ
بِضَرْبِ الْكُوسَاتِ وَالْبُوقَاتِ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ هَاشِمٍ ! وَأَمَرَ
بِتَقْدِيمِ السُّفُنِ ، وَنَصَبَ الْجِسْرَ وَعَبَرَ النَّاسُ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَكَانَ لَهُ فِي
الدَّارِ أَلْفُ رَجُلٍ قَدْ أَخْفَاهُمْ فِي السَّرْدَابِ ، فَظَهَرُوا وَعَسَكَرَ السُّلْطَانُ
قَدْ اشْتَغَلَ بِالنَّهْبِ فَأَسْرَمَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَنَهَبَ الْعَامَّةُ دَارَ
وَزِيرِ السُّلْطَانِ وَدُورَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَدَارَ عِزِّ الدِّينِ الْمُسْتَوْفَى وَدَارَ
الْحَكْمِ أَوْحَدَ الزَّمَانِ ، وَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ فِي الدَّرُوبِ .

ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحُفِرَتْ بِاللَّيْلِ وَحُفِظَتْ

بغداد من عسكر السلطان ، ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الأمر عليهم وكان القتال كل يوم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة . وعزم عسكر الخليفة أن يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردي صاحب إربل (١) وخرج كأنه يريد القتال فالتحق بالسلطان !

وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين زنكي وهو بواسط يأمره بالحضور بنفسه ومعه /المقاتلة في السفن وعلى الظهر ، فجمع كل سفينة بالبصرة وشحنها بالرجال المقاتلة . وسار إلى بغداد فلما قاربها أمر من معه بلبس السلاح وإظهار ما عندهم من الجلد والنهضة وسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة وقد انتشروا وملاؤا الأرض . فرأى الناس ما ملأ قلوبهم هيبه ، وعزم السلطان على الجد في القتال ، فعندها أجاب الخليفة المسترشد بالله إلى الصلح ، وترددت الرسائل بينهما فاصطلحا .

١٣٧ - ١

وأقام السلطان ببغداد إلى عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين ، وحمل الخليفة إليه من المال ما استقرت القاعدة عليه ، وأهدى إليه سلاحا وخيلا وغير ذلك . ومرض السلطان ببغداد فأشار عليه الأطباء بفراققتها فرحل إلى همدان فلما وصلها عوق

(١) في Enc.Ist. anl Irbil أنها عاصمة دولة أقالها زين الدين على كوجك وتقع إلى الجنوب الشرق من الموصل بثمانين كم ، وسرى أن هذا البلد يصمد للتار بعد ذلك ، ولا يستلم إلا بمساعدة الملك الرحيم بنو الدين لؤلؤ الأتابكي لهؤلاء الغزاة .

من مرضه ، ودام في الملك إلى سنة خمس وعشرين فتوفى . وملك بعده
ابنه داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه على ما ذكره (١) .
وفي سنة ست وعشرين وخمسمائة قبض المسترشد بالله على
وزيره شرف الدين علي بن الزينبي واستوزر أنوشران بن خالد
بعد الامتناع منه .

ذكر حصار الخليفة المسترشد بالله الموصل

١٣٧ ب / وفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة حاصر الخليفة المسترشد بالله
الموصل في العشرين من شهر رمضان المبارك ، وسبب ذلك أنها
كانت قد صارت في مملكة عماد الدين زنكى وكان قد حضر إلى
بغداد لما وقعت الحرب بين السلطان مسعود السلجقى وبين أخيه
سلجوق شاه على ما ذكره في أخبار السلجقية وظهر منه مباينة للخليفة
المسترشد بالله ، فلما كانت هذه السنة واشتغل الملوك السلجقية
بقتال بعضهم بعضاً قصد جماعة من الأمراء السلجقية باب المسترشد
بالله وصاروا معه .

واتفق أن الخليفة المسترشد بالله أرسل الشيخ بهاء الدين
أبا الفتوح الواعظ الإسفرائى برسالة إلى عماد الدين زنكى فيها
خشونة فأداها أبو الفتوح وزاد عليها ثقةً منه بقوة الخليفة وناموس
الخلافة فقبض عليه زنكى وأهانته ولقيه بما يكره . فأرسل الخليفة

(١) أشار ابن سليمان الراوندى إلى هذه الواقعة في راحة الصدور ٣٠٢ وسمّاها « جفوة »
انتهت بمحاصرة السلطان محمود بغداد والاستيلاء عليها ثم الصلح مع الخليفة .

إلى السلطان مسعود بن محمد يعرفه ذلك وأنه على قَصْدِ الموصل وحضرها ، وتمادت الأيام إلى شعبان فصار الخليفة في النصف منه في ثلاثين ألف مقاتل . ، فلما قارب الموصل فارقها زنكى في بعض عساكره إلى سنجار ونزل ببقية العسكر بها مع نائبه نصير الدين جمر ذردارها (١) فنازلها الخليفة وضيق على من بها .

١٣٨ - ١

وكان عماد الدين يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ويأخذ من ظفريه من عسكر الخليفة ، ودام الحصار ثلاثة أشهر فتضايقت الأمور بالعسكر الخلفي ولم يبلغه عن بها أنهم احتاجوا إلى ميرة ولا وهنوا ، فعاد إلى بغداد في الماء في شبابة فوصل يوم عرفة من السنة .

وفي سنة سبع وعشرين أيضا اشترى الإسماعيلية بالشام حصن القدموس من صاحبه ابن عمرو ، وصعدوا إليه ، وقاموا بحرب من يحاربهم من المسلمين والفرنج .

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عزل الخليفة أنوشروان بن خالد ، وألزم داره ، وأعيد إلى الوزارة شرف الدين علي ابن طراد الزينبي .

ذكر مسير المسترشد بالله

لحرب السلطان مسعود بن محمد وأسرته

وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة كانت الحرب بين الخليفة والسلطان في شهر رمضان . وكان سبب ذلك أن السلطان مسعود

(١) دزدار : حاكم حمن بالفارسية ، انظر Enc. of Islam and Diz .

توفى أخوه الملك طغرل في المحرم من هذه السنة بهمدان ، وكان بينهما من العداوة والحروب ما نذكره في أخبارهم إن شاء الله . وكان الخليفة يُعين السلطان مسعود على أخيه / ويساعده ويُقوّيه ، وكان السلطان مسعود قد انهزم من أخيه طغرل ورحل إلى بغداد ، فأعانه الخليفة لجميع ما يحتاج إليه وأمره بالمسير إلى همدان ووعد أنه يسير معه ويعينه على حرب أخيه . وكان البقش السّلاحى وغيره من الأمراء قد التحقوا بالخليفة وصاروا معه واتفق أن إنساناً أخذ فوجد معه ملطفات من طغرل إلى بعض الأمراء وخاتمه بإقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه غلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من الأمراء الذين مع الخليفة ، فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود ، فأرسل الخليفة إليه في إعادتهم فلم يفعل ، فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة أوجبت تأخره عن المسير معه فأرسل إليه يأمره بالمسير معه حتّى .

فبينما هم في ذلك إذ ورد الخبر بوفاة طغرل ، ففسار مسعود من يومه واحتوى على مملكة الجبل ، فلما استقر بهمدان فارقه جماعة من أعيان الأمراء خوفاً منهم على أنفسهم . منهم يرناقش البازدار ، وقزل ، وسنقر الخمارتكين وإلى همدان وعبد الرحمن ابن طغايرك ^(١) ومعهم دبّيس ، وأرسلوا إلى الخليفة يطلبون أمانة

(١) في راحة الصلور تعريف هؤلاء الأمراء بختزى منه ما يأتي : يرناقش البازدار هو مظفر الدين ألب أرغون بن يرناقش الحاجب ، وقزل هو الأتابك مظفر الدين قزل أرسلان ابن إيلدكز وسنقر تغلب عليه النسبة لهماذان وهو غير سنقر الطويل شحنة أصفهان ، وعبد الرحمن هو قنر الدين عبد الرحمن بن طغايرك الحاجب .

ليحضروا إلى خدمته فقبل للخليفة إنها مكيدة لأن دُبَيْسَ بْنَ صَدَقَةَ
 معهم . فساروا نحو خوزستان / وانفقوا مع برسق بن برسق ، فأرسل
 الخليفة إلى الأمراء سديد الدولة بن الأنباري بتوقيعات يطيب
 قلوبهم ، وأمرهم بالحضور فعزموا على قبض دُبَيْسَ بْنَ صَدَقَةَ ليتقربوا
 به إلى الخليفة ، فهرب إلى السلطان مسعود . ١٣٩ - ١

وسار الأمراء إلى بغداد في شهر رجب فأكرمهم وقطع خطبة
 السلطان مسعود من بغداد . وبرز الخليفة في العشرين من شهر رجب
 على عزم المسير لحرب مسعود ، وأقام بالشفيعي (١) ، فهرب
 منه بكبه (٢) صاحب البصرة إليها ، فراسله وبذل له الأمان
 فلم يعذ . فتوقف الخليفة عن المسير ، فحسّن له الأمراء الرحيل ،
 وضغفوا أمر السلطان مسعود ، فسير مقدمته إلى حلوان فنهبوا
 البلاد وأفسدوا فلم ينكر عليهم . ثم سار في ثامن شعبان والتحق
 به الأمير برسق بن برسق فبلغت عدته سبعة آلاف فارس ، وتخلّف
 بالعراق مع إقبال الخادم ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان في ألف
 وخمسمائة فارس .

وكان أكثر أصحاب الأطراف يكاتبون الخليفة ويبذلون له
 الطاعة فاستصلح السلطان أكثرهم ، فعادوا إليه ، فصار في نحو
 خمسة عشر ألف فارس . فأرسل الملك داود بن السلطان محمود

(١) في ف صفحة ٧٩ - ١ « وأقام بالشفيعي » وفي ك صفحة ٨١ « وأقام
 بالشفيعي » .

(٢) يرد أحيانا هكذا « بكابه »

إلى الخليفة يشير عليه بالميل إلى الدينور ليحصن نفسه ومن / معه فلم ١٣٩ - ب
يفعل المسترشد بالله . وسار حتى بلغ دایرج ، وعباً أصحابه .

وسار السلطان مسعوداً إليهم فوافاهم في عشر رمضان ، فانحازت
ميسرة الخليفة إلى السلطان وقاتلت الميمنة قتالاً ضعيفاً ، ودارت
عساكر السلطان حول عسكر الخليفة وهو ثابت لم يترك
من مكانه ، فانهمز عسكره وأخذ هو أسيراً ومعه جمع كثير من أصحابه
منهم : شرف الدين علي بن طراد الزينبي وقاضي القضاة ، وصاحب
المخزن ابن طلحة ، وابن الأنباري ، والخطباء ، والذنهاء والشهود
وغيرهم . وأنزل الخليفة في خيمة وأخذ ما في عسكره ، وحمل
الأعيان إلى قلعة سرجهان ولم يقتل في هذه المعركة أحد البتة .

وعاد السلطان إلى همدان ، وأمر فنودي « من تبعنا من البغداديين
إلى همدان قتلناه » فرجع الناس كلهم على أقبح صورة وسير
السلطان الأمير بكبه المحمودي شحنة إلى بغداد فوصلها في رمضان .
فقبض جميع أملاك الخليفة وأخذ غلاتها ، وثار جماعة من عامة
بغداد فكسروا المنبر والشباك ، ومنعوا من الخطبة ، وخرجوا إلى
الأسواق يحثون التراب على رؤوسهم ويصيحون ويبكون ، وخرج
النساء حاسرات في الأسواق يلطمن ويبكين ، واقتتل أصحاب
/ الشحنة والعامة فقتل من العامة ما يزيد على مائة وخمسين رجلاً .

ذكر مقتل المسترشد بالله

كان مقتله في يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة على باب مراغة ، وذلك أن السلطان سار في شوال من حمّان إلى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود ، وكان قد عصى عليه ، فنزل على فرسخين منها والمسترشد معه وقد وكل به من يحفظه . وترددت الرسائل بينهما في تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة للسلطان ، وأنه لا يعود يجمع العساكر ولا يخرج من داره فأجاب السلطان إلى ذلك . وركب الخليفة وحمل الغاشية ولم يبق إلا عود الخليفة إلى بغداد ، فوصل الخبر أن الأمير قرآن خوان^(١) قد ورد رسولا من السلطان سنجر فتأخّر مسير المسترشد لذلك وخرج النائم إلى لقائه مع السلطان . وفارق الخليفة بعض الموكلين به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصدته أربعة وعشرون رجلا من الباطنية^(٢) فدخلوا عليه فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ، ومثلوا به فجذعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريان وقُتل نفر من أصحابه ، منهم : أبو عبد الله ابن سكينه وبقي الخليفة حتى دفنه أهل مراغة . وقُتل من الباطنية عشرة وقيل بل قُتلوا كلهم ، وقد قيل إن السلطان سنجر أرسلهم لقتله^(٣) .

١٤٠ - ب

(١) في كل النسخ المصورة بلا نقط وما أثبتناه عن راحة الصدور ٤٨٠ .

(٢) في البداية والنهاية ١٢ : ٢٠٨ « عشرة من الباطنية » ويكتفى ابن سليمان الراوندي في راحة الصدور ٣٣٠ بأن « يقول » قصد جمع من الملاحدة المخاذيل خيمة الخليفة في مراغة وقتلوه ، فنال درجة الشهادة على أيديهم .

(٣) يروي ابن طرابلس في « الفخرى » أن السلطان سنجر كان قد طلب من مسعود الإحسان =

وقُتِلَ رحمه الله تعالى وله ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر.
ومُدَّةُ خِلَافَتِهِ مِيعَ عشرةَ سنةً وسبعةَ أشهرٍ ويومٍ واحدٍ وكان رحمه
الله شهما شجاعاً كبير الإقدام بعيد الهمة وكان فصيحاً بليغاً حسن
الخط .

قال (١) : ولما قُتِلَ حُيِّلَ إلى باب مراغة وخرج أهلها خُفَاءً
حامرين رؤوسهم فبلغوا جنازته وكسروا المناير . وقال : وصل
الخبر إلى بغداد في يوم الجمعة لست بقين من ذى القعدة فاجتمع
الرجال والنساء وناحوا عليه في الطرقات وكسروا منابر الجوامع
واكثروا الشناعات وسبوا السلطان سنجر ومسعوداً أقبح سب
من غير مراقبة ولا حشمة : ولما قتل ولّى بعده ابنه الخليفة الراشد
بِالله .

ذكر خلافة المُرَاشِد بالله

هو أبو جعفر منصور بن المسترشد بالله أبي منصور الفضل بن
المستظهر بالله وهو الخليفة الثلاثون من الخلفاء العباسيين بويح
له عند وصول الخبر بمقتل أبيه في يوم الإثنين السابع والعشرين
١٤١-١ من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وكتب السلطان مسعود
ابن محمد السُّلجُقى إلى بكبه الشحنة ببغداد، فبايع له، وحضر الناس

إلى الخليفة فإذا صح ذلك جاز أن تقبل الرواية التي تقول إن مسعوداً هو الذي واطأ الباطنية
على قتله (٢٦٤ ، ٢٦٥)

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٤٣٨

البيعة . وحضر بيعته واحدٌ وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء وبابح له الشيخ أبو النجيب ووعظه وبالح في الموعظة .

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة الراشد بالله

وعسكر السلطان مسعود

وفي سنة ثلاثين وخمسمائة وصل يرناقش الزكوى^(١) من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان استقر على أبيه المسترشد بالله من المال وهو أربع مائة ألف دينار فقال الخليفة : لا شيء عندي والمال جميعه كان مع المسترشد فنهب ثم بلغ الراشد بالله أن يرناقش يريد الهجوم على دار الخليفة وتفتيشها ليأخذ المال ، فجمع العساكر وأعاد عمل السور . فلما علم يرناقش بذلك اتفق هو وشحنة بغداد على أن يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد فاستعد لِمَنعِهِم وركب يرناقش ومعه الأمراء البكجية^(٢) والعسكر ، واجتمعوا في نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فاقتتلوا ، وأعان العامة عسكر الخليفة / فأخرجوا عسكر السلطان ونهبت العامة دار السلطنة .

١٤١ - ب

ثم حضر الملك داود بن محمود بعسكر أذربيجان واجتمع الأطراف ببغداد على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وفيهم عماد الدين زنكي وغيره ، وولى الملك داود يرناقش بازدار شحنة كية بغداد . واتفق أن الخليفة قبض على ناصح الدولة أبي عبد الله الحسن

(١) في ١ « يرتقش الزكوى » وفي ك صفحة ٨٢ « يرتقش الزكوى » وما هاهنا عن ف ٨٠ - ١ وهو يوافق رسم راحة الصدور الذي بيناه قبل .

(٢) كذا في الكامل وما في النسخ المصورة جميعا « الكنجية » نسبة إلى كنجة ولاية فيها أران (راحة الصدور ٢٤١) .

ابن جهير أستاذ الدار وكان هو السبب في ولايته ، وقبض على جمال الدولة إقبال المسترشدى وعلى غيرهما من أعيان الدولة ، فتفرقت نيات أصحابه عليه فشفع أنابك زنكى في إقبال . وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين أبي الرضى بن صدقة^(١) ، إلى عماد الدين زنكى يهنئه بالقدوم ، فأقام الوزير عنده وسأله أن يمنعه من الخليفة فأجابه إلى ذلك . وعاد الموكب بغير وزير ، وأرسل زنكى من حرس دار الوزير ثم أصلح حاله مع الخليفة وأعادته إلى وزارته . ثم جد الخليفة في عمارة السور فأرسل الملك داود من قلع أبوابه وخرّب قطعة منه ، فانزعج الناس ببغداد ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة ، وقطعت خطبة السلطان ، وخطب للملك داود ، وجرت الأيمان بين الخليفة والملك داود وعماد الديكى زنكى . ووصلت الأخبار بمسير السلطان مسعود إلى بغداد لقتال ابن أخيه داود وزنكى . ثم وصلت رسل السلطان إلى الخليفة بالبدل من نفيه الطاعة والموافقة والتهديد لمن اجتمع عنده ، فعرض الخليفة الرسالة عليهم وكلمهم في قتاله ، فكل رأى ذلك ووافقهم الخليفة !

ذكر مسير الراشد بالله

إلى الموضيل وخلعه

كان سبب ذلك أن السلطان مسعوداً لما بلغه اجتماع العساكر والملوك والأمراء ببغداد على خلافه والخطبة للملك داود ابن أخيه جمع العساكر وسار إلى بغداد ونزل بالملكية ، فسار بعض العسكر

(١) لما أفضت الخلافة للراشد استوزره فلم يظهر كفاءة ما ، ومات سنة ست وخمسين وخمسة .

وطاردوا عسكره وعادوا ، ونزل السلطان على بغداد وحصرها نيفاً وخمسين يوماً ، فلم يظفر منها بشيء . ثم عاد إلى النهر وان عازماً على العود إلى همدان فوصل إليه طرنتاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة ، فعاد إلى بغداد وعبر إلى غربي دجلة واختلفت كلمة العسكر البغدادى فعاد الملك داود إلى بلاده في ذى القعدة وتفرق الأمراء .

وكان زنكى بالجانب الغربى فعبر إلى الخليفة ومار إلى الموصل .
١٤٢ - ب ودخل / السلطان بغداد واستقر بها ، وذلك في نصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

قال (١) وأمر السلطان فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد وفيها بخط يده « إننى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر » فافتوا بخروجه من الخلافة : وقيل إن الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبي وكاتب الإنشاء ابن الأنباري وصاحب المخزن كمال الدين طلحة كانوا منذ أمرهم مع المسترشد ، فحضروا الآن معه ، واجتمعوا في يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ثلاثين ، وكتبوا محضراً شهد فيه جماعة من العلول بما صدر من الراشد من الظلم وأخذ الأموال بغير حقها وسفك الدماء وشرب الخمر وارتكاب المحارم : واستفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك هل تصيح معه إمامة أم لا ؟ وهل يجوز للسلطان أن يخلعه

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٣٥٤ .

ويمستبدل به من أهل بيته من هو خير منه طريقةً ودينًا ؟ فأفتى الفقهاء بخلعِهِ وفسخ عهده والاستبدال به غيره ، وعرضت الفتيا والمحضر على السلطان فقال : هذا أمر قلدتكُم إياه وأنا برىء منه عند الله ! ثم خلع وقطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد في ذى القعدة وبويع بعده للمقتضى .

١٤٣ - ١ / وكانت خلافته أحد عشر شهرًا وأيامًا ، وكتب السلطان إلى أتابك زنكي في القبض عليه وإرساله إلى بغداد فمنع من ذلك فارس الإسلام زين الدين علي بن بكتكين صاحب إربل رحمه الله وقال : والله لا سلمناه حتى تُراق دماؤنا ! واعتذر إلى السلطان وقال : أنا أخرجه من ولايتي ؟ فأرسل أنت عسكريا للقبض عليه من غير جهتنا !

وأعد زين الدين جماعة من الأكراد فساروا بين يديه على طريق لا يعرفها كثير من الناس فوصل إلى مراغة أذربيجان ونزل ببرية أبيه وتلقاه أهلها وولّوه أمرهم فأقام بها يسيرا ثم ارتحل إلى الرى فلما قرب من بلاد الباطنية جرد عسكريه لقتل من وجد منهم فقتل منهم جماعة ثم تنقلت به الحال وكابد الغربة ووصل إلى همذان وسار منها يريد إصفهان . فلما كان في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثب عليه نفر من الباطنية - وكانوا في خدمته على زى الخرامانية - فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان [قد بل]^(١) من أثر مرض قد برأ منه ودفن في شهرستان على قرسخ من إصفهان ، وقتل أصحابه الباطنية الذين قتلوه . ولما ورد الخبر بمقتل

الراشد ببغداد جلسوا للعزاء في دار الذوبية يوماً واحداً .
وكان الراشد بالله أشقر اللون حسن الصورة ، مهيباً شديداً
١٤٣-ب القوة / والبطش

ذكر خلافة المقتدى لأمر الله

هو أبو عبد الله محمد وقيل الحسين بن المستظهر بالله أبي العباس
أحمد بن المقتدى بأمر الله أبي القاسم عبد الله ، وأمه أم
ولد تدعى ياعى . وهو الخليفة الحادى والثلاثون من الخلفاء العباسيين
ببيع له بعد خلّع ابن أخيه الراشد بالله في ثامن عشر ذى الحجة
سنة ثلاثين وخمسمائة . وذلك أنه لما خُلع الراشد بالله استشار
السلطان مسعود بن محمد السُّلجقى جماعة من أعيان بغداد فيهم
الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى وكمال الدين صاحب
المخزن وغيرهما فيمن يصلح أن يلى الخلافة فقال الوزير : أحمد
عمومة الراشد بالله وهو رجل صالح ! قال : من هو ؟ قال : لا أقدر
أن أفصح باسمه لئلا يُقتل : فتقدّم إليهم بعملٍ محضٍ فعُملَ
المحضر على ما ذكرناه فلما كُملَ المحضر أخضر القاضي أبو طاهر
الكرخى وشهدوا عنده بما تضمّنه المحضر فحكم بفسق الراشد
وخلّعه وحكم بعده غيرُهُ . ولم يكن قاضى القضاة ببغداد ليحكم
فيه كان بالموصل عند أتابك زنكى فلما كُمل ذلك ذكره
الوزير للسلطان وذكر دينه وعِفّته ولين جانيه ، فحضر السلطان
إلى دار الخلافة ومعه الوزير وصاحب المخزن وغيرهما وأمر / بإحضار
الأمير أبي عبد الله بن المستظهر من المكان الذى كان يسكن فيه ،
فأخضر وأجلس في الميمنة ودخل السلطان وتحالفا وقررا القواعد

بينهما . وخرج السلطانُ من عنده وحضر الأمراء وأربابُ المناصب والقضاة والفقهاء . ولُقِّبَ المقتفى بأمر الله .

وقيل في سبب هذا اللقب أنه رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يَلِيَ الخلافةَ بستة أيام وهو يقول : إن هذا الأمر يصير إليك فاقف في قلبك بذلك ولا بوبع له سُبُراتِ الكتبِ الحكيمة بخلافته إلى سائر الأمصار واستوزر شرف الدين علي بن طرا الزينبي ، وأرسل إلى الموصل فأحضر قاضي القضاة علي بن حسين الزينبي - وهو بن عم الوزير - وأعادته إلى منصبه ، وأقرَّ كمال الدين صاحب المخزن علي منصبه ، وأجروى الأمر على أحسن نظام .

قال ^(١) : وأرسل السلطان مسعود إلى الخليفة في تقرير إقطاع يكون لمخاضته فكان جوابه « إن في الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة ، فليَنظر السلطان ما يحتاج إليه من يشربُ هذا الماء فتقررَت القاعدة على أن يجعلَ له ما كان للمستهظهر فأجاب إلى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله : « نقد جَلَمنا في الخلافة رجلا عظيما نسأل الله تعالى أن يكفينا أمره » قال ^(٢) : وخطبَ له على سائر المنابر إلا في الموصل ، فإنه لم يُخطَبَ له فيها إلا في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة تزوج الخليفة المقتفى فاطمة أخت السلطان مسعود وكان الصداق مائة ألف دينار ، والوكيل في

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٣٥٥ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٣٥٥ .

قبول النكاح وزير الخليفة على بن طراد ، ووكيل الساطان في العقد
وزير الكمال الدركزني .

وفيهما في الرابع والعشرين من آيار ظهر بالشام سحب أسود
وأظلمت له الدنيا ، وصار الجو كالليل المظلم ، ثم طلع بعد ذلك
سحاب أحمر كأنه نار أضاعت له الدنيا ، وهب ريح عاصف ألفت
كثيراً من الشجر ، وكان أشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعد
ذلك مطر كثير وبرد كبير .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وصل ملك الروم صاحب
القسطنطينية إلى الشام وملك بزاعة^(١) بالأمان لخمس بقين من
شهر رجب ثم غدر بأهلها فقتل منهم وسبي على ما ذكره
إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة الأنابكية في أيام زنكي .

وفيهما انقطعت كسوة الكعبة للاختلاف الواقع بين الملوك السلجقية
فقام بكسوتها رامشت الفارسي التاجر ، وكان من التجار المسافرين
إلى الهند - وهو كثير المال - فكساها من الثياب الحبرة^(٢) وبكل
ما وجد / إليه السبيل ، فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية .

١٤٥-١

وفيهما كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل
والعراق وغير ذلك من البلاد فخرّب كثير منها ، وهلك عالم كثير
تحت الرّدم . ثم كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير

(١) بزاعة : مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب (ياقوت في معجم البلدان) .

(٢) الحبرة : ضرب من برود الين ، وكان النبي يلبس الحبرات (المحيط)

من البلاد في سنة ثلاث وثلاثين ، وكانت متوالية عدة أيام كل ليلة عدة دفعات . وكان أشدها بالشام ، فعلوا في ليلة واحدة ثمانين مرة . ففارق الناس مساكنهم ، ولم تنزل تتعاهد من أربع صفر إلى تاسع عشر ، وكان معها صوت وهدة شديدة .

وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة جرى بين الخليفة المقتضى وبين الوزير على بن طراد منافرة ، وسببها أن الوزير كان يعارض الخليفة في جميع ما يأمر به فنصر الخليفة من ذلك ، فغضب الوزير ثم خاف فقصد دار السلطان واحتجى بها ، فأرسل الخليفة إليه في العود إلى منصبه فامتنع . فاستناب قاضي القضاة الزينبي ، وأرسل الخليفة رسلا إلى السلطان مسعود في معنى الوزير فأرخص السلطان للخليفة في عزله فعزله ، ثم عزل الزينبي من النيابة ، وناب سديد الدولة بن الأنباري .

وفيهما كانت زلزلة عظيمة بكنجة وغيرها من أعمال أذربيجان وآران ، وكان أشدها بكنجة فخرّب منها كثير ، وهلك عالم قيل كانوا مائتي ألف وثلاثين ألفا / وهدمت قلعة هناك .

١٤٥-ب

وفيهما ابتنى الخليفة بفاطمة أخت السلطان مسعود وكان يوم حملها إلى دار الخلافة يوما مشهودا . وغلقت بغداد عدة أيام ، وتزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة .

وفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وصل رسول السلطان سنجر ملكشاه إلى المقتضى ومعه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيبي . وكان أخذهما من المسترشد لما قُتل .

وفيها ملك الإسماعيلية حصن مصاف بالشام وكان واليه مملوكا
لبنى مُنْقِذُ أصحاب شيزر ، فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا
إليه فقتلوه وملكوا الحصن .

وفيها توفي سديد الدولة بن الأنباري فاستوزر الخليفة بعده
نظام الدين أبا نصر محمد بن الأنباري وكان قبل ذلك أستاذ
الدار .

وفيها بُنِيَت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتح
حمزة بن علي صاحب المخزن ^(١) . ولما فَرَّغَتْ دُرُسُ فيها الشيخ
أبو الحسن بن الخل .

وفي سنة أربعين وخمسة اتَّصَلَ بالخليفة عن أخيه أبي طالب
ما كرهه فَضَيَّقَ عليه وعلى غَيْرِهِ من أقاربه .

وفي سنة اثنين وأربعين وخمسة في جمادى الأولى خُطِبَ
للمستنجد بالله يوسف بن المقتضى بولاية العهد .

وفي سنة أربع وأربعين استوزر الخليفة أبا المظفر يحيى
ابن هُبَيْرَة وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام فظهرت منه كفاءة
عظيمة ، فرغب الخليفة فيه واستوزره يوم الأربعاء لأربع خلون من
شهر ربيع الآخر ^(٢) .

١٤٦ - ١

(١) كذا في سائر المخطوطات : وفي راحة الصدور ٣٣٣ (حاشية) كال الدين محمد
ابن علي ويرد بالفارسية باسم محمد خزانه در

(٢) نشأ بالدور من أعمال دجيل حملا . ولكنه مازال ينتقل من خدمة إلى خدمة حتى
نقله الوزارة للمكتفي فكانت له في قمع أمارة السلجوقية يد قوية ، مات سنة ستين وخمسة
(راجع البداية والنهاية ١٢ : ٥٢٠) .

وفيها كانت زلزلة عظيمة ، فيقال إن جبلاً بالقرب من حلوان
ساخ في الأرض .

وفي سنة سبع وأربعين مات السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه
بهمذان فلما وصل الخبر إلى بغداد بموته هرب شخنتها مسعود
بلال إلى تكريت فاستظهر الخليفة المقتفى على داره ودور أصحاب
السلطان ببغداد وأخذ أموالهم وودائعهم واستبد الخليفة بالأمر
وقطع خطبة الملوك السلجوقية^(١) وفوض الأمر إلى الوزير ابن
هبيرة !

ذكر تفويض أمور الدولة والوزارة

إلى الوزير عون الدين بن هبيرة وما أقطعه الخليفة من الإقطاعات
كان الخليفة المقتفى لأمر الله لما استخلف حاف أن ألا يملك تركياً
لما جرى على أخيه المسترشد ولم يمكنه المبادرة بذلك فلما تمكن
وقوى أمره ومات السلطان مسعود فوض الأمور إلى الوزير عون الدين
أبي المظفر يحيى بن هبيرة ، ولقبه بتاج الملوك ملك
/ الجيوش وأقطعه إقطاعاً عظيماً وهو : واسط وبطائحها والبصرة ١٤٦ - ب
والحلة ، والنيل ، والنعمانية ، وقرسان^(٢) ونهر الملك^(٣) ، ونهر

(١) قال ابن الأثير إنه بموت مسعود ماتت سعادة البيت السلجوقي « فلم يبق له بعده
راية يمد بها ولا يتلفت إليها الكامل ٩ : ٣١ .

(٢) كذا في الأصل وليون في المعاجم الجغرافية سوى « قاسان » بلدة وراء النهر قرب
حدود الأتراك .

(٣) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد تشتمل على ثلاثمائة وسعين قرية .

عيسى^(١) ، ودجيل ، والراذان^(٢) ، وظريق خراسان ، والقرايا ،
والنجف ، والبندنيجين^(٣) وبادرايا^(٤) ، وباكسايا^(٥) ،
وهيت^(٦) والأنبار ، وعين التمر^(٧) ، وشفانا^(٨) . وأقطعه إقطاع
وزير السلطان وأعانه على الاستعداد للحرب وجهزه بالجيش
فاستولى على الحلة والكوفة وواسط ثم عاد إلى بغداد وكانت
غيبته خمسة وعشرين يوما .

ذكر حصر تكريت

وعود عسكر الخليفة عنها وأسر ابن الوزير

وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سير الخليفة المقتضى لأمر الله
عسكرا إلى تكريت^(٩) وأرسل عليهم مقدما أبا المنذر بن الوزير

(١) نهر عيسى : كورة بقرى كثيرة غربى بغداد مأخذا من الفرات وتنسب لعيسى
ابن علي بن عبد الله بن العباس .

(٢) الراذان : أوردها ياقوت بلا ألف ولا لام ، وقال إنها كورتان لها قرى
كثيرة وثمة راران قرية باصهان .

(٣) البندنيجين : بلدة مشهورة في طرف النهروان ناحية الجبل من أعمال بغداد
ويقول حمزة - علي ما أورد ياقوت - بناحية العراق موضع يسمى وتديكان وهرب علي
البندنيجين .

(٤) بادرايا : طسوج بالنهروان ، وهي بلدة قرب باكسايا بين البندنيجين ونواحي
واسط يكثر فيها التمر اليابس .

(٥) باكسايا : بلدة قرب البندنيجين وبادرايا وواسط

(٦) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار وذات نخل كثير وخير
غزير كما يقول ياقوت

(٧) عين التمر : بلدة قرية من الأنبار غربى الكوفة بقرها موضع يقال له شفانا .

(٩) تكريت : من الأعمال الصغيرة للنولة ، وفي أواخر خلفاء بني العباس - وكانوا
قد ضعفوا - أصبح لها مثلها شأن ، بل كانت تجرؤ على الصبان حتى قال الشاعر :

تكريت تمجزنا ونحن بمقلنا نمضى لتأخذ ترمضا من منجر

(راجع الفخرى ٢٦)

عون الدين والأمير ترشك وهو من خواصّ الخليفة وغيرهما ، فجرى بين أبي المنذر وبين ترشك منافرة اقتضت أن كتب ابن الوزير يشكو منه ، فأمر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فأرسل إلى مسعود صاحب تكريت وصالحه وقبض على / أبي المنذر ١٤٧-١
ومن معه من المقدمين ، وسلمهم إلى مسعود بلال فانهزم العسكر وسار مسعود وترشك من تكريت إلى طريق خراسان فهنباها وأفسدا . فسار الخليفة لدفعهما ، فهربا من بين يديه فقصدت تكريت وحصرها أياما ، ثم عاد بعد أن جرى بينه وبين أهلها قتال من وراء السور وقتل من عسكر الخليفة جماعة بالنشاب .

ذكر حصار تكريت ووقعة بكمزا

وفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة أرسل الخليفة رسولا إلى صاحب تكريت بسبب من عنده من المأسورين فقبض على الرسول . فسير المقتضى عسكرا فخرج أهل تكريت فقاتلوا عسكر الخليفة ، فسير عسكرا آخر ، فمانعوه . فسار الخليفة بنفسه ونزل على البلد فهرب أهله ، فدخل عسكر الخليفة فشنغبوا ونهبوا بعضه ، ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقا فسقط من أسوارها برج ، وبقي الجيش ^(١) كذلك إلى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول فأمر الخليفة بالقتال والزحف . فاشتد القتال ، وكثرت القتلى ، ولم يباغ منها غرضا . فعاد إلى بغداد ودخلها في آخر الشهر .

(١) كذا في كل النسخ وفي الكامل ٩ : ٤٤ « وبقى الحضر » وهو أفضل .

ثم أمر الوزير عون الدين بالعود إليها والاستعداد والاستكثار من آلات
١٤٧-ب / الحصار ، فسار إليها في شهر ربيع الآخر وضيق عليها . فبلغه الخبر أن
مسعود بلال وصل إلى شهرابان ومعه البغوش كون خر^(١) وترشك في عسكر
كبير ونهبوا البلاد فعاد الوزير إلى بغداد وكان سبب تحول هذا العسكر
أنهم حثوا الملك محمداً^(٢) على قصد العراق فلم يتهياً له ذلك ، فسير إليه
هذا العسكر وانضاف إليهم خلق كثير من التركمان .

فخرج الخليفة إليهم فأرسل مسعود بلال إلى تكريت وأخرج
منها الملك أرسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان مجوسياً بها
وقال : هذا سلطان نقاتل بين يديه بإزاء الخليفة ! والتقى العسكران
عند بكمزا بالقرب من بعقوبا ، ودامت الحرب بينهم والمناوشة
ثمانية عتسراً يوماً ، ثم التقوا في آخر شهر رجب واقتتلوا فانهزمت ميمنة
عسكر الخليفة وبعض القلب حتى بلغت الهزيمة بغداد . ونهبت خرائنه
وقتل خازنه . فحمل الخليفة بنفسه هو وولى عهده وصاح : يا آل هاشم
كذب الشيطان ! وقرأ « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا »
وحمل هو وبقيّة العسكر فانهزم مسعود ومن معه ، وضفر الخليفة ، وغنم
العسكر جميع ما هو للتركمان من دواب وغنم وغير ذلك . وكانوا
قد أحضروا نساءهم وأولادهم وخركاهاهم فأخذ جميع ذلك . فبيع

(١) كذا في راحة الصدور ٢٧٧ وما في النسخ كلها مضطرب فقرأ ، ف صفحة

٨٣ - ب « البفش كورخون » وفي ك صفحة ٨٦ « التفش كورخون » .

(٢) هو غياث الدنيا والدين أبو شعاع محمد بن محمود بن ملكشاه قسم أمير المؤمنين .

كل كَبْشٍ / بِدَانِيٍّ وَأَخَذَ كُونَ خَرِ الْمَلِكِ أَرْسِلَانِ وَانْهَزَمَ بِهِ إِلَى بِلَدِ النَّجَفِ ١٤٨ - ١
 وَقَلْعَةِ الْمَاهِكِيِّ (١)

وَرَجَعَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَغْدَادَ فَدَخَلَهَا فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ الْمُبَارَكِ ، فَأَتَاهُ
 الْخَبِيرُ أَنَّ مَسْعُودَ بِلَالٍ وَتَرْشُكَ قَصْدَا مَدِينَةَ وَاسْطَ . فَهَبَا وَخَرِبَا فَسَيَّرَ
 إِلَيْهِمُ الْوَزِيرَ فِي عَسْكَرٍ ، فَانْهَزَمَ الْعَجَمُ ، وَلَحَقَهُمْ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ وَنَهَبَ
 شَيْئًا كَثِيرًا ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ فَلَقَّبَ الْوَزِيرَ سُلْطَانَ الْعِرَاقِ مَلِكَ الْجِيُوشِ ،
 وَسَيَّرَ الْخَلِيفَةُ عَسْكَرًا إِلَى بِلَدِ النَّجَفِ فَاحْتَوَى عَلَيْهِ .

وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ سَارَ الْخَلِيفَةُ إِلَى دَقُوقَا فَحَصَرَهَا
 وَقَاتَلَ مِنْهَا ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا وَلَمْ يَبْلُغْ غَرَضًا (٢) .

وَفِيهَا اسْتَوْلَى شَمْلَةُ التُّرْكَمَا فِي عَلَى خُوزِسْتَانَ وَصَاحِبُهَا حَيْثُ شَدَّ
 مَلِكُشَاهُ مَحْمُودَ . فَسَيَّرَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ عَسْكَرًا فَقَاتَلَهُمْ شَمْلَةُ وَهَزَمَهُمْ
 وَأَمَرَ وَجُوهَهُمْ . ثُمَّ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَطْلَقَهُمْ . وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ
 الْمَقْتَضَى لِأَمْرِ اللَّهِ يَعْتَذِرُ مِنْهُ فَقَبِلَ عَذْرَهُ .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ حَصَرَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ
 مَحْمُودِ السُّلْجُوقِيِّ بَغْدَادَ ، وَكَانَ قَدْ رَاسَلَ الْخَلِيفَةَ فِي الْخَطْبَةِ
 لَهُ بِبَغْدَادَ وَالْعِرَاقَ . فَامْتَنَعَ الْخَلِيفَةُ مِنْ إِجَابَتِهِ ، فَسَارَ مِنْ هَمْدَانَ
 وَوَاعَدَهُ قُطْبُ الدِّينِ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ أَنْ يَرْسَلَ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرَ . فَقَدَّمَ

(١) فِي ك ٨٦ « إِلَى النَّجَفِ وَقَلْعَةِ الْمَاهِلِ » وَفِي أ . ف . صَفْحَةُ ٨٦ - ٨٧ « إِلَى بِلَدِ
 النَّجَفِ وَقَلْعَةِ الْمَاهِلِ » وَمَا هَا هُنَا مِنْ رَاحَةِ الصَّدُورِ ٤٠٧ وَفِي لُحَاشِيَةِ أَنَّ قَلْعَةَ مَا هَكِي كَانَتْ
 فِي « لُحْفِ » مِنْ أَعْمَالِ بَغْدَادَ : إِذَنْ فَالْقَرِيبُ مِنَ الصَّحَةِ أَنْ يَسْتَبْدَلَ بِالنَّجَفِ هُنَا لُحْفَ
 (٢) يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي سَبَبِ ذَلِكَ : إِنَّهُ بَلَغَ - الْخَلِيفَةُ أَنْ جَيْشَ الْمَوْصِلِ تَجَهَّزَ جُنْدُهُ (الْكَامِلِ

١٤٨-ب في ذى الحجة ودام الحصارُ والقتالُ إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ، فبلغ / السلطان محمد أن أخاه ملكشاه وإيلدكرو أرسلان طغرل دخلوا همدان واستولوا عليها ، فرجع عن بغداد ولم يبلغ رضا ، وتفرقت العساكر .

وفي شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين أطلق ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريرت فتلقته المواكب وكان يوماً مشهوداً^(١) . وفيها في شهر ربيع الآخر احترق أكثر بغداد ، واحترقت دار الخلافة . وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كان بالشام زلازل كثيرة خربت كثيراً من البلاد والقلاع والأسوار : وهلك من العالم ما لا يحصى كثرة . ومما يدل على ذلك ما حكاه ابن الأثير في تاريخه الكامل « أن معلماً كان بمدينة حماه يعلم الصبيان : ففارق المكتب لحاجة عرضت له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان فهلكوا عن آخرهم - قال - فقان المعلم : فلم يأت أحد يسألني عن صبي كان له ! فيدل على موته جميع أهاليهم^(٢) .

وفيها قلع الخليفة المقتضى لأمر الله باب الكعبة وعمل عوضاً باباً

(١) ولكن ابن طباطبا يقول : وحسب بعد موت أبيه ولم يعلم خبره بعد الحبس (الفخرى ٢٧٦) .

(٢) عبارة ابن الأثير في كتابه المطبوع « أن معلماً كان بالمدينة - وهي مدينة حماه - ذكر عنه أنه فارق المكتب لهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فخربت البلد ، وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب » الكامل (٥٢ : ٥٣) .

مصفحا بالفضة المذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا يلدن فيه
إذا مات !

وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة في ثامن عشر ربيع الأول
كثرت الزيادة في دجلة فغرفت بغداد ، وتهلّمت الدور وسور / المدينة ١٤٩ - ١
وكثر الخراب ولم يعرف الناس حدودهم على التحرير : بل بالتخمين .
وفيها مات السلطان محمد الذي حاصر بغداد بِمَرَضِ السُّلِّ .
وفيها عاد ترشك إلى بغداد ولم يعرفه أحد ولا شعر به إلا وقد
ألقى نَفْسَهُ تحت التاج ومعه سيف وكفن . فَرَضِيَ عنه الخليفة ،
وَأَذِنَ له في دخول الدار وأنعم عليه بما لا

ذكر وفاة المقتفى لأمر الله

وشيء من أخباره

كانت وفاة المقتفى لأمر الله في شهر ربيع الآخر سنة خمس
 وخمسين وخمسمائة ، وقيل لليلتين خلتا من شهر رجب . ومولده
 في ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة : وكان عمره
 ستاً وستين سنة تقريبا . ومدّة خلافته أربعاً وعشرين سنة وشهوراً .
 وكان شيخاً أبيض الرأس واللحية طويلاً ، وكان حليماً كريماً عادلاً
 حسن السيرة جميل الرأي وافر العقل : شجاعاً مقداماً يباشر الحروب
 بنفسه : وكان يحب جمع المال . وفي أول خلافته ولّى القضاء
 بمدينة السلام لرجل يعرف بابن المرخم ، وجعله يتولى عقوبة عماله

١٤٩ ب ووجود دولة وأخذ أموالهم : فقال / بعض الشعراء في ذلك :

ضَخَمِي وَيْكَ وَالطُّجِي وَلِي ابْنُ المَرْخَمِ (١)
وَاهِ عَلَى الْحَكْمِ وَالْقَضَا وَعَلَى كُلِّ مُنْصَلِمٍ
وَأَرَى الْمُقْتَضَى الْإِمَامَا م عَنْ الْحَقِّ قَدْ عَمِيَ

فبلغ المقتضى ذلك فأخذ الشاعر بنكاله وعذبه وما زاده ذلك إلا تماديا في حاله . وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الدَّيْلَم وإلى هذا الوقت ، وأول خليفة تمكن من عسكره وأصحابه وحكم على الخلافة منذ تحكم المماليك على الخلفاء في خلافة المستنصر بالله وإلى الآن : إلا أن يكون المعتضد بالله . وكان المقتضى يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى لا يذوته منها شيء ، وكانت دعوته بالعراق والحجاز والشام وخراسان .

ذكر خلافة المستنجد بالله

هو أبو المظفر يوسف بن المقتضى لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله . وأمه أم ولد ندعى طاووس وقيل نرجس . رومية . وهو الخليفة الثاني والثلاثون من الخلفاء بوبع له بعد وفاة أبيه في شهر ١٥٠ - ١ .

(١) نقول ضخمته الشمس أي لفحته (سودته) والسخم السواد . وقد سخم وجهه (بالسين) سوده كما يقول القاموس المحيط ، ورواية البيت هذه ليست كذلك انتهى التويري ، فقي « ضخمى ومك والطمى قد »

وفى لك صفحة ٨٨ « ضخمى ويك والطمى قد » .

وفى ف صفحة ٨٥ - (ضخمى ويك والطمى قد » .

ربيع الأول في سنة خمسين وخمسين وخمسمائة وقيل للثنتين خلعتا من شهر رجب منها والله تعالى أعلم .

قال (١) : وكان للمعتفى حظية وهي أم ولد أبي علي . فلما اشتد مرضه وأيست منه ، أرسلت إلى جماعة من الأمراء وبذلت لهم الإقطاعات الكثيرة والأموال الجزيلة ليساعدوها على أن يكون ولدها الأمير أبو علي خليفة فقالوا : كيف الحيلة مع ولي العهد ؟ فقررت أنها تقيض عليه إذا دخل . وكان يدخل على أبيه في كل يوم فقالوا : لا بد لنا من أحد أرباب الدولة فوقع اختيارهم على أبي المعالي بن الكيال الهراس (٢) فدعوه إلى ذلك فأجابهم على أن يكون وزيراً . فبذلوا له ما طلب . فلما استقرت القاعدة بينهم أحضرت عدة من الجوارى وأعطتهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولي العهد المستنجد بالله . وكان له خصى صغير يرسله في كل وقت يتعرف أخبار والده فرأى الجوارى وبنايدين السكاكين وبید أبي علي وأمه سيفين . فعاد إلى المستنجد وأخبره .

وأرسلت هي إلى المستنجد تقول : « إن والدك قد حضرته الوفاة فاحضر لتشاهده » فاستدعى أستاذ الدار عضد الدين . وأخذ معه جماعة من الفرائسين ، ودخل الدار وقد لبس الدرع والسيف في يده . فلما دخل ثار به الجوارى / فضرب و حدة منهن فجرحها وجرح أخرى وصاح فدخل أستاذ الدار والفرائسون فهرب الجوارى وأخذ أخاه

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٦٨ .

(٢) كذا في ك صفحة ٨٨ وفي الكامل « ابن كيا الهراس » .

أبا علي وأمه فَسَجَنَهُمَا ، وقتل من الجوارى وَغَرَّقَ وجلس للمبايعة فبايعه أهله وأقاربه .

وأول من بايعه عمه أبو طالب ثم أخوه أبوجعفر بن المقتضى وكان أكبر من المستنجد ، ثم بايعه الوزير ابن هبيرة ، وقاضى القضاة ، وأرباب الدولة والعلماء . وَخُطِبَ له في يوم الجمعة ، ونُشِرت الدنانيرُ والدرهم .

قال ابن هبيرة الوزيرُ عنه : إنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام منذ خمس عشرة سنة فقال لى : يبقى أبوك في الخلافة خمس عشرة سنة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام " ثم قال « رأيت قبل موتِ المقتضى بأربعة أشهر ، فدخل لى في باب كبير ثم ارْتَقَى إلى رأس جبل وصلى لى ركعتين وأَبْسَنَى قميصاً ثم قال لى : قل (أَللّهُم اهدنى فيمن هدىت) وذكر دعاء القنوت . »

قال : (١) ولما وَلِيَ المستنجدُ بالله أقر ابن هبيرة على وزارته ، وأصحاب الولايات على ولاياتهم ، وأزال المكوس والضرائب ، وقبض على ابن المرنم وأخذ منه مالا كثيرا وأخذ كُتُبَه فاحرق منها ما كان من علوم الفلاسفة . وقدم عضد الدين ابن رئيس الرؤساء - وكان أستاذ الدار - فَمَكَّنَه وتقدّم إلى الوزير بأن يقوم له ، وعزل قاضى القضاة على بن أحمد الدماغانى ، ورتّب مكانه أبا جعفر عبد الواحد (الثقفى) وخلع عليه .

١٥١ - ١

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٦٩ .

ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكى

وفى شهر رجب سنة سَنِعٍ وخمسين وخمسمائة ملك الخليفة قلعة الماهكى : وسبب ذلك أن صاحبها منقر الهمداني سلمها إلى أحد مماليكه ومضى إلى همدان فضعف مملوكه عن حفظها ومقاومة من حولها من الأكراد والتركمان فأشير عليه ببيعها من الخلية فراسل في ذلك ؛ فاستقر بينهما خمسة عشر ألف دينار وسلاح ومتاع وعدة من القرى فسلمها وتسلم ما استقر له وأقام ببغداد ، ولم تنزل هذه القلعة من أيام المقتدر بالله بيد التركمان إلى الآن .

ذكر إجلاء بنى أسد من العراق

وفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أمر الخليفة بإهلاك بنى أسد أهل الحلة المزيدية لما ظهر من فسادهم ولما كان في نفسه منهم من مساعدتهم للسلطان محمد في حصار بغداد ، فأمر يزيد بن قماج بقتالهم وإخراجهم من البلاد ، وكانوا منبسطين في البلاد في البطائح . ١٥١ ب فتوجه إليهم وجمع العساكر الكثيرة ، وأرسل إلى ابن معروف [مقدم المقتضى] ^(١) وهو بأرض البصرة فجاء في خلقي كثير وحصرهم وسك عنهم الماء وضيق عليهم فاستسلموا ، فقتل منهم أربعة آلاف ونادى فيمن بقى « من وجد في الحلة المزيدية بعد هذا فقد حل دمه ففرقوا في البلاد ، ولم يبق في العراق منهم من يعرف ، وسلمت بطائعهم وبلادهم إلى ابن معروف .

(١) في ١ ، ف « ابن معروف المتفق » وفي ك صفحة ٨٩ « ابن معروف المتفق »

وما هنا عن الكامل ٩ : ٨٣ .

وفي سنة ستين وخمسمائة في صفر قبض المستنجد بالله على الأمير ثوبة بن العقبلي وكان قد قُرب منه قُرْباً عظيماً حتى كان يخلو معه ، وأحبه محبة عظيمة ، فحسده الوزير ابن هبيرة : فوضع كتباً من العجم مع قوم وأمرهم أن يتعرضوا ليؤخذوا ففعلوا ذلك ، وأخذوا وأحضروا عند الخليفة .

وأظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها خرج إلى نهر الملك يتصيد وكانت حُلل ثوبة على النهرات ، فحضره عنده فأمر بالقبض عليه ، فقبض عليه وأدخل بغداد ليلاً وحُبِس فكان آخر العهد به فما غنم الوزير بعده بالحياة ، ومات بعد ثلاثة أشهر وكان ثوبة من أكمل العرب مروءة وسخاء وعقلاً وإجادة ، واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق في غيره .

وفيهما في جمادى الأولى توفي الوزير عون الدين يحيى بن محمد ابن هبيرة ومولده سنة / تسعين وأربعمائة ودفن بدار سمته التي هو بناها للحنابلة بباب البصرة ، ولما مات قبض على أولاده وأهله !

١٥٢ - ١

وفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى . وكان ناظراً بواسط . وظهر عن كفاية عظيمة ، فأحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين أستاذ الدار قد تحكّم تحكماً عظيماً ، فتقدم أمر الخليفة إلى وزيره بكف يده وأيدى أصحابه ففعل ذلك ، ووكل بأخيه تاج الدين وطالبه بحساب نهر الملك وكان يتولاه أيام

المقتضى ، وكذلك فعل بغيره ، فحصل أموالاً جمةً وخافه أستاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيراً وأعطاه الورقة التي بخط الخليفة فقال له : تعود إليه وتقول قد أوصات الخطأ إلى الوزير ! فقال ذلك وأحضر أستاذ الدار قطب الدين ويزدن وأخاه تنامش وعرض عليهم الخط فاتفقوا على قتل الخليفة . فدخل عليه يزدن وقاماز فحملاه إلى الحمام . وهو يستغيث وألقيا الباب عليه وهو يصيح حتى مات .
وقبض على الحسين بن محمد المعروف بابن البستي وعلى أخيه الصغير ، وكانا ابني عم عضد الدين . وكان الصغير عامل بیمارستان فقطع يده ورجله ؛ فقبل إنه كان يستخرج المال بصنوج كبار ويحمله إلى الديوان بصنجة صحيحة وقيل غير ذلك ، وحمل إلى بیمارستان فمات^(١) .

١ ذكر وفاة المستنجد بالله

١٥٢-ب

وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ومولده في مستهل شهر ربيع الآخر سنة عشرة وخمسمائة . وكان عمره ستاً وخمسين سنة وثمانية أيام ، ومدة خلافته أحد عشر سنة وشهراً واحداً وستة أيام على القول الأول . وكان أسمر ، تمام القامة ؛ طويل اللحية .

وكان سبب موته أنه مرض واشتد مرضه ؛ وكان بجانبه أستاذ الدار عضد الدين [أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء]^(٢) وقطب

(١) كان ذلك في سنة أربع وستين وخمسمائة (الكامل ٩ : ١٠٤) .

(٢) زيادة من الكامل ٩ : ١٠٨ .

الدين قائماز المقتفوى - وهما من الأمراء ببغداد - فوصيا الطبيب على أن يصف له ما يقتله فوصف له دخول الحمام فامتنع لضعفه ، فأدخله وأغلق عليه بابه فمات^(١) . وقيل إنه كتب إلى الوزير ... النصراني ابن صفية يأمره بالقبض على أستاذ الدار .

وكان رحمه الله من أحسن الخلفاء سيرةً ، عادلا في الرعية كثير الرفق بهم ، وأطلق كثيرا من المكوس / حتى لم يترك بالعراق شيئا منها . وكان شديدا على أهل العيب والفساد والسعاية قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل^(٢) « بلغني أن المستنجد قبض على إنسان كان يسعى بالناس فأطال حبسه ، فشفع فيه بعض خواصه ، وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال : أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي آخر مثله أحبسه لأكف شره عن الناس ! » ولم يطلقه ورَدَّ كثيرا من الأموال على أصحابها رحمه الله .

١٥٣ - ١

ذكر خلافة المستضيء بأمر الله

هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن المقتفى لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، وأمه أم ولد أرمينية تدعى غَضَّة وهو الخليفة الثالث والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه في التاسع من شهر ربيع الآخر في سنة ست وستين وخمسمائة .

قال^(٢) : ولما مات المستنجد بالله كان بين الوزير أبي جعفر ابن البلدي

(١) يقيد هذه الرواية ابن طباطبائي في الفخرى ٢٧٧ .

(٢) جزء ٩ صفحة ١٠٩ .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٩ : ١٠٨

وبين أستاذ الدار عضد الدين وقطب الدين عداوة شديدة لأن المستنجد كان يأمره بأشياء تتعلق بهما فيفعلها فيظنان أنه هو الذي يسمي بهما فلما أُرْجِفَ بِمَوْتِ المستنجد ركب الوزير ومعه الأمراء والأجناد / وغيرهم ١٥٣-ب بالعدوة ولم يتحققوا مَوْتِ الخليفة . فأرسل إليه أستاذ الدار يقول : إن أمير المؤمنين قد خفف مابه من المرض وأقبلت العافية إليه ! فخاف الوزير أن يدخل دار الخلافة بالجند فرما أنكر عليه ذلك ، فعاد إلى داره وتفرق الناس عنه .

وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدا للهرب لما ركب الوزير خوفاً أن يدخل الدار فيأخذهما ، فلما عاد أغلق أستاذ الدار أبواب دار الخلافة وأظهر موت الخليفة ، وأحضر ولده أبا الحسن محمداً وبإيعه هو وقطب الدين بالخلافة ، ولقباه بالمستضيء بأمر الله ، وشرطوا عليه شروطاً منها : أن يكون عضد الدين وزيراً ، وابنه جمال الدين أستاذ الدار ، وقطب الدين أمير العسكر ، فأجابهم إلى ذلك ، وبإيعه أهل بيته البيعة الخاصة في يوم وفاة أبيه ، وبإيعه الناس من الغد في التاج ببيعة عامة ، وأظهر العدل وفرق أموالاً جلييلة المقدار .

ذكر مقتل الوزير أبي جعفر بن محمد

المعروف بابن البلدي

قال (١) : ولما علم الوزير بوفاء الخليفة سقط في يده وقرع^٢ سينه ندماً على عونه ، وأتاه من يستدعيه للجلوس للعزاء والبيعة

١٥٤-١

للمسنضى ، فمضى إلى دار الخلافة فلما دخلها صُرف إلى موضع وقيل وقُطِعَ وأُلْقِيَ في دجلة ، وأخذ جميع ما في داره ، فأبيا خطوط المستنجد بالله يأمره بالقبض عليهما . وخطَّ الوزير وقد راجعه في ذلك وحصره عنه . فندما على قتله .

وفي سنة سبع وستين وخمسمائة أقيمت الدعوة العباسية بالديار المصرية وخطب للخليفة بها ، وانقرضت الدولة العبديَّة المنسوبة إلى العلوية بخلع العاضد لدين الله ، وكان ذلك على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله على ما نذكر ذلك مبيناً - إن شاء الله تعالى - في أخبار الدولة العبديَّة (١) .

وفيهما عزل الخليفة وزيره عضد الدين من الوزارة لأن قطب الدين قايمار ألزمه ذلك فلم يمكنه مخالفة ، ثم قصد الخليفة إعادته في جمادى الأولى سنة تسع وستين فثارت الفتنة بين الخليفة وقايمار . وأغلق قايمار باب النبى وباب العامة وبقيت دار الخلافة محاصرة . فأنجاب الخليفة إلى ترك وزارته فقال قايمار : لا أقنع إلا بخروج عضد الدين من بغداد ! فأمر بإخراجها منها فالتجأ إلى صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل وهو شيخ الشيوخ وصار في رباطه فأجاره . ثم عاد إلى داره في جمادى الآخرة .

١٥٤-ب

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة زادت دجلة فتجاوزت كل زيادة كانت ببغداد منذ بنيت إلى الآن بذراع وكسره . وخاف الناس الغرق وفارقوا البلد ونبع الماء من البلايع . وخرب كثير من الدور

(١) انظر هنا النجوم الزاهرة ٦ : ٦٣ والبدية والنهاية ١٢ : ٢٦٤

وغرق البهارستان العضدي ، ودخلت المراكب من شبابيكه وكانت قد تقلعت .

وفيها سقط الأمير أبو العباس أحمد - وهو الذي صار خليفة ولقّب الناصر لدين الله - من قبة عالية إلى أرض التاج ومعه غلام له اسمه نجاح ، فألقى نفسه بعده ومِلِمَا جميعاً فقبل لنجاح : لم أَلقيتَ بنفسك ؟ فقال : ما كنت أريد البقاء بعد مَوْلَاي ! فَرعى له الأمير أبو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابياً وحكّمه في الدولة ولقبه الملك الرحيم عز الدين وخدمه جميع أمراء العراق .

وفيها في شهر رمضان وقع ببغداد بَرْدٌ كَبِيرٌ ما رأى الناس مثله فهدم الدُّورُ وقَتَلَ جماعةٌ من الناس والمواشي ، فوُزِنَتْ بردةٌ منه فكانت سبعة أرطال . وكان عامته كالنارنج يكسر الأغصان ، قال ابن الأثير هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه والمهدة عليه فيه (١) .

ذكر هرب قطب الدين قايماز/ من بغداد

١٥٥-ب

وعود عضد الدين إلى الوزارة

كان سبب ذلك وابتدأه أن علاء الدين تنامش - وهو من أكابر الأمراء ببغداد - وقطب الدين قايماز زَوْجَ أُخْتِهِ سَيِّراً عسكراً إلى العراق في شوال سنة سبعين وخمسمائة فنهبوا الناس وبالفوا في

أذاهم ، فجاء جماعةٌ منهم إلى بغداد واستغاثوا فلم يُغاثوا لِضَعْفِ
الخلافةِ وتحكم قايماز وتنامش على الدولة ، فقصدوا جامع القصر
واستغاثوا ومنعوا الخطيب من الخطبة فأنكر الخليفة ما جرى ، فلم
يلتفت قايماز وتنامش إلى قوله .

فلما كان في خامس ذى القعدة قصد قايماز دارَ ظهير الدين بن
الطار صاحب المخزن - وللخليفة به عناية تامة وبينهما صُحبةٌ -
فلم يراع قايماز الخليفة فيه ، واستدعاه فهُرب ، فأحرق قطب الدين
قايماز داره وحالف الأمراء على المساعدة والمعاونة له ، وجمعهم وقصد
دار الخلافة لِإِعْلِيهِ أَنْ ابن الطار فيها .

فلما علم الخليفة ذلك صعد إلى سطح داره وظهر للعامة
وأمر خادما فصاح وقال للعامة : مالُ قطب الدين لكم ودُّهُ لى !
فقصد الخلقُ كلُّهم دارَ قطب الدين للنهب ، فلم يمكنه الدُّقَام
لِضيق الدَّوارِع ، وغلبت العامةُ ، فهرب من داره من باب فتحة من
ظهرها لكثرة مَنْ على بابها مِنَ الخلق . وخرج من بغداد ، وتُهِيتْ
داره وسلبت نعمته في / ساعة واحدة وتبعه تنامش وجماعة من الأمراء ،
فنهبت دُورهم وأحرق بعضها ، وأخذت أوالهم .

١٥٥-ب

وسار قطب الدين إلى الحلة ومعه مِنَ التَّحَقِّقِ مِنَ الأمراء ،
فسير الخليفة إليه شيخ الشيوخ صدر الدين فَخَدَعَهُ حتى سار
عن الحلة نحو الموصل على البرِّ فَلَحَقَهُ هو . وَمَنْ معه عَطَشَ عَظِيمٌ
فهلك أكثرهم ومات قيماز قبل وصوله إلى الموصل . ودُفِنَ بظاهر

باب العمادى وكانت وفاته فى ذى الحجة . ووصل تنامش إلى الموصل فأقام مدة ، ثم أمره الخليفة بالقلموم إلى بغداد فصار إليها وبقي بغير إقطاع !

قال (١) : ولما هرب قايماز أعيد عضد الدين إلى الوزارة وقال بعض الشعراء فى قطب الدين قايماز وتنامش بن قماج :
 إن كنت معتبراً بملك زائل وحوادث عنقية الإدلاج (٢)
 فدع العجائب والتواريخ الألى وانظر إلى قايماز وابن قماج
 عطف الزمان عليهما فسقاها من صرفه كأمسا بغير مزاج (٣)
 فتبدلوا بعد القصور وظلها ونعيمها بمهام وفجاج
 فليحذر الباقون من أمثالها نكبات دهر خائن وزعاج

• • •

قال (٤) : وكان قطب الدين كربما طلق الوجه ، محبا للعدل والإحسان ، كثير البذل للمال ، وإنما كان يحمله على ما يقع منه تنامش ١٥٦ - ١ بغير إرادته .

وفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وثى الخليفة المستضيء حجة الباب أبانصر على بن الناقد (٥) وكان الناس تلقبه

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ١٣٥

(٢) كذا فى ١ ، ك ٩١ ، ف ٨٨ - ب ، فى الكامل ٩ : ١٣٥ « عنقة الأودج »

وبها الوزن يختل

(٣) فى الكامل « من كأمسا صرفا بغير مزاج »

(٤) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ١٣٥

(٥) فى الكامل ٩ : ١٣٨ « أبانصر على بن الناقد »

في صغره قنبراً ، فصار الناس يصيحون به بهذا اللقب إذا ركب .
فأمر أن يركب معه جماعة من الأتراك يمنعون الناس من ذلك ، فامتنعوا
فلما كان قبل العيد بثلاثة أيام خلع عليه ليركب في الموكب ،
فاشتهرى جماعة من أهل بغداد شيئاً كثيراً من القناiber وعزموا على إرسالها
في الموكب ، فأنهى ذلك إلى الخليفة فعزله وولى ابن المعوج .

وفيها قبض الخليفة على عماد الدين صندل المقتفوى أستاذ
الدار ورتبته كانه أبا الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن الصاحب (١) .

معين التاريخ ^{حروب} ذكر مقتل الوزير عضد الدولة (٢) لأهل التاريخ

وولاية ظهير الدين بن العطار

كان مقتله رحمه الله في رابع ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين
 وخمسمائة ، وهو أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر
 ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم [بن المسلمة] وسبب مقتله أنه
 عزم على الحج وعبر دجلة للمسير ومعه أرباب المناصب وهو في موكب
 عظيم ، وتقدم إلى أصحابه أن لا يمنعوا عنه أحداً ، فلقيد إنسان
 ١٥٦-ب / كهل وقال : أنا مظلوم !

وتقدم إليه يسمع كلامه فضربه بسكين في خاصرته ، فصاح
 الوزير : قتلني ! ووقع إلى الأرض وسقطت عمايته ، فغطى رأسه
 بكمه وضرب الباطني بسيف ، وعاد إلى الوزير فضربه بسكين وأقبل
 صاحب الباب ابن المعوج لينهر الوزير . فضربه الباطني بسكين ،

(١) في الكامل « سجر المقتفوى ، وهبة الله بن صامت »

(٢) في المصورات الثلاث « عضد الدين » ويورد اسمه في المظان « عضد الدولة »
 على ما أثبتنا (راجع مثلاً البداية والنهاية ١٢ : ٢٩٨ وانجوم الزاهرة ٦ : ٨١)

وقيل بل ضربه رفيق له ، وكان له رفيق ثالث فصاح وببديه سكين
فقتل ولم يصنع شيئا . وأحرق الثلاثة ، وحمل الوزير إلى دار له
هناك ، وحمل الحاجب إلى بيته فمات هو والوزير .
وكان الوزير قد رأى في منامه أنه يعانق عثمان بن عفان ،
قال ابن الأثير ^(١) : وحكى عنه ولد أنه اغتسل قبل خروجه
وقال : هذا غسل الإسلام وأنا مقتول بلا شك ! وكان له معروف
كثير وكانت داره مجمعا للعلماء وسمع الحديث ، وختمت أعماله
بالشهادة وهو على قصد الحج رحمه الله . ولما قتل حكم في النبوة
ظهير الدين أبو بكر ابن منصور المعروف بابن العطار ، وكان حسن
السيرة وتمكن تمكنًا عظيمًا .

ذكر فتنة بغداد

وهلثم بيعة اليهود

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة كانت الفتنة ببغداد ،
وسببها أن قوما من مسلمي المدائن حضروا إلى بغداد وشكوا من
يهود المدائن وقالوا : لنا مسجد نؤذن فيه ونصلّي وهو مجاور لبيعة
اليهود ، فقال لنا اليهود قد آذيتُمونا بكثرة الأذان وأنهم اختصموا
هم والمؤذن ، وكانت فتنة استظهر فيها اليهود . فلما شكوا أمر
ابن العطار بحبسهم فحبسوا ، ثم خرجوا فقصلوا جامع القصر
واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخنّف الخطيب الخطبة والصلاة ،
فعادوا يستغيثون فأتاهم جماعة من الجند ومنعواهم ، فغضب عامة
بغداد لذلك واستغاثوا ، وخلعوا طوابيق الجامع ورجموا الجند بها ،

ثم قصصوا دكاكين المخلطين لأن أكثرهم يهود فزبهبوها . فأراد حاجبُ الباب منبهم فرجموه فهرب منهم ، وضربوا الكنيسة التي عند دار البساسيري ، وأحرقوا الورق الذي فيها الذي يزعم اليهود أنه التوراة . واختفى اليهود فأمر الخليفة بنقض الكنيسة التي بالمدائن وتبني مسجدا ونصب بالرحبة أخشاب ليضارب عليها أقوام من المفسدين فظنّها العامة تخويفاً لهم لأجل ما فعلوه باليهود ، فجعلوا عليها جرفانا ميتة ، فأخرج جماعة من الحبس من اللصوص فضلبوا عليها وسكنت الفتنة !

ذكر وفاة المستضيء بأمر الله

١٥٧-ب / كانت وفاته لليلتين خلنا من ذى القعدة سنة خمس وسبعم وخمسة ، ومولده في سنة ست وثلاثين ، وكان عمره أربعين سنة تقريباً ، ومدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر إلا أياما . وكان رحمه الله عادلاً حسن السيرة في الرعية ، كثير البذل للأموال ، حلماً ، قليل المعاقبة على الذنوب ، محباً للفقو والصفح عن المذنبين ، وأولاده أبو العباس أحمد وأبو منصور هاشم .

ذكر خلافة الناصر لدين الله

هو أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله وأمه أم ولد تركية اسمها زمرّد وهو الخليفة الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بالبيعة العامة في يوم الأحد ثاني ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسة ، وقام له بالبيعة ظهير الدين بن العطار وبائع له ،

فلما تَمَّت البيعةُ صار الحاكم في الدولة أستاذ الدار مجد الدين صاحب ، وسير الرسل إلى الآفاق يأخذ البيعة له .

ذكر القبض على ابن العطار وموته

وفي سابع دى القعدة قبض على ظهير الدين بن العطار الوزير ١٥٨-١
وَوَكِّلَ بِهِ فِي دَارِهِ ، ثُمَّ نَقَلَ إِلَى النَّجَافِ وَفُيِّدَ وَأُخِذَتْ أَمْوَالُهُ وَطُلِبَتْ
وَدَائِمَتُهُ وَأُخْرِجَ مَيْتًا فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ ثَانِي عَشَرَ الشَّهْرِ عَلَى رَأْسِ حِمَالٍ .
فَغَمَزَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ فَذَارَ بِهِ الدَّامَةَ وَالْقُرْهَ عَنْ رَأْسِ الْحِمَالِ وَكَشَفُوا
عَنْ سَوَاتِهِ ، وَشَلُّوا فِي ذِكْرِهِ حَبْلًا وَسَجَبُوهُ فِي الْبَلَدِ وَكَانُوا بِضِعْمٍ
بِيدِهِ مَعْرِفَةً وَيَقُولُونَ : وَقَعَ لَنَا مَوْلَانَا ! إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الشَّنِيعَةِ ،
ثُمَّ خَلَصَ مِنْهُمْ وَدُفِنَ .

قال ^(١) وفعلوا به هذ الأفعال القبيحة مع حُسن سيرته فيهم
وكفَّ عن أوالهم وأعراضهم .

وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة كُتِرَتِ المذكرات ببغداد فقام
حاجب الباب جماعة لإِزْوَاقَةِ الْخَمُورِ وَأَخَذَ الْمَقْسِدَاتِ ، فَبَيْنَمَا امْرَأَةٌ
مِنْهُمْ فِي مَوْضِعٍ عَلِمَتْ يَجِيءُ الْعَاجِبُ فَاضْطَجَعَتْ وَأَظْهَرَتْ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ
وَارْتَفَعَ أُنْيُنُهَا ، فَرَأَوْهَا عَلَى ذَلِكَ فَانْصَرَفُوا عَنْهَا ، فَهَمَّتْ بِالْقِيَامِ فَلَمْ
تَسْتَطِعْ وَجَعَلَتْ تَصِيحُ : الْكَرْبُ الْكَرْبُ ! إِلَى أَنْ مَاتَتْ .

وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قَبِضَ الْخَلِيفَةُ عَلَى أَسْتَاذِ الدَّارِ
مَجْدِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الصَّاحِبِ وَقَتَّلَهُ ، وَكَانَ قَدْ تَحَكَّمَ فِي

(١) ابن الأثير في الكامل ١٤٩: ٩٠ . وقد روى ابن طباطبغا القصة في الفخرى ٢٨١ .

١٥٨- ب الدولة ليس للخليفة معه حُكْمٌ . وكان الذي سَمِعَ به عند الخليفة
 وَتَبَّحَ آثَرَهُ رجلٌ من صَنَائِهِ وَأَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عبيد الله بن يونس
 قَقْبُضُ/ عليه الخليفة وقتله ، وأخذ أمواله وكانت عظيمة . وكان رحمه
 الله حسن المسيرة ، واستنوزر الخليفة بعده أبا المظفر عبيد الله بن
 يونس في شِوَالٍ ، ولقبه جلال الدين ، ومثى أكابر النُولة في ركابه
 حتى قاضي القضاة ، وكان ابن يونس هذا من شهوده ، فكان يمشى ويقول :
 لَعَنَ اللهُ طولَ السَّحَرِ !

ذكر انهزام عسكر الخليفة من طغرل

كان طغرل (١) السُّلْجُوقِي قد قَوِيَ أمره في سنة ثلاث وثمانين
 وخمسمائة وكثر جَدُّهُ ، وأرسل إلى بغداد يقول : أريد أن يتقدم
 إلى الديوان بعمارة دار السلطنة لِأَنْزَلَ فيها إذا قدمت ! فرد الخليفة
 رسوله بغير جواب ، وأمر بِنَقْضِ دار السلطنة فَهَلَّتْ إلى الأرض
 وغشى أثرها (٢) ووصل رسولُ قَزَلٍ - وهو صاحب أَرَانَ وأذربيجان
 وهمذان وإصفهان والري وما بينهما - ببذل الطاعة والخدعة ويستنجد
 الخليفةَ على صَعْرَلٍ ، فكرم الخليفةُ رسوله ووعدَه بتجهيز العساكر
 إليه ، وجَهَّزَهَا في سنة أربع وثمانين وخمسمائة . وقدم عليها الوزير
 جلال الدين [عبيد الله] بن يونس وسيرهم لمساعدة قَزَلٍ وكف
 السلطان طغرل عن البلاد ، فسار العسكر في ثالث صفر إلى أن

١٥٩- ١

(١) هو طغرل بن ألب أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي

(٢) راجع الخبر إلى هنا في الكامل ٩ : ١٨٩ ، وبقيته التي سردتها التويري في

قارب دَمْدَمَان ، فلم يصل قزل إليهم . وأقبل قزل في عساكره ،
والتقوا في ثامن شهر ربيع الأول بمرج عند دَمْدَمَان ، فلم تثبت عساكر
الخليفة . وانهمزت (١) ، وبقي الوزير قائماً معه مصحف وسيف ،
فأسير وأخذ ما معه من خزانة وسلاح وغيره ، وعاد العسكر إلى بغداد
متفرقين .

وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة خُطِبَ لولي العهد أبي نصر
محمد بن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ، ونشرت الدنانير والدراهم ،
وأُرْسِلَ إلى البلاد في إقامة الخطبة له .

وفيها في شوال ملك الخليفة تكريت ، وسبب ذلك أن صاحبها
الأدير عيسى قتله إخوته وملكوا القلعة بعده ، فسير الخليفة إليهم
عسكراً فحاصروها وتسلحوا ، ودخل أصحابها إلى بغداد فأعطوا
إقطاعاً .

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة في شهر ربيع الأول ملك الخليفة الناصر
لدين الله حديثاً عانة ، وكان قد سير إليها جيشاً في سنة خمس وثمانين
 وخمسمائة فحاصروها وقتلوا عليها شديداً ، وقتل من الفريقين خلقٌ
كثير ، ودام الحصار فضاقت الأقوات على أهلها ، فسلموها على
إقطاع عَيْنُوه ، ووصل أصحابها وأهلها ببغداد وأعطوا إقطاعاً ثم تغرّقوا
في البلاد ، واتسدت بهم الحاجة حتى تعرض بعضهم للسؤال وبعضهم
خلدَمَ / الناس

(١) يصف ابن سليمان الراوندي هذه المعركة في راحة الصدور ٤٨١ وصفاً رائعا وقرر
أن جيش العراق لم يشهد مثلاً .

وفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ، ونقل إليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يُقْتَرُ على مثْلِها .

وفيها في شهر ربيع الأول كملت عمارة الرباط الذي أمر الخليفة بإنشائه بالحريم الظامري غربى بغداد على دجلة .

وفيها ملك الخليفة قلعةً من بلاد خوزستان ، وسبب ذلك أن صاحبها سوسيان بن شملة جعل عليها زرداراً فأساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله وأرسل إلى الخليفة ، وأرسل إليها وملكها .

وفيها انقضى كوكبان عظيمان بعد طلوع الفجر واصطلحا وسمع صوت هدة عظيمة وغلب ضوؤهما ضوء القمر والنهار .

وفي سنة تسعين وخمسمائة قتل السلطان طغرل السلجوقي في حرب كانت بينه وبين خوارزم شاه غلاء الدين ، وملك خوارزم شاه البلاد .

ذكر ملك الخليفة خوزستان

وفي سنة تسعين أيضاً خلَعَ الخليفة الناصر لدين الله على نائب الوزارة مؤيد الدين أئى عبد الله محمد بن على المعروف بابن القصاب خلَعَ الوزارة ، وسار في شهر رمضان من السنة إلى بلاد خوزستان بالعساكر . وقد كان قد خَلَمَ بها أولاً وعرفها ، فلما ولى نيابة الوزارة ببغداد أنشأ على الخليفة الناصر لدين الله أن يرسله بعسكر ليملكها . واتفق وفاة صاحبها ابن شملة التركمانى واختلاف

أولاده ، فأرسل بعضهم إلى مؤيد الدين يستنجده ، فقوى طمعه فيها ، فسار إليها ودخلها في سنة إحدى وتسعين ، وملكها في المحرم منها ، وملك غيرها من البلاد والقلاع : منها قلعة الناظر ، وقلعة كاكرد ، وقلعة لاموج ، وغيرها من القلاع والحصون ، وأنفذ بني شماعة التركماني أصحاب خوزستان إلى بغداد فوصلوا في ربيع الأول .

ذكر ملك الوزير همذان

وغیرها من بلاد المعجم

قال (١) : ثم ملك الوزير مؤيد الدين المذكور همذان في شوال سنة إحدى وتسعين وخمسمائة من عسكر خوارزم شاه وولده ، فتوجه الخوارزميون إلى الري فتبعهم الوزير ففارقوها من غير قتال وتوجهوا إلى دامغان وبسطام (٢) وجرجان . فعاد عسكر الخليفة إلى الري فأقادوا بها ، ثم رحل الوزير إلى همذان فأقام بها نحو ثلاثة أشهر وأنته رسل خوارزم شاه يطلب إعادة البلاد وتقرير قواعد الصلح فلم يجب الوزير إلى ذلك . فسار خوارزم شاه محمد بن تكش إلى همذان فوجد الوزير قد توفي في شعبان ، فوقع بينه وبين عسكر الخليفة الناصر لدين الله مصاف في نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين ، فقتل من الممكرين خلق كثير ، وانهمز عسكر الخليفة ، وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا ، وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير وقطع رأسه وسيرد إلى خوارزم وأظهر أنه قتله في المعركة ، ثم رجع خوارزم شاه إلى خراسان لموجب عرض له .

١٦٠-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٢٣١

(٢) بسطام : مدينة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمراحلتين وهي

بقوس (معجم البلدان ١ : ٤٢١) .

ذكر ملك عسكر الخليفة أصفهان

وفي سنة إحدى وتسعين جَهَّزَ الخليفةُ جيشاً وسيَّره إلى إصفهان ،
 وقلم الجيش سيف الدين طغرل فقطع بلد [اللحف] (١) من
 العراق ، وكان بإصفهان عسكر الخوارزم شاه مع ولده ، وأهل إصفهان
 يكرهونهم . فكاتب صدر الدين الخجندی رئيس الشافعية الديوانَ
 العزيزَ ببغداد يبذل من نفسه تسليمَ البلد إلى مَنْ يصل إلى الديوان
 العزيز بالعسكر فلما وصلت العساكر ظاهر إصفهان فارقتها العسكر
 الخوارزمي إلى خراسان وابععهم عسكراً لخليفة ، فأخذوا من قدروا
 عليه من ساقية العسكر ، ودخل عسكر الخليفة إلى إصفهان وملكوها .

١-١٦١

قال (٢) : واجتمع إليك ابن البهلوان وقدموا على أنفسهم
 كوكجه وهو من أعيان البهلوانية ، واستولوا على الرُّى وما حولها
 من البلاد ، وساروا إلى إصفهان لإخراج الخوارزمية منها ، فسمعوا
 بوصول عسكر الخليفة إليها . فأرسل إلى طغرل ملك الخليفة
 يعرض نفسه على خدمة الديوان وأظهر العبودية وأنه إنما قصد
 إصفهان في طلب العسكر الخوارزمي ، وأنه ساق في طلبهم فلم
 يدرهم .

قال (٣) : ثم سار عسكر الخليفة من إصفان إلى دمان ، وساق
 كوكجه خلف العسكر الخوارزمي إلى بلاد الإسماعيلية ، وغاد فقمند

(١) في المصورات الثلاث « النجف » وماها هنا عن الكامل ٩ : ٢٣٤٩

(٢) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٢٣٤

(٣) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٢٣٤

إصفهان وملكها . فأرسل إلى بغداد يسأل أن تكون له الرى وجواره ^(١) وسأوة ^(٢) وقم وقاجان وما ينضم إليها ، وتكون إصفهان وهمدان وزنجان وفزوين لديوان الخليفة . فأجيب إلى ذلك ، وكتب منشوره بنا طلب ، وأرسلت إليه الخلع ، فمظم شأنه وقوى أدره وكثرت عساكره .

وفي سنة إحدى وستمائة يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قُطِبَتْ خطبة ولَّى العهد أبى نصر بن الخليفة الناصر لدين الله ، وذلك أنه أظهر خطه بدار الوزير نصير الدين الرازى إلى أبيه يتضمن العُزَّ عن القيام بولاية العهد ، ويطلب الإقالة ، وشَهِدَ عدلان أنه / خطه وأن الخليفة أقاله ، وعُيِّلَ بذلك محضر تشهد فيه **١٦١-ب** القضاة والعلماء والعلول والفقهاء .

وفي سنة أربع وستمائة عُزِّلَ وزير الخليفة نصير الدين ناصر ابن مهدي الملوى ، وكان من أدل الدين . قدم إلى بغداد لما مَلَكَ الوزير ابن القصاب الرى ، فَلَقِيَ نصير الدين من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ، ثم استوزره وجعل ابنه صاحب المخزن . فلما كان فى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ، عُزِّلَ وأغلق بابُه . وسبب عُزْلِهِ أنه ساعات سيرته مع أكابر ممالك الخليفة حتى هرب

(١) كذا فى الأصول ولعلها جرار موضع من نوحى قنشرين كما يقول ياقوت وهناك جواره موضع بافريقية وجراوه ناحية بالأندلس ولا أظن أنها المقصودان هنا (راجع معجم البلدان ١ : ١١٧) .

(٢) سأوة : مدينة بين الرى وهمدان فى وسط وأهلها سنية شافعية (معجم البلدان ٣ : ١٧٩) .

من يده أمير الحج مظفر الدين سنقر المعروف برجه السبع إلى الشام في مدينة ثلاث ومائة وكتب إلى الخليفة أن هذا الوزير لا يُقضى في خدمة الخليفة أحداً من مماليكه ، ولا شك أنه يريد أن يدعى الخلافة ، وأكثر الناس القول في ذلك وقالوا فيه الشعر ، فمنه قول بعضهم :

ألا مبلغ عني الخليفة أحمدًا تَوَقَّ وُقِيَتِ السُّوءَ مَا أَنْتَ صَانِعُ
وزيرك هذا بين أمرين فيهما فَالْكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ضَائِعُ
فإن كان حقاً من سلالة أحمد فهذا وزير في الخلافة طامعُ
وإن كان فيما يدعى غير صادق فَأَضْيَعُ مَا كَانَتْ لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ

فعرله ، وقيل في سبب عزله غير ذلك . ولما عزل عاد أمير الحج
١٦٢ - ١ / من مصر وعاد قشتمر ، وأقيم في نسيابة الوزارة فخر الدين أبو المنذر^(١)
محمد بن أحمدنا الواسطن إلا أنه لم يكن متحكماً .

وفيهما أطلق الخليفة جميع حق البيع ، وما يؤخذ من أبواب
الأمته من المكوس من سائر المبيعات ، وكان مبلغاً كبيراً . ومبب
ذلك أن ابنة عز الدين نجاح الشراي نوفيت فاشتري بقرة لتذبح
وبتصدق بلحمها ، فرفعوا في حسابها مؤونة البقرة - وكانت كثيرة -
فوقف الخليفة على ذلك ، فأمر بإطلاق المؤونة جميعاً .

وفيهما في شهر رمضان أمر الخليفة ببناء دور بمحال بغداد
يقطر فيها الفقراء ومُسميت دور الخلافة .

(١) كذا في ١ ، ك ٩٦ ، ف صفحة ٩٢ - اوفى الكمال ٩ : ٢٨٩ . أبو المنذر .

وفي سنة ست وستمائة في شهر ربيع الأول عُزل فخر الدين بن أممينا عن نيابة الوزارة ، وألزم بيته ، ثم نُقِلَ إلى المخزن ، وولى بعده لنيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن القمي كاتب الإنشاء ولقب مؤيد الدين ، ونقل إلى دار الوزارة .

وفي سنة اثنتي عشرة وستمائة في العشرين من ذي القعدة توفي الملك المعظم أبو الحسن علي ولد الخليفة الناصر لدين الله - وهو الولد الصغير - فحصل للخليفة عليه ألم عظيم لم يسمع بمثله ، وأمر الخليفة أن لا يعزوه به وكانت له جنازة عظيمة لم يسمع بمثلها ، ولم يبق ببغداد منزل إلا وفيه نعي .

/ ذكر وفاة الناصر لدين الله

١٦٢-ب

وشيء من أخباره ومسيرته

كانت وفاته في آخر ليلة من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكانت علته عشرين يوما إصابة دوسنطاريا . وكانت مدة خلافته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما ، قال ابن الأثير ^(١) : وكان قبيح السيرة في رعيته ظالما ، فخرَّب في أيامه العراق وتفرَّق أهله في البلاد ، فأخذ أموالهم وأبلاكهم . وكان كثير التَّنَوُّن بفعل الشيء وضده ، فمن ذلك أنه عمل دور الضيافة ببغداد ثم قَطَعَهَا ، ثم عمل دارا لضيافة الحج وأبطلها ، وأطلق بعض المكوس التي جردها ببغداد ثم أعادها ، وجعل جُلُّ همه

(١) الكامل ٩ : ٣٦١ .

في رمي البندق والطيور المناسب وسراويلات الفتوة ، وبطل
الفتوة من البلاد أجمع إلا من ليس منه ، ومنع الطيور المناسب
لغيره إلا ما يؤخذ من طيور ، ومنع من الرمي بالبندق إلا من
ادعى له وانتسب إليه . فأجابته الناس إلى ذلك إلا رجلا واحدا يقال
له ابن السفث فإنه فارق العراق والتحق بالشام فأرسل إليه يرغبه
بالمال الجريل / ليرى عنه وينتسب إليه فأبى . فأنكر عليه بعض أصحابه
ذلك فقال : بكفيني افتخارا أن كل رام في الدنيا رمى الخليفة إلا
أنا ! والعجم ينسبون إلى الناصر أنه هو الذي رامل التتار وجراًهم على
البلاد ، وهذه المصيبة العظمى إن كانت !

١٦٣ -

ذكر خلافة الظاهر بأمر الله

هو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن
المستضيء بأمر الله ، وهو الخليفة الخامس والثلاثون من الخلفاء
العباسيين . بويع له البيعة العامة بعد وفاة والده الناصر لدين الله
في شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وكان قد خلع من ولاية
العهد وقطعت خطبته كما تقدم ، وإنما فعل ذلك أبوه إحياء إلى
ولده الصغير ، فلما مات اضطر إلى أعادته لولاية العهد .

قال (١) ولما ولي الخلافة أظهر العدل والإحسان وأمر بإبطال
المقالم وكف الأيدي عن الناس ، وأعاد على الناس ما كان أبوه قد
اشتصبه من أهوالهم وآلاكمهم ، وأبطل المكوس والحوادث . فمن
ذلك أن المخزن كان له صنجة للذهب تزيد على صنجة البلد نصف

قيراط في الدينار ، فيقبضون بها المال وبصرفون بصنجة البلد ،
 فسمع بذلك فخرج / خطه للوزير أوله : « ويل للمطففين إلى قوله ١٦٣ ب
 ليوم عظيم ^(١) قد بلغنا الأمر كذا وكذا فتعدا صنجة المخزن
 إلى الصحيحة المتعامل بها . فكتب إليه بعض النواب يقول « إن هذا
 مبلغ كبير وقد حسبناه فكان في السنة الماضية خمسة وثلاثين
 ألف دينار » فأعاد عليه الجواب بالإنكار ويقول : لو كان ثلاثمائة
 ألف دينار وخمسين ألفا يطلق ، ! وأطلق زيادة صنجة الديوان
 وهي في كل دينار حبة ، وتقدم إلى القاضي أن كل من عرض كتابا
 قديما بمالك صحيح يعيده إليه من غير إذنه . وأقام رجلا صالحا
 لولاية الحشري وبيت المال وكان حنبليا فقال : إن مذهبي أن أورث
 ذى الأرحام فإن أذن أمير المؤمنين أن أفعل ذلك وليت وإلا فلا !
 فقال أعط كل ذي حق حقه وأتق الله ولا تتق سواه ! وأبطل مطالعات
 سراس الدروب ببتداد بأخبار الناس وقال « لا يكتب إلينا إلا فما
 يتعلق بمصالح دولتنا » .

ومنه أنه لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان
 وجه في خلافة الناصر لتحصيل الأموال ، فحضر ما يزيد على مائة
 ألف دينار وطالع بذلك ، فأعاد الخليفة الظاهر الجواب بإعادة المال
 إلى أربابه ، فأعيد إليهم . وأطلق من كان في السمجون وأمر أن يُحمل
 إلى القاضي / عشرة آلاف دينار يوفي بها دين من هو في سجن
 الحاكم على توى يعجز عنه . وتصدق في ليلة عيد الفطر
 ١٦٤ - ١

وفُرق في العلماء وأهل الدين مائة ألف دينار ، ولم تطل مدته في الخلافة .

وكانت وفاته في رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، فكانت مدة خلافته منذ أفضى إليه الأمر تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً . قال (١) : وأخرج قبل وفاته توقيعا بخطه إلى الوزير ليقراه على أبواب الدولة ، فقال الرسول : إن أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم أو نفذ مثال لا يبين نه أثر ، بل أنتم إلى إمام فمال أحوج منكم إلى إمام قوال ! فقرأ المرسوم فإذا فيه بد البسملة ، اعلّموا أنه ليس إماماً إماماً ولا إغضائاً إغضائاً ولكن نباؤكم أبكم أحسن عدلاً ، وقد غفرنا لكم ما تلف من إخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقييع الثمنمة وإظهار الباطل الجلي في صورة الحسن الخفي حيلة ومكيدة ، وتسمية الاستئصال والاحتياج استيفاء واستدراكاً لأغراض انتهزتم فرصتها مختلصة من برائن ليث باسل وأنياب أسد مهيب ، تتفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أماناؤه وثقاته فتميلون / إلى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وأنتم له غاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون . والآن فقد بدل الله سبحانه يخوفكم أماناً : وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقاً . ورزقكم سلطاناً يقبل العشرة ولا يؤاخذ إلا من أصر ، ولا ينتقم إلا من استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريد منكم وبينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالى فيخوفكم

١٦٤-ب

مَكَرَدَ ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فإن سلكتم مسالك نواب
خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه وإلا هلكتم ، والسلام « قال (١) :
ووجد في داره رقاع مختومة لم يَفْتَحْهَا ففعل له : ما عليك لو فتحتها !
فقال : لا حاجة لنا فيها كلها سعيات !

ذكر خلافة المستنصر بالله

هو أبو جعفر المنصور وأُتِيبَ في خلافته بالمستنصر بن الظاهر بأمر
الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله ألى العباس أحمد ،
وهو الخليفة السادس والثلاثون من الخلفاء العباسيين . بويح له
بالخلافة بعد وفاة أبيه الظاهر بأمر الله في رابع عشر شهر رجب سنة
ثلاث وعشرين وستمائة ، فسلك من العدل والخير والإحسان مسلك
والده ، ونادى بإفاضة العَدْلِ وأن يطالع الناس بحوائجهم . ولما كان ١٦٥-١
أول جمعة أتت في خلافته أراد أن يصلي الجمعة في المقصورة التي يصلي
فيها الخلفاء فقيل له إن المطبق الذي يَسْلُكُ إليها فيه خراب لا يُسْلَكُ
فركب فرسا وسار إلى الجامع ظاهرا للناس بخادم وركاب دار وعليه
قميص أبيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير ، ولم يترك أحدا
يمشي في خدمته . وكذلك فعل في الجمعة الثانية حتى صلح المطبق !
وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة كانت وقعة بين التتار وعساكر
الخليفة ، وكان مقدم العسكر الحليفى (٢) جمال الدين بكلك

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٣٦٩

(٢) نسبة خطأ ، ولكن جمهور المؤرخين يصطلح عليها ويأخذ بها (راجع فذرات

الذهب ٥ : ١٧٠)

الناصرى . وقتل من الطائفتين خلق كثير ، فانهزم عسكر الخليفة وهو أول مصاف كان بين التتار وعسكر الخلفاء ، ودامت أيام المنتصر إلى سنة أربعين ومائة .

وكانت وفاته بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة منها ، وكان سبب وفاته أنه فُصِدَ بمبضع مسموم فتوفي . وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة إلا ثلاثة وثلاثين يوما ، وكان الناس في زمن خلافته في شغل شاغلٍ عن ضبط أيامه بالتاريخ ، لما دهمهم من حادثة التتار (١) . فلذلك اختصرنا أيامه وسرد أخبار التتار وخروجهم وما استولوا عليه من الممالك وما فعاود به أهل البلاد مبيتا عند ذكرنا للدولة الخوارزمية والجنكزخانية - إن شاء الله تعالى .

١٦٥-ب

ذكر خلافة المستعصم بالله

هو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبي عبد الله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن ذخيرة

(١) ولكن ابن طباطبغا يقول في الفخرى ٢٨٨ هـ كانت أيامه طيبة ، والدنيا في زمانه ساكنة ، والخيرات دارة ، والأعمال عامرة . وفي أيامه فتحت إربل ، أرسل المنتصر إليها إقبالا الشرايين وصحبته عارض الجيوش ، وذلك عند وفاة صاحبها مظفر الدين ابن زين الدين على كوجك وهو في مقدمة كتابه ٢٦ ، ٢٧ يسخر من هذا الفتح الهين الذي تضرب فيه البشائر وإن يكن دليلا على مهانة ما صار إليه أمر الخلافة !

الدِّينَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَادِرِ
بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ
الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ الْمُوفِقِ بِاللَّهِ أَبِي أَحْمَدَ طَلْحَةَ -
وهو الملقَّبُ بالناصر - ولم يَلِ الخلافة - بن المتوكل على الله أبي
الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إِسْحَاقَ مُحَمَّدَ بْنَ الرَّشِيدِ أَبِي مُحَمَّدِ
هَرُونَ بْنَ الْمُهْدِيِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بن عبد المطلب ، وهو
الخليفة السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، ببيع له بالخلافة
بعد وفاة أبيه المستنصر بالله في يوم الجمعة لِعَشْرِ خُلُونٍ / من جُمَادَى
الآخِرَةِ سنة أربعين وستمائة .

وكان مُتَدَيِّنًا متمسكا بمذهب السُّنَّةِ والجماعة ، وَحَسَّنَ لَهُ أَصْحَابُهُ
جَمْعَ الْأَمْوَالِ وَالْإِقْتِصَارَ عَلَى بَعْضِ مَنْ بِبَغْدَادَ مِنَ الْجُنْدِ ، وَقَطَعَ الْبَاقِي ،
وَمَسَالِمَةَ النَّارِ وَحَمَلَ الْقُطْبِيَّةَ إِلَيْهِمْ لِيَكْفُوا عَنْهُمْ ، وَقَالُوا لَهُ : هَؤُلَاءِ
مَلَكُوا مَعْظَمَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ مِنَ الْمَالِكِ أَمَامَهُمْ ! فَادْعِنِ
إِلَى ذَلِكَ .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة قصد التتار بغداد ،
حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ظَاهِرِهَا وَنَهَبُوا مَا مَرُّوا عَلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ
الْعَسَاكِرُ الْخَلِيفَتِيَّةُ فَأَجَّجُوا النَّيْرَانَ بِاللَّيْلِ وَرَحَلُوا ، وَدَامَتْ أَيَّامُ
الْمُسْتَعْصِمِ بِاللَّهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ التتار بغداد .

ذِكْرُ مَقْتَلِ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللَّهِ

وانقراض الدولة العباسية واستيلاء هولاكو على بغداد

كان مقتله في الشرين من المحرم سنة بيت وخمسين وستمائة
عندما استولى هولاكو على بغداد على ما ذكره إن شاء الله في أخبار

التنار^(١) ولما ملك هولاءكو بغداد أحضر الخليفة المستعصم بالله وأمر أن يُجعل في عِدْلٍ ويداس بأرجل الخيل حتى يموت، ففعل به ذلك^(٢) ومن عادة التنار أن لا ينفكوا دماء الملوك والأكابر، وسبى كل من حواه قصر الخلافة من الحرير، واستولى على ذخائر الخلفاء، ونُهبت بغداد، وبذلوا السيف فيها سبعة أيام متوالية ثم رُفع في اليوم الثامن^(٣). وكانت خلافة المستعصم بالله خمسة عشر سنة، وسبعة أشهر، وعشرة أيام. وكان الذي بعث هولاءكو على قُصْدِ بغداد أن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي كان شيعيا والشيعة يسكنون بالكرخ وهي محلة مشهورة بالجانب الغربي من بغداد، فأحدث أهلها حادثة فأمر الخليفة بنهرهم فنهبهم العوام، فوجد^(٤) الوزير لذلك وكاتب هولاءكو، وأخذ في التدبير على الخليفة وقطع أرزاق الجند، وأخذ منهم حتى تمكن التنار من أخذ البلاد.

قال^(٥): ولما فتح هولاءكو بغداد وأحضر الوزير المذكور فقال: كيف كانت حالك مع الخليفة؟ فذكر ما كان عليه من التقدم ونفاذ الكلمة وكثرة الأتباع وأنه كان يركب في جميع عظيم، فقال: إذا كان هذا فملك في حق من قلّعتك وأحسن إليك كيف يكون منك

(١) يقول ابن واصل «وأما الخليفة رحمه الله فأنهم تشوه، لكن لم يطلع أحد على قتله كيف كان، فقيل إنه خنق، وقيل وضع في عدل ورفس حتى مات وقيل غرق في الدجلة» راجع حاشية في كتاب السلوك للمقرئ ٢: ٤٠٩ القسم الثاني.

(٢) ورد في دائرة المعارف الإسلامية Enc. Isl. art Baghdad «نُهبت بغداد وأحرقت إلا أنها لم تخرب كلها أسوة بنيرها من البلاد التي فتحها هولاءكو لأنه كان يريد أن يجعلها عاصمة له».

(٣) وجد يجد جدة وموجدة ووجدا: حزن وغضب (القاموس المحيط)

(٤) من عادة النويري أنه إذا أحال بغير تحديد أحد، على الأثر ولكنه هنا لا يتيه، لأن أحداث تاريخه تنتهي بنهاية عام ٦٢٨ للهجرة.

معنا ؟ وأمر بقتله . وقيل استبقاه وأن امرأة رآته في يوم وهو على
برذون ليس معه أحد فنظرت إليه وقالت يا ابن العلقمى هكذا كنت
في أيام أمير المؤمنين (١) ؟

١٦٧-١

جامع أخبار خلفاء الدولة العباسية بالعراق

ومن ولى منهم ومدة خلافتهم

وَلِيَ مِنْهُمْ بِالْعِرَاق سَبْعَةً وَثَلَاثُونَ خَلِيفَةً وَهُمْ : أَبُو الْعَبَّاسِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَهُوَ السَّفَاحُ ،
ثُمَّ الْمَنْصُورُ أَبُو جَعْفَرٍ عَمِدُ اللَّهِ أَخُوهُ ، ثُمَّ الْمُهْدِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ
أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْهَادِي أَبُو مُحَمَّدٍ مُوسَى ، ثُمَّ أَخُوهُ
الرَّشِيدُ أَبُو مُحَمَّدٍ هَارُونَ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْأَمِينُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ
أَخُوهُ الْمُتَأَمِّنُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَخُوهُ الْمُتَعَصِّمُ بِاللَّهِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ
مُحَمَّدُ بْنُ الرَّشِيدِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَضَافَ إِلَى لِقَبِهِ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
ثُمَّ ابْنُهُ الْوَائِقُ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ هَارُونَ ، ثُمَّ أَخُوهُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَبُو الْفَضْلِ
جَعْفَرٌ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْمُتَعَصِّمُ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ
أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُتَعَصِّمِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ الْمُتَمِزُّ بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، ثُمَّ الْمُهْتَدِيُّ بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَائِقِ ،
ثُمَّ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ الْمُعْتَصِدُ
بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُوَفَّقِ طَلْحَةُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، ثُمَّ الْمُكْتَفَى بِاللَّهِ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ الْمُعْتَصِدِ ، ثُمَّ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ

(١) راجع كتاب السلوك ١ : ٤٠٠ القسم الثاني وجامعه نص عن ابن واصل في
موقف هذا الوزير ، وراجع أيضا ما ذكره ابن طباطبا في الفخرى ٢٩ وكذلك البداية والنهاية
١٣ : ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ثم شذرات الذهب ٥ : ٢٧٠ ، ٢٧٢

١٦٧-ب / المعتضد وخلع مرتين فالأولى بوبع لابن المعتز والثانية بوبع للقاهر ،
ثم القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد ، ثم الراضى بالله
أبو العباس أحمد بن المقتدر ، ثم المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم
ابن المقتدر ، ثم المستكفى بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفى ،
ثم المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر ، ثم الطائع لله أبو بكر
عبد الكريم بن المطيع ، ثم القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق
ابن المقتدر ، ثم القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر ،
ثم المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبق العباس
أحمد بن القائم ، ثم المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى ،
ثم المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر ، ثم الراضى بالله
أبو العباس جعفر المنصور بن المسترشد ، ثم المتقنى لأمر الله أبو عبد الله
محمد بن المستظهر ، ثم المستنجد بالله أبو المقفر يوسف بن المتقنى
ثم ابنه المستضى بأمر الله أبو محمد الحسن ، ثم ابنه الناصر لدين
الله أبو العباس أحمد ، ثم ابنه الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد ،
ثم ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور ، ثم ابنه المستعصم بالله
أبو أحمد عبد الله .

وكانت مدة خلافتهم منذ بوبع أبو العباس السفاح وإلى أن
قتل المستعصم بالله / خمسائة سنة وثلاثاً وعشرين سنة وعشرة
أشهر وستة أيام وانقرضت الدولة العباسية وانقطعت دعوتهم
من سائر أقطار الدنيا ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً
إلى أن عادت بالديار المصرية المحرومة فى الدولة الظاهرية

ذكر عود الدولة العباسية وقيامها بالديار المصرية المحروسة

ذكر خلافة المستنصر بالله

هو أبو العباس أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد، بويع له بالخلافة بالديار المصرية في التاسع من شهر رجب سنة تسع وخمسين وستائة . وذلك أنه وصل إلى الديار المصرية في هذا اليوم ، فركب السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس للقائه في موكب مشهود ، وأنزله بقلعة الجبل وأمر بإثبات نسيبه . وحضر الأمراء والوزير وقاضي القضاة وقوَّاب الحكم والفقهاء والصلحاء وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية واجتمعوا بقاعة / العمد بقلعة الجبل وأمر السلطان ١٦٨-ب بإحضار العربان الذين حضروا مع الخليفة فحضروا وحضر خادماً من البغادة فسئلوا عنه هل هو أحمد بن الظاهر فقالوا إنه هو !

فتشهد جماعة من القضاة الأكابر بالإنفاضة وهم : جمال الدين يحيى نائب الحكم بمصر والفقير علم الدين ابن رشيق صدر الدين مرهوب الجزري ونجيب الدين الحرازي ، ومليد الدين التزمتي (١) نائب الحكم بالقاهرة . أن هو فمُسجل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الأغر وحُلف على نفسه بثبوت

(١) كذا في الأصل ولكن ورد في كتاب السلوك ١: ٥٠٠ القسم الثاني أن سيد الدين هو عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة ، ينسب إلى تزمت (قرية بصعيد مصر) هو أبو عمرو بن أبي محمد الصنهاجي .

نَسَبِهِ وهو قائم على قدميه ، ولَقَّبَ المستنصر بالله على اسم أخيه .
وبايعه السلطان على كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، وأخذ
الأموال بحَقِّها وحَرَمَها في ١٠ نَحْوَها ، ثم بايعه النَّاس على اختلاف
طبقاتهم ومراتبهم .

ولَمَّا تَمَّتْ بيته قُلْدَ السلطان البلادَ الإسلامية وما يضافُ
إليها وما يفتحُه الله تعالى على يديه من البلاد ، وكتب السلطان
إلى سائر الأعمال بأخذ البيعة له ، وَأَن يُخَاطَبَ باسمه على المنابر ،
وَتُنْقَشَ السُّكَّةُ باسمه واسم السلطان . وخطب الخليفة بائناش
في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب بجامع القلعة ، ونُشِرَتْ
عليه الدنانير والدراهم ، وخَافَعَ على السلطان / وطوقه يوم الاثنين (١) . ١٦٩ - ١

واستخلم السلطان للخليفة من يحتاج إليه من أرباب الوظائف
فجعل الأمير سابق الدين بوزيا (٢) أتابك العسكر ، وكتب له
بألف فارس وجل الضواشي بهاء الدين صندل سرايبا وكتب له
بخمسمائة فارس والأمير ناصر الدين محمد بن صريم (٣) خزنلارا
وكتب له بمائتي فارس ، والأمير نجم الدين أستاذ الدار وكتب له

(١) كان رسم الخلفة يتضمن تسليم الطوق المذهب ليوضع في المتق ، والتفيد القدم وهو
من الذهب أيضا (راجع البداية والنهاية ١٣ : ٢٣٢) .

(٢) ذهب الدكتور محمد مصطفى زيادة في تحقيق هذا الاسم مذاهب حتى لاختلف الرسم
في الكتب فيحسن مراجعة كتاب السلوك ١ : ٤٠٥ ، ٤٠٨ القسم الثاني

(٣) في السلوك ١ ق ٢ : ٤٠٨ • بن صريم •

بخمسمائة فارس ، والأمير سيف الدين بلبان الشمسي داووداراً وكتب له بخمسمائة فارس . وأمر جماعة من العريان بالطبليخانات وانسرى لل خليفة مائة ملوك جلهم جمدارية وسلحدارية وأعطى كلاً منهم ثلاثة أرويس خيل وجملاً ليدته . واستخدم له صاحب ديوان وكتاب إنشاء وأئمة ومؤذنين ، وحكماء وجراحية^(١) ، وغلمانا . وكذل له البيونات وجهزة وجهز معه ملوك الشرق الذين كانوا قد وصلوا إلى السلطان وهم : الملك الصالح عماد الدين^(٢) إسماعيل بن الملك الرحيم صاحب الموصل ، وكتب له بالموصل وولاياتها ورسائقها ونصيبين وولاياتها ، ودارا وأعمالها ، والقلاع المادية وبلادها ، وغير ذلك مما جاوره . وكتب للملك المجاهد سيف الدين إسحق أخيه بلاد الجزيرة ، وكتب للملك المظفر علاء الدين على منجبار وأعمالها التي كانت بيده . وأرسل إليهم الطبليخانات والسناجق ، وتقدم إليهم بسفرهم / صُحْبَتَهُ إلى الشام ١٦٩-ب يُجهزهم إلى مستقرهم صُحْبَةَ الخليفة

ذكر مسير الخليفة المستنصر بالله

إلى بلاد الشرق وقتها

قال^(٣) : وتوجه الخليفة والسفبان والملك إلى الشام في سادس شوال من السنة ، وكان مبلغ النفقة على الخليفة والملك

(١) جراحية : جراحون ، ولكنه بصيغته عامنا عامي متداول .

(٢) في السلوك ١ : ٦٠ القسم الثاني « ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل »

(٣) راجع قتي الدين أحمد بن علي المقرئ في كتاب السلوك ١ : ٦٢ القسم الثاني ، والنجوم الزاهرة ٧ : ١١٥ ، والبداية والنهاية ١٣ : ٢٣٢ وشذرات الذهب ٥ : ٢٩٧ وكلها تأخذ مما يأخذ منه النويري عادة |

ألف ألف دينار وستين ألف دينار عينا ، ووصلوا إلى دمشق . ونزل
الخليفة بجبل الصالحية في برية الملك الناصر (١) ، وجرد
السلطان عسكره صاحبه الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى وشمس
الدين سنقر الرومى وودع السلطان الخليفة والملوك وسفرهم
وأوصى الرشيدى والرومى ومنّ معهما أن يقيعوا بجهة حلب وبر
الفرات ومضى طلبهم الخليفة ساروا إليه .

وسار الخليفة من دمشق وعبر الفرات - ولم يثنأ في أمره -
فوصل عانة والخلدثة . فخرج عليه مقدم من مقدمى التتار اسمه
أوردای ومعه ثمانا (٢) ، فالتقوا واقتتلوا فاستشهد الخليفة ، وقتل
أكثر من كان معه .

وأما عن الملك الصالح (٣) فإنه دخل الموصل وملكها واستقر
بها ، فمدار إليه أوردای المذكور وحاصره ، وملك البلد ، وصاحبه
هو وابنه على باب الموصل ، وانهم أخوات الملك المجاهد والمظفر على
إلى الديار المصرية ، فأقاما بها إلى أن ماتا في الدولة المنصورية
الديفية ، رحمهما الله .

وانقضت الخلافة ، وانقرضت الدولة العباسية ثانية من سائر

(١) في سفح قاسيون بدمشق .

(٢) كذا في إوفى ف صفحة ٩٥ ، وليس في ك لأن فيها سقطا إلى أخيار الدولة
الأموية بالأندلس ، ولم تذكر المظان في هذا الموضع سوى قرابغا المقدم ومعه جاهد على
الحوارزمي .

(٣) هو ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان قد انضم
ليبرس فولاه الموصل التي كانت لأبيه .

الأرض ، وتمطّلت المنابرُ من ذكرِ دعوتِهِمْ إلى أن عادت بالديار المصرية أيضا ببيعة الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد .

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي الفتي بن الحسن بن الخليفة الراشد بالله بن جعفر المنصور بن المسترشد بالله وقد تقدم نسبه . مستوفى . بويغ له بالخلافة بالديار المصرية في يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين وستمائة . وذلك أنه وصل إلى الديار المصرية في سنة ستين وستمائة ، فلما كان في هذا اليوم جلس السلطان الملك الظاهر مجلسا عاما ، وحضر الخليفة راكبا إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل . وجلس إلى جانب السلطان . وبإيعاه بند ثبوت نسبه كما بايع المستنصر ، ثم قلّد السلطان أمور البلاد والجيوش . / وبإيعاه الناس ١٧٠-ب على اختلاف طبقاتهم ، وكان ذلك بحضور الرسل ومن وفد من التتار (١) .

وخطب يوم الجمعة بجامع القلعة ، ثم خطب مرة ثانية في ثامن عشر شعبان بحضور رُسل بركة ، ودعا للسلطان وللملك بركة (٢) وصلى بالناس . وحُجِبَ عن الناس ببُرج في القلعة إلى سنة تسعين وستمائة ، فأخرجه السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين

(١) كانوا من قبل بركة صاحب دست القفجاف الذي ناصب هولاكواين مع العدا لملوك اليمن في بلاد المسلمين (غزوات الذهب ٥ : ٢٠٠) .

(٢) فقد كان قد أعلن موقفه وراح يحث على الجهاد .

المنصوري من البرج وأسكنه بالمنابر الصالحية المعروفة بالكبش ووسع عليه في رزقه ورزق أولاده .

وحجَّ في هذه السنة ورجع ، فكان بالمنابر إلى أن مات . وكانت وفاته في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة في دولة السلطان الملك الناصر الثانية وصلى عليه الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلّ الصوفي - شيخ الصوفية بمشهد السيدة نفيسة - ودفن بجوار المشهد . وكانت مدة خلافته أربعين سنة وأربعة أشهر ، وستة عشر يوما . وهو أول خليفة دُفِنَ بمصر من الخلفاء العباسيين ، رحمه الله .

ذكر خلافة المستكفي بالله

١٧١- هو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله / وهو الثالث من خلفاء بني العباس بمصر ، والخليفة الأربعون من خلفائهم . بويع له يوم وفاة والده الحاكم بأمر الله في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة وخطب له على المنابر وحضر مع السلطان الملك الناصر مصافاً مرج الصفر^(١) الذي انتهزم فيه التتار في ثاني شهر رمضان سنة اثنتين وسبعمائة .

(١) أورد الدكتور محمد مصطفى زيادة في نهاية الجزء الأول من السلوك ١٠٢٧ الملحق رقم ١٦ يتضمن نص الكتاب المسمى « الروض الزاهر في غزوة الملك الناصر » وهو منقول عن التويري في جزء آخر غير هذا الجزء ، ويعرض وقعة مرج الصفر بالتفصيل بين الناصر محمد وإيلخان غازان .

واستمر في صحبة السلطان ، يركب معه إلى الصيد وإلى
الميدان ، ويلعب الكرة . وسكن بمنابر الكيش وغيرها من المساكن
الحسنة المشرقة على نهر النيل ، ورثب له من النفقات والكساوى
وغير ذلك ما يحتاج إليه هو ومن عنده . وكذلك رثب لأبن أخيه
إبراهيم ، ولم يحجر السلطان عليهما ، بل يركب كل منهما متى
شاء ويزور من شاء (١) .

(١) بعد ذلك سقط في النسختين ، ف إلى بدء النولة الأموية بالأندلس ، فاكنت
الأخير من ١٧١ - ١ ، وكل ١٧١ - ب في أ أيضا يياض . وكذلك ثمة يياض يشمل نصف
٩٧ - أ في ف وكل ٩٧ - ب فيها ، وأما ك فقد فرغ الكلام عنها .

كتاب تاريخ الأندلس من الفتح إلى الحاضر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٢-١

الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار الدولة الأموية ببلاد الأندلس^(١)

كان ابتداء هذه الدولة في سنة ثمانٍ وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين ومائة ، في خلافة أبي جعفر المنصور الثاني من الخلفاء العباسيين ، وأول من ملك بلاد الأندلس من بني أمية أبو المظفر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وقيل كنيته أبو المطرف ، وقيل أبو سليمان ، وقيل أبو زيد ، وأمه بربرية من سبى أفريقية واسمها راح . ولقب عبد الرحمن بالداخل عند دخوله . وكان استيلاء عبد الرحمن على الأندلس في سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة . وقيل تسع وثلاثين . وكان سبب دخوله إليها واستيلائه عليها أنه لما قتل مروان بن محمد ، وانقرضت الدولة الأموية ، وقتل من قتل من بني أمية ، وتششتوا في البلاد ..

(١) في اصفحة ١٧٢-١ ، في كصفحة ١٠١ ، في فصفحة ٩٨-١ ، ويحسن هنا أن يراجع القارئ - إلى جانب ما يراه من كتب يرد اسمها في الحواشي - كتاب « بقية الملوك في تاريخ أهل الأندلس » لابن عميرة الضبي ط . مجريط (مدريد) سنة ١٨٨٤ وكتاب « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذارى المراكشي وكتاب « جلوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس » للحميدى وقد طبع في مصر سنة ١٩٥٢ وكتاب « المقتبس في تاريخ رجال الأندلس » لحيان بن خلف ، ثم كتاب « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » ليوسف أشناخ ، وقد ترجمه وعلق عليه ونشره في جزئين محمد عبد الله عنان بمصر سنة ١٩٤٠ .

/كان عبد الرحمن هذا بذات الزيتون^(١) ففرّ منها إلى فلسطين، فأقام
بها هو ومولاه بدرٌ يتجسّسُ له الأخبار، فحكى عنه أنه قال :

« لا أعطينا الأمان ثم نُكثُ بنا بنهر أبي فطراس (٢) أناني
الخبر وكنت متنبذا عن الناس . فرجعتُ إلى منزلي أيسا ونظرت
فبما يصلحني وأهلي ، وخرجتُ خائفا حتى صرتُ إلى قريةٍ على الفرات
ذات شجر وغياض . فبينما أنا ذات يوم فيها وولدي سليمان يلعب
بين يدي- وهو يومئذ ابن أربع سنين- فخرج عني ثم دخل على باكيا
فرعا ، فتعلق بي وجعلت أدفعه ، وخرجتُ لأنظر فإذا بالخوف قد
نزل بالقرية والرايات السود منحةً عليها وأخ لي حدث يقول لي : النجاة
النجاة ! فأتخذتُ دنانيرَ معي ونجوت بنفسي وأخي وأعلمت أخواني
بمقصدي وأمرتهن أن يُلحِقَنني مولاي بدرا [قال -] وأحاطت الخيلُ
بالقرية فلم يجدوا لي أثرا . فاتَّيْتُ رجُلًا من معارفي وأمرته فاشتري
لي دوابَّ وما يصلحني فدلَّ عليَّ عبدٌ له العامل ، فأقبل في خيله
طلبني فخرجنا على أرجلنا والخيْلُ تبصرنا ، فدخلنا الفرات
يفسبحنا فنجوتُ أنا والخيْلُ ينادون بالأمان وأنا لا أرجع وأما أخي
فإنه عجزَ عن السباحة في نصف الفرات فرجع إليهم بالأمان ، فقتلوه
وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملتُ كُذَّاه / ومضيتُ
ونواريتُ في غَيْضَةٍ حتى انقطعَ الطَّلَبُ عني . وخرجت فقصدت

١٧٣-١

(١) جبل بالشام كما يقول ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦٣) .

(٢) موضع قرب الرملة من أرض فلسطين (معجم البلدان ٥ : ٣١٥) .

المغرب فبغلت أفريقية ، ثم ألحقتني أختي أم الإصبع . وولاي بدرًا
ببنفقة وجوهر .

قال المؤرخ (١) : ولما بلغ أفريقية كان بها عبد الرحمن بن
حبیب الفهري عاملاً لمروان بن محمد ، فظنَّ عبدُ الرحمن بن معاوية
أن ابن حبیب يرعاهم ويحوطهم ويحسن مجاورتهم . فلما علم
ابنُ حبیب أن مروان قد قتل وأن أهله وولده قد تفرقوا وأن رجاله
قد استأمنوا إلى أعمال أبي العباس السفاح طلب لنفسه السلامة ،
وكتب بالسَّمْع والطاعة ، وأراد قتلَ عبدِ الرحمن بن معاوية ومن
معه والتَّقرُّب بهم إلى عمال السفاح . وأرسل في طلبه فهرب منه وأتى
مكناسة وهي قبيلة من البربر وعندهم شدة ، ثم هرب منهم وأتى
نفراوة (٢) وهم أخواله . وقيل أتي قوما من الزناتيين فآحسنوا
قبولَه فيهم وأخذوا في التدبير والمكاتبة إلى الأمويين من أهل
الأندلس يعلمونهم بقدومه ويدعونهم إلى عبد الرحمن .

ووجه بدرًا مولاد إليهم ، وكان أمير الأندلس يومذاك يومئذ
ابن عبد الرحمن الفهري فسار بدر إليهم وأعلمهم حال عبد الرحمن
ودعاهم إليه فأجابوه ، ووجهوا إليه مركبا فيه تمام بن علقمة
ووهب بن الأصفر وشاكر بن أبي الأتمط ، فوصلوا إليه وأبلغوه
طاعتهم ، وأخذوه ورجعوا به إلى الأندلس / فأرسل بالمركب

١٧٣ ب

(١) هو ابن الأثير في الكامل ٤ : ٣٦ .

(٢) كذا في الأصل وفي كامل ابن الأثير ، ولكن لمقرى التلمسان يقول إنها نفرة
أخواله من برابرة طرابلس (نفع الطيب ١ : ٣٠٧ تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد بالتجارية
سنة ١٩٤٩ .)

بالجزيرة في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة . فأتاه جماعة من رؤسائهم من أهل إشبيلية ^(١) ، ثم انتقل إلى كورة ربة فبايعه إبراهيم بن شجرة عاملها ^(٢) . ثم سار إلى إشبيلية فبايعه أبو صالحي يحيى بن يحيى ، ونهض إلى قرطبة فبلغ خبره يوسف بن عبد الرحمن وكان غائبا عن قرطبة بنواحي طليطلة ^(٣) ، فأتاه الخبر وهو راجع إلى قرطبة فتراسل هو ويوسف في الصلح فخادعه ، فلم يشك أصحاب يوسف في انتظام الصلح وذلك في يومين أحدهما يوم عرفة ، فأقبل يوسف في إعداد الطعام ليأكله الناس في يوم الأضحى وعبد الرحمن يرتب خيله ورجله وعبر النهر في أصحابه .

وأنشب القتال ليلة الأضحى ، وصير الفريقان حتى ارتفع النهار ، وركب عبد الرحمن على بغلة وأسرع القتل في أصحاب يوسف فانهزم وظفر عبد الرحمن بن معاوية . ولما انهزم يوسف

(١) Seville هي أشهر من أن يعرف بها ويكنى أن قال بعضهم « إنها قاعدة بلاد الأندلس وجاشرتها ، ومدينة الأدب واللهو والطرب ، وهي على ضفة النهر الكبير ولو لم يكن من الشرف إلا موضع الشرف (اسم مكان بينه) المقابل لهذا المثل عليها المشهور بالزيتون . الكثير المتد فراخ في فراخه لكن » راجع نفح الطيب ١ : ١٩٣ ، ٢٢١ .

(٢) في الكامل ٤ : ٣٦٢ « فبايعه عاملها عيسى بن مياور » روية كورة أندلسية هامة .

(٣) Toledo ملكة بين قرطبة وثغر سرقسطة Saragossa وقد أجنب المؤرخون في وصف عظم امتناعها (راجع نفح الطيب ٢ : ٧ ، ٨) وأما عن يوسف بن عبد الرحمن فالمقرى يقول « وكان غازيا بجليقية » Galicia (نفح الطيب ١ : ٣٠٨) وجليقية هي ليون شمال البرتغال .

أنى ماردة (١) وأبو عبد الرحمن قرطبة ، وأخرج حشم يوسف وأهله من القصر على تودة ورفق ، ودخله بعد ذلك . ثم سار في طلب يوسف ، فلما أحس به يوسف سار إلى قرطبة فدخلها وملك قصرها ، وأخذ جميع أهله وماله ، ولحق بمدينة البيرة (٢) . ورجع عبد الرحمن إلى قرطبة فلم يجده فسار إلى البيرة ، وتراسلا في الصلح فاصطلحا على أن ينزل يوسف هو ومن معه بمنان وأن يمسكن مع عبد الرحمن بقرطبة ويرهنه يوسف ابنه أبا الأسود محمدا وصار يوسف مع عبد الرحمن إلى قرطبة فاما دخل قرطبة تمثال :

فبينما نسوس الناس والأمر أُرُوسا

إذا نحن فيهم سوقة تتنصف

قال (٣) واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، ومات قبل تمامه (٤) .

(١) Merida كورة واسعة بينها وبين قرطبة ستة أيام ، وقد شهرت بحصونها الكثيرة وبقراها ذات الآثار القديمة وبرخامها الفريد .

(٢) Elvira في نفح الطيب والمغرب ومعجم البلدان وصف سبب لها ، وقيل إنها أشبهت دمشق فنزلها الدمشقيون وسميت « دمشق » وعرفت باستخراج التوتيا من بطرنة - إحدى قراها - وتوتياها أزكى وأقوى عناصر صبغ النحاس ، هذا وكانت البيرة المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة غرناطة انتقل الناس إليها ! وفي كتاب ابن الخطيب نرى أنها هي وغرناطة اسمان لمكان واحد (كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ١ : ٩٩ وما بعدها ط . القاهرة سنة ١٩٥٥) .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٤ : ٣٦٣

(٤) راجع هنا نفح الطيب ١ : ٣٠٨

ذكر مقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهرى

قال (١) : وفى سنة إحدى وأربعين ومائة نكث يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه مَنْ يُهيئنه وينازعه فى أملاكه ، فإذا أظهر حُجَّتَهُ الشرعية لا يُعمل بها ، ففطن لما يراد منه . فقصد ما ردة واجتمع عليه عشرون ألفاً فصار نحو عبد الرحمن ، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه إلى حصن المدور (٢) ثم رأى يوسف أن يسيّر إلى عبد الملك ابن عمر بن مروان - وكان والياً على إشبيلية وإلى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على المَدُور - فصار نحوهما فخرجا إليه واقتتلا قتالا شديداً فانهزم أصحاب يوسف ، وبقيَ متردداً فى البلاد فقتله بعض أصحابه فى شهر / رجب سنة اثنتين وأربعين ومائة بنواحي طَلَيْطَلَة وخُمل رأسه إلى عبد الرحمن بن معاوية فنصبه بقرطبة وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذى كان عنده رهينةً ونصب رأسه مع رأس أبيه وبقيَ ابنه الأسود عند عبد الرحمن .

١٧٤-ب

وفى سنة ثلاث وأربعين ومائة ثار رِزْقُ بن النعمان الغَسَّاسى وكان على الجزيرة الخضراء (٣) . فاجتمع إليه خلق كثير ، فصار

(١) ابن الأثير فى الكامل ٤ : ٣٦٤

(٢) Almodavar حصن شهير بالأندلس قرب قرطبة

(٣) Algeciras الرأس الجنوبى للأندلس يفصله عن أفريقيا مضيق جبل طارق الذى يعرف بجبل الفتح ، وتطل على بحر الزقاق (شرق البحر المتوسط) شرق المحيط الأطلنطى غرباً حيث الطرف الآخر .

إلى شَتُونَةَ (١) فملكها ودخل مدينة إشبيلية . وعاجله عبد الرحمن فحصره بها وضيق على مَنْ فيها ، فتقربوا إليه بتسليمه له . وأمنهم ورجع عنهم .

وفي سنة أربع وأربعين ومائة ثار هشام بن عذرة الفهري وهو من بني عم يوسف بن عبد الرحمن الفهري بطليطلة فحاصره الأمير عبد الرحمن وشدد عليه الحصارَ فمال إلى الصلح وأعطاه ابنه أفلاج رهينةً فأتخذه عبد الرحمن ورجع إلى قرطبة . ثم عاد هشام وخلع عبد الرحمن ، فعاد إليه وحاصره ونصب المجانيق عليها [أى على طليطلة] فلم يؤثر فيها لحصانتها فقتل ابنه أفلاج ورمى برأسه إلى أبيه في المنجنيق ورحل إلى قرطبة . ولم يفتقر بهشام في هذه السنة واستمر إلى سنة سبع وأربعين ومائة فبعث عبد الرحمن مولاه بدرًا وتامَ بنَ علقمة فحصرًا طليطلة وضيقا على هشام ثم أسراه هو وحيوة بن الوليد اليحصبي وعثمان بن حمزة / بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فأتى بهم إلى عبد الرحمن بن معاوية في جباب صوف وقد حلفت رؤوسهم ولحاهم . وركبوا الحميرَ وهم في السلاسل . فصلبهم بقرصة !

(١) Medina-Sidonia متصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال لاندلس هو . يقول ياقوت ولكن المقرئ يهيب في وصفها ويتعرض لها في كل مناسبة ويقرر أنها تعرف بالنعير الطيب وأجود أنواع القهريين والقرمز ، ركز فيها أهل فلسطين سميت فلسطين (نفع الطيب ١ : ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ٢٢١) وقد ورد ذكرها في انقرب ١ : ٢٣٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ .

ذكر خروج العلاء وقتله

وفي سنة ست وأربعين ومائة سار العلاء بن مغيث اليحصبي من أفريقية إلى مدينة باجة ^(١) من الأندلس ، ولبس السواد وقام بالدعوة العباسية . وخطب لأبي جعفر المنصور ، واجتمع إليه خلق كثير . فخرج إليه الأمير عبد الرحمن فالتقيا بنواحي إشبيلية وتحاربوا زماناً ، فانهزم العلاء وأصحابه ، وقُتل في المعركة سبعة آلاف فارس وقتل العلاء ، فدفن عبد الرحمن بعض التجار بحمل رأسه ورؤوس أصحابه إلى القيروان وإلقائها في السوق برأ ففعل ذلك . ثم حُل منها إلى مكة ومعه لواء أسود فوصلت والمنصور بمكة ومعه كتاب كان المنصور قد كتبه إلى العلاء ^(٢) .

وفي سنة سبع وأربعين ومائة قدم رسول عبد الرحمن الذي أرسله إلى الشام في إحضار ولده الأكبر سليمان ، وحضر معه سليمان .

ذكر خروج سعيد اليحصبي

المعروف بالمطري وقتله

/ قال ^(٣) : وكان خروجه في سنة ثمان وأربعين ومائة بمدينة لبلة ^(٤) من الأندلس وسبب ذلك أنه سكر يوماً ، فتذكر

(١) Beja كورة من الكور الغربية التي كانت من أعمال إشبيلية متصلة بكورة ماردة ومشهورة بديانة الجلد وصنع الكتان وبوجود معدن الفضة .

(٢) في نفع الطيب ١ : ٣٦١ تفصيل مفيد

(٣) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٦

(٤) Niebla قصبة إحدى الكور الكبيرة ، وبينها وبين فرطية - من طريق إشبيلية - خمسة أيام ، وهي بحرية برية غزيرة الزرع والشجر .

مَنْ قَتَلَ مِنْ قَوْمِهِ الْبَيْهَانِيَّةَ مَعَ الْعَلَاءِ ، فَعَقِدَ لَوَاءً فَلَمَّا صَحَا رَأَاهُ
مَعْقُودًا ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ فَأَرَادَ حَلَّهُ ثُمَّ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَعْقِدَ
لَوَاءً ثُمَّ أَحَلَّهُ بِغَيْرِ شَيْءٍ وَشَرَعَ فِي الْخِلَافِ ، فَاجْتَمَعَتِ الْبَيْهَانِيَّةُ
إِلَيْهِ وَقَصِدَ إِشْبِيلِيَّةَ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، فَبَادَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
فِي جَمْعِهِ . فَامْتَنَعَ الْمَطْرِيُّ فِي قَلْعَةٍ زَعَوَاقٍ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ
مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَحَصَرَهُ بِهَا وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَمَنَعَ أَهْلَ الْخِلَافِ
مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ .

وَكَانَ قَدْ وَافَقَهُ عَلَى الْخِلَافِ عُلُقَمَةُ اللَّخْمِيِّ وَكَانَ بِمَدِينَةِ شَدُونَةِ
وَقَدْ انْضَافَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ وَهُمْ يَرِيدُونَ إِمدَادَ الْمَطْرِيِّ
فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ . فَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِذَلِكَ سَيرَ إِلَيْهِمْ بِذُرَا
مَوْلَاهُ فِي جَيْشٍ فَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَطْرِيِّ ، وَطَالَ الْحَصَارُ وَقَلَّتْ
رِجَالُهُ بِالْقَتْلِ ، وَفَارَقَهُ بَعْضُهُمْ . فَخَرَجَ يَوْمًا مِنَ الْقَلْعَةِ فَقَاتَلَ فُقُذِلَ
وَحُبِّلَ رَأْسُهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَدَّمَ أَهْلُ الْقَلْعَةِ عَلَيْهِمْ خَلِيفَةً بَنَ
مِرْوَانَ ، فَدَامَ الْحَصَارُ عَلَيْهَا . فَأَرْسَلَ أَهْلُهَا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
عَلَى أَنْ يَسْلَمُوا إِلَيْهِ خَلِيفَةً فَجَاجَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَسَلَّمَ الْحِصْنَ وَخَرَّبَهُ
وَقَتَلَ خَلِيفَةً وَخَلَقَا كَثِيرًا مِمَّنْ مَعَهُ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى غِيَاثِ الْأَزْدِيِّ وَكَانَ
مِمَّنْ وَافَقَ الْمَطْرِيَّ عَلَى الْخِلَافِ / فَحَصَرَهُ وَمِنْ مَعَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فَطَلَبُوا
الْأَمَانَ فَأَمَّا نَهْمُ إِلَّا نَفَرًا فَمَبْضُ عَلَيْهِمْ ، وَعَادَ إِلَى قَرْصِيَّةَ فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهَا
خَرَجَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خِرَاشَةَ الْأَسَدِيُّ بِكُورَةِ جِيَّانَ (١) وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ

١٧٣ - ١

(١) Jean كورة واسعة بالأندلس كما يقول ياقوت تتصل بكورة البيرة وتجمع =

جموع فأغار على قرطبة فسير إليه عبد الرحمن جيشا فتفرق جمعه ،
فطلب الأمان فأمّنه ووفى له .

وفى سنة تسع وأربعين ومائة أغزى عبد الرحمن مولاة بدرًا
إلى بلاد العدو فأخذ الجزية منهم .

وفيهما عزل عبد الرحمن أبا الصباح حَيَّ بن يحيى عن إشبيلية
فدعاه إلى الخلاف ، فخدعه عبد الرحمن حتى حضر عنده فقتله .

وفيهما خرج غياث بن المسير الأزدي : فخرج إليه عامل عبد الرحمن
وقاتله فانهزم غياث ومن معه ، وقُتِل وحُمِل رأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة .

وفيهما أمر عبد الرحمن ببناء سور مدينة قرطبة .

ذكر أخبار شقنا (١) بن عبد الواحد

وخروجه بالأندلس

كان خروجه بشرق الأندلس في سنة إحدى وخمسين ومائة
وكان من بربر مكناسة يعلم الصبيان وكانت أمه تدعى فاطمة
فادعى أنه من ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها وأنه من ولد
الحسين ، وتسمى بعبد الله بن محمد وسكن شنقرية (٢) واجتمع

ب-١٧٦

== قرى كثيرة وبلدانا مختلفة ، وقال ابن سعيد إنها من أعظم مدن الأندلس في المنة وأكثرها
خصبا ، وتعرف ببيان الحرير لكثرة فيها (المغرب ٢ : ٥١) .
(١) في ١ ، ك ١٠٤ ، ف ١٠٠ - « شقيا » .

(٢) Santeberia شنقرية Sante Maria وشنقرية ورسمها ابن الأثير شنت
برية في الكامل ٥ : ٣٤ ويقول ياقوت ، وقد رسمها بالرسمين في موضعين (معجم
البلدان ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧) إنها مدينة بجوز سالم بالأندلس وهي شرق قرطبة وبها حصن اسمه
شنت مرية ، وثمة في الأندلس شنترة من أعمال لشبونة وشنترين مدينة متصلة بأعمال باجة
وقرطبة .

عليه خذق كثير من البربر وعظم أمره فصار إليه عبد الرحمن فلم يقف له وزاغ في الجبال ، فكان إذا أمن انبسط وإذا خاف صعد الجبال حيث يصعب طلبه . فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك ، واستعمل خبيب على شنتبرية سليمان بن عفان ابن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وأمر بطلب شقنا فنزل شة نال إلى سليمان فقتله . واشتد ذكر شقنا وطاراسمه ، وغلب على ناحية قورية (١) . وأفسد في الأرض ، فعاد عبد الرحمن وغزاه في سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه ، فلم يثبت له شقنا ، فأعياه أمره فعاد عنه ، وسير إليه في سنة ثلاث وخمسين بدرا مولاه ، فهرب شقنا وأخلى حصنه شيطران ، ثم غزاه عبد الرحمن بنفسه في سنة أربع وخمسين فلم يثبت له ، فعاد عنه وبعث لِحَرْبه أبا عثمان عبد الله بن عثمان فخدعه شقنا وأفسد عليه جُنَّه . فهرب عبد الله وغنم شقنا عسكره ، وقتل جماعة من بني أمية كانوا في العسكر وذلك في سنة خمس وخمسين ومائة .

وسار شقنا إلى حصن الهواريين وبه عامل لعبد الرحمن فمكر به شقنا حتى يخرج إليه ، فقتله وأخذ خيلَه وسلاحه وما كان معه . ولم يزل / شقنا كذلك وعبد الرحمن يغزو تارة بنفسه وتارة بجيوشه إلى سنة ستين ومائة فاغتاله أبو مغن وأبو خريم وهما من أصحابه ، فقتلاه وأخذوا رأسه ولحقا بعبد الرحمن واستراح الناس من شره !

١٧٧-١

(١) Coria مدينة في نواحي ماردة حملت عباءة قال المسلمين للإفرنج في سمرة

مدينهم .

ذكر عصيان أهل إشبيلية

على الأمير عبد الرحمن

قال (١) : وفي سنة خمس وخمسين ومائة خرج أهل إشبيلية عن الطاعة مع عبد الغفار وحبوة بن ملابس ، وكان عبد الرحمن قد خرج من قرطبة لحرب شقنا واستخلف عليها ابنه سليمان فاتاه كتابته بخروجهم عن طاعته وعصيانهم عليه واتفاق من بها من البائية على ذلك . فرجع عبد الرحمن إليها ولم يدخل قرطبة ، وهاله ماسمع من اجتماعهم وكثرتهم ، فقدم ابن عمه عبد الملك ابن عمر ، فلما قارب عبد الملك إشبيلية قدم ابنه أمية ليؤممه حالهم ، فرآهم متيقظين فرجع إلى أبيه فلأمه أبوه على رجوعه وإظهار الوهن ، فضرب عنقه وجميع بنيهِ وخاصته وقال : طردنا من المشرق إلى أقصى هذا الصُّفْع ونُحْسِد على لقمة تبقى الرَّمَى ، اكسروا جُفُونَ سيوفكم فالموت أولى أو الظفر ! ففعلوا ، وحل أمامهم فهزَمَ البائية / وأهل إشبيلية فلم يَقُمْ بعدها للبائية قائمة .

١٧٧-ب

وجرح عبد الملك وبلغ الخبر عبد الرحمن فأنابه وجرحه يجرى دمًا وسيفه يقطر وقد لصقت يده بقائمة سيفه ، فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له : يا بن عم قد أَنْكَحْتُ ابني ولي عهدي هشاما ابنتك فلانة وأعطيْتُها كذا وكذا ، وأعطيْتُك كذا وكذا ، وأولادك كذا وكذا ، وأقصمتُك وإياهم كذا وكذا ، ووليتك الوزارة ! وعبد الملك هذا هو الذي ألزم عبد الرحمن بقطع خطبة

المنصور وقال له : تقطعها وإلا قتلت نفسي ! وكان قد خطب له عشرة أشهر وقطعها .

قال (١) : وفي سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن إلى إشبيلية وقتل خلقا كثيرا ومن كان مع عبد الغفار ، وبشيب هذه الواقعة ويش العرب مال عبد الرحمن إلى اقتناء العبيد .

وفي سنة ست وخمسين سخط الأمير عبد الرحمن على مولاة بدر لفرط إدلاله عليه ، وأخذ ماله وسلب نعمته ونفاه إلى الثغور ولم يرع له حقوق الخدمة .

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة زار الأمير عبد الرحمن مدينة قورية وقصد البربر الذين كانوا أسلموا عامله إلى شقنا فقتل منهم خلقا كثيرا من أعيانهم !

أذكر عبور الصقلي إلى الأندلس

١٧٨-١

وما كان من أمره إلى أن نزل

وفي سنة إحدى وستين ومائة وقيل سنة ستين عبر عبد الرحمن ابن حبيب القهري المعروف بالصقلي - ولم يكن صقليا وإنما مسمى بذلك لطوله ورقته وشقرفته من أفريقية إلى الأندلس ليحارب عبد الرحمن ويدعوه إلى طاعة المهدي بن أبي جعفر المنصور . وكان

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٤٠ . ويلاحظ أن الذويري عاد إلى سنة ست وخمسين بعد ذلك مباشرة !

عبوره في ساحل تدمير^(١) ، وكاتب سليمان بن يقظان بالدخول معه ، وكان سليمان ببرشلونة فلم يجبه ، فاغتاظ الصقلي وقصد بلده فيمن معه من البربر . فقصد سليمان والتقوا واقتتلوا ، فهزمه سليمان ، فعاد الصقلي إلى تلمير ، وجاء عبد الرحمن نحوه وأحرق السفن ليمنعه من الهرب ، فقصد الصقلي جبلا منيعا بناحية بكنسية^(٢) . فبذل عبد الرحمن ألف دينار لمن يأتيه برأسه فاغتاله رجل من البربر وحمل رأسه إلى عبد الرحمن ، فأعطاه ألف دينار ، وكان قتله في سنة اثنتين وستين ومائة .

وفي سنة اثنتين وستين ومائة أرسل عبد الرحمن شهيد بن عيسى إلى دحية الغساني وكان عاصيا في بعض حصون البيرة ، فقتله وسير بدرًا مولا^(٣) / إلى إبراهيم بن شجرة وكان قد عصى عليه ١٧٨-ب فقتله . وسير تمام بن علقمة إلى العباس البربري - وهو في جمع البربر وأظهر العصيان - فقتله وفرق جموعه .

وفيهما سير جيشا مع حبيب بن عبد الملك القرشي إلى القائد المسلمي ، وكان حرم من المنزلة عند عبد الرحمن . فشرب ليلة وقصد باب

(١) Tudmir من كور الأندلس الشرقية ، غلب عليها سكان مصرفيت مصر ، واسمها كان للملكها الذي اتخذ أريولة عاصمة له فيها (راجع فتح الطيب ١ : ١٥٥ ، و ٢٢٢ ، ٢٤٧) .

(٢) Valencia مدينة متمكنة لحضارة جلييلة انقدر كما جاء في المغرب ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، تعتبر مطيب الأندلس وحفت بالأنهار والجنان ، وأما في معجم ياقوت فهي كورة ومدينة مشهورة تقع شرقي قرطبة وهي برية بحرية بينها وبين تدمير أربعة أيام ..

(٣) سبق أن ذكر في حوادث سنة ست وخمسين ومائة أن الأمير عبد الرحمن سخط على بدر ونكل به ، ويبدو أنه عاد ففقا عنه .

القنطرة ليفتحه على مُسْكِرٍ ، فمنعه الحرس فعاد . فلما صحا من سُكره خاف فهرب إلى طليطلة واجتمع إليه كثير ممن يريد الخِلافَ والشَّمْرَ فعاجله عبد الرحمن بإتخاذ الجيوش ، فحَصَرَهُ في مكان كان قد تحصَّن به ، فطلب السُّلَمَى البراز فبرز إليه عبد أسود فاختلعا ضربتين فوقهما صريعين ومانا جميعا .

وفي سنة ثلاثٍ وستين ومائة أظهر الأمير عبد الرحمن النَجَّهَ إلى الخروج لِقَصْدِ الثَّامِ لطلب الثَّار من بني العباس فعَصَى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري بِسَرَقُطَةِ (١) واشتدَّ أمرهما فرجع عن ذلك وترك ماكان أظهره منه .

وفي سنة خمسٍ وستين ومائة غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ونكث ، فسير إليه عبد الرحمن غالب بن تمام بن علقمة في جُنْدٍ كذيف فاقْتَتَلُوا ، فأسر جماعة من أصحاب الحسين فيهم ابنه عيسى ، فسيرهم إلى عبد الرحمن / فقتلهم ، وأقام غالب بن تمام بن علقمة يحاصر الحسين . ثم سار عبد الرحمن في سنة ستٍ وستين إلى سرقسطة فحَصَرَهَا وضايقها ونصب عليها ستة وثلاثين من جنديها ، فملكها عذوة وقتل الحسين أقيح قتلة ، ونفى أهل سرقسطة منها ليمين كانت تقدَّمت منه ، ثم ردَّهم إليها .

(١) Saragossa تقع في الأندلس شرق على نهر ابرة الذي يصب في البحر المتوسط وقد افتتحها العرب عام ٧١٢ للميلاد واستردها الفرنج بعد أربعة قرون وسبع سنين ، وقد شهرت بالثياب السرقسية .

وفي سنة ست وستين ومائة قتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة
ابن الوليد بن هشام وهذيل بن الصمیل وسمرة بن جبلة لاجتماعهم
على خلعه مع العلاء .

ذكر مخالفة أبي الأسود

محمد بن يوسف الفهرى

وفي سنة ثمان وستين ومائة ثار أبو الأسود محمد بن يوسف
ابن عبد الرحمن الفهرى ببلاد الأندلس . وكان من خبره أنه كان
في السجن بقرطبة منذ هرب أبوه على ما تقدم ، فأظهر أنه عمى
وصار لا يطرف عينه لشيء ، وبقي دهرًا طويلًا حتى صبح عند
عبد الرحمن ذلك . وكان في أقصى السجن سرداب يُفنى إلى النهر
الأعظم يخرج منه المسجونون يقضون حوائجهم من غسل وغيره ،
وكان الموكلون يهلون أبا الأسود لعماه فإذا رجع من النهر يقول
من يدل الأعمى إلى موضعه ! وكان مولى له / بحادثه على شاطئ النهر ١٧٩-ب
فلا ينكر عليه .

فواعده أن يأتيه بخيل يحمله عليها فخرج يوما وهو لاه ينتظره
فعبّر النهر سباحة وركب الخيل ولحق بطليطلة فاجتمع إليه خلق كثير
فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن . فالتقى على الوادى الأحمر
بقسطلونة ^(١) واشتد القتال فانهمز ابن الفهرى . وقتل من أصحابه
أربعة آلاف سوى من تردى في النهر . وأتبعه عبد الرحمن فقتل

(١) Castellon فوق بلنسية على شاطئ البحر قبالة ميورقة وسورقة وهي ليست
في معجم ياقوت ولا في صفة الأندلس للمحبرى والموجود فسطلة (راجع ياقوت ٤ :
٣٤٧ وصفة جزيرة الأندلس صفحة ١٦٠) .

من لحق حتى جاوز قلعة رباح ، ثم جمع أبو الأسود الرجال وعاد إلى قتال عبد الرحمن سنة تسع وستين ومائة فهلك بقرية من أعمال طليطلة . وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمعاً فغزاه عبد الرحمن فجاء إليه بغير أمان فقتله

وفي سنة سبعين ومائة أمر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة - وكان موضعه كنيسة - وأخرج عليه مائة ألف دينار ، ولم يتم بناؤه في حياته فأتمه ابنه بعده

ذكر وفاة عبد الرحمن

وصفته وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته بقرطبة في يوم الثلاثاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة ، وقيل توفي في غرة جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وهو الصحيح وصلى عليه ابنه عبد الله ، وكان قد عهد إلى ابنه هشام بمدينة ماردة واليا عليها ، وابنه سليمان بطليطلة واليا عليها ، فلم يحضرا موت أبيهما .

١٨٠-١

وكان مولد عبد الرحمن بدير حنا من عمل دمشق ، وقيل بالعلباء من ناحية تدمر في سنة ثلاث عشرة ومائة فكان عمره تسعا وخمسين سنة ، ومدة ولايته بالأندلس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما . وكان أصهب ^(١) خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم أعور ، وكان فصيحاً لساناً شاعراً حليماً عالماً حازماً ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه . لا يخلد إلى راحة ،

(١) أصهب : من الصبغة وهي لون حمرة في شعر الرأس (القاموس المحيط) .

ولا يمكن إلى دعة ، ولا يكبل أموره إلى غيره ، ولا ينفرد في إبراهيمها برأيه . وكان يُشَبَّهُ بِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ فِي حَزْمِهِ وَشِدَّتِهِ وَضَبْطِهِ لِلْمَلِكَةِ (١) ، وَبَنِي الرِّصَافَةِ بِقَرِطَبَةِ تَشْبِيهَا بِجَدِّهِ هِشَامٍ حَيْثُ بَنَى الرِّصَافَةَ بِالشَّامِ ، وَقَالَ (٢) . : وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ ذَوَى الْأَدَابِ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْ شِعْرِهِ مَقَالُهُ بِالْأَنْدَلُسِ يَتَشَوَّقُ مَعَاهِدَهُ بِالشَّامِ :

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُبِيمُ أَرْضِي أَقْرِ مِنْ بَعْضِي السَّلَامَ لِبَعْضِي
/ إِنَّ جِسْمِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْض وَفَوَادِي كَمَا عَمِلْتَ بِأَرْضِ
قَدَّرَ الْبَيْنَ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَا وَطَوَى الْبَيْنَ عَنِ جُفُونِي غَمَضِي
قَدْ قَضَى اللَّهُ بِالْفِرَاقِ عَلَيْنَا فَعَسَى بِاجْتِمَاعِنَا سَوْفَ يَقْضِي
وَمِنْ شِعْرِهِ مَقَالُهُ لِمَا عَمَّرَ الرِّصَافَةَ بِقَرِطَبَةِ ، وَقَدْ رَأَى فِيهَا نَخْلَةً مَفْرَدَةً ،
فَقَالَ :

تَبَدَّدَتْ لَنَا بَيْنَ الرِّصَافَةِ نَخْلَةٌ
تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الْقَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ
فَقُلْتُ شَبِيهِي فِي التَّغَرُّبِ مِثْلَهَا وَطَوَّلُ اكْتِسَابِي عَنْ بَيْتِي وَعَنْ أَهْلِي
نَشَأَتْ بِأَرْضٍ أَنْتَ فِيهِ غَرْبِيَّةٌ فَعِثْلُكَ فِي الْإِقْصَاءِ وَالْمَنْتَى مِثْلِي
سَقَّتْكَ غَوَادِي الْمَزْنِ مِنْ صَوْبِهَا الَّذِي
يَحْرِمُ وَيَسْتَحْرِى السَّمَائِكِينَ بِالْوَبْلِ (٣)

(١) راجع نفع الطيب ١ : من ٣١٠ إلى ٣١٣

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٨٤

(٣) رويت الأبيات في الكامل ٥ : ٨٤ باختلاف يسير

وله غير ذلك من الشعر . وسار أحسن سيرة وكان نقش خاتمه « بالله يثق عبد الرحمن ويعتصم » . وكان له من الأولاد الذكور أحد عشر ولداً وهم أيوب الشامي ولد بالشام ، وسليمان وهشام ولي عهده وهو الوالي بعده وُلد بالأندلس ، وعبد الله ولد ببِلنسية وعرف بالبِلنسى ومسلمة المعروف بكليب وأمية ، ويحيى ، والمنذر ، وسعيد الخير ، ومحمد ، والمغيرة ، ومعاوية ، وتسع بنات .
 حاجبه : تمام بن علقمة وغيره .

كُتّابه : أبو عثمان ، وعبد الله بن خالد ، وغيرهما
 قضاته : يحيى بن يزيد التجيبي ومعاوية بن يوسف / الحضرمي ،
 وعمر بن شراحيل ، وعبد الرحمن ابن طريف اليحصبي .

ذكر اماره هشام

هو أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وأمه أم ولد واسمها حوراء (١) وهو الثاني من ملوك بني أمية بالأندلس . بويع له في غرة جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين ومائة عند وفاة أبيه . وقبل في يوم الثلاثاء ليست بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة والله أعلم . وكان بماردة متولياً عليها - كما ذكرنا - وكان أبوه قد عهد إليه قبل وفاته ، وقدمه على سليمان وهو أكبر منه لأنه كان يتوسم فيه التهمة ، فلذلك عهد إليه فبايع له أخوه عبد الله وكتب إليه بنعى أبيه ويعزيه به ويعرفه أنه بايع الناس له فلما وصل إليه

(١) في فتح الطيب ١ : ٣١٣ « اسمها حلال » وفي ١٠٠ : حوار .

الكتابُ سار من ساعته إلى قرطبة فدخلها في ستة أيام ، واستولى على الملك ، وخرج عبد الله إلى داره مُظْهِراً الطاعةَ وفي نفسه خلاف ذلك !

ذكر خروج سليمان وعبد الله

ابنى عبد الرحمن على أخيهما هشام

أوفي سنة ثلاث وسبعين ومائة خرجا على أخيهما ، وكان عبد الله عند أخيه هشام وهو يؤثره ويبره ويقدمه ، فلم يُرضه ذلك ولا قنع إلا بمشاركته في الأمر ، ثم خاف فهرب إلى أخيه سليمان وهو بطليطة . فأنزل هشام في أثره جماعة ليرثوه ، فلم يدركوه ، فجمع هشام عساكره وسار إلى طليطة فحصر أخويه بها .

وكان سليمان قد حشد وجمع جمعاً كبيراً فلما حصرها هشام سار سليمان من طليطة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلاد ، وسار هو إلى قرطبة ليدلها ، فعلم هشام به فلم يفارق الحصار .

وسار سليمان فوصل إلى ثَمُندَة ^(١) فدخلها ، وخرج إليه أهل قرطبة مقاتلين له ، ودافعوه عن المدينة . وبعث هشام في أثر سليمان عبد الملك في قطعة من الجيش ، فلما قاربته هرب سليمان وقصد مدينة ماردة ، فحاربه واليها ، فانهزم سليمان . وبقى هشام على طليطة شهرين وأياماً محاصراً لها ، ثم عاد منها وقد قطع أشجارها ، وسار إلى قرطبة ، وأتاه أخوه عبد الله بغير أمان فأكرمه وأحسن إليه .

ثم سير هشام ابتداء معاوية في جيش كثيف في سنة أربع وسبعين

(١) Xecunda بلدة رومانية كانت واقعة تجاه قرطبة على الشاطئ الأيسر لروادى الكبير ،

ومنها إسماعيل الشقندي الأديب الأندلسي الكبير ، وفي صفة جزيرة الأندلس قرية بعنة نهر

قرطبة (صفحة ١٠٤)

إلى تدمير وها سليمان فحاربه ، وخرَّب أعمالَ تدمير ، فهرب سليمان منها ، فلجأ إلى البربر بناحية بلنسية ، فاعتصم بتلك الناحية الوعرة / المسلك . وعاد معاوية إلى قرطبة ، ثم استقرَّت الحال بين هشام وسليمان أن يأخذ سليمانُ أهله وأولاده وأمواله ويفارق الأندلس ، وأعطاه هشام ستين ألفَ دينارٍ مصالحةً عن ميراث أبيه عبد الرحمن وسار إلى بلد البربر فأقام به .

١٨١ - ١

ذكر خروج جماعة آخر على الأمير هشام

وفي سنة اثنتين وسبعين خرج عليه أيضا سعيد بن الحسين ابن يحيى الأنصارى بشاغنت - من أقاليم طرطوشة ^(١) في شرق الأندلس - وكان قد التجأ إليها حين قُتل أبوه ، ودعا إلى البانية وتعصّب لهم ، فاجتمع له خلقٌ كثير ، فملك مدينة طرطوشة فأخرج عاملها يوسف القيّسي . فعارضه موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ، ووافقته مضر ، فاقتتلا فانهزم سعيد وقُتل ، وسار موسى إلى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى الحسين بن يحيى واسمه جحدر في جمع كثير فقاتله فقتل موسى .

وخرج أيضا مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة ، وخرج معه جمع كثير ، فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشة ^(٢) / وتغلب على تلك الناحية وقوى أمره ، وكان هشام إذ ذاك في حرب

١٨٢ - ب

(١) Tortosa في المغرب ٢ : ٤٢٣ ملكة في شرق بلنسية : ثم ذكر بعد ما يدل عل

أنها ثغر .

(٢) Huesca في ا ، ك ، ف ه أشقة وما ها هنا الرسم الدائر في المظان وجا .

في المغرب ٢ : ٤٦٠ أنها من مشاهر مدن الثغر ، وهي فوق سرقسطة وتحت جبال البيرت .

أخوية سليمان وعبد الله ، فلما خلا وجهه من أمر أخويه انتدب لمطروح جيشا كثيفا وجعل عليهم أبا عثمان عبيد الله بن عثمان . فسار إليه وهو بسر قسطة فحصره بها فلم يظفروا به ، فرجع عنه أبو عثمان ونزل بحصن طرسونة ^(١) بالقرب من سر قسطة ورثب سراياه يغيرون على أهل سر قسطة ويمنعون عنهم الميرة . ثم خرج مطروح إلى الصيد في بعض الأيام ، فلما كان آخر النهار أرسل البازي على طائر فاقتنصه فنزل مطروح ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه فقتلاه وأتيا برأسه إلى أبي عثمان ، فسار إلى سر قسطة فكاتبه أهلها فقبل منهم وأرسل الرأس إلى هشام .

قال ^(٢) : وأخذ أبو عثمان الجيش وسار بهم إلى بلاد الفرنج فأوقع بهم وظفر وقتل منهم خلقا كثيرا ، وبعث هشام يوسف ابن بعث في جيش إلى جليقية فلقي ملكهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الجلائقة وقتل منهم خلق كثير .

وفيهما أيضا سجن هشام ابنه عبد الملك لشيء بدله عنه ، فبقى في السجن مدة حياة أبيه وبعض ولادة أخيه إلى أن توفي سنة ثمان وتسعين ومائة .

/ وفي سنة ست وسبعين ومائة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بلاد
الفرنج فغنم وظفر .

(١) مدينة بينا وبين قطيلة أربعة فراسخ ، وفي النجوم الزاهرة ٢ : ٧٧ « طرطوشة » .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٨٩ .

وفيها استعمل هشام ابنه الحكم على طليطلة ومسيره إليها بضبطها ، وأقام بها ، ووُلِدَ له بها ابنه عبد الرحمن .

ذكر غزو الفرنج

وفي سنة سبع وسبعين ومائة أغزى هشام عبد الملك بن عبد الواحد ابن مغيث في جيش ، فدخلوا بلاد الفرنج فبلغوا أربونة وجردة (١) فبدأ بجردة وبها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم أسوارها وأشرف على فتحها . ورحل عنها إلى أربونة ففعل مثل ذلك وأوغل في بلادهم ووطىء برطانية واستباح حريمها وقتل مُقاتِلَتَها وجاس البلاد شهورا يُخَرَّبُ الحصون ويحرق ويغتم . وجفل العلو بين يديه ، وأوغل في بلادهم ورجع ومعه الغنائم وما لا يُحصى كثرة ، وهى أشبه مغازى المسلمين بالأندلس .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة بعث هشام جيشاً مع عبد الكريم ابن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج فغزا ألبّة والقلاع (٢) فغنم ولم . ومسير جيشاً آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد الجلائقة فخرَّبَ دار ملكهم وكنائسَه وغنم . فلما قفل المسلمون ضلَّ الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة ومات منهم خلق كثير ، ونفقت دوابُّهم وتلفت آلاتهم ، وعاد من سلم منهم .

١٨٣-ب

(١) Narbonna لا تدخل في حيز الأندلس وإن تكن قرية (رجع فجع الطيب ١ : ١٢٥) ويقول عنها ياقوت هى بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس ، بينها وبين قرطبة ألف ميل . وأما جردة فترد في بعض الكتب جريدة بتصحيث فهى Gerona (٢) ذكر ياقوت ألبّة بالياء وضم خمره وذكر أنها ناحية من نواحي إشبيلية ولكن رسمها الصحيح ما أثبتناه Alva et castella vetua

ثم بعثه في سنة تسع وسبعين في جيش كثيف فصاروا حتى انتهروا إلى أَسْتُرْقَة^(١) وكان ملك الجلالقة قد جمع وحشد واستمد جيرانه من الملوك ، وصار في جمع عظيم . فلما قدم عبد الملك رجع ملك الجلالقة هيباً له ، وتبعهم عبد الملك يقضو أثرهم ويخرب . وهتك حريم ملك الجلالقة ! وبلغه أنه احتفى بواد فصار إليه وواقعه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة فهزمه ، وقتل من قمامصتهم ورؤسائهم كثيراً ، ورجع سالماً .

وكان هشام قد سير جيشاً آخر من ناحية أخرى ، فدخلوا البلاد أيضاً على ميعاد من عبد الملك ، فأخربوا ونهبوا وغنمو فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو عارضهم عسكر الفرنج ، فقاتل منهم ، وقتل من المسلمين ، ثم تخلصوا وعادوا^(٢) .

ذكر فتنة تاكرتا

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة هاجمته فتنة تاكرتا^(٣) بالأندلس ، وخلع البربر الطاعة وأظهروا الفساد ، وأغاروا على البلاد وقطعوا الطريق ، فسير هشام إليهم جيشاً كثيفاً عليهم عبد القادر بن أبان بن عبد الله مؤلى معاوية بن أبي سفيان ، فقصصوها وتابعوها

(١) Astorga وقد رستها « أسرقه » وماها هنا عن ك صفحة ١٠٨ وهي و

الشمال الغربي بحلقية

(٢) راجع نفع الطيب ١ : ٣١٦ ، ٣١٧

(٣) كذا في وق ك ١٠٨ وفي ف ١٠٤ - ب وما في معجم البلدان ه : « تاكون » فلملها هنا محرقه ، وقال عنها ياقوت كورة كبيرة بالأندلس ذات جبال حصينة يخرج منها عدة أنهار وفيها معقل رندة . ويلاحظ أن الحميري ضبط تاكرون « تاكرتا » (صفة جزيرة الأندلس صفحة ٧٩) .

١٨٤- قتال مَنْ فيها ، / إلى أن أبادوهم قتلاً وسبيًا ، وفرَّ من بَقِيَ منهم
فدخل في سائر القبائل ، وبقيت كورة تاكرتا خالية سَبْع سنين !

ذكر وفاة هشام بن عبد الرحمن

وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر
سنة ثمانين ومائة بقصر قرطبة وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة
وأربعة أشهر ، ومدة ولايته (على القول الأول) سبع سنين
وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . وكان أبيض مشرباً بحمرة
أشهل ، بعينه حول وكان عاقلاً حازماً ذا رأى وشجاعة وعدل ،
محباً لأهل الخير والصلاح ، راغباً في الجهاد . وكان يعود المرضى
ويشهد الجنائز ، ومن محاسن أعماله أنه أخرج متصدقاً يأخذ
الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وهو الذي
نعمَّ ببناء جامع قرطبة وبنى عِدَّة مساجد ، وبلغ من عز الإسلام
في ولايته وذل الكفر أن رجلاً مات وأوصى بفك أسير من المسلمين
من تركته ، فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسير من المسلمين
يشتري ويفك لضعف العدو ! وله مناقب كثيرة بالغ أهل
الأندلس فيها حتى قالوا / كان يُشبَّه بعمر بن عبد العزيز ، وكان نقش
خاتمه « بالله يشق هشام ويعتصم » .

١٨٤- ب

وكان له من الأولاد الذكور عبد الملك الأكبر ، والحكم الوالي

بعده ، ومعاوية ، والوليد ، وعبد العزيز ، وخمس بنات .

وزراؤه : أبو عثمان صاحب الأرض ، ويوسف بن بخت (١) وشهيد بن عيسى وغيرهم . حجابته : عبد الواحد بن مغيث إلى أن توفي ، ثم ولده عبد الملك وهو رجل الأنديلس جمع الحجابة والوزارة والكتابة والتقدم على الجيوش مع حسن الأدب والعفاف والدين والتواضع والكرم والمروءة . كتابه : فطيس بن سلمة ، وخطاب بن يزيد . قاضيه : المصعب بن عمران الهمداني . أصحاب شرطته : الحسن ابن يسام ، ثم علي بن خريم المزني ، ثم سعيد بن عياض اليحصبي .

ذكر إمارة الحكم بن هشام

الملقب بالمرتضى

هو أبو العاص . الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه أم ولد اسمها زخرف ، وهو الثالث من ملوك بني أمية بالأنديلس . بويع له يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة ، وتولى أخذ البيعة له عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، ولما ولي الحكم كان أول ما بدأ به الغزو في سبيل الله تعالى .

١٨٥

ذكر غزو الفرنج

في هذه السنة أعني - سنة ثمانين ومائة - بعث الحكم جيشا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فدخل البلاد وبث السرايا . وسير سرية ، فجازوا خليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه وكان الكفار قد جعلوا أموالهم وأهلهم

(١) في نفع الطبيب ١ : ٣١٦ • ابن نجية •

وراء ذلك الخليج ظنا منهم أن أحدا لا يقدر أن يعبر إليهم ، فجاءهم
 ما لم يكن في حسابهم ، فغنم المسلمون جميع أموالهم ، وأسروا
 الرجال وقتلوا منهم فأكثرُوا القتل ، وسبوا الحريم والنُّرية ،
 وعادوا سالمين .

وما أشبه هذه الواقعة بفتح طرابلس الشام ! فإنه لما فتحها
 السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى -
 قدس الله روحه - في سنة ثمان وثمانين وستمائة جزرَ البحرُ ساعة
 لفتح وانطرد عنها حتى دخل المسلمون بخيلهم إلى جزيرة النحلة
 وهى بعيدة عن الميناء ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في
 موضعه .

قال (١) : وعاد المسلمون إلى عبد الكريم وقد ملأوا أيديهم من الغنائم .
 سير طائفةً أخرى فخربوا كثيرا من بلاد فرنسية (٢) وغنموا الأموال
 وأسروا الرجال فأخبرهم بعض الأسرى أن جماعة من ملوك الفرنج
 قد سبقوا المسلمين إلى وادٍ وعُرِ المسلك على طريقهم وبلغ ذلك
 عبد الكريم فجمع عساكره وسار على بغيته وجَدَّ السير ، فلم يشعر
 الكفارُ إلا وقد خالطهم المسلمون ورضعوا السيفَ فيهم فانهزموا .
 وغنم المسلمون ما معهم وعادوا بالظفر والغنيمة والسلامة .

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ ١٠٢٠ .

(٢) في النسخ الثلاث بلا نقط « قوسه » وتنقطها « وموتته » وك ١٠٩ وف ١٠٥ -

« قوسه » فلما مر به Murcia وما هانها من الكامل ٥ ١٠٢ .

ذكر خلاف بهلول بن مرزوق وغيره

وفي سنة إحدى وثمانين ومائة خالف بهلول بن مرزوق المعروف بابي الحجاج في ناحية الثغر ، ودخل مدينة سرقسطة فملكها . وقدم على بهلول بها عبد الله بن عبد الرحمن عم الحكم - وهو المعروف بالبلنسي - وكان متوجهاً إلى الفرنج ، ثم سار إلى مدينة طليبرة ^(١) فنزل بها مع عمرو بن ^(٢) بن يوسف . فسار إليهم بهلول وحاصرهم فتفرق العرب عنهم ، ودخل بهلول مدينة طليبرة وسار عبد الله إلى مدينة بلنسية فأقام بها وذلك في سنة أربع وثمانين .

وخالف عبيدة بن حمير بطليطلة ، فأمر الحكم القائد عمرو بن يوسف وهو بمدينة طليبرة أن يحارب أهل طليطلة ففعل ، وضيق عليهم ، وكتب رجلاً من أهلها يعرفون بني مخشى واسمهم ، فوثبوا على عبيدة ، فقتلوه وحملوا رأسه إلى عمرو بن فائز لهم ١٨٦-١ عند - وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طليبرة دخول - فتسور البربر عليهم ، فقتلوه . فسير عمرو رؤوسهم مع رأس عبيدة إلى الحكم وأخبره الخبر

(١) في كل النسخ « أسفه » ولا وجه لها إلا أن تكون « أسقف » رستاق مشجر قصبة غافق كما يقول ياقوت وأما هنا فمن الكائن : Talavera من أعمال طليطلة على نهر تاجه

(٢) في كل النسخ « عمرو بن »

ذكر مسير سليمان بن عبد الرحمن

أقذال ابن أخيه الحكم وقتل سليمان

وفي سنة اثنين وثمانين ومائة جاز سليمان بن عبد الرحمن إلى بلاد الأندلس من الشرق لحرب ابن أخيه الحكم ، فسار إليه الحكم في جيوش كثيرة من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة ، والتقىا واقتتلا ، واشتدت الحرب فانهمز سليمان وأتبعه عسكر الحكم . وعادت الحرب بينهما ثانية في ذى الحجة ، فانهمز سليمان واعتصم بالأوعار والجبال ، فعاد الحكم ، ثم عاد سليمان فجمع بربرا وأقبل إلى جانب إستجة^(١) . فسار إليه الحكم فالتقوا واقتتلوا في سنة ثلاث وثمانين ، واشتد القتال فانهمز سليمان وقصد جهة ماردة^(٢) فتبعه طائفة من عسكر الحكم فأأسروه ، وأحضره إلى الحكم فقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة ، وكتب إلى أولاد سليمان وهم بشرقسطة كتاب أمان واستدعاهم فحضرهوا عنده بقرطبة .

ذكر استيلاء الفرنج على برشلونة

وفي سنة خمس وثمانين ومائة ملك الفرنج - لعنهم الله تعالى - مدينة برشلونة^(٣) بالأندلس ، وأخذوها من المسلمين ، ونقلوا

(١) Ecija كورة أندلسية متصلة بأعمال رية وهي واسطة الرساتيق على نهر سنجل وكانت قاعدة إقليم إشبيلية الغربي ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ، وقد فتحها طارق عام ٧١١ للميلاد .

(٢) في « به مار » وفي الكامل ٥ : ١٠٨ « قرية » وماها هنا عن ك صفحة ١١٠ .

(٣) Barcelona ويكتبها العرب أحياناً برشونة ، ميناء على البحر المتوسط في الشمال الشرق وقال الحميري إنها مدينة للروم بينها وبين طركونه خسون ميلا (صفة الأندلس صفحة ٤٢)

حماة ثغورهم إليها ، وتأخر المسلمون إلى ورائهم وكان سبب ذلك اشتغال الحكم بمحاربة عمه [سليمان بن عبد الرحمن] ^(١) .

ذكر الاتفاق بين الحكم وبين عمه

عبد الله البيلنسى

وفي سنة ست وثمانين ومائة حصل الاتفاق بين الأمير الحكم بن هشام وبين عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ، وذلك أن عبد الله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه وقت في عضده ، وخاف على نفسه ، ولزم بلنسية ولم يتحرك لإثارة فتنة . وأرسل إلى الحكم يطلب المسألة والدخول في الطاعة ، وقيل بل الحكم راسله في ذلك وبذل له الأرزاق الواسعة له ولأولاده ، فأجاب إلى ذلك ، واستقر الصلح بينهما على يد يحيى بن يحيى صاحب الإمام مالك بن أنس . وزوج الحكم أخواته من أولاد عمه عبد الله ، وأكرم عمه وأجرى له ولأولاده الأرزاق الواسعة والصلوات السننية . وقبل كانت المراسلة / في هذه السنة ، واستقر الصلح في سنة سبع وثمانين . ١٨٧ - ١

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة تطيلة

وفي سنة سبع وثمانين ومائة ملك الفرنج - لعنهم الله - مدينة تطيلة ^(٢) . وسبب ذلك أن الحكم بن هشام استعمل على ثغور الأندلس قائدا كبيرا من قواده وهو عمرو بن يوسف . فاستعمل عمرو ابنه يوسف على تطيلة . وكان قد انهزم من الحكم

(١) زيادة من نسخة ك صفحة ١١٠ .

(٢) Tudala كورة ومدينة شرقي قرطبة كثيرة الأنهار والأشجار ، وقال الحميري إنها مدينة بالأندلس في جوف وشقة وبين الجوف والشرق من مدينة سرقطة (صفحة الأندلس صفحة ٦٤)

أهل بيت من بيوت الأندلس أولو قوة وبأس ، وخرجوا عن طاعته .
 والتحقوا بالمشركيين فقوى أمرهم : واشتدت شوكتهم ، وتقدموا
 إلى تطيلة فحاصروها وهاكوها من المسلمين ، وأسروا أميرها يوسف
 بن عمرو وسجنوه وتقدموا بصخرة قيس . واستقر عمرو من مدينة
 مرسطة ليحفظها من الكفار ، وجمع العساكر وسيروها مع ابن عم له ،
 فلقى المشركيين فقاتلهم وقض جمعهم ، وقتل أكثرهم ، وسار إلى
 صخرة قيس بالجيش فحاصرها وافتتحها وخلص يوسف منها .

ذكر ايقاع الحكم بأهل قرطبة

كان ذلك في سنة سبع وثمانين ومائة . وسببه أن الحكم في صدر
 ١٨٧- ب ولايته كان / قد تظاهر يشرب الخمر والانهماك على الملذات . وكانت قرطبة
 دار علم وبها فضلاء أهل علم وورع ، منهم يحيى بن يحيى الليثي راوى موطأ
 مالك بن أنس وغيره . فنار أهل قرطبة وأنكروا فعل الحكم ورهوه بالحجارة
 وأرادوا قتله ، فامتنع منهم ثم سكن الحال واحتج بعد ذلك بإمام وجوه
 أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني -
 عم هشام بن حمزة - وأخذوا له البيعة على أهل البلد وعرفوه أن
 الناس قد ارتضوه كافة . فاستظهرهم ليلة ليرى رأيه ، ويستخير
 الله تعالى فاتصروا ، وحضر هو عند الحكم وأعلمه الحال وأنه على
 بيعته له لم يتغير ، فطلب الحكم تصحيح ذلك عنده وسيّر مع محمد
 ابن القاسم بعض ثقائه فأجلسه محمد في قبة في داره وأخفى أمره .
 وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل يتقلد أمرهم أم لا .

فأراهم . المخافة على نفسه وعظم عليهم الخطب وسألهم
تعداد أسمائهم ومن معهم ، فذكروا له جميع من معهم من أعيان
البلد وصاحب الحكم يكتب أسماعهم ، فقال لهم محمد بن القاسم :
يكون هذا الأمر يوم الجمعة إن شاء الله تعالى في المسجد الجامع !
فانصرفوا ومشى إلى الحكم مع صاحبه فأعلماه جليلة الحال .
كان ذلك يوم الخميس . فما جاء الليل حتى حبس الجماعة
عن آخرهم ، ثم أمر بهم بعد أيام فُصِّلُوا عند قصره / وكانوا اثنين
دسبعين رجلا ، وكان يوما شديعا ثم كانت وقعة الربض بعد
ذلك على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ايفاع الحكم بأهل طليطة

وهي وقعة الحفرة

قال ^(١) : وفي سنة إحدى وتسعين ومائة أوقع الحكم
بأهل طليطة ، فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان
أهلها . وكان سبب ذلك أن أهل طليطة كانوا قد طمعوا في الأمراء
وخلعواهم مرة بعد أخرى ، وقويت نفوسهم ، ليحصانة بلديهم وكثرة
أموالهم ، فلم يكونوا يطيعون أمراءهم طاعة مرضية . فلما أعيان
الحكم شأنهم أعمل الفكرة . فاستعان بعمروس بن يوسف المعروف
بالمولد ، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الأعلى ، وأظهر طاعة الحكم
ودعا إليه فاطمأن إليه لهذا السبب . واستقدمه فقدم عليه ، فبالغ الحكم
في إكرامه وأطلععه على عزمه في أهل طليطة فوافقه عليه .

وكتب إلى أهلها يقول « إنني قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمئن قلوبكم إليه وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا وموالينا ، ولتعرفوا جميل رأينا فيكم » ومضى عمرو س ودخل طليطلة فأنس أهلها به واطمأنوا إليه وأحسن / عشرتهم . ١٨٨-ب

وكان أول ما احتال به عليهم أن أظهر موافقتهم على بغض بني أمية وخلق طاعتهم ، فمالوا إليه ووثقوا به ورضوا بفعله ثم قال لهم : إن سبب الشر بينكم وبين أصحاب الأمراء اختلاطهم بكم ، وقد رأيت أن أبني بناءً أعزل فيه أنا وأصحاب السلطان رفقا بكم ! فأجابوه إلى ذلك ، فبني في وسط البلد ما أراد .

فلما مضى لذلك مدة كتب الحكم إلى عامل له على الثغر الأعلى سراً يأمره أن يرسل إليه يستغيث من جيوش الكفرة ، وطلب النجدة والعساكر ، ففعل ذلك ، فحشد الحكم الجيوش واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن ، وجهاز معه القواد والوزراء ، فسار الجيش حتى اجتاز مدينة طليطلة فلم يتعرض عبد الرحمن لدخوله إليها . وأتاه وهو عندها خبير العامل على الثغر الأعلى يقول « إن عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها » فوقف العسكر وعزم عبد الرحمن على العود إلى قرطبة فقال عمرو من عند ذلك لأهل طليطلة : قد ترون نزول ولد الحكم إلى جاني ، وأنه يلزمني الخروج إليه وقضاء حقه ، فإن نشطتم إلى ذلك وإلا سرت إليه وحدي ! فقالوا : بل نكون معك .

فخرج ومعه وجوه أهل طليطلة فأكرمهم عبد الرحمن وأحسن إليهم ، وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادما له ومعه كتاب لطيف

إلى عمرو بن قنينة الخادم وصافحه وسلم الكتاب إليه من غير أن
 /يحادثه. فلما قرأ عمرو الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على
 ١٨٩-١ أهل طليطلة، فأشار إلى عيون أهلها أن يسألوا عبد الرحمن الدخول
 إليه ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم وقوتهم ومنعتهم فظنوا أنه
 ينصحبهم، ففعلوا ذلك. وأدخلوا عبد الرحمن البلد، فنزل مع
 عمرو بن قنينة، وأتاه أهل طليطلة أرسالا يسلمون عليه، وأشاع
 عمرو بن قنينة أن عبد الرحمن يريد أن يتخذ لهم وليمة عظيمة. وشرع
 في الاستعداد لذلك وواعدهم يوماً ذكره لهم، وقرر أنهم يدخلون من
 باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام ففعلوا ذلك! وأتى الناس أفواجا
 عند الميعاد، فكان إذا دخل فوج أخذوا وحملوا إلى جماعة من الجند
 على حفرة كبيرة في القصر فتضرب رقابهم. فلما تعالى النهار أتى
 بعضهم فلم ير أحداً فقال: أين الناس؟ فقليل له: إنهم يدخلون من
 هذا الباب ويخرجون من الآخر! فقال: لم ألق منهم أحداً! وعلم
 الحال فعاد وصاح بالناس وأعلمهم هلاك أصحابه، فكان مسبب
 نجات من بقي منهم، ودانوا وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وأيام
 ولده عبد الرحمن ثم كان منهم بعد ذلك ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم

وما فعله بأهل قرطبة

١٨٩-ب /وفي سنة إحدى وتسعين غصى أصبغ بن عبد الله على الحكم
 ووافقهم أهل ماردة وأخرجوا عامله عنها: فاتصل الخبر بالحكم.
 فسار إليها وحصرها. فبينما هو في ذلك أتاه الخبر عن أهل قرطبة

أنهم أعلنوا العصيان له ، فرجع إلى قرطبة مبادرا ، فوصلها في ثلاثة أيام وكشف عن الذين أثاروا الفتنة فصلبهم منكسرين ، وضرب أعناق جماعة . فارتدع الباقون بذلك واشتدت كراحتهم للحكم ، ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون وتارة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين ، فضُفَّ أمرُ أصبغ بن عبد الله لأن الحكم تابع لإرسال الجيوش واستمال جماعة من أهل ماردة وثقات أصحابه فمالوا إلى الحكم وفارقوا أصبغ حتى أخوه ، فضعفت نفسه فطلب الأمان فأمنه الحكم ، ففارق ماردة ، وحضر إلى الحكم وأقام بقرطبة .

ذكر غزو الفرنج

وفي هذه السنة تجهز لُدْرِيْقُ ^(١) ملك الفرنج وجمع جموعه ليمسیر إلى مدينة طرطوشة ^(٢) ليحضرها ، فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن ، فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة ، فساروا حتى لقوا الفرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد الإسلام شيئا ، فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعته فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين ، وهزم الكفار وكثر القتل فيهم والإسار ، وانتهيت أموالهم ، ورجع المسلمون بالظفر .

١٩٠-١

Roderic (١)

(٢) في الكامل وجميع النسخ ، كـ ١٠٠ ، ف ١٠٧ - ب « طرطوشة » وفي نفع الطبيب ١ : ٣١٨ طرسونة ، أما طرطوشة فهي مدينة فصل بكورة بلنسية وهي شرقها قريبة من البحر ، وأما طرسونة فهي من أمدن خيلة وبينها وبين هله أربعة فراسخ .

ذكر عصيان حزم على الحكم

وفي هذه السنة خالف حزم بن وهب بن ناحية باجة ووافق غيرد ، وقصلوا لشبونة ^(١) . فلما بلغ الحكم الخبر ، سار إليه الحكم في جمع كبير ، فنأزله وقطع الأشجار وضيق عليهم حتى أذعنوا إلى طلب الأمان ، فأمنه وأخذ رهائنه على الصالحة والطاعة ، وعاد عنه الحكم إلى قرطبة .

ذكر عودة أهل ماردة إلى العصيان

وغزو الحكم بلاد الفرنج

قال ^(٢) : ثم عاد أهل ماردة إلى العصيان والخلاف على الحكم في سنة أربع وتسعين ، فسار الحكم بنفسه إليهم وقابلهم . ولم تنزل سراياه وجيوشه تتردد وتقاتلهم إلى سنة ست وتسعين ومائة ، فقطع الفرنج في ثغور المسلمين وقصلوها بالغارات والقتل والنهب والسبي . وقد شغل الحكم بأهل ماردة عنهم حتى أثنأ الخبر بشدة الأمر على أهل الثغور وما نال العلو منهم ، وسمع أن امرأة مسلمة أخذت أسيرة فقالت : ١٩٠-ب واغوثاه يا حكم فعظم عليه الأمر وجمع العساكر واستعد وحشد ، وسار إلى بلاد الفرنج في سنة ست وتسعين ومائة فأنش ^(٣) في بلادهم ،

(١) Lisbon وينطقها العرب أشبونة أيضا ، وقد قال ابن حوقل عنها إنها على مصب نهر شترين إلى البحر ، ومن قم النهر إلى أشبونة إلى شترة يومان ، وقال ياقوت إنها تتصل بشتريين قرية من البحر وعلى ساحلها يوجد المنبر الفائق .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ١٤١

(٣) أنش فيها : بالغ في ضربه وأنش في عدوه أكثر الجرح فيه ، وأنش خصمه أوفه (القاموس المحيط)

وافتح عدة حصون وخرب وقتل الرجال وسبي الحريم ونهب الأموال ، وقصد الناحية التي بها تلك المرأة فأسر لهم من الأسرى ما يفادون به أسراهم ، وبالف في الوصية في تخليص تلك المرأة فخلصت من الأسر وقتل بقية الأسرى .

فلما فرغ من غزاته قال لأهل الثغور : أغناكم الحكم ؟ قالوا : نعم ! وأذنوا عليه خيراً ، وعاد إلى قرطبة مظفراً منصوراً .
وفي سنة سبع وتسعين ومائة اشتد الغلاء بالأندلس وعم البلاد ، ومات كثير من الخلق ، وكان أكثر الناس يطاوون للعدم ^(١) .

ذكر وقعة الربض بقرطبة

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة كانت وقعة الربض بقرطبة ، وسببها أن الحكم كان كثير التشاغل بالشرب واللهو والصيد وغير ذلك مما يجانبه ، وقد قدمنا ما كان قد فعله بأهل قرطبة لما أرادوا خلعه ومن صلب منهم . فزادت كراهة أهلها فيه ، وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسب ، وبالقوا حتى لمهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان / الصلاة يا مخمور الصلاة ! وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالأكف . فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها ، وحفر خنادقها ، وارتبط الخيل على بابه ،

١٩١-١

(١) يروى المقرئ أنه كان يكثر فيها مواساة أهل الحاجات ، وفي ذلك يقول الجزيري

الشاعر :

نكد الزمان فأمنت أيامه من أن يكون بمصره عسر
ظلم الزمان بأزمة فجلا له تلك الكربة جسوده الفسر

(نفع الطيب ١ : ٢١٩)

واستكثر من المالِك ، ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح .
 فزاد ذلك في حقدِ أهل قرطبة ، وتحققوا أنه يفعل ذلك للانتقام
 منهم ، ثم وضع عليهم عشر الأطعمة في كل سنة من غير حِرْص
 فكرهوا ذلك .

ثم عمد إلى عشرة من رؤسائهم فقتلهم وصلبهم ، فهاج
 لذلك أهل الربض ، وانضاف إلى ذلك أن مملوكا له سلّم إلى صيقل
 سيفاً ليصقله له فمظله الصيقل ، فأخذ ذلك المملوك السيف ولم يزل
 يضرب به ذلك الصيقل إلى أن مات وذلك في شهر رمضان من
 هذه السنة ، فكان أول من شهر السلاح أهل الربض القبلي ،
 واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح ، واجتمع الجند والأمويون
 والعبيد بالقصر . وفرق الحكم الخيل والسلاح ، وجعل أصحابه كتائب .
 ووقع القتال بين الطائفتين ، فغلبهم أهل الربض وأحاطوا
 بالقصر ، فنزل الحكم من أعلى القصر وليس سلاحه وحرّض
 الناس على القتال ، فقاتلوا قتالاً شديداً . ثم أمر ابن عمه عبيد الله
 فثلم من السور ثلثة وخرج منها بقطعة من الجيش وأتى أهل الربض
 من وراء ظهورهم فلم يشعروا به ، وأضرَم النار في الربض .
 فانهزم أهله / وقتلوا قتلاً ذريعاً وأسر من وجد في المنازل والدور فانتقى
 الحكم ثلاثمائة من وجوه الأسرى فصلبهم منكسين ، ودام النهبُ
 القتل والحريق في أرباض قرطبة ثلاثة أيام .

١٩١-ب

ثم استشار الحكم فيهم عبد الكريم بن عبد الواحد بن
 مغيث ، فأشار عليه بالصّبح عنهم والعفو ، وأشار غيره

بالقتل ، فقبل قولَ عبد الكريم . وأمر فتودى بالأمان على أنه من بَقِيَ من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قُتِلَ وصُلب ، فخرج من بَقِيَ منهم بعد ذلك مستخفيا ، وتحصّلوا على الصَّعب والذلول وخرجوا من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وما خفّ من أموالهم . وقعد لهم الجند والسفلة بالمرصاد ، ينهبون أموالهم ، ومن امتنع عليهم قتلوه ! .

فلما انقضت الأيام الثلاثة أمر الحكم بكفّ الأذى عن حرم الناس ، وجمعهم إلى مكان واحد ، وأمر بهدم الربض القبلي . وكان بزيع مولى أمية بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية محبوبا في حبس الدم وفي رجله قيد ثقيل ، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند سأل الحرس أن يُفْرَجوا عنه فأخذوا عليه العهد أن يعود فأطلقوه ، فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن في الجيش من قاتل مثله ، فلما انهزم أهل الربض عاد إلى السجن ، فانتَهَى خبره إلى الحكم فأطلقه وأحسن إليه . وقيل إن هذه الواقعة كانت في سنة اثنتين ومائتين والله أعلم . / قال بعض المؤرخين : اجتمع في الربض أربعة آلاف فقيه وطالب !

١-١٩٢

وكان ممن خرج عليه يحيى بن يحيى الليثي ، فهرب ونزل على حَيٍّ من البربر ، ثم آمنه الحكم بعد ذلك وحظى عنده . ومنهم الفقيه طالوت بن عبد الجبار ، ففر واستتر عند رجل يهودي عاملا كاملا . وكان بينه وبين أبي البسام صداقة ، فقصد فأخبر الحكم به ، وأحضره إليه فعنفه الحكم على خروجه عليه ،

ثم أمّنه وصرفه إلى منزله وسأله أين استتر فأخبره باليهودي وبأبي البسام ، فاغناظ على أبي البسام وعزله عن وزارته وكتب عهداً أن لا يخدمه أبداً . ومنهم عبد الملك بن حبيب ، وغيرهم (١) .

ذكر غزو الفرنج

وفي سنة مائتين جهّز الحكمُ جيشاً مع عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فسار حتى توسّط بلادهم ، فخرّبها ونهبها وهدم عدّة من حصونهم ، واستنفذ خزائن ملوكهم . فلما رأى ملكهم ذلك كاتب جميع ملوك تلك النواحي ، واستنصر بهم فاجتمعت إليه أهل النصرانية من كلّ مكان . وأقبل في جموع عظيمة ونزل بإزاء عسكر المسلمين وبينهم نهر ، فاقتتلوا عدّة أيام والمسلمون يريدون عبور النهر إليهم وهم يمنعونهم من ذلك . فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر / فغير المشركون واقتتلوا أعظم قتال ، ١٩٢-ب فانهزم الكفار إلى النهر وأخذهم السيّف والأسر ، فأُسر جماعة من ملوكهم وكنودهم وقماصتهم . وعاد الفرنج لزموا جانب النهر يمنعون المسلمين من عبوره فأقاموا ثلاثة عشر يوماً يقتتلون في كلّ يوم ، فجاءت الأمطار وزاد النهر فتعذر جوازه ، فقفّل عبد الكريم عنهم في سابع ذي الحجة من السنة .

ذكر غزو البربر بناحية مورور

وفيها خرج خارجيٌّ من البربر من ناحية مورور (٢) ومعه جماعة ،

(١) راجع نفع الطيب ١ : ٣١٨

(٢) كورة متصلة بأحواز قرمونة Carmone غربي شذونة ، وفي معجم ياقوت موزور !

فوصل كتابُ العايل بها إلى الحكم بخبره ، فأخفى الحكم أمره واستدعى من ساعته قائداً من قواده فأخبره بذلك سرا وقال له : سر من ساعتك إلى هذا الخارج واثنتي برأيه والا فرأسك عوضه وأنا قاعد في مكاني هذا إلى أن تعود ! فسار القائد إلى الخارج ، فلما قاربه سأل عنه فأخبر أنه في احتياط كثير واحتراز شديد ، فعجز عنه ثم تذكر قول الحكم فأعمل الحيلة حتى دخل عليه وقتله وأتى برأسه إلى الحكم ، فرآه بمكانه ذلك لم يتغير ، وكانت غيبته أربعة أيام ، فأحسن إلى القائد وأكرمه ووصله وأعلى محله.

ذكر وفاة الحكم

كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وقيل ثلاثاً وخمسين سنة وقيل أقل من ذلك إلى تسع وأربعين سنة ، ومدة إمارته ستاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً . وكان طويلاً أسمر نحيفاً ، وله شعر جيد ، وهو أول من جند الجنود المرتزقة بالأندلس وجمع الأسلحة والعدد واستكثر من الخشم والحواشي ، وارتبط الخيول على بابيه ، واتخذ المماليك وجعلهم في المرتزقة فبلغت عدتهم خمسة آلاف . وكانوا يسمون الخرس لعجمتهم ألسنتهم ، وكانوا نواباً على باب قصره (١) .

وكان يطلع على الأمور بنفسه ما قرب منها وما بعد ، وكان له نفر من ثقة أصحابه يطالعونه بأحوال الناس ، فيردع الظالم ،

وينصف المظلوم . وكان شجاعاً مقداماً مُهَيِّمِنًا وكان يُقَرَّبُ
الفقهاء وأهل العلم . وكان له من الأولاد أبو مطرف عبد الرحمن
وثمانية عشر ولداً ذكراً . كاتبه : الوزير أبو البسام .

ذكر امارة عبد الرحمن بن الحكم

هو أبو المطرف وقيل أبو المظفر عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
ابن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد يقال لها جلاوة ، وهو الرابع
من ملوك بني أمية بالأندلس . بويغ له بعد وفاة أبيه في يوم
/ الخميس لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين وذلك في خلافة
المأمون بن الرشيد العباسي .

قال ^(١) : ولما ولى خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسي - من
بلنسية - وطمع في الملك ، فوصل إلى تدمير يريد قرطبة ، فتجهز له
عبد الرحمن ، فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعت نفسه فرجع
إلى بلنسية .

ذكر ايقاع عبد الرحمن

بأهل البيرة وجندها

كان ذلك في سنة سبع ومائتين وسبب ذلك أن الحكم كان
قد بلغه عن عامل اسمه ربيع أنه ظلم أبناء أهل الذمة فقبض عليه
وصلبه ، فلما توفي الحكم وولى ولده عبد الرحمن وسمع الناس
بصلب ربيع أقبلوا إلى قرطبة من النواحي يطلبون الأموال التي كان
ظلمهم ربيع فيها ظناً منهم أنها سترد إليهم . وكان جند البيرة

أشدّهم وأكثرهم طلباً وأشدّهم إلحاحاً وتألّبا ، فأرسل عبد الرحمن من يسكنهم ، فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهاهم ، فخرج إليهم جمعٌ من الجند من أصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلاً ذريعاً ، ونجا من بقى منهم ، وأدرّكهم الطلبُ فقتل كثيراً منهم .

وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنةٌ بين المضريّة واليمانية فاقتتلوا بلوزقة^(١) فكان بينهم وقعة تعرف بيوم المصابرة قتل بينهم ثلاثة آلاف رجل ، ودامت الحربُ بين الفريقين سبع سنين ، ووكل عبدُ الرحمن بكفّهم ومنعهم يحيى بن عبد الله ابن خالد وسيّره في جمع من الجيش ، فكانوا إذا أحسوا بقرب يحيى افترقوا وتركوا القتال وإذا عاد عنهم رجعوا إلى الفتنة حتى أعياء أمرهم .

وفيها كان بالأندلس مجاعةٌ شديدةٌ ذهب فيها خلقٌ كثير وبيع المد في بعض المدن ثلاثين ديناراً .

وفي سنة ثمانٍ ومائتين جهّز عبدُ الرحمن جيشاً إلى بلاد المشركين ، واستعمل عليهم عبدُ الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، فساروا إلى بلاد ألبّة والقلاع فنهبوا بلاد ألبّة وخربوها وأحرقوها ، وقتلوا حصوناً وصالحهم أهل - حصون آخر على مالٍ وإطلاق أمرى المسلمين ، وذلك في جمادى الآخرة .

(١) Lorca في الطريق من غرناطة إلى مرسية ، مدينة حصينة ، ومنّة قلعتها تضرب

بها الأمثال (المغرب ٢ : ٢٧٥)

وفيها توفي عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالبلنسى .

وفي سنة عشر ومائتين سير عبد الرحمن سريةً كبيرةً إلى بلاد الفرنج واستعمل عليهم عبيد الله بن عبد الله البيلنسى : فمسير ودخل بلادهم وتردد فيها بالغارات والسبى والقتل والأسر ولقى جيوش الأعداء فهزمهم وأكثر القتل فيهم ، وكان فتحاً عظيماً . وفيها افتتح عسكر سيره عبد الرحمن أيضاً حصن القلعة من أرض العدو في شهر رمضان المبارك .

وفيها أمر ببناء المسجد الجامع بجيان .

وفيها أخذ عبد الرحمن مقدم اليمانية بتدمير / وهو رجا بن ١٩٤-ب الشماخ لتسكن الفتنة بين اليمانية والمضرية فلم تسكن ودامت ، فأمر العامل بتدمير أن ينتقل منها ويجعل مرسية ^(١) قاعدة تلك البلاد .

وفي سنة اثنتى عشرة ومائتين سير عبد الرحمن جيشاً إلى برشلونة من بلاد العدو فأقام الجيش شهرين يحرقون وينهبون .

وفيها كانت مبول عظيمة وأمطار متتابعة ، فخربت أكثر أسوار مدن الأندلس وخربت قنطرة سرقسطة ، ثم جددت عمارتها

١١١ : وفي سنة ثلاث عشرة ومائتين قتل أهل ماردة عاملهم فثارت

(١) Murcia من أعمال تدمير وقاعدتها بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهي ذات أشجار كثيرة وحدائق ، تبعد عن قرطبة إلى الشرق منها والمسافة بينها وبين البحر المتوسط ليست بعيدة وكانت تقع في جنوبي مملكة أراجون . (صفة الأندلس صفحة ١٨١) .

الفتنة عندهم فسير إليهم عبد الرحمن جيشاً فحصرهم وأفسد زرعهم وأنسجأهم فعادوا لنطاعة وأعطوا رهائنهم ، وعاد الجيش عنهم بعد أن خربوا سور المدينة ، ثم أرسل إليهم من ينقل أحجار السور إلى النهر لثلا يطمع أهلها في عمارته ، فلما رأوا ذلك عادوا إلى العصيان وأسروا العامل عليهم وبنوا السور وأتقنوه . فصار عبد الرحمن بجيوشه إليهم في سنة أربع عشرة ومائتين ومعه رهائن أهلها فراسله أهلها وافتلوا رهائنهم بالعامل الذي أسروه وغيره وحصرهم وأفسد بلادهم ثم رحل عنهم . ثم سير إليهم جيشاً في سنة سبع عشرة فحاصروها وضيقوا على أهلها ، ودام الحصار ثم رحلوا عنهم . وسير إليهم جيشاً في سنة ثمان عشرة ومائتين ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد . وكان من أهلها رجل اسمه محمود بن عبد الجبار الماردي في جماعة من الجند ، فمضى بمن سليم من أصحابه إلى منتهى سالوط فسير إليه عبد الرحمن جيشاً في سنة عشرين ومائتين فهرب بمن معه إلى جليقية فأرسل سرية في طلبهم ، فقاتلهم محمود وهزمهم وغنم ما معهم ، وقتل عدة منهم ثم مضى لوجهه فلقية جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلهم ، ثم كف بعضهم عن بعض وساروا فلقية سرية أخرى فانهزمت السرية وغنم محمود ما معهم ووصل إلى بلاد المشركين فاستولى على قلعة لهم فاقام بها خمسة أعوام وثلاثة أشهر فحصره أذفونس ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محموداً ومن معه وذلك في سنة خمس وعشرين في شهر رجب .

وفي سنة أربع عشرة ومائتين سار عبد الرحمن إلى مدينة باجة^(١) وكانت عاصية عليه فملكها عتوة .

وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة ، وكان هاشم ممن خرج من طليطلة لما أوقع الحكم بأهلها ، وسار إلى قرطبة ، فلما كان الآن سار إلى طليطلة فاجتمع إليه أهل الشر والفساد فسار إلى وادي جونية^(٢) وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمه واشتدَّت شوكتُه وكثر جمعه فأوقع بأهل شنت بريته . وكان بينه وبين البربر وقعات كثيرة ، فمير إليه عبد الرحمن جيشا فقاتلوه فلم تستظهر إحدى الطائفتين على الأخرى ، وغلب هاشم على عدَّة مواضع وجاوز بركة العجوز وأبعدت غارة خيله . فسير إليه عبد الرحمن جيشا في سنة ست عشرة ومائتين فلقبهم هاشم بالقرب من حصن ممسطا المجاور لرورية^(٣) فدامت الحرب بينهم عدَّة أيام ثم انهزم هاشم وقُتِل هو وكثير ممن معه

ذكر معاصرة طليطلة وفتحها

وفي سنة تسع عشرة ومائتين جهز عبد الرحمن جيشا مع ابنه أُميَّة إلى مدينة طليطلة فحصرها - وكانوا قد خالفوا

(١) Beja من أقدم مدائن الأندلس بينها وبين قرطبة مائة فرسخ (صفة جزيرة الأندلس ٣٦) .

(٢) كذا في ١ ، وفي ١١٥ وفي ١١٠ - ١ وليس له فيما بين أيدينا من المراجع ذكر ، ولعله محرف .

(٣) ١ في ١ ، كصفحة ١١٦ ، ف صفحة ١١١ - ب « حصن شيطا المجاور للورقة » وما هاهنا عن الكامل ٥ : ٢١٩ .

وخرجوا عن الطاعة - فاشتد في حصارهم وقطع أشجارهم وأهلك زرعهم ، فلم يذعنوا إلى الطاعة فرحل عنهم وترك بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرة المعروف بفتى أبي أيوب . فلما أبعد أمية خرج جمع كثير من أهل مدينة طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفلة فينالون منه ومن أصحابه غرضا ، وكان قد بلغه الخبر فكمن في عدة مواضع . فلما وصلوا إلى قلعة رباح خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم فأكثروا القتل وعاد من سلم منهزما إلى طليطلة ، وجمعت رؤوس القتلى وحملت إلى ميسرة فلما رأى كثرتها عظم عليه وارتاع لذلك ، ووجد في نفسه غما شديدا ، فمات بعد أيام يسيرة !

ثم سير عبد الرحمن جيشا في سنة / عشرين ومائتين فقاتلوا ولم يظفروا منها بشيء . فلما كان في سنة إحدى وعشرين ومائتين خرج جماعة من أهلها إلى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصار طليطلة وضيقوا على أهلها واشتدوا في حصارهم إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، فسير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع ، ففتحها عنوة يوم السبت لثمان خلون من شهر رجب منها ، وأمر بتجديده القصر على باب الجسر الذي كان هدم أيام الحكم ، وأقام بها آخر شعبان سنة ثلاث وعشرين حتى استقرت قواعد أهلها .

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين سير عبد الرحمن جيشا

إلى أَلْبَةِ والقلاع فنزلوا حِصْنَ الفرات ، وقتلوا أهله ، وغنموا ما فيه وسبوا النساء والذرية وعادوا .

وفي سنة أربع وعشرين سِيرَ جيشًا عليهم عبيد الله بن عبد الله البَلَنَسِيُّ إلى بلاد العلو ، فوصلوا أَلْبَةَ والقلاع فالتَقَوْاهم والمُشْرِكُونَ ، وكانت بينهم حروبٌ شديدةٌ وقتالٌ عظيمٌ انتهزَمَ أهلُ الشُّركِ ، وقتل منهم مالا يُحصى كثرةً ، وجمعت الرؤوس حتى كان الفارس لا يرى من يقاتله !

ثم سار عبدُ الرحمن في سنة خمس وعشرين في جيشٍ كثيفٍ إلى بلاد المُشْرِكِينَ فدخل بلاد جليقية وافتتح عدةً حصونٍ منها ، وغنم وسبى وقتل / وخرب ثم عاد إلى قرطبة ولم تطل مدةُ هذه الغزاة .

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين سِيرَ الأمير عبدُ الرحمن جيشًا إلى أرض العلو ، فلما كانوا بين أوشنة وشرطانية (١) تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بهم وقتلواهم الليل كله ، فلما أصبحوا أنزل الله نصره على المسلمين وهزم عدوهم ، وأبلى موسى بن موسى في هذه الغزاة بلاءً حسنًا ، وكان على مقدمة العسكر وهو العامل على تطيلة ، وجرى بينه وبين جرير بن موفّق - وهو من أكابر اللولة - أيضًا شرٌّ فخرج موسى عن طاعته .

(١) كذا في ١ ، ف صفحة ١١٢ - ١ ، وأما ما في ١١٦ فهو « أوشنة وشرطات » وفي الكامل ٥ : ٢٦٨ « أربونه وشرطانية » فكان الخلاف في أوشنة ولعلها أوشنة (انظر المغرب ١ : ٣١٧) .

ذكر الحرب بين موسى بن موسى

والحارث بن بزيع وما كان من أمره

قال (١) : ولما بلغ عبد الرحمن خروج موسى عن الطاعة سَير إليه جيشا ، واستعمل عليهم الحارث بن بزيع فصار إليه والتفوا عند بَرَجَة (٢) واقتتلوا فقتل أكثر أصحاب موسى : وقتل ابن عم له ، وعاد الحارث إلى سرقسطة . فسير موسى ابنه إلى بَرَجَة فعاد الحارث إليها فحصرها وملكها وقتل ابن موسى وتقدم إلى مدينة تطيلة فحصرها فصالحه موسى على أن يخرج عنها فانتقل موسى إلى أرنيط (٣) وبقى الحارث بتطيلة أياما ثم سار إلى موسى ليحاصره . فأرسل موسى إلى غرسيمة وهو من ملوك الأندلس (٤) / واتفقا على الحرب واجتمعا وجعلا للحارث كمائن في طريقه وأعدا له الخيل والرجل بموضع يقال له ثلمة على نهر هناك ، فلما جاوز الحارث النهر خرج إليه الكمناء وأحدقوا به وكانت وقعة عظيمة وأصابه ضربة في جبهته قلعت عينيه ثم أُسر ، وذلك في سنة ثمان وعشرين . فلما بلغ خبره عبد الرحمن عظم عليه وجهز جيشا عظيما وجعل

١٩٧-١

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٦٨

(٢) مدينة قرب النهر الأخضر الذي يصب في البحر المتوسط وبين إلمرية وغرناطة في وادي عذراء ، وفي المغرب ٢ : ٢٢٨ كان يتكرر عليها الولاة من إلمرية وغرناطة (٣) في ١ « أربط » وفي ك صفحة ١١٧ « أرنط » وما أثبتناه من الكامل ، ولكننا نرى أن الصحيح « أربط » في جليقية .

(٤) Garcia كان صاحب ينبلونة Pamplona في أقصى الشمال الغربي بجبال ألبورت

بينها وبين سرقسطة مائة وسبعون ميلا (صفة الأندلس ٥٥)

عليه ابنه محمداً وسيره لقتال موسى في شهر رمضان سنة تسع وعشرين ، فوصل إلى تطيلة وحصرها وضيق على أهلها ، وأهلك زرعها فصالحه موسى . وتقدم محمد إلى ينبلونة فأوقع عندها يجمع كثير من المشركين وقُتِلَ غرسية فيمن قُتِلَ ، ثم عاد موسى إلى الخلاف على عبد الرحمن فجهز جيشاً كثيراً وسيرهم إلى موسى فطلب المسالة فأجيب إليها ، وأعطى ابنه إسماعيل رهينة وولاد عبد الرحمن مدينة تطيلة فسار موسى إليها وأخرج منها من يخافه واستقر بها .

ذكر خروج المشركين الى بلاد الاسلام بالأندلس

قال (١) : في سنة ثلاثين ومائتين خرج المجوس في أقاصي بلاد الأندلس إلى بلاد المسلمين ، وكان أول ظهورهم في ذى الحجة سنة / تسع وعشرين ومائتين وعند أشبونة فأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً كان بينهم وبين المسلمين فيها وقائع ، ثم ساروا إلى قادس (٢) ثم إلى شذونة وكان بينهم وبين المسلمين وقعة عظيمة ، ثم قصدوا إشبيلية في ثامن المحرم فنزلوا على اثني عشر فرسخاً منها ، فخرج إليهم المسلمون فهزمهم العدو في ثاني عشر المحرم وقُتِلَ كثير منهم ، ثم نزلوا على ميلين منها فخرج أهلها إليهم وقاتلوهم فانهزموا في رابع عشر المحرم وكثر القتل والأسر

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٧٢

(٢) Cadiz مدينة قرب شذونة ولكنها تقع مباشرة على المحيط الأطلنطي في الجنوب الغربي من الأندلس ويقول الحميري إنها جزيرة الأندلس عند طالطة من مدن إشبيلية (صفة الأندلس ١٤٥)

فيهم . ولم يرفع المجوس السيف عن أحدٍ ولا عن دابةٍ ، ودخلوا
حاضر إشبيلية وأقاموا بها يوما وليلةً وعادوا إلى مراكبهم ، فوافاهم
عسكر عبد الرحمن فبادر إليهم المجوس فثبت المسلمون وقتلوهم
فقتل من المشركين سبعون رجلا وانهزموا ودخلوا مراكبهم ، واحجم
المسلمون عنهم ، فسير عبد الرحمن جيشا آخر فقاتلهم المجوس
قتالا شديدا ورجعوا عنهم فتبعهم العسكر في ثاني شهر ربيع الأول
وقاتلوهم ، وأتاهم المدد من كل ناحية فنهضوا لقتال المجوس من كل
جانب فانهمز المجوس وقتل نحو خمسمائة رجل وأخذوا منهم أربعة
مراكب فأخذوا ما فيها وأحرقوها .

ثم خرج المجوس إلى لبلة^(١) فأصابوا سبيا ونزلوا جزيرة بالقرب
من قوويس فقسموا ما كان معهم مما غنموه ، فدخل المسلمون إليهم في
النهر فقتلوا رجلين ثم رحل / المجوس فطرقوا شذونة فغنموا أطمعة
وسبيا وأقاموا يومين ، فوصلت مراكب عبد الرحمن إلى إشبيلية .
فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبله فأغاروا وسبوا ثم لحقوا بأشبونة
ثم مضوا إلى باجة ، ثم قفلوا إلى مدينة أشبونة ، ثم ساروا فانقطع
خبرهم عن البلاد فسكن الناس .

١-١٩٨

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين سار جيش للمسلمين بقرطبة
إلى بلاد المشركين وقصدوا جليقية فغنموا وقتلوا وأسروا وسبوا

(١) Nebia مدينة بين باجة وإشبيلية) انظر ما كتب عنها في المغرب ١: ٣٣٩ : ٣٤٧ ،

٣٥٥ ، ويقول الميرى : إنها قاعدة من قواعد قشتالة (صفة جزيرة الأندلس ١٧٤) .

وواصلوا إلى مدينة ليون^(١) فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق ،
فخاف أهلها وخرجوا هاربين وتركوها بما فيها ، فغنم المسلمون
منها ما أرادوا وأحرقوا الباقي ، ولم يقدرُوا على هدم سورها لأن
عَرْضَه سبعة عشر ذراعاً ، فَمَضَوْا وقد ثلموا فيه ثلثة كبيرة^(٢) .

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين غدر موسى بن موسى ،
فسير إليه عبد الرحمن جيشاً مع ابنه محمد .

وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة ، فهلك خلق كثير
من الناس والدواب ، ويبست الأشجار فاستسقى الناس فسقوا وزال
القحط .

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين سير عبد الرحمن ابنه المنذر
في جيش كثيف إلى غزو الروم فبلغوا ألبه والقلاع .

وفيها كان سيل عظيم بالأندلس فخرّب /جسر/ إستجة والأرجاء ١٩٨-ب
وغرق نهر إشبيلية ست عشرة قرية ، وخرّب نهر باجة ثمانى عشرة
قرية ، وعرض حتى صار عرضه ثلاثين ميلاً وكان هذا حدثاً عظيماً
وقع في جميع البلاد في شهر واحد

وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين سارت جيوش المسلمين إلى
بلاد العدو وكانت بينهم وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين
وهي وقعة البيضاء .

(١) Leon مدينة من بلاد الجلالقة شمال الأندلس .

(٢) انظر نفع الطيب ١ : ٢٢٤

ذكر وفاة عبد الرحمن

وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وقيل في شهر ربيع الآخر منها . وكان مولده في شعبان سنة مئتين وسبعين ومائة . فكان عمره اثنين وستين سنة ومدة ولايته إحدى وثلاثين سنة وشهرين وستة أيام . وكان أسمر طويلاً أغرّ أقرّ عظيم الجبهة يخضب بالحناء . وكان له من صلبه من الأولاد الذكور والإناث سبعة وثمانون ولداً منهم خمسة وأربعون ذكراً . وكان عالماً أديباً شاعراً ، يعرف علوم الفلاسفة . وفي أيامه دخل زرياب^(١) المَعْنَى إلى الأندلس فحضر يوماً عند عبد الرحمن وغنى وعبيد الله [بن] قزمان الشاعر حاضر فقال زرياب :

قالت ظلومٌ سَمِيَّةُ الظُّلَمِ مالى رأيتك ناحِلَ الجِسمِ
يَأْمَنُ رَأْيَ قَلْبِي فَأَقْصَدُهُ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَوْضِعِ السَّهْمِ

فقال عبد الرحمن : البيت الثاني منقطع عن الأول غير متصل به . فقال ابن قزمان بديهة بعد البيت الأول :

فَأَجَبْتُهَا وَاللَّعْنُ مَنَحِدِرٌ مِثْلَ الْجُمَانِ زَهَا عَلَى النَّظْمِ

فكساه عبد الرحمن وحباه .

وهو أول من رتب اختلاف الفقهاء إلى قصره ، وأمرهم بالكلام بين يديه . وكان عبد الرحمن بعيد الهمّة ، اخترع قصوراً ومستنزهات

(١) هو علي بن نافع مولد الخليفة المهدي وتلميذ إبراهيم الموصلي ويقال إنه هو الذي أورد صناعة الفناء بالأندلس .

كثيرة ، وزاد في الجامع بقرطبة رواقين . وكانت أيامه أيام غافيه وسكون ، وكثرت الأموال عنده وأقام أبهة المملكة ورثب رسومها . وكان يُشَبَّه بالوليد بن عبد الملك في أبهته . وهو أول من اجتلب الماء العذب إلى قرطبة وأدخله قصوره وجعل لفصل الماء مصنعا كبيرا يروده الناس إذا خرج من قصوره رحمه الله تعالى .

ذكر اماره محمد بن عبد الرحمن

المنعوت بالأمين

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان ، وأمه أم ولد اسمها تهتر . وهو الخامس من أمراء بني أمية بالأندلس ، قام بالأمربعد أبيه في يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وقيل في شهر ربيع الآخر منها ، وكانت ولايته في خلافة المتوكل إلى بعض أيام المعتمد قال (١) : ولما ولي جرى في العدل على سيرة أبيه ، وتمم زيادة بناء أبيه في جامع قرطبة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج

وفي سنة أربعين ومائتين كان بين المسلمين والفرنج حرب شديدة ، وسببها أن أهل طليطلة كانوا على ما ذكرناه من الخلاف على الملوك فلما ولي محمد هذا سار بجيوشه إليها ، فراسل أهلها ملك جليقية يستملونه ، فأمدهم بالعساكر الكثيرة ، فبلغ محمد ذلك

وقد قارب طليطلة فعبأ أصحابه وكنن الكمناء بئناحية وادى سليط ،
وتقدم إليهم في قلة من العسكر قطع فيه أهل طليطلة والفرنج ،
وأسرعوا إليه فلما نشبت الحرب خرجت الكمناء من كل جهة فقتل
من المشركين ومن أهل طليطلة مالا يحصى ، وجُمع من الرؤوس ثمانية
آلاف / رأس ، وذكر أهل طليطلة أن عدة القتلى عشرون ألفاً (١)

٢٠٠-١

قال (٢) : وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين استكثر محمد
الرجال بقلعة رباح ليضيق على أهل طليطلة ، وسير الجيوش إلى
غزو الفرنج مع موسى بن موسى ، فدخلوا بلادهم ووصلوا إلى ألبنة
والقلاع ، فافتتحوا بعض حصونها وعادوا

وفي سنة ثلاث وأربعين خرج أهل طليطلة واقتتلواهم ومسعود
ابن عبد الله العريف فانهزم أهل طليطلة وقتل أكثرهم وحُبل إلى
قرطبة سبعمائة رأس

ذكر خروج المجوس

إلى بلاد الإسلام بالأندلس

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين خرج المجوس في المراكب
إلى بلاد الأندلس ، فوصلوا إلى إشبيلية وحلّوا بالحاضر وأحرقوا
الجامع ، ثم جازوا إلى أعلنة ، ثم عادوا إلى الأندلس فانهزم أهل
تلميرا ، ودخلوا حصن أريولة (٣) ثم تقدموا إلى خليط أفرنجة

(١) نفع الطيب ١ : ٣٢٨ والكامل ٥ : ٢٩٤

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٩٦

(٣) Orihuela في نواحي تلمير قريبة من البحر المتوسط وفي موضع كما جاء في -

فأغاروا وأصابوا من النهب والسبي كثيرا ، ثم انصرفوا فلقبيهم
مراكبُ الأمير محمد فقاتلوهم وأحرقوا مركبتين من مراكب
المجوس ، وأخذوا مركبتين وغنموا ما فيهما ، فجَدَّ المجوسُ
عند ذلك في القتال واستشهد جماعةٌ من المسلمين ، / ومضت مراكب
المجوس حتى وصلوا إلى مدينة بنبلونة فأصابوا صاحبها غرسية
الفرنجي فَقَدَى نفسه بتسعين ألف دينار .

وفي سنة سِتْ وأربعين ومائتين سار محمدٌ في جيوشٍ عظيمةٍ
إلى بلد بنبلونة فوطىء بلادها ودوخها وخرب ونهب وقتل ، وافتتح
حصوناً وأصاب في بعضها فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة
عشرين سنةً ثم أطلقه إلى بلده ، وأقام محمد بأرض بنبلونة اثنين
وثلاثين يوما .

وفي سنة سبع وأربعين سار جيشُ المسلمين إلى بلد برشلونة
وهي للفرنج فأوقعوا بأهلها ، فأرسل صاحبها إلى ملك الفرنج
يستمدّه فأرسل إليه جيشاً كثيفاً ، وأرسل المسلمون يستملون
فأتاهم المددُ فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالاً شديداً ، فملكوا أرباضها
وبرجّين من أبراج المدينة ، وقُتِل من المشركين مالا يُحصى كثرةً
وعاد المسلمون بالظفر والغنيمة .

وفي سنة تسع وأربعين ومائتين جهّز محمدٌ جيشاً مع ابنه إلى

= الغرب ٢ : ٢٨٦ كأنه اقتطع بين جنبه الخلود ! ويقال إن لها قلعة شديدة الامتناع ،
وقد وردت في ١ ، ف كافي الكلل ٥ : ٣٠٠ « أريواله » بصحيف ، وأما في ١١٩ فقد
رست « أريواله » .

مدينة ألبّة والقلاع من بلد الفرنج فغنموا وافتتحوا حصونا منيعة .
 وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين سَيرَ محمدُ جيشاً إلى بلاد
 المشركين في جُمادى الآخرة وقصلوا الإملاحة ، وكانت أموال لُذريق
 بناحية ألبّة والقلاع . فلما عمّ المسلمون بلدَهم بالخراب والنهب
 / جمع لُذريق عسكره وسار إليهم فالتَقُوا بموضع يقال له فجج المكون^(١) ،
 به تعرف هذه الغزاه ، واقتتلوا فكانت الهزيمة على المشركين ثم اجتمعوا
 بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد
 القتال فانهزم الفرنج لا يلوون على شيء ، وتبعهم المسلمون يقتلون منهم
 ويأسرون ، وكانت هذه الواقعة في ثاني عشر شهر رجب ، وكان عدد
 ما أُخذ من رؤوس القتلى ألفين وأربعمائة رأس وتسعين رأساً ، وكان
 فتحاً عظيماً .

٢٠١-١

وفي سنة تسع وخمسين ومائتين سار محمد إلى طليطلة وحصرها
 - وكان أهلها قد خالفوا عليه - فطلبوا الأمان فأمنهم وأخذ
 رهائنهم .

وفيها خرج أهل طليطلة إلى حصن سكيان وفيه سبعمائة من
 البربر وأهل طليطلة في عشرة آلاف ، فلما التحمت الحرب بينهم
 انهزم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو أحد مقدّمى أهل طليطلة

(١) كذلك ، ف صفحة ١١٤ - أ ، ك صفحة ١١٩ وفي الكامل ٥ : ٣٧٠

و المرويين ،

فتبعة أهلها في الهزيمة، وإنما انهزم لعداوة كانت بينه وبين مقدم آخر اسمه طريشة فأراد أن يوهنه بذلك فقتلوا أعظم قتل.

وفيها عاد عمرو بن عمرو بن عمرو الأندلسي إلى طاعة الأمير محمد، وكان مخالفا عليه عدة سنين. فولاه محمد مدينة أشقة^(١).

وفي سنة ست وستين ومائتين أمر محمد بإنشاء مراكب / بنهر قرطبة وحملها إلى البحر وسيرها إلى البحر المحيط ليسير منه ٢٠١-ب إلى بلاد جليقية فلما دخلته تقطعت، فلم يجتمع منها مركبان، ولم يرجع منها إلا اليسير!

وفي سنة سبع وستين ومائتين خالف عمر بن حفصون على الأمير محمد بن عبد الرحمن فخرج إليه جيش تلك الناحية وعاملها، فقاتلوه فهزمهم. وقوى أمره وشاع ذكره، وأتاه من يريد الشر والفساد، فسير إليه محمد عاملا آخر في جيش فصالحه عمر، وطلب العامل كل من كان له مساعدة لعمر، فأهلكه، ومنهم من أبعدته، واستقامت تلك الناحية.

وفي سنة ثمان وستين سير محمد جيشا إلى المخالفين مع ابنه المنذر فقصد مدينة مرقسطة فأهلك زرعها وخرّب بلدّها. وافتتح حصن روضة، وأخذ منه عبد الواحد الروطى - وهو من أشجع أهل زمانه - وتقدّم إلى دير تروجة وهتكها بالغارة، وقصد مدينة

(١) في الكامل ٥ : ٣٧٠. أشقة ولها وثقة أتت مرت بتاقل

لاردة وقرطاجنة وأحذر هائنهم ، ثم قصد مدينة ألبة والقلاع غافنتج
بهما حصونا ، وعاد بالظفر والنصر والسلامة .

ذكر وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن

كانت وفاته في سلخ صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين وقيل
في يوم الأحد غرة شهر ربيع الأول منها ، وأنه خرج يوم الأحد/ إلى ١-٢٠٢
الرصانة متنزها ومعه هشام بن عبد العزيز فقال له : يا سيدي
ما أطيب الدنيا لولا الموت ! فقال له : يابن اللخناء وهل ملكنا
هذا الذي نحن فيه إلا الموت ؟ ولو بقى من كان قبلنا فمن أين كان
يصل إلينا ؟ ورجع من نزته فحم ومات في بقية يومه ، نقله
ابن الرقيق في تاويخ أفريقية وكان مولد محمد في ذى القعدة سنة
سبع ومائتين وعمره خمسا وستين سنة وثلاثة أشهر وأياما .
وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً .

وكان أبيض مشرباً بحمرة ، ربيع القامة أوقص^(١) ، يخضب
بالحناء والكتم^(٢) وولد له مائة ولد ذكور ، مات عن ثلاثة وثلاثين
منهم . وكان ذكياً فطنا بالأمر المستبهمة ، محباً للعلوم ، مؤثراً
لأهل الحديث ، عارفاً حسن السيرة . قال ابن مخلد^(٣) الفقيه :

(١) أوقص : قصير المتى ، ويقال وقص عنقه أى كسرها (القاموس المحيط)

(٢) الكتم : نبات يخلط بالحناء ويخضب به الشعر ، وإذا طبخ بالماء كان منه مداد
للكتاب .

(٣) هو أبو عبد الرحمن الأندلسي بق بن مخلد له مسند روى فيه عن ألف وسبعمائة صحابي
(البداية والنهاية ١١ : ٥٦) .

ما كلمت أحداً من الملوك أكمل عقلاً ولا أبلغ من الأمير محمد بن عبد الرحمن ، رحمه الله تعالى . وكانت وفاة محمد في خلافة المعتمد على الله العباسي .

ذكر امارة المنذر بن محمد

هو أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد اسمها ايل (١) ، وهو السادس من أمراء بني أمية بالأندلس . قام بالأمر في يوم وفاة أبيه في غرة شهر ربيع الأول سنة ثلاث ومسيعين ٣٠٢-ب ومائتين ، وقيل بربيع له بعد وفاة أبيه بثلاث ليال وخالف عليه ابن حفصون - وقد ذكرنا خلافة على أبيه - وتحصن عمر بن حفصون بطليطلة ، فسار المنذر إليها وأحرق بها ؛ فأعمل ابن حفصون الحيلة وسلك طريق المكر والخديعة ، وسأل الأمان ، وأظهر الرغبة في سكن قرطبة بأهله وولده . فأمنه المنذر وكتب له بما أراد ، وفصل لأولاده الثياب . ثم سأل مائة بغل يحمل عليها أثقاله وعياله إلى قرطبة ، فأمر له المنذر بها وسلمت إليه وعليها عشرة من العرفاء .

وارتحل العسكر ، فأخذ ابن حفصون البغال وقتل العرفاء ، وعاد إلى مسيرته الأولى . فعقد المنذر على نفسه أنه لا أعطاء صلحا ولا عهداً إلا أن يُلْفَى بيده وينزل على حكمه ، وأمر بالسكنى ،

وَأَنْ تَرُدَّ أَسْوَاقَ قَرْطَبَةَ إِلَى طَلِيظَلَّةَ . وَدَامَ الْحَصَارُ ، فَمَاتَ الْمُنْذَرُ وَهُوَ يَحَاصِرُهُ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ فِي نِصْفِ صَفَرٍ . وَعُمُرُهُ نَحْوًا مِنْ مِائَتٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَوَلَايَتُهُ سَنَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَحَدُ عَشَرَ شَهْرًا ، وَأَيَّامًا . وَكَانَ أَسْمَرًا طَوِيلًا ، جَعْدًا كَثَّ اللَّحْيَةُ ، بَوَاجِهِهِ أَثَرُ جَدْرَى ، وَخَلْفَ سِنَةِ أَوْلَادٍ ذُكُورًا . وَقِيلَ لَمْ يَعْقِبْ فَوْلى بَعْدَهُ أَخُوهُ ! (١)

١ / ذِكْرُ أَمَارَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

٢٠٣

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ابْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا عَشَارُ ، وَهُوَ السَّابِعُ مِنْ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةِ بِيَلَادِ الْأَنْدَلُسِ . بَوِيَغَ لَهُ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ الْمُنْذَرِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ فِي مُنْتَصَفِ صَفَرٍ مِنْهَا ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ .

وَلَمَّا بَوِيَغَ لَهُ كَانَ بِالْمَعْسُكِرِ عَلَى طَلِيظَلَّةَ فَرَحَلَ نَحْوَ قَرْطَبَةَ ، وَدَخَلَ الْقَصْرَ بِهَا لثَلَاثَ بَقِيَيْنِ مِنْ صَفَرٍ الْمُؤَرَّخِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الرَّقِيقِ : وَلَمَّا تَوَلَّى أَلْبَّ ابْنُ حَفْصُونَ عَلَيْهِ ، وَحَشَدَ كُورَ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا قَرْطَبَةُ ، وَأَقْبَلَ فَيَمْنُ أَطَاعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُورِ .

(١) فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَائَةِ ١١ : ٥٤ هـ ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مُحَمَّدٌ فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِهِ فِتْنًا وَشَرًّا حَتَّى هَلَكَ .

وخرج إليه الأمير عبد الله في أربعة عشر ألفاً من أهل قرطبة خاصة ، وأربعة آلاف من حشمه ومواليه . فبرز إليه ابن حفصون في سفح الجبل وثار له ، فلم تكن إلا صدمة صادقة حتى أزالوهم عن مراكزهم . ودخل ابن حفصون الحصن كأنه يخرج من بقى فيه ، فثلم فيه ثلثة أخرج منها أهله وما كان له . فلما انتهى ذلك إلى عسكره ولّوا مدبرين لا يلوى أحد منهم على أحد ^(١) فقتلوا قتلاً ذريعاً / ودخل منهم ٢٠٣ - ب جماعة في عسكره فأمر بالتقاطهم وجلس لهم في مظلة فقتل بين يديه ألف صبرا .

وكانت في أيامه فتنة عظيمة ، وكثر قيام الثوار عليه حتى لم يبق في يده إلا مدينة قرطبة وحدها . وخالف عليه أهل إشبيلية وشذّونه ، ولم تبق مدينة إلا خالفت عليه . وعزموا على الدعاء على منابر الأندلس للمعتضد بالله العباسي ، فكتبوا إلى إبراهيم ابن أحمد الأغلب يسألونه أن يبعث إليهم رجلاً من قبيله ، فتناقل عنهم إبراهيم وشغله أيضاً اضطراب أهل أفريقية عليه ، فأمسكوا عن ذلك !

وقلت رجال عبد الله بن محمد ، وذهب من كان يصول به - هو وآباؤه - من مواليهم وأصحابهم ، وقلت الأموال في يده لخروج أهل المدن وامتناعهم من أداء الخراج إليه . وكان خراج الأندلس

(١) يقال « لا يلوى على أحد » لا يقيم عليه ولا ينتظره و « لوى عليه » قصده ووقف عنده ، قال الشاعر :

فلوت خيله عليه وهابوا ليث غاب مقتنا الحديد
راجع القاموس وأساس البلاغة مادة « لوى »

الذى يُؤَدَّى إلى آباءه ثلاثمائة ألف دينارٍ في كلِّ سنةٍ ، فكانوا يُعْطون رجالَهُمْ وخَلَمَهُمْ مائة ألف دينارٍ ، وينفقون في أمورهم ونوَابِهِمْ وجميع ما يعرض لهم مائة ألفٍ ، ويدّخرون مائة ألف (١) . فلما امتنع أهل مدن الأندلس من أداء الخراج إليهم رجعوا إلى تلك الذخائر ينفقونها ، واتصلت عليهم الحروبُ خمس عشرة سنةً فنفدت ذخائرهم واحتاجوا للقروض !

وكانت أيامه على هذه الحال إلى أن توفى ، وكانت وفاته / في يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة ، وعمره سبعون سنةً إلا شهوراً ، ومدة ولايته خمس وعشرون سنةً ونصف شهر وكان مستبداً بآرائه ، مخالفاً لنصحائه ، لئن الجانبِ جداً . بلغ من لينه أن ابنه مطرفاً قتل أخاه محمد بن عبد الله والد الناصر فلم ينكر عليه ذلك ، بل قال له : قد سوّغتُ قتلَ أخيك فالله الله في ابن أُمِيّة (يعنى وزيره) فإنك إن قتلته قتلته به ! ثم حنّ ابن أُمِيّة من مطرف ، وكان مطرف قد عزم على خلعه فلم يمكنه ذلك لمكان ابن أُمِيّة ، فعمل عليه حتى قتله . ولما مات عبد الله ولي بعده ابنُ ابنه عبد الرحمن .

ذكر امارة عبد الرحمن بن محمد

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد اسمها مُرْنة ، وهو الثامن من أمراء بني أُمِيّة بالأندلس .

(١) راجع نفح الطيب ١ : ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٩ .

ببيع له بعد وفاة جدّه ، في مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة .
وقال ابن الرقيق إنه أخ لعبد الله بن محمد ، وليس بصحيح !
وينقض ذلك عليه أنه قال فيه : ولي وهو ابن أربع وعشرين سنة
ووفاة محمد بن عبد الرحمن قبل مولد عبد الرحمن هذا بأربع
سنين ، وأظنه أشكّل عليه أمره ، والتبس عليه محمد بن / عبد الله ٢٠٤-ب
بجدّه محمد بن عبد الرحمن ، والله تعالى أعلم . .

قال^(١) : ولما ولي عبد الرحمن هذا تَلَقَّبَ بِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الناصر لدين الله ، وهو أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ .
وكان من قبله يُسَمَّونَ بَنِي الْخِلاَئِفِ ، وَيُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ وَيُخْطَبُ
لَهُم بِالْإِمْرَةِ فَقَطْ . وَإِنَّمَا تَسَمَّى هَذَا بِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لما بلغه ضَعْفُ
الْخِلاَفَةِ بِالْعِرَاقِ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وظهورُ الشَّيْعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ ،
ودعائِهِمُ لِلْمُهْدِيِّ . فكان في ذلك الوقت ثلاثة خلائف تَلَقَّبَ كُلُّ
مِنْهُمْ بِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فالْمُقْتَدِرُ بِالْعِرَاقِ ، وَالْمُهْدِيُّ بِالْقَيْرَوَانِ ، وهذا
الناصر بِالْأَنْدَلُسِ .

قال : وولي والأندلس نار تضطرم ، وجمرة تترقد شقاقا
ونفاقا ، فأحمد نيرانها وسكن زلازلها ، وغزا غزوات كثيرة ،
وكان يُشَبِّهُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ . ولم يجد من المال ما يستعين به
على مصالح جيشه ، فاتفق أن صاحب الدُّوجَرِ^(٢) أغار على قرطبة
في نحو ثلاثمائة فارس فهزمه عبد الرحمن وأسرهُ . فسلم إليه الحصن
بجميع ما فيه فتقوى به ، ثم التقى مع ابن حفصون في وادي التفاح

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣٦٠ وانظر نفح الطيب ١ : ٣٣٠ .

(٢) جافى المغرب ٢ : ٢٢٧ أن دوجر على وادي للمرية بينهما اثنا عشر ميلا ، وهو في الغرب منها .

بجيان - وكان ابن حفصون في عشرين ألف فارس - فهزمه عبد الرحمن وأفنى أكثر من معه قتلاً وأسرا .

وبعث إلى المغرب الأوسط ، فملك سبته وفاس وسجلماسة وعمرها . وغزا الروم بعد ذلك اثنتي عشرة غزوة حتى دوح بلادها ، ووضع عليهم [جزية] ^(١) يؤدونها . وكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألف صانع يصنعون له في مدينته التي بناها وسماها الزهراء ، وهي على ثلاثة أميال من قرطبة ، أسندها إلى سفح الجبل وساق المياه إليها . وقسمها أثلاثاً ، فالثالث الذي يلي الجبل لقصوره ومنازله ، والثالث فيه دور خلعهم وكانوا اثني عشر ألفاً بمناطق الذهب والسيوف المحلاة يركبون لركوبه وينزلون لنزوله ، والثالث بساتين تحت مناظره وقصوره . وجلب إليها أنواع الفواكه ، قال ^(٢) : ومن غريب ما بناه فيها مجلس مشرف على البساتين مرفوع على العمدة مبنئ بالرخام المجزّع ، مصفح بالذهب ، مرصع باليواقيت والجواهر . وصنع أمام المجلس بحراً ملاء بالزئبق فكان النور ينعكس منه إلى المجلس ، فحضر إليه القاضي بقرطبة الفقيه منذر بن سعيد البلوطي ^(٣) فقراً « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقفاً من فضة ومعارج

(١) في سائر النسخ « جاليه » بتعريف في يبلو ولماها « جياية » أو « جابية » بمعنى « محمية » وما هنا يدل على السياق فأثبتناه .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٢ .

(٣) ينقل المقرئ البلوطي صورة رائعة للعدل والنزاهة والذكاء والقرّة والعزّة (نفع الطيب ١ : ٣٥١ ، ٣٥٢) ويصفه ابن الأثير بأنه كان إماماً فقيهاً خطيباً شامراً فصيحا ذا دين متين مات سنة ٣٦٦ (الكامل ٧ : ٨٢)

عليها يظهرون » إلى قوله تعالى « والآخرة عند ربك للمتقين » (١)
فقال له وعظت فأحسنت ! وأمر بنزع الصفائح .

قال (٢) : وكمل بناء الزهراء في اثنتي عشرة سنة ، بآلف
بناء في كل يوم ، مع كل بناء اثنا عشر رقاصا ، وسكنها خمسمائة
وعشرين سنة .

وطالت أيام الناصر ، وتمكن ، واتسعت مملكته . / وكانت وفاته ٢٠٥ هـ
في ليلة الأربعاء لليلتين ، وقيل لثلاث خلت من شهر رمضان المعظم
سنة خمس مائة وثلاثمائة بالزهراء . وحُمل إلى مدينة قرطبة ، فدفن
بها مع أسلافه من بني أمية . ومولده في يوم الخميس لتسع بقين
من شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائتين ، وكان عمره ثلاثا
وسبعين سنة ، ومدة ولايته خمس مائة وستة أشهر وأياما .

وكان تسهما صارما ، لم يزل منذ ولي يستذل المتغلبين حتى
خلصت له جميع الأندلس في خمس وعشرين سنة من ولايته . وكان
له من الأولاد الحكم ولي عهده ، وعبد الجبار ، وسليمان ،
وعبد الملك ، وعبيد الله ، والمغيرة ، ولما مات ولي بعده ابنه (الحكم)

ذكر امارة الحكم المستنصر بالله

هو أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

(١) سورة الزخرف آيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٢ .

الداخل ، وأمه أم ولد اسمها مرجان ، وهو التاسع من أمراء بني أمية ببلاد الأندلس . يبيع له في شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة في جميع مدن الأندلس وثغورها ، فأحسن إلى الرعية ، وعدل فيهم وضبط الثغر ، وغزا الروم في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ففتح مدناً جليلة ، وسبى وغنم / وانصرف غانماً . ٢٠٦-١

ثم أصابه الفالج فتغيّب عن الناس ، فلما كان في يوم السبت لعشر خلون من المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة أظهر موته ، وقيل توفي فجأة ليلة الأحد لأربع خلون من صفر منها . ومولده في يوم الجمعة مستهل شهر رجب سنة اثنتين وثلاثمائة ، فمات وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، ومدة ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام .

وكان حسن السيرة ، جامعاً للعلوم مكرماً لأهلها ، وجمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لم يجمعه غيره من الملوك قبله ، واشتراها من سائر الأقطار ، وغالى في أثمانها ، فحملت إليه من كل جهة . وكان قد رام قطع الخمر ، من الأندلس ، وأمر بإراقته وشدد في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله . فقبل له إنزال تعمل من التين وغيره ، فتوقف في ذلك . وهو الذي رحل إليه أبو علي القالى البغدادى صاحب الأمالى ^(١) ، وأبو بكر

(١) توفي القالى بقرطبة سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وحين وضع أماليه أهداها للحكم على ما قرر في مقدمتها وقال عنه « فرأيت أيدى الله أجل الناس بعد أبيه خطراً ، وأرفهم قنراً ، وأوسهم كنفاً ، وأفضلهم سلفاً ، وأغزهم علماً ، وأعظمهم حلماً » .

الزبيدي مُختَصِرُ كتاب العين^(١) . وكان منذر بن سعيد البلوطي قاضية وقاضى أبيه ، فلما توفي ولي القضاء ابن بشير الفقيه ، فاستمرط على المستنصر نفوذ الحكم فيه فمن دونه .

فكان من أخباره أن امرأة منقطعة كان لها أريضة تجاور بعض قصور الأمير ، فاحتاج إليها لينى فيها شيئاً مما أراد بناءه ، فساومها الوكيل في البيع / فامتنعت ، فأخذها الوكيل قهراً وبني فيها ٢٠٦-ب منظره بديعة وأنفق عليها جملة وافرة . فوقفت المرأة لابن بشير القاضى وقصّت عليه قصتها ، فركب حماره وجعل عليه خرّجاً كبيراً لا يطيق حمّله إلا جماعة من الرجال . وقصد الزهراء والمستنصر فى تلك المنظره ، فدخل عليه فقال : ما جاء بالقاضى فى هذا الوقت ؟ فقال : أريد ملء هذا الخرج من تراب هذا الموضع ! فتعجّب منه الحكم وأمر فمليء الخرج ثم خلا القاضى به فقال : أدل عليك إدلال العلماء على الملوك العلماء أن لا ينقل هذا الخرج على الحمار إلا أنا وأنت ! فضحك الحكم وقال : كيف نطيق ذلك أيها القاضى ؟ فبكى ابن بشير وقال : فكيف نطيق أن نطوق هذا المكان أجمعه من سبع أرضين فى حلقى وحلقك يوم القيامة وأنا شريكك فى الإثم إن رضيت هذا الحكم ؟ وقصّ عليه القصة :

(١) كتاب العين أحد اكتشافات خليل بن أحمد البصرى المتوفى سنة ١٧٥ رام به ضبط اللغة وحصرها ففسقه بحسب مخرج الحروف مع تقسيمه إلى أبواب ، وقد جاء الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ فشارك فى الأعمال التى دارت حول كتاب خليل ، وقام باختصاره مع تنظيمه ونصحيته . وإن يكن قد سار فيه على ترتيب العين للحروف بكل دقة ، وقال فى مقدمته على ما جاء فى النسخة التى صوره جمع اللغوى وحفظها تحت رقم ٢٠٩٨ « هذا كتاب أمر بحسنه وتأليفه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله » .

فبكى الحكم وقال : وعظمت فأبلغت أيها القاضي ! ثم خرج
عن المكان وسلمه إلى المرأة بكل ما بُنى فيه وغُرس .

قال : وكتب إليه العزيز بن المعز صاحب مصر كتابا يشتمه
فيه ويسبه ، فكتب إليه : أما بعد فإذك عرفتنا فهجوتنا ،
ولو عرفناك لهجوناك ، والسلام » وكتب إليه قصيدة يفتخر فيها منها :
ألسنا بنى مروان كيف تَبَدَّلَتْ

بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
إذا وُلِدَ المولود منا تَهَلَّلَتْ
له الأرض واهتزت إليه المنابر

أو كان للحكم من الأولاد هشام ، وسليمان ، وعبد الله . وحاجبه
جعفر الصملي ، المعروف بالقنّى ! ٢٠٧-١

معين التارخ ^{جزوب} ذكر اماره هشام المؤيد بالله لأهل التارخ

هو أبو الوليد هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله ،
وهو العاشر من أمراء بنى أمية ببلاد الأندلس . بويع له بولاية
العهد في حياة أبيه في غرة جمادى الأولى سنة خمس وستين وثلاثمائة .
وجددت له البيعة في يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرم
سنة ست وستين وثلاثمائة . وقيل في يوم الإثنين لخمس خلون
من صفر منها ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة باتفاق الوزراء . وعلموا
أن عمه المغيرة بن عبد الرحمن ينازعه في الأمر وينطاول إلى بعض
نعمائه عقيد له ويرى أنه أحق بذلك منه ليصغر سنه ، فهجم عليه في

منزله فذبح . وكان الذى تولى قتله محمد بن أبى عامر الوزير ، فصعب الأمور لهشام .

ولما ولى احتيج إلى مدبر للمملكة ، فوقع الاختيار على جعفر ابن عثمان المصحفى ، فقلده هشام حجابته وتدبير أمره ، وأشرك معه فى الحجابة غالب بن عبد الرحمن . وقلد المنصور بن أبى عامر الوزارة - وكان على الشرط والسكة - فانحط المصحفى وارتفع ابن / أبى عامر ، ثم عزل المصحفى عن الحجابة فى يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين وحقق وطولب بمائة ألف دينار ، وتوفى فى المطبق بعد خمسة أعوام ، فكانت مدة ولايته ستة أشهر وثلاثة أيام .

ذكر أخبار المنصور محمد بن أبى عامر

قال (١) : ولما عزل المصحفى اتفق الرأى على تقديم محمد بن أبى عامر المعافرى (٢) ، فولى الحجابة فى يوم الإثنين المؤرخ ، وبقي غالب شريكه إلى أن قُتل وتفرد المنصور بالأمر .

قال بعض المؤرخين : كان محمد بن أبى عامر من الجزيرة الخضراء (٣) ، وله بها قدر وأثرة وورد وهو شاب إلى قرطبة واشتغل بالعلم والأدب ، وسمع الحديث وتميز . وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالى الأمور ، وكان يحدث من يختص به

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٣ وراجع نفع الطيب ١ : ٣٥٨ ، ٣٦٥ .

(٢) المعافرى : نسب إلى معافر وهو حى كبير من اليمن

(٣) انظر حوادث ثلاث وأربعين ومائة بالأندلس .

بما يقع له من ذلك . وله أخبار كثيرة أورد منها أبو عبد الله الحميدى -
 في كتابه المترجم بالأماني الصادقة - كثيرا قال : ثم علت حاله ،
 وتعلق بوكالة صُبُح أم هشام المؤيد ، والنظر في أموالها ، فزاد
 أمره في الترقى إلى أن مات وولى ابنها هشام ، فخافت اضطراب
 الأمر عليه ، فضمن لها سكون الحال وزوال الخوف / واستقرار
 الملك لابنها . فسادت المقادير ، وأمذته المرأة بالأموال فاستمال
 العساكر إليه ، فصار صاحب التدبير والمتغلب على الأمر .

١-٢٠٨

وحجب هشامًا وتلقب بالمنصور (١) وأقام الهيبة ، فدانت
 له أقطار الأندلس كلها ، ولم يضطرب عليه شيء منها لعظم هيئته
 وحسن سياسته . وكان يدخل إلى القصر ويخرج فيقول : أمر
 أمير المؤمنين بكذا ونهى عن كذا ! فلا يُعْتَرَضُ عليه في مقال
 ولا يُنَازَع في أفعال .

وكان إذا غزا بلد الروم وكل هشام من يمنعه من التصرف
 والظهور والإذن في دخول أحد من الناس إلى أن يعود من سفره ،
 فإذا كان بعد سنين أركبه وجعل عليه بُرْنَسًا وألبس جواربه
 البرانس حتى لا يُعْرَفَ منهن ، ويوكل بالطرقات من يطرد الناس
 عنها حتى ينتهى إلى الزهراء وغيرها من المنزهات ، ثم يعيده على
 مثل ذلك . وليس له من الملك إلا الدعاء على المشايير ، وإثبات أسموه

(١) في نفع الطبيب ١ : ٣٨٤ « وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والمخطوطات
 والأوامر باسمه » .

على السبكة والطرر ، والمنصور على أتم ما يكون من الحزم وسد الثغور وإقامة العدل وشمول الناس بالإحسان والفضل . فلم يُر في الضبط وحسن السياسة وأمن السبيل وتوفية حقوق الرياسة بجزيرة الأندلس كأيامه !

ودامت له هذه الحال بضعا وعشرين سنة إلى أن توفي ، وكانت وفاته في أقصى الثغور / بمدينة سالم^(١) في سنة ثلاث وتسعين ٢٠٨ هـ وثلاثمائة في طريق الغزو .

قال (٢) : وكان رحمه الله تعالى له مجلس في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام بحضوره مدة بقاته بقرطبة ، قال وختن أولاده فختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي ومن أولاد الضعفاء مالم تُخص عدتهم ، وأنفق فيه خمسمائة ألف دينار .

وكان ذا همة عالية في الجهاد ، مواصلا لغزو الروم (٣) ، وربما خرج لصلاة العيد فيقع له فيه الجهاد ، فلا يرجع إلى قصده ويركب من فوره بعد انصرافه من الصلاة ، فلا يصل إلى أوائل الدروب إلا وقد لحقه كل من أراد من العساكر . وغزا ستا وخمسين غزاة ذكرت في المآثر العامرية بأوقاتها ، وفتح فتوحا كثيرة ، ووصل إلى معاقل جمّة امتنعت على من كان قبله . وملأ الأندلس بالغنائم والسبي .

(١) كان صاحب مدينة سالم في أيامه شريكه غالب المصطفى ، وكان قد تزوج ابنته أسماء .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٤

(٣) يقال إنه غزا ستا وخمسين غزوة لم تنتكس له فيها راية (نفع الطيب ١ :

قال (١) : وكان إذا انصرف من قتال العدو إلى مُرادقه يأمر
بِنَقْضِ غِبار ثيابه التي شهد فيها الحرب ، ويُجمَعُ ويُحتَفَظُ به .
فلما حضرته الوفاة أمر أن ينشر على كفنه ما جمع من ذلك إذا وضع
في قبره .

قال : وبني مدينة الزاهرة بقرب قرطبة ، وانتقل إليها
بأهله وولده وحواشييه . وكان قد يُخَوِّفُ من بني أمية أن يشوروا
به ، فأخذ في تقتيلهم صغاراً وكباراً ، عملاً في الباطن لنفسه وفي
الظاهر إشفاقاً على المؤيد منهم ، حتى أفنى من يصلح منهم / للولاية ،
وفرق الباقيين في البلاد . فكان ممن هرب الوليد بن هشام الخارج على
الحاكم بمصر ، الملقب ببأي زكوة . ٢٠٩ - ١

وأخبار المنصور طويلة مشهورة لو استقصيناها لطلال الكتاب ،
وفيما نبهنا عليه من أخباره وذكرناه من آثاره كفاية . وأخبرني بعض
أهل الأندلس أن على قبره مكتوباً :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
فإن الله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحصى الثغور سواء
ولامات رحمة الله - قام بالأمر بعده ولده .

ذكر المظفر أبو مروان عبد الملك

قال (٢) : وكان الناس قد تجمعوا وقصدوا الزهراء وقالوا :
لا بُدَّ من ظهور المؤيد وولايته الأمر بنفسه ! فلما بلغه ذلك آثر

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٧

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٩٤

الراحة والدعة ، وأحضر عبد الملك وخلع عليه وقلّده ما كان بيد أبيه من الولاية ، ونعته بالحاجب المظفر سيف الدولة . وأمر فاتن (١) الصغير الخادم أن يخرج إلى المجتمعين فيصرفهم ويخبرهم برضائه بحجبة المظفر ، فأخبرهم ، فأبوا !

وخرج المظفر فقابلته الفئة المجتمعمة فهزمهم ، وأقام في الحجبة إلى أن توفي . لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة / تسع وتسعين ٢٠٩-ب وثلاثمائة بموضع يقال له القبران (٢) في غزوته ، فحمل في تابوت ودفن بالزاهرة وعمره ست وثلاثون سنة . ومدة ولايته ستة أعوام وأربعة أشهر وأيام وغزا الروم ثمان غزوات وبأيامه تضرب المثل بالأندلس عدلا وأمنا .

ولما مات وليّ الحجبة عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر وهو أخو المظفر ونُعت بالحاجب المأمون ناصر الدولة ، ويلقب بشنشلول فافتتح أموره بالخلاعة والمجانة . وكان يخرج من منية إلى منية ومن متنزه إلى متنزه بالملاهي والمضحكين . ويجاهر بشرب الخمر والتهتك . ثم طلب من المؤيد أن يدعوه له ويوليّه العهد بعده ، وهذّده بالفتك به إن لم يفعل ، وكثير الإرجاف بذلك .

ثم ركب شنشلول من الزاهرة ومعه سائر أهل الخدمة بمساحهم ، والوزير وقاضى الجماعة ، والفقهاء والعدول ، وأصحاب الشرط ، ووجوه الناس على طبقاتهم . وسار إلى باب القصر بقرطبة ، وحضر

(١) كذا في ١ ، ف صفحة ١١٨ - ١ ، أما في ك ١٢٥ فالاسم « قاتن » .

(٢) كذا في سائر النسخ المصودة .

المؤيد هشام ، وأخرج كتاباً قُرئ به بحضرته وهو بخط الوزير أبي عمر (١) ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين / إلى الناس عامة ، وعاهد الله - عز وجل - عليه من نفسه خاصة ، وأعطى به صفة يمينه بيعة تامة ، بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة ، وأهمه ما جعل الله إليه من الإمامة وعصب به من أمره ، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف ، وخشى إن هجم محتوم ونزل مقدور به ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوى إليه وملجأً تنعطف عليه .. أن يكون بقاء ربه - تبارك وتعالى - مفرطاً فيها ساهياً عن أداء الحق إليها ونقض عند ذلك من طبقات الناس من أحياء قريش غيرها ممن يستوجب بدينه وأمانته وهديه وصيانيته ، بعد أطراح الهوى والتحرى للحق والتزلف إلى الله - جل جلاله - بما يرضيه . بعد أن قطع الأواصر وأسخط الأقارب فلم يجد أحداً هو أجدر أن يقلده عهده ويفوض إليه الخلافة بعده ، يفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مركبه وعلو منصبه ، مع تقواه وعفافه ، ومعرفته وإشوافه ، وحزمه وتقائه .. من المأمون الغيب الناصح الجيب ، أبي المطرف عبد الرحمن ابن محمد المنصور أبي عامر بن أبي عامر ، وفقه الله إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - قد ابتلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ، فرآه مسارعاً في الخيرات سابقاً في الحلبات مستولياً على الغايات جامعاً

٢١٠-١

٢١٠-ب

(١) في نفع الطيب ١ : ٤٠٠ من إنشاء أبي حفص بن برد ، صورة المهد تختلف بعض الشيء عما هو مثبت هنا .

للمأثرات ! ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه .. فلا حَرَوَ أن يبلغ من سُبُل البرِّ مداه ، ويحوى من سبيل الخير ماحواه . مع أن أمير المؤمنين - أكرمه الله - بما طالع من مكنون العلم ، ودعاه من مخزون الأمر ، أُمِّل أن يكون قد ولى عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله ابن عمرو بن العاص وأبو هريرة أن النبی صلی الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه . فلما استوى منه الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مهربا ، ولا إلى غيره معدلا .. خرج إليه من تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ، طائعا راضيا مستخيرا مجتهدا . وأمضى أمير المؤمنين عهده هذا وأجازه وأنفذه ، ولم يشترط فيه مثنوية^(١) ولا خيارا ، وأعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهدَ الله وميثاقه ودمه وذمة نبيه محمد صلی الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء الراشدين من آله وآبائه ، وذمة نفسه .. أن لا يبدلَ ، ولا يغيرَ ولا يحوّل ، ولا يزول ، وأشهد الله تعالى وملائكته على ذلك ، وكفى بالله شهيدا .. وأشهد من وقع اسمه في هذا وهو جائز الأمر ، ماضى القول والفعل / بمحض من ولى عهده المؤمنون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور - وفقه الله - وقبوله ما قلّده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

ثم كتب الوزراء والقضاة والفقهاء شهادتهم بذلك ، فلما تمَّ

له ما أراد من ولاية العهد ودُعي له على المنابر ، أخذ في التخليط وارتكاب المحرمات . ثم عزم على الغزاة ، وتقدم إليه هشام أن يتعمم هو وسائر الجند ففعل ، وخرجوا في العمائم ^(١) - وكانوا بها في أقبح زيٍّ لمخالفة العادة - وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلَّت من جمادى الأولى .

وسار للغزاة وهي المعروفة بغزوة الطين ، وقيل إنه انتهى إلى طليطلة ، فأتاه الخبر بقيام محمد بن هشام بن عبد الجبار وخلعه للمؤيد ، وأنه أخرب الزاهرة ، فخالف الناس لنفسه ، ثم تفرقوا عنه ، والتحقوا بمحمد بن هشام وكان من أمره وأمر المؤيد ما نذكره في أيام محمد بن هشام بن عبد الجبار !

ذكر أماره محمد المهدي

هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، وهو الحادى عشر من ملوك بني أمية بالأندلس استولى / على الأمر في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ونحن نذكر سبب ذلك وكيف كان خروجه وكيف استولى على الأمر ، لأنَّ في ذلك من الغرائب والحوادث ما يتعين إيراده بسببه ويفيد تجربته ، ويعتبر به مَنْ يتأمله ، ويعلم أنَّ المقادير تجري على غير قياس ، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه .

وكان ابتداء هذا الأمر أنَّ هشام بن عبد الجبار والد محمد المهدي

هذا قد ترشح لطلب هذا الأمر لنفسه ، وعزم على خلع هشام المؤيد ، فبلغ ذلك المظفر عبد الملك فقتل هشام بن عبد الجبار قبل أن يستحكم أمره في سنة تسع وتسعين . وكان محمد بن هشام جسوراً مقداماً شجاعاً ، ولم يتهياً له أمر لهيبة عبد الملك واجتماع جنده ، فلم يزل محمد يترصد الأمر حتى مات عبد الملك وولى عبد الرحمن . وتطاول لولاية العهد ونالها ، وخرج للغزاة - على ما قدمنا - فخلا البلد من الجند . وقوى عزم محمد رجلان وهما حسن بن حنّ الفقيه ومطرف بن ثعلبة . وكان محمد يعاشر في مدة استشاره قوماً من الصعاليك لهم إقدام على كل عزيمة ، قدس بعضهم إلى بعض وأعطاهم من خمسة مثاقيل إلى عشرة وأكثر من ذلك ، فاجتمع له منهم نحو أربعمئة رجل . وطاوعه على ذلك جماعة من المروانيين ٢١٢ - ١ لخروج الأمر عنهم وصرفه إلى أبي عامر .

وكان عبد الرحمن قد رتب أمور البلد قبل مسيره ، وجعل النظر في الأموال وتدبير البلد إلى أحمد بن حزم وعبد الله بن سلمة المعروف بابن الشرس ، وجعل على المدينة عبد الله بن عمرو المعروف بابن عسفلاجة وهو أحد بني أبي عامر . وظن شنشول أن الأمور لا تتغير وأن دولتهم قد استحكمت أمرها ، هذا ومحمد في تقرير حاله ، فشنع الناس أن قائما يقوم على بني الأغلب ، فبلغ ابن عسفلاجة الخبر فأظهر البحث وبالح في الكشف فلم يتبين له شيء وهجم دوراً كثيرة فلم يقف على أمر واضح .

فلما كان في يوم الثلاثاء النصف من جمادى الآخرة مات ابن عبد الجبار بقرطبة ، وتقدم إلى ثلاثين رجلاً من كفأة أصحابه

أن يشتغلوا على سيوفهم ويدخلوا من باب القنطرة متفرقين حتى يقفوا على السترة التي تشرف على الرصيف والوادي ، كما يفعل من يريد التفرج بذلك المكان . وأمرهم أن لا يحدثوا حدثاً حتى يأمرهم وأنذر سفهاءه وواعدهم ساعة قبل زوال الشمس ، ففعل أولئك النفر ما أمرهم به ، وكان من سواهم على انتظار الوقت الذي حدده لهم . وركب محمد بغلته وعبر القنطرة وحده حتى انتهى إلى باب الشكال ومعه نفر من أصحابه كانوا قياماً على باب القنطرة ٢١٢-ب / فافتحموا باب الشكال فأنكرهم حرس الباب وأرادوا منعهم ، فبادر محمد ودخل . وسل أولئك النفر سيوفهم وقصدوه ، فقصدهم صاحب المدينة ابن عسقلانة ، فيقال إنه كان يشرب مع حارسين له ، فثأه محمد وهو على أهبة فقتله واحتزوا رأسه . وتنازع أصحاب محمد من جهاتهم إليه .

واتصل الخبر بأهل الزاهرة عند العصر وقد عظم جمع محمد من أصحابه ومن اجتمع إليه من العوام وأهل البادية ، فنقب القصر من ناحية باب السباع ومن ناحية باب الجنان ، ولم يقدر حرس القصر على مقاومته .. ووصل إلى القصر من جهة باب السدة وأهل الزاهرة غير مصدقين بالأمر ، وظنوا أنه أمر يدفعه صاحب المدينة إلى أن قوى عندهم الخبر بدخول محمد القصر ، فكان حسبهم اعتصامهم بالزاهرة في ليلتهم .

فلما صار محمد داخل القصر أرسل إليه المؤيد هشام يقول له : تؤمنني على نفسي وأنخلع لك من الأمر ! فقال « سبحان الله

أترانى إنما قمت في هذا الأمر لأقتل أهل بيتي ، وإنما قمت غَضَباً
له ولنفسى وبني عمى ، فإن خلع نفسه طائعا قبلت ذلك ، وليس له
عندى إلا ما يحب .

وأرسل محمد إلى الفقهاء ووجوه الناس فأحضرهم ، وكتب كتاب
الخلع والبيعة لمحمد ، وبات تلك الليلة في القصر وأهل بالس وهى الزهراء
لم يتحرك / منهم أحد ، وكانوا جمعاً كبيراً منهم أبو عمرو بن حزم
وعبد الله بن سلمة وابن أبي عبيدة وابن جهور ، وجماعة من الفقهاء
والوزراء والصقابة - وهم الخصيان - ونفر من الجنود الخزانة والكتاب .

وأصبح محمد فجعل حجابته إلى ابن عمه محمد بن المغيرة ،
وجعل على المدينة ابن عمه أُمَيَّةَ بن إسحاق . وأمرهما بإثبات
كل من جاءهما في الديوان ، فلم يبق أحد حتى أثبت نفسه حتى
الزهاد والعباد وأئمة المساجد وغيرهم وقبضوا العطاء ، وكذلك
التجار الأغنياء . واتبعه سائر أهل البرادى والأطراف ، وأرسل
حاجبه محمد بن المغيرة في خلق من العامة لمحاربة أهل بالس فردوه
أقبح ردٍّ وهزموه إلى داخل قرطبة . ثم كثر العامة فهزموهم إلى بالس ،
ودخلها الحاجب ونهبت ، فسأل الوزراء والصقابة الأمان فأمّنهم
محمد ، فساروا إليه فوبخهم ثم عفا عنهم ورد ابن الشرس
مع الحاجب لنقل ما ببالس من الأموال والأمتعة والأثاث وقد نهب
منه ما لا يحصى ، ونهبت ليلة الأربعاء دور كثيرة للعامة ، ونهب
ما جاوز بالس من دور الوزراء ، وانتُهب ما في الزاهرة حتى قُلِعَتْ
الأبواب والأخشاب ، والحاجب مع ذلك ينقل .

ثم أمر محمد بعد أربعة أيام، بِكَفِّ أَيْدِي الْعَامَةِ عَنِ النَّهْبِ فَمَنَعُوا ،
 ٢١٣-ب / وَتَفَرَّدَ بِقِلِّ مَا يَرِيدُ ، فَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الزَّاهِرَةِ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَخَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَمِنَ الدَّرَاهِمِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ أَلْفَا
 أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْفٍ ، وَوَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ خَوَائِبُ فِيهَا نَحْوُ مِائَتِي أَلْفٍ
 دِينَارٍ ، وَأَطْلَقَتِ النَّارُ فِي الزَّاهِرَةِ لِعَشْرِ بَقِيَيْنَ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ .
 وَخُطِبَ لِمُحَمَّدٍ بِالْخِلَافَةِ وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ حِشَامٍ وَشَنْشُولٍ ، وَقُرِئَ
 بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ كِتَابٌ يُلَغِنُ شَنْشُولَ وَذِكْرُ مَسَاوِئِهِ ، وَقُرِئَ
 كِتَابُ آخَرُ مِنْ مُحَمَّدٍ بِإِسْقَاطِ رُسُومٍ جَارِيَةٍ وَقِبَالَاتٍ مُحَدَّثَةٍ .
 وَصَلَّى مُحَمَّدٌ بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ لِأَرْبَعٍ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ وَدَعَا لِنَفْسِهِ
 وَتَلَقَّبَ بِالْمُهْدِيِّ ، وَقُرِئَ بَعْدَ نَزْوَلِهِ كِتَابٌ عَلَى الْمَنْبِرِ بِالنَّفِيرِ لِقِتَالِ
 شَنْشُولٍ . وَوَصَلَ أَهْلُ الْأَقَالِيمِ مِنْ أَقْصَى الْأَنْدَلُسِ مَظْهَرِينَ عُدَّةَ
 الْحَرْبِ ، وَوَلَّى مُحَمَّدٌ جُنْدَهُ قَوَادِمًا مِنْ طَبِيبٍ وَحَائِكٍ وَجَزَارٍ وَسَرَّاجٍ ،
 وَخَرَجَ بِهِمْ وَنَزَلَ بِفَحْصِ السَّرَادِقِ ، وَأَمَرَ أَهْلَ النُّوَاحِي بِالنَّزُولِ
 حَوْلَ سَرَادِقِهِ .

ذكر أخبار شنشول ومقتله

قال (١) : وأما شنشول فإنه لما بلغه الخبر - وكان قد انتهى
 إلى طليطلة - عاد إلى قلعة رباح (٢) وقد نحاذل عنه الناس ؛ فعزم

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) Calatrava في المغرب ٢ : ٣٩ أنها أحد معارك الأندلس وولاتها كانت تتردد

عليها من طليطلة ، فلما أخذت هذه الولاية عليها من قرطبة

٢١٤-١ على / استجلاب الناس لنفسه فامتنعوا وقالوا : قد خَلَفْنَا مَرَّةً ولا يخلف
 أخرى ! فعلم أنهم خاذلوه ، فدعا محمد بن يعلى الزناني وكان عزم على
 خذلانه فقال له : ماترى فيما نحن فيه ؟ فقال له : أصدقك عن
 نفسي وعن الجند ليس والله يقاتل معك أحداً منهم ! قال ما الدليل
 على ذلك ؟ قال : تأمر بتقديم مطبخك إلى طريق طليطلة وتظهر الرحيل
 إليها فتعلم مَنْ يتبعك ومن يتخلف عنك ! قال : صدقت .

وكان ابن عومس القومس ^(١) مع شنشول يريد قرطبة معاقداً
 له يستنصر به على مَنْ بشاؤه من القمامسة . فلما رأى اضطراب
 حال شنشول أشار عليه أن يرحل معه إلى بلده ، ويكونوا يداً
 واحدة ، ويلجأوا إلى مكان ، فأبى ذلك وقال : لأبُدَّ من الإشراف
 على قرطبة فيأى أرجو أنتى إذا اطلعت عليها اختلفت كلمة محمد ،
 ولى أنصاراً يميلون إلى سلطاني ويحبون ظهورى ! فقال له القومس :
 خذ باليقين ودع الظن ، أمرك والله مُخْتَلٌ وجندك عليك لالك ! فقال :
 لأبُدَّ من المسير إلى قرطبة ! فقال : أنا معك على كراهية لرأيك
 وعِلْمٍ بخطاياك .

وسار شنشول من قلعة رباح والأخبار تتواتر بتظاهر أهل قرطبة
 مع ابن عبد الجبار ، فلما بلغ منزل هاني فارقه عامة البربر ليلاً ،
 وذلك في سُلُخِ جُمادى الآخرة ، ثم فارقه الناس بعد ذلك وبقى
 ٢١٤-ب في نَفَرٍ يسير مِنْ خَدَمِهِ ، وابن عومس في نَفَرٍ من النصارى ،

(١) تكتب أحياناً « القومس » أي القصص برسنا المعروف .

فقال له : سِرْ بنا مِنْ هُنَا قَبْلَ أَنْ يَدْمَمَنَا مَا مَنَعُنَا مِنْ ذَلِكَ !
فَأَبَى شَنْشُولُ وَقَالَ : قَدْ بَعَثْتُ الْقَاضِي فِي طَلَبِ الْأَمَانِ لِي . ثُمَّ تَجَبَّرَ
فِي أَمْرِهِ وَسَارَ إِلَى دَيْرٍ يَعْرِفُ بِدَيْرِ شَوْش ^(١) لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثَلَاثَ
خُلُوفٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ .

وَبَلَغَ خَبْرَهُ مُحَمَّدٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ حَاجِبُهُ فِي مَائَتَتَيْنِ فَارَسَ ، فَأَرْسَلَ
الْحَاجِبُ ابْنَ ذَرَى مَوْلَى الْحَكَمِ فَسَبَقَهُ إِلَى الدَّيْرِ فَصَبَحَهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ،
فَقَالَ شَنْشُولُ لَمَّا عَايَنَهُ وَمِنْ مَعَهُ : مَا لَكُمْ عَلَى سَبِيلٍ ، أَنَا فِي طَاعَةِ
الْمُهْدَى ! فَاسْتَنْزَلُوهُ مِنَ الدَّيْرِ وَسَعَى ابْنُ عُمُسَ وَمَنْ تَبِعَهُمَا ، وَأَخَذَ
نِسَاءَ شَنْشُولٍ - وَهُنَّ سَبْعُونَ جَارِيَةً - فَبَعَثَ بِهِنَّ إِلَى قَرْطَبَةِ ، وَلَحِقَ
الْحَاجِبُ بِابْنِ ذَرَى قَبْلَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ . فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ
نَزَلَ شَنْشُولُ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ الْحَاجِبِ مَرَارًا ، فَقَبَّلَ لَهُ :
قَبْلَ حَافِرٍ قَرَسِهِ ! فَفَعَلَ وَقَبَّلَ رِجْلَهُ وَيَدَهُ ، ثُمَّ حُمِلَ عَلَى غَيْرِ
فَرَسِهِ وَابْنُ عُمُسَ سَاكِتٌ لَمْ يَنْطِقْ ، وَأَشَارَ الْحَاجِبُ بَانْتِزَاعِ قَلَنْسُوَةِ
شَنْشُولٍ عَنْ رَأْسِهِ فَانْتَزَعَتْ .

وَرَجَعَ يَرِيدَ قَرْطَبَةَ ، فَسَارَ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَنَزَلَ وَأَمَرَ
أَنْ يَكْتَفِ شَنْشُولُ فَعَطَفَتْ يَدَهُ عَطْفًا شَدِيدًا فَقَالَ : نَفْسُوا عَنِّي
وَأَطْلِقُوا يَدَيَّ لِأَسْتَرِيحَ سَاعَةً ! فَنَفَسُوا عَنْ يَدِهِ : فَأَخْرَجَ مِنْ خُفِّهِ
سَكِينًا كَالْبَرْقِ فَعَوَّجَ قَبْلَ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا ، ثُمَّ أَضْجَعَهُ
الْحَاجِبُ وَذَبَحَهُ . وَقَتَلَ ابْنُ عُمُسَ وَأَخَذَ رَأْسَيْهِمَا ، وَحَمَلَ جِثَّةَ

١-٢١٥

(١) فِي الْمَغْرِبِ ٢ : ١٢٣ أَنَّ شَوْشَ قَرْيَةً مَشْهُورَةً عَلَى نَهْرِ كَبِيرٍ يَمُرُّ بِهَا مَدِينَةُ إِيَسْتِجَةَ
وَيَسْبِي فِي نَهْرِ قَرْطَبَةِ .

شنشول ، وسار بها إلى القصر بقرطبة . فأمر محمد بِشَقِّ بَطْنِهِ
وَنَزْعِ مَافِيهِ وَحُشْيَ بَعْقَاقِيرِ تَحْفَظُهُ ، ثُمَّ نَصَبَ رَأْسَهُ عَلَى قَنَاةٍ
وَوَقَفَ بِهِ عَلَى بَابِ السِّدَّةِ ثُمَّ رَكَّبَ عَلَى جِسَدِهِ ، وَكَبَّى قَمِيصًا
وَسِرَاوِيلَ ، وَأَخْرَجَ قُسْمَرًا عَلَى خَشْبَةٍ عَلَى بَابِ السِّدَّةِ . وَأَمَرَ الرَّسَّانَ
صَاحِبَ شَرْطِهِ شَنْشُولَ أَنْ يَنَادِيَ : هَذَا شَنْشُولُ الْمَأْمُونِ ! ثُمَّ يَلْعَنُهُ
وَيَلْعَنُ نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ خُلُونٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ .

وكانت مدة ولاية شنشول أربعة أشهر وأيامًا ، وكان قبيح
الفعال كثير التخليط متجاهراً بالفسق ، شهد عليه بأشياء لا تصدر
عن مسلم ، منها أنه سمع المؤذن يقول « حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ » فقال :
لو قال حَيَّ عَلَى الْكَبِيرِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ ! وكثير من هذا القول وما يناسبه ،
وانقرضت الدولة العامرية بمقتل شنشول .

قال إبراهيم بن الرقيق (١) : ومن أعجب ما رأيته أنه كان من
نِصْفِ نَهَارِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ بَقِيَّتِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ
إِلَى نِصْفِ نَهَارِ الْأَرْبَعَاءِ الَّذِي يَلِيهِ ، فَتَحَتْ مَدِينَةُ قَرْطُبَةَ وَهُدِمَتْ
مَدِينَةُ الزَّاهِرَةِ ، وَخُلِعَ خَلِيفَةُ وَهُوَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَوَلَّى خَلِيفَةً
وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَزَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي عَامَرَ ، وَحَدَّثَتْ
دَوْلَةُ بَنِي أُمِيَّةٍ ، وَقُتِلَ وَزِيرُهُ وَهُوَ ابْنُ عُسْفَلَاجَةَ ، وَأُقِيمَتِ جِيُوشُ مِنْ
الْعَامَةِ ، وَنُكِبَ خَلْقٌ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، وَوَلَّى الْوِزَارَةَ آخَرُونَ ، وَكَانَ ذَلِكَ
عَلَى أَيْدِي عَشْرَةِ رِجَالٍ حِجَّامِينَ وَجَزَارِينَ وَحَاكَةَ وَزِبَالِينَ ، وَهُمْ
جَنْدُ ابْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ !

(١) صاحب تاريخ أفريقية على ما مر بنا .

قال^(١) : وفي يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب وصل كتاب واضح من مدينة سالم إلى محمد يسميه وطاعته وإظهار الاستبشار بمقتل شنشول ، فسر به محمد وشكر ذلك لواضح ، وحمل إليه مالا كثيرا وكساء وفرشاً وطرائف ، وولاه سائر الشغل .

قال : ولما استوثق الأمر لمحمد أسقط من جنده نخوا من سبعة آلاف وعادوا إلى بنيتهم فانتفع بهم الناس ، ثم نفى جماعة من الصقالبة العامرية ، ثم أخرج بعد ذلك صقالبة القصر وسد أبوابه . وأظهر محمد من الخلاعة واللّهو والشرب ما كان يفعله شنشول ، واستعمل مائة عود ومائة بوق . وفي شعبان توفي رجل يهودي فأخذه محمد وأوقف عليه رجلا من أصحابه ، وكان يشبه بهشام فشهدوا عند العامة أنهم وقفوا على هشام ميتا لا جرح به ولا أثر وأنه مات حتف أنفه . وحضر الفقهاء والعدول وخلق من العامة إلى القصر وصلّوا عليه يوم الإثنين لأربع بقين / من شعبان وأخفاه عند وزيره الحسن بن حي .

وفي شهر رمضان سجن محمد سليمان بن عبد الرحمن - وكان قد جعله ولي عهده - وسجن جماعة من قريش ، وأظهر بغض البربر فكان يسبهم في مجلسه .

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٣ .

ذكر قيام هشام بن سليمان

عَلَى مُحَمَّدٍ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَى أَنْ قُتِلَ

قال (١) : ولما شرع محمد بن عبد الجبار في أطراح البربر ودبر في قتل عشرة منهم ، سعى هشام بن سليمان بن عبد الرحمن في خلع محمد ووافقه جماعة من الجند واحتفل أمره ، وخرج إلى فحص السراشق وانضم إليه الذين أسقطهم محمد من جنده ، فراسله محمد وقبَّح عليه فعله فقال : سَجِنَ والدي على غير شيء ولا أدري ما صنيع به ! فأطلقه محمد فلم يرجع هشام عن رأيه ، وتحرك بالجند وأحرق سوق السراجين . ثم خذله جنده وأخذوه أسيراً هو وأخوه أبو بكر وأبوه سليمان ، فسلموهم إلى محمد ؛ فقتل هشاماً وأباً بكر صبراً ، وذلك لأربعين يومين من شوال . ونهبت دور البربر ، ونودى في البلد « من أتى برأس بربري فله كذا وكذا » فشرع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه منهم ، وسبيت نساؤهم ، وهرب من سلم من البربر إلى أزملات (٢) ثم جَلَوْا إلى / الثَغْرِ . وكان من فر بعد قتل هشام سليمان بن الحكم ٢١٦ - ب ابن سليمان بن الناصر ، فنصبه البربر خليفة .

ذكر قيام سليمان بن الحكم المستعين بالله

قال (٣) : لما نصبه البربر خليفة نعت نفسه المستعين بالله ، واستوزر أحمد بن سعيد ، ونهض بمن معه إلى وادي الحجارة

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٤ .

(٢) كذا في الأصل ولم يذكرها ياقوت ولا غيره .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٤ .

فدخلوه عَنوةً ، وعرضوا أنفسهم على واضح العامري غلام المنصور ابن أبي عامر صاحب مدينة سالم ، فلم يقبلهم ، وبعث إليه محمد ابن هشام المهدي قيصر الفتي في جيش ليُعينه على سليمان ، فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم واضحٌ وقتل قيصر . ولحق واضح بمدينة سالم فتحصن بها ، ومنع الميرة عن البربر ، فأقاموا خمسة عشر يوماً يأكلون الحشيش . فلما اشتد ذلك عليهم أرسلوا إلى ابن مادويه الرومي ^(١) واستنجد به ، وسأله سليمان أن يدخل بينهم وبين ابن عبد الجبار وواضح في الصلح وقال : يخرج معنا إلى واضح ويرغب إليه في الإصلاح بيننا وبينه وبين صاحبه ، فإن أتي ذلك سرنا إلى قرطبة وناجزنا ابن عبد الجبار !

فسارت الرسل إليه فوجدوا رُسل ابن عبد الجبار وواضح عنده يسألونه الصلح معهما على أن يعطياه ما اشترط من مدائن الثَّغَر ، / وأتوه بخيل وبغال ومال وكساء وجوهر وطيب وتحف كثيرة . فأجاب البربر إلى ما أرادوه من الصلح أو الاتفاق معهم على أن يعطوه ما بذل واضح والمهدي من مدائن الثغور إذا ظفروا . فقبلوا ذلك منه ، ورَدَّ رُسل واضح وابن عبد الجبار ، ثم أرسل إلى البربر ألف عجلة تحمل الدقيق والشعير وأنواع المأكول وألف ثور وخمسة آلاف شاة وجميع ما يصلحهم من اللبس وغير ذلك . فقويت البربر بذلك ، وسار إليهم في جموعه وساروا إلى مدينة سالم ، وأرسلوا واضحاً في الصلح فأبى ، فساروا إلى قرطبة في المحرم

١-٢١٧

(١) في نفع الطبيب ١ : ٤٠٣ هـ ابن أدفونش .

سنة أربعمائة . واتبعهم واضح بن معه وقابلهم ، فانهزم وقُتل خلقٌ كثير من أصحابه ، ووصل المنهزمون من أصحابه إلى قرطبة ، وملك البربر جميع ماكان في عسكر واضح . هذا وابن عبد الجبار في كهوه واستهتاره ، ثم خرج إلى فحص السرادق وخندق عليه ، وأناه واضح في أربعمائة فارس من أهل مدينة سالم ، ووصل غلامه يلبق في مائتي فارس .

وأقبل سليمان بالبربر فنادى ابن عبد الجبار أن يُخرج كل من بلغ به الحُلُم ^(١) من سائر الناس ، فلم يتخلف أحدٌ فلا ترى إلا شيخاً ضعيفاً أو حَدَثًا غِراً وبقلاً ونساجاً . فلما كان في يوم السبت منتصف شهر ربيع الأول التقى البربر وأهل قرطبة فحمل عليهم من البربر نحو / ثلاثين فارساً فلم يقفوا لهم وانهزموا ، وسقط بعضهم على بعض . ومضى واضح من قوره إلى الثغر لم يعرج على شيء .. ووضع البربر السيف في أهل قرطبة فقتلوا خلقاً كثيراً ^(٢) ، وغرق في وادي قرطبة مالا يُحصى .

وسار ابن عبد الجبار إلى القصر وأظهر هشاماً المؤيد وأقعده حيث يراه الناس في مكان يشرف على باب الشكال والقنطرة ، وأرسل القاضي ابن ذكوان إلى البربر يقول : إنما أنا قائم دون هشام ونائب عنه كما يحجبه الحاجب والأمر له ، وهو أمير المؤمنين ! فلما أبلغهم

(١) كناية عن البلوغ .

(٢) يقول المقرئ في نفع الطيب ٤٠٤:١ « وحلكتن خيار الناس وأئمة المساجد ومدنتها ومؤذيتها عالم » .

القاضي الرسالة قالوا : بالأمس يموت هشام وتصلّي عليه أنت وأميرك ،
واليوم يعيش وترجع الخلافة إليه ! فاعتذر القاضي من ذلك .

ثم خرج أهل قرطبة بأجمعهم إلى سليمان فأكرمهم ، وأحسن
لِقَاعَهُمْ . ودخل سليمان القصر ، وهرب ابن عبد الجبار فكانت
مدة ولايته تسعة أشهر . واستنجز ابن مادوية البربر أن يعطوه
الحصون التي شرطوها له فقالوا : ليست الآن بأيدينا فإذا عهد
سلطاننا أنجزنا لك ما وافقناك عليه ! ورحل يوم الإثنين لسبع
بقيّن من شهر ربيع الأول .

قال : ثم فرّق سليمان العمال في الولايات ، وأنزل البربر بالزهاء ،
وأعاد المؤيد إلى السجن ، وأنزل شنشول عن خشبته وأمر بغسله
والصلاة عليه / ودفنه ، فدفن في دار أبيه .

٢١٨-١

وأما المهدي محمد بن هشام فإنه هرب إلى طليطلة بعد اختفائه
بقرطبة ، فوصل في أول جمادى الأولى فقبله أهلها أحسن قبول ،
وخالفوا هشام بن سليمان . فتأهب لقصد طليطلة . ورحل يوم الإثنين
لإحدى عشرة خلّت من جمادى الآخرة . فلما قرب منها أرسل
الفقهاء إلى أهلها ليعذر إليهم فرجعوا بخلافهم ، فسار إليهم .
وكان رجل يعرف بالقرشي الحرّاني قد جمع جموعاً عظيمة ودعا
لنفسه ، فسرح إليه سليمان على بن وداعة في جيش كثيف فهزم
جموع القرشي وأسره وأحضره إلى سليمان ، فاعتقله ثم قتله .

قال : وتجاوز سليمان طليطلة رجاء أن يرجعوا إلى الطاعة ،
ورحل إلى الثغر ونزل على مدينة سالم . ثم التحق بمحمد بن عبد الجبار

في جماعة من العبيد ، وانضم إليه ابن مسلمة صاحب الشرطة . وخرج واضح من مدينة سالم إلى طرطوشة وكتب إلى سليمان يرغب في المعافاة من الخدمة ويكون في ميورقة ^(١) مرابطا وينقطع عن الناس ، وإنما يفعل ذلك تطمينا لسليمان حتى يحكم أمره . فأرسل سليمان إليه بالنظر في سائر الشغل وجهاد العدو ، فأخذ واضح في الاتفاق مع الفرنج وشرط لهم ما أرادوه ، واجتمعوا كلهم مع المهدي بطيملطة . / وبلغ سليمان ذلك فاستنفر الناس فاستغفاه أهل قرطبة ، وذكروا عجزهم عن القتال فأغفاهم بشفاعة البربر . وخرج لقتال القوم ، فالتقوا عند عقبة الشغل في العشر الأخير من شوال ، فجعل البربر سليمان في ساقاتهم وجعلوا معه خيلا من المغاربة وقالوا له : لا تبرح موضعك ولو وطئت الخيل ! ثم تقدموا فحملت الفرنج عليهم حملة منكورة فأخرجوا لهم ليتمكنوا منهم ، فرأى سليمان خيل الفرنج وقد خرقت صفوف البربر فلم يشك أن البربر قد اضطلمو ^(٢) ، فانهزم فيمن معه . ثم عطف البربر على الفرنج فقتلوا ملكهم أرمغند ، وستين من وجوههم . ورأى البربر هزيمة سليمان فانهزوا إلى الزهراء ، ثم خرجوا منها ليلا . ومضى سليمان إلى مدينة شاطبة ^(٣) ، فكانت مدة ولاية سليمان سبعة أشهر .

(١) Majorca جزيرة في البحر المتوسط شرقى بنسبة طولها كما ورد في المغرب ٤٦٦ : ٢ أربعمائة ميل وتكثر بها الحصون .

(٢) اضطلموا : قطعوا أو استوصلوا ، ويقال وقعة صليبة أى متأسلة .

(٣) مدينة عظيمة مشهورة وردت في المغرب ٢ : ٣٨٠ على أنها نشزت على بنسبة في مدة ملوك الطوائف ، تغلب عليها موالى العامية ثم بنو هود ثم المثلثون .

ذكر دولة المهدي محمد الثانية

قال (١) : ولما انهزم سليمان دخل محمد بن هشام بن عبد الجبار قرطبة ومعه الفرنج فأفسدوا غاية الفساد ، ونهبوا الأموال ، واستطالوا على الناس ثم سألهم المهدي ووضح المسير معهما لقتال البربر فخرجوا كلهم ، والتقوا بالبربر بوادي لدة (٢) ليست خلون من ذى القعدة ، واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم واضح وابن عبد الجبار والفرنج أقبح هزيمة ، وقتل في المعركة يلبق غلام واضح ومؤمن الصقلي ، وتخلّف ابن زُرُور مولى الحكم وغيرهم . وقتل من الفرنج أكثر من ثلاثة آلاف وغرق في البحر كثير ، واحتوى البربر على مائى معسكرهم ، ووصل المنهزمون إلى قرطبة في اليوم الثاني من الواقعة فزاد حنق الفرنج وعاثوا بقرطبة وقتلوا كل من يشبه بالبربر بها . فسألهم محمد ووضح ، ورغبا إليهم في الرجوع معهم لقتال البربر ، فأبوا عليهما وقالوا : قد قتل ملكنا وخيارنا ووجهنا ! وفارقوا مدينة قرطبة وعادوا إلى بلادهم ، وكان رجلهم عنها لشدّة خوفهم من البربر ، حتى كان الرجل من أهلها يلقي الآخر فيعزبه كما يعزى من فقد أهله وماله !

ثم فرض محمد بن عبد الجبار على أهل قرطبة مالا فادّوه ، وتعباً للخروج وخرج بواضح وأهل قرطبة والعبيد لقصد البربر . فلما ساروا ثلاثين ميلاً كروا راجعين إلى قرطبة ، وأقام من ورائه سوراً

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٥ .

(٢) كذا في ١ وفي ك ١٣٠ وفي ف ١٢٤ - ١ .

وتحصن به . هذا والبربر يغيرون في نواحي قرطبة ، وأخذوا الجبل المعروف / بابن حفصون - وهو كثيرُ الماء والمرعى والثمار والزروع - فزاد ٢١٩ - ب ذلك في قوتهم . وابن عبد الجبار وجنّده في انهماك على اللهو وارتكاب المحارم وإظهار الفسق ، وإفساد ما قدروا عليه ، والنزول على الناس في دورهم ، وقتل من دافعهم ، فكره واضح ذلك منه - وكان قد حقق عليه ما أتاه إلى بني أبي عامر - فأخذ في التدبير عليه .

وبلغ ذلك محمد فجمع ما في القصر من النفائس وسلمها إلى ابن رافع رأسه - رجل من أهل طليطلة - وأمره بالخروج إليها ، وتحيل في الخروج في أثره . فلما كان في يوم الأحد الحادى عشر ن ذى الحجة سنة أربعمائة - وقيل لثمان خلون منه - ركب واضح والعبيد وأهل الثغر وصاحوا : لا طاعة إلا طاعة المؤيد !

ثم قصدوا القصر وأخرجوا المؤيد ، وأجلسوه على منبر الخلافة وألبسوه لباسها . وكان محمد بن عبد الجبار في الحمام ، فدخل عليه ابن وداعة وأخبره الخبر ، فخرج وجاء إلى هشام وأراد أن يجلس إلى جانبه ، فأخذ عنبر الخادم بيده ورمى به من على المنبر وأجلسه بين يدي المؤيد . فسبّه المؤيد ووبّخه وعدّد عليه ما أتاه وما فعله معه ، فأخذ عنبر بيده وأقامه وأصعده إلى السطح وأراد ضرب عنقه فتملق به ، فتعاورته سيوف العبيد والخدم والصقالب / فقتلوه ، وأخذوا رأسه ورموا بجثته ، فسقطت في الموضع الذي كانت فيه جثة ابن عسقلانة لما قتله . فكانت مدة ولايته هذه نحو شهر ،

ومدة مملكته الأولى والثانية عشرة أشهر ، وعمره خمساً وثلاثين سنة .

ذكر دولة المؤبد هشام الثانية

قال (١) : وبابح الأجناد هشاما المؤبد في يوم الأحد الحادى عشر من ذى الحجة سنة أربع مائة وأخضر بين يديه رأس محمد المهدي ، فأمر بإرساله إلى البربر وهم يومئذ بوادى شنوش في خدمة المستعين بالله سليمان بن الحكم ، طمعاً أن البربر يفعلون به كما فعل هو بالمهدي ، ويعودون إلى طاعته فيتم أمره وتستقيم دولته . فلما وصل إليهم مع جماعة من أهل قرطبة كادوا يقتلونهم ، فمنعهم المستعين بالله بعد أن أفرط في توبيخهم ، فعادوا إلى قرطبة .

وتولى واضح العامري حجابة المؤبد ، وأمره بحفر الخندق على قرطبة فحفره ، وحصنها ، قال (٢) : وكان لمحمد بن عبد الجبار ولد بقرطبة عمره نحو ست عشرة سنة فاحتال له شيعة أبيه حتى أوصلوه إلى مدينة طليطلة ، فقبله أهلها ، وأمروه عليهم . فأغار على بعض ما كان لواضح ، فلقبه محارب التجيبى فقهره وأسره وأرسل به إلى واضح ، فقتله .

قال (٣) : ثم / قصد المستعين قرطبة في جموعه من البربر ،

٢٢٠-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٥ ونقل عنه الخبر في البداية والنهاية ١١ : ٣٤٢ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٤٨ .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٤٨ .

فلم يتمكن منها ، فقصده الزهراء فاستولى عليها في يوم السبت
لست بقيت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعمئة ، وقتل من بها
من الجند ، وأخذ في قتال أهل قرطبة ، وواضح يتولى حربه . ثم رحل
البربر من الزهراء لخمس بقيت من شعبان ، وجعلوا يغيرون على
البلاد ويخربون ، فانضم أهل البوادي إلى قرطبة خوفاً منهم ، فصاروا
أكثر من أهلها ، وغلت الأسعار فمات أكثرهم جوعاً . وقطع البربر
الميرة عن قرطبة ، فاشتد بها الغلاء فبيع مد القمح - وهو قفيزان
ونصف بالقروى - بثلاثمائة دينار دراهم وهي مائة مثقال عينا . وجاءت
رسل ابن مادويه يستنجزون تسليم الحصون إليه على أن لا يغزوهم
ولا يتعرض لشيء من ثغورهم ، فرضوا بهدنة وسلموا إليه مدناً كثيرة وأكثر
من مائتي حصن مما افتتحه الحكم بن عبد الرحمن ومحمد بن أبي عامر .
وسمع ابن شالوس ^(١) بما تسلّم ابن مادويه من الحصون ، فكتب على
حصون أخرى وتوعد وتهدد ، فأجيب إلى ما سأل وسلمت إليه .
وأخرب البربر مدناً جلييلة ، وقتلوا أكثر أهلها ، ولم تسلم منهم إلا
طليطلة ومدينة سالم ، وبلغت خيلهم أندراوه ^(٢) وما وراءها حتى
إنّ الراكب يسير شهوراً لا يرى أحداً في قرية ولا طريق . قال ^(٣) :
واستخف جند قرطبة بواضح حتى صاروا يصرحون برسبه ،
فغزم على مراسلة البربر في الصلح لما رأى من اضطراب الجند عليه

٢٢١ - ١

(١) عن ك ١٣٢ ورسم ا ، ف ١٢٥ - ب « شالوس » وهو أحد ملوك الفرنج .

(٢) كذا في سائر النسخ وفي صفة جريزة العرب صفحة ٣١ « أندارة » مدينة عظيمة في شرق الأندلس .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٤٩ .

وطعمهم فيه ، وأظهر أن ذلك عن رأى هشام لما فيه من الصلاح للعامة والخاصة . فبعث واضحاً إلى البربر رجلاً يعرف بابن بكر فاجتمع بسليمان وعاد بجوابه فقتله الجند في المجلس - ولم يقدر هشام ولا واضح على منعهم - واحتزوا رأسه ، وطاقوا به البلد . فعزم واضح على الهرب إلى البربر ، وكان ابن أبي وداعة يعاديه فزحف إلى داره في عِدَةٍ من الجند فلأخروه حاسراً وعاتبوه على ما أتلّف من الأموال وما عزم عليه من مصالحة البربر . وضربه ابن أبي وداعة بسيفه وحمل عليه القوم فقتلوه ، واحتزوا رأسه وطاقوا به ، وألقوا جثته في الرصيف بالموضع الذي ألقى فيه ابن عُسقلاجة وابن عبد الجبار ، ونُهبت دور أصحابه .

وولى هشام ابن أبي وداعة المدينة ، فاشتد على أهل الرب وهاب الجند وغيرهم ، وكان مقتل واضح في يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة .

ثم قلم البربر وسليان ، ونازلوا قرطبة وظاهرها وقد امتلأت أيديهم بالغنائم ، وقلّت الأقات على أهل قرطبة ، وعظم عليهم الخطب ، واشتد الأمر ، وكان بين أهلها والبربر مراسلات وأمور يطول شرحها . كان آخر ذلك أن سليمان ملك قرطبة في يوم / الأحد لثلاث خلون من شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، وكانت مدة ولاية المؤيد الثانية سنتين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً وفقد المؤيد لخمس خلون من شوال سنة ثلاث وأربعمائة .

ذكر دولة المستعين بالله الثانية

قال (١) : ولما فتح سليمان بن الحكم المستعين قرطبة دخل القصر لخمس خلون من شوال وتلقب بالظافر بحول الله ، وأحضر هشاماً ووبخه وقال : قد كنت تبراأت لي من الخلافة فأعطيت صفقة يمينك فما حملك على نقض عهدك ؟ فاعتذر أنه مغلوب عليه ، وتبرأ له ، وسلم الأمر إليه . وضرب سرادق سليمان بشقنده ، ونزل البربر حوله ، وهرب كثير من موالي بني أمية فاحتوى البربر عليها واقتسموا البلد بينهم . وطالب سليمان الناس بالأموال فغرمهم فوق طاقتهم ، واشتد أمر البربر على الناس فاستباحوا الأموال والحريم وسلبان لا يمكنه دفعهم وليس في يده مع قرطبة غير إشبيلية ولبله والشنبه وباجة .

وكان في عسكره رجالان (٢) من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وهما القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون فقودهما على المغاربة ، ثم ولّى علياً الأصغر منهما سبته (٣) وطنجة (٤) ، / وولى القاسم الجزيرة الخضراء ، وبين الموضعين المجاز المعروف بالزقاق (٥) ، وسعة البحر هناك ثمانية عشرة ميلاً .

(١) بن الأثير في الكامل ٧ : ٢٦٨ وانظر البداية والنهاية ١١ : ٣٤٨ .

(٢) هما من عقب إدريس ملك قاس وبانها وكافا قد اجتازا مع البربر مضيق جبل طارق إلى الأندلس (نفح الطيب ١ : ٤٠٦) .

(٣) Ceuta سبت بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق (معجم البلدان ٣ : ١٨٢) .

(٤) Tangier بلد البربر على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء (معجم البلدان ٤ : ٤٣) .

(٥) هو مضيق جبل طارق اليوم .

وكانت العبيد لما خرجوا من قرطبة عند دخول البربر إليها ملكوا مدنا عظيمة وتحصنوا فيها ، فراسلهم على بن حمود وذكر أن هشام بن الحكم لما كان محاصراً بقرطبة كتب إليه يوليه عهده فاستجاب له العبيد وبايعوه . فزحف من سبتة إلى مالقة ^(١) وفيها عامر بن فتوح الفائقى مولى فائق - مولى المستنصر - فطاعه وأدخله مالقة . فملكها على بن حمود وأخرج عنها عامر بن فتوح ثم زحف بمن معه من البربر وجمهور العبيد إلى قرطبة ، فأخرج له المستعين ولده - ولى عهده محمد بن سليمان - فى عساكر البربر ، ومعه أحمد بن سعيد الوزير . فانهزموا ، ورجع محمد بن عبد الله الزناتى إلى قرطبة ، وأخرج المستعين بالله وضمن له أن يقاتل بين يديه . فلما قربوا من عسكر على بن حمود قادوه بلجامة بلغته وسلموه لعل ، فلما حصل فى يده دخل القصر فى يوم الأحد لسبع بقين من المحرم سنة سبع وأربعمائة ، وضرب عنق سليمان بيده وقتل أباه الحكم - وهو شيخ كبير له اثنتان وسبعون سنة - فكانت مدة ولاية سليمان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياما . وكان مولده سنة أربع / وخمسين وثلاثمائة ، وكان أديبا شاعرا ، فمن شعره :

٢٢٢-ب

عجبا يهاب اللئيث حد سناني وأهاب لحظا فواتر الأجنان
وهى أبيات عارض بها العباس بن الأحنف فى أبياته التى أنشدتها
على لسان الرشيد التى أولها :

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللت من قلبي بكل مكان

(١) Malaga مدينة بالأندلس غارة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين

الجزيرة الخضراء وألرية (معجم البلدان ٥ : ٤٣) .

وقد ذكرنا ذلك في باب الغزل والنسيب ، قال ^(١) : ولما قُتل سليمانُ بنُ الحكم هذا انقطعت دعوة بني أمية من منائر اقطار الأندلس وقامت دعوة الفاطميين بها . وولى منهم ثلاثة ملوك وهم علي بن ، حمود ، والقاسم بن حمود أخوه ، ويحيى بن علي ، ثم عادت بعد ذلك الدعوة الأموية على ما تذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر إمارة الناصر علي بن حمود

ابن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ملك قرطبة لسبعين بقين من المحرم سنة سبع وأربعمئة على ما ذكرناه ، وخطب بأمر المؤمنين ، وتلقب بالناصر ^(٢) . ولما دخل / قرطبة أحضر الفقهاء والوزراء وسأل سليمانَ بحضرتهم عن المؤيد ٢٢٣-١ فقال « مات » فألزمه أن يُريَه قبره فأخرجه دفينا لا أثر فيه فأمر بتكفينه ودفنه في الروضة . ثم استفتى الفقهاء في قتلي سليمانَ ، فقتله هو وأباه الحكم وأخاه عبد الله وولده سليمانَ في وقت واحد ، وتمَّ لعل ما أراد واستقامت أموره .

وفي سنة ثمانٍ وأربعمئة خالف عليه العبيدُ الذين كانوا بايعوه ، وقَدَّموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر [أخا المهدي] وسمَّوه المرتضى وزحفوا به إلى قرطبة ، ثم ندموا على إقامته لِمَا رَأَوْه من صرامته ، وخافوا عواقبَ تَمَكُّنِهِ فانهزموا عنه

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٨٥ .

(٢) يولاته تبدأ دولة العلويين ببلاد الأندلس (البداية والنهاية ١٢ : ٢٥) .

وَدُسُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلَةِ غِيلَةٍ . وَبَقِيَ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ بِقَرْطَبَةٍ إِلَى آخِرِ
سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَقَتَلَهُ صَفَالِيَّةٌ فِي الْحَمَامِ ، فَكَانَتْ مَدَّةَ وَلَايَتِهِ
سَنَةً وَاحِدَةً وَعِشْرَةَ أَشْهُرَ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَالِدِ يَحْيَى وَإِدْرِيسَ .

ذكر ولاية المأمون

القاسم بن حمود بن ميمون الفاطمي

وَلِيَ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ النَّاصِرِ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ
أَسْنُّ مِنَ النَّاصِرِ بِعِشْرَةِ أَعْوَامٍ ، وَنَعَتْ نَسْفَهُ بِالْمَأْمُونِ / وَكَانَ يَحِبُّ
الْمَوَادِعَةَ ، فَأَمَّنَ النَّاسَ مَعَهُ . وَكَانَ يَذْكُرُ عَنْهُ أَنَّهُ يَتَشَبَّعُ وَلَمْ يُظْهَرْ
ذَلِكَ ، وَلَا غَيْرٌ لِلنَّاسِ عَادَةً وَلَا مَذْهَبًا ، وَكَذَلِكَ سَاطِرٌ مِنْ وَلِيِّ
مِنْهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ . فَبَقِيَ الْقَاسِمُ إِلَى شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةً اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
وَأَرْبَعِمِائَةً ، فَقَامَ عَلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ مَالِقَةً ^(١) ،
فَهَرَبَ الْقَاسِمُ عَنْ قَرْطَبَةٍ بَغِيرَ قِتَالٍ ، وَصَارَ إِلَى إِسْبِيلِيَّةٍ .

٢٢٣-ب

وَزَحَفَ ابْنُ أَخِيهِ الْمَذْكُورُ مِنْ مَالِقَةٍ بِالْعَسَاكِرِ ، فَدَخَلَ قَرْطَبَةَ دُونَ
مَنْعٍ ، وَتَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ وَتَلَقَّبَ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ لِلْقَاسِمِ
أَمْرُهُ وَاسْتَمَالَ الْبَرَبَرُ ، وَزَحَفَ بِهِمْ إِلَى قَرْطَبَةٍ فَدَخَلَهَا فِي سَنَةِ ثَلَاثِ
عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَهَرَبَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مَالِقَةٍ ، فَبَقِيَ الْقَاسِمُ بِقَرْطَبَةٍ
شَهْرًا . ثُمَّ اضْطَرَبَ أَمْرُهُ ، وَغَلَبَ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى عَلَى
الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَكَانَتْ مَعْقِلَ الْقَاسِمِ وَبِهَا كَانَتْ أَمْرَاتُهُ وَذَخَائِرُهُ .
وَغَلَبَ ابْنُ أَخِيهِ إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ [شَقِيقُ يَحْيَى] صَاحِبُ
سَبْتَةِ عَلَى طَنْجَةَ ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْقَاسِمِ يَلْجَأُ إِلَيْهَا إِنْ رَأَى

(١) فِي نَجَاحِ الطَّيْبِ ١ : ٤٠٧ أَنَّهُ كَانَ عَلَى سَبْتَةِ ، ثُمَّ احْتَلَى مَالِقَةَ .

ما يخاف . وقام عليه جماعة أهل قرطبة في المدينة ، وأغلقوا أبوابه دونه ، فحاصرها نيفًا وخمسين يومًا ، ثم زحف أهل قرطبة فانهزموا عن القاسم . ولحقته كل طائفة ببلد فغلبت عليه ، وذلك في شعبان سنة أربع عشرة وأبعمائة وأعاد أهل قرطبة الدولة الأموية / على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

٢٢٤ - ١

قال (١) : وأما القاسم فقصده إشبيلية وبها ابنه محمد والحسن فلما عرف أهل إشبيلية خروجه عن قرطبة ومجيئه إليهم طردوا ابنه ومن كان معهما ، وضبطوا بلدهم وقدموا على أنفسهم ثلاثة رجال ، منهم القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، ومحمد بن مرثم الإهافي ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي ، ومكثوا كذلك أيامًا مشتركين في سيامة البلد وتدبيره ، ثم انفرد القاضي أبو القاسم بن عباد على ما نذكره إن شاء الله .

ولحق القاسم بشريش (٢) ، واجتمع البربر على تقديم ابن أخيه يحيى ، وحاصروا القاسم حتى صار في قبضة ابن أخيه . وانفرد بولاية البربر ، وبقي القاسم أسيرًا عنده وعند أخيه إدريس إلى أن مات إدريس ، فقتل القاسم خنقًا في سدة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وحُمل إلى ابنه محمد بن القاسم بالجزيرة فدفنه هناك .

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٨٧ .

(٢) Xerxes مدينة كبيرة من كورة شلونة ، وتسمى أيضًا شرش ، (مجمل البلدان ٣ : ٢٤٠) .

وكانت ولاية الفاسم تسمى بالخلافة بقرطبة إلى أن أسره ابن أخيه سنة أعوام ، ثم كان مقبوضاً عليه ست عشرة سنة عند ابني أخيه إلى أن مات - قيل ومات وهو ابن ثمانين سنة - وله من الولد محمد والحسن وأمهما أميرة بنت الحسن بن فنون بن إبراهيم العلوي .

١ ذكر ولاية المعتلى يحيى بن علي

٢٢٤-ب

وكنيته أبو إسحاق ، وقيل أبو محمد تسمى بالخلافة بقرطبة في سنة ثلاث عشرة وأربعائة ، ثم هرب منها إلى مالقة في سنة أربع عشرة . ثم سعى قوم من المفسدين في إعادة دعوة بقرطبة في سنة ست عشرة ولم يدخلها ، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطف ، ثم قطعت خطبته من قرطبة في سنة سبع عشرة . وبقي يتردد إليها بالعساكر إلى أن اتفق جماعة البربر على طاعته ، وسلموا إليه الحصون والقلاع والمدن ، وعظم أمره فصار بقرمونة ليحاصر مدينة إشبيلية . فخرج يوما وهو سكران إلى خيل ظهرت من إشبيلية بقرب قرمونة ،^(١) فلقبها وقد كمن له كمناء ، فلم يكن بأسرع من أن قتل ، وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة سبع وعشرين وأربعائة ، وكان له من الولد الحسن وإدريس .

(١) Carmona مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية (صفحة جزيرة العرب

ذكر عود الدولة الأموية بمدينة قرطبة

ومن ولى منهم

١-٢٢٥

(أ) ذكر امارة المستظهر بالله

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار - أخو المهدي - بويج له بالخلافة بقرطبة ثلاث عشرة من شهر رمضان سنة أربع عشرة وأربمائه . وذلك أن أهل قرطبة لما هزموا البربر وأخرجوا القاسم - كما قدمنا - اتفق رأيهم على رد الأمر إلى بني أمية . فاختاروا منهم ثلاثة ، وهم عبد الرحمن هذا ، وسليمان بن المرتضى ، ومحمد بن عبد الرحمن . فاتفق رأيهم على إمارة عبد الرحمن فبايعوه ، وتلقب بالمستظهر ، وكان مولده في ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . وقام عليه محمد بن عبد الرحمن مع طائفة من أرذال العوام فقتل عبد الرحمن ثلاث بقين من ذى القعدة منها ، وقيل ثلاث خلون منه . وكان في غاية الأدب ، وله شعر . وزيره الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (١)

(ب) ذكر امارة المستكفي بالله

هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر بن هشام المستظهر ، وأمه أم ولد اسمها

(١) يذكر المقرئ في نفع الطيب ١ : ٤١٢ أن حسان بن أبي عبة - وكان شخصية بارزة ويقول الشعر - وزرله أيضا ، ولم يكن يوافقه على تفرده بالسلطة ، وكان يعاتبه بالقريظ !

٢٢٥-ب حوراء^(١) وبى بعد قتل المسيطهر لثلاث أخاون أو بقين من ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وله ثمان وأربعون سنة . وكان أبوه ممن قتله الوزير محمد بن أبى عامر فى أول دولة المؤيد هشام لسعيه فى القيام وطلبه الأمر ، فولى محمد هذا عشرة أشهر وأياما ، وخلع . وقيل بل خلع فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ، وخرج من قرطبة يريد الثغر فمات بقرية من قرى شنت مرية فى أول شهر ربيع الآخر منها ، فكانت مدة مملكته بقرطبة على هذا القول ستة وأربعة أشهر . وكان الحاكم فى أيامه صاحب المظالم محمد بن عبد الزووف .

وكان محمد بن عبد الرحمن فى نهاية التخلف ، صاحب أشكل وشرب ونكاح ، ولم يزل متغلبا عليه طول ولايته لا ينفذ له أمر ، ولا عقب له . وقيل فى وفاته إنه لما هرب من قرطبة سار حتى انتهى إلى قرية يقال لها سمونت من أعمال مدينة سالم ، فجلس ليأكل وكان معه عبد الرحمن بن محمد بن السليم - من ولد سعيد بن المنذر - فكره التامدى معه ، فسمه فى دجاجة فمات لوقته ، فقبره هناك . ولما خلع أعيدت خطبة يحيى ابن على الفاطمى ، ثم قطعت وأعيدت الخطبة للدولة الأموية .

(ج) / ذكر ولاية المعتمد على الله

١-٢٢٦

هو أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وهو أخو المرتضى^(٢) ، بويح له فى شهر ربيع الأول

(١) وابنته الأدبية المشهورة ولادة .

(٢) لقبه هنا المعتمد على الله ، عل أنه يلقب فى كتب أخرى بالمعتد بالله ، وفى نفع العلي

سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، وقيل فى يوم الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر منها . وذلك أنه لما قُطعت خطبة يحيى بن على ^(١) فى سنة سبع عشرة وأربعمائة اجتمع رأى أهل قرطبة على رد الأمر إلى بنى أمية ، وكان عميدهم فى ذلك الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور . فراسل أهل الثغور فى ذلك فاتفقوا عليه بعد مدة ، فبايعوا لأبى بكر وهو بالثغر فى حصن البونت ^(٢) عند أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم .

فبقى يتردد فى الثغور سنتين وعشرة أشهر - وقيل سبعة أشهر - وثار هناك فتن كثيرة يطول شرحها ، واضطراب شديد من الرؤساء بها ، إلى أن اتفق رأيهم على أن يسير إلى قرطبة الملك . فسار إليها ، ودخلها فى يوم منى ثامن ذى الحجة سنة عشرين وأربعمائة . ولم يقيم إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند ، فخلع !

قال بعض المؤرخين : كان سبب خلعه أن وزيره ومدبر أمره أبا العاص

الحكم بن سعيد كان فاسد / الطريقة ، ولم يكن له سابقة رئاسة . فكرهه ^{٢٢٦-ب} الناس قدسوا عليه فى بعض الطرق من قال نصيحة تقربه منه - وكان أطروشا - فأصغى إليه ليقولها فى أذنه ، فجرحه عن دابته فقتل .

وخلع المعتمد ، وخرج إلى الثغر لينتزع من يد المنذر بن يحيى ،

(١) هو يحيى بن على بن حمود ويلقب بالمتل ، ملك لما خلع أهل قرطبة المستكن ، وقد علمه القرطبيون بدوره بزعامة الوزير جهور بن محمد بن جهور .

(٢) أحد معاقل إقليم بلنسية ، جاء فى المغرب ٢ : ٣٩٥ أنه صار شجى فى حلق صاحب بلنسية وعنده أطال المكث هشام المعتد المروانى الذى صار خليفة بقرطبة .

فمات يَلَارِدَةً (١) - وهى فى مملكة سليمان بن هود - فى يوم الجمعة لأربع بقين من صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

قال : وولى قرطبة بعده قريب من سنة ، ثم دُعِيَ للمؤيد هشام - وذكر أنه حى - فى يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة إلى أن أشيع موت هشام . هذا . فتغلب على قرطبة أبو الحزم بن جهور - على ماسنورده - وانقطعت دعوة بنى أمية من سائر البلاد إلى هلم . وكانت مدة مُلْكِ بنى أمية ببلاد الأندلس - من سنة ثمان وثلاثين ومائة وإلى هذا التاريخ - مائتى ستة وتسعين ، وعدة من ملك منهم خمسة عشر ملكا وهم (٢) :

عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، هشام بن عبد الرحمن ،
الحكم بن هشام المرتضى ، عبد الرحمن بن الحكم ، محمد
ابن عبد الرحمن الأمين ، المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ،
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الله ، / الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن ، هشام المؤيد
بالله (دفعتين) ، محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي (دفعتين)
سليمان بن الحكم المستعين بالله (دفعتين) . ثم انقطعت دعوتهم
بقيام العلويين سبع سنين ، وعادت بقرطبة بإمارة المستظهر
بالله عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، ثم المستكفى بالله

(١) Ierida مدينة مشهورة من مدن الشرق قرب طرسونة ، يقول الحميرى إنها فى نهر الأندلس الشرق (صفة الأندلس صفحة ١٦٨) .
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٩٠

محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ، ثم المعتمد على الله أبو بكر هشام
ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر بن مجمل بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ابن
معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ..

ذكر أخبار الأندلس

ومن ملكها بعد انقطاع الدعوة الأموية

قال (١) : ولما انقطعت دعوة بني أمية بعد خلع هشام تغلب كل
رئيس على بلد ، واستولى عليها ، ونحن نذكر ذلك على سبيل
الاختصار . فأما قرطبة فاستولى عليها الوزير أبو الحزم جهور
ابن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن العمر بن يحيى بن
عبد الغافر بن أبي عبيدة . قال : / وكان من وزراء الدولة العامية قديم
الرياسة موصوفاً بالدهاء والعقل ، لم يدخل في شيء من الفتن قبل ذلك .
فلما خلا له الجو وأمكنته الفرصة وثب عليها ، فتولى الأمر واستقل به ،
ولم ينتقل عن رتبة الوزارة إلى الإمارة ظاهراً ، بل دبّر تدبيراً حسناً لم
يُسبق إليه . وجعل نفسه مُمسكاً للوضع إلى أن يجيء مستحق يتفق
عليه الناس فيسلمه إليه ، ورتب البوابين والحشم على أبواب تلك القصور
- على ما كانت عليه أيام الدولة - ولم يتحول عن داره إليها . وجعل ما يرفع
من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ،
وصيّر أهل الأسواق جنداً وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم

٢٢٧- ب

بأخذون ربحها خاصة ورؤوس الأموال باقية ، يؤخذون ويراعون في الوقت بعد الوقت كيف حفظهم لها . و فرق السلاح عليهم وأمرهم أن يجعلوه في الدكاكين والبيوت ، حتى إذا دهم أمرٌ ليلاً أو نهاراً كان سلاح كل واحد معه ، وكان يشهد الجنائز ويعود المرضى .

وكانت قرطبة في أيامه حرماً يأمن فيه كل خائف ، ولم تنزل أيامه على أحسن نظام وأكمل اتساق إلى أن توفي في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وتولى بعده ابنه محمد .

١ ذكر ولاية أبي الوليد محمد بن جهور

٢٢٨ - ١

وتولى بعده أبيه فجري على سنته في تدبير الأمور ورعاية قلوب الرعية إلى أن مات ، وغلب عليها الأمير الملقب بالمأمون صاحب طليطلة إلى أن مات ، ثم استولى ابن عبّاد على قرطبة على ما نذكره .

ذكر أخبار مدينة طليطلة

ومن ملكها بعد بني أمية وكيف كان استيلاء الفرج عليها

أول من تغلب عليها بعد بني أمية مع بقائهم بقرطبة رجل يقال له ابن يعيش ، وذلك أن أهلها لما خلعوا طاعة بني أمية قدّموه على أنفسهم وولّوه أمرهم ، فلم تطل مدته . وصارت رئاسته إلى إسماعيل ابن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذى النون الهواري (١) ، فتغلب على طليطلة . ولم تنزل بيده إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فقام بعده ابنه .

(١) يعتبر بنو ذى النون من أعظم ملوك طليطلة ، وقد بلغوا الغاية في البخل والكرم ، ولهم الإعذار المشهور الذي يقال له « الإعذار الذنوب » وبه يضرب المثل عند الأندلسيين .

ذكر ولاية المأمون يحيى بن اسماعيل

وَلِي طليطلة بعد أبيه ، ولما ولي أراد أن يستعين بالفرنجة على ما
 / حوله من المدائن والحصون لينتزعها ممن هي بيده . فكتب إلى ملك
 ٢٢٨-ب من ملوك الفرنج - كان قريبا منه وبينهما مودة ومُرَاسلة - يُقال
 له شمشكند^(١) وقال له « اخرج إلى في مائة من فرسانك وإنني في
 مكان كذا لأجتمع بك في أمر لك فيه راحة » فخرج إليه شمشكند
 في مائة ألف فارس ، وخرج ابن ذي النون في مائتي فارس من
 عسكر طليطلة .

وكنّ الفرنجي^٢ أصرحابه خلف جبل بالقرب من الموضع وقال
 لهم : إذا رأيتمونا قد اجتمعنا فاخرجوا إلينا بأجمعكم ! فلما
 فعلوا ذلك ورآهم المأمون سُقط في يده ، وحيل بينه وبين عقله
 فقال له شمشكند : يا يحيى وحقّ الإنجيل ما كنتُ أظنك إلا عاقلا
 وإذا بك أحمقُ خلقِ الله ، خرجتَ إلى في هذا العدد القليل وسلمت
 إلى مُهْجَتِكَ بغير عهدٍ كان بيني وبينك قبل خروجك ولا دين بجمعنا
 وقد أمكنني الله منك ، وحقّ الإنجيل لا نجوت مني حتى تعطيني
 الحصن القلاني والحصن القلاني - وسمي حصونا من حصون المسلمين
 بين طليطلة وبينه - وتجعل لي عليك مالا في كل سنة .

فأجابه يحيى إلى ما طلب ، وسلم إليه الحصون ، ورجع إلى
 طليطلة شر رجوع . وتواتر الخِذلانُ عليه إلى أن مات في سنة ستين

(١) هو بن الفونش Alphonso أو اذفش .

وأربعمائه ، وصارت ولايته إلى ابنه القادر يحيى ، فدام يطليظة إلى أن ملكها الفرنج .

٢٢٩-١

قال : ولما ملك امتدت يده إلى أموال الرعية ، واستعمل السفلة وأهل الثغور ، ولم تزل النصارى تطوى حصونه حصنا بعد حصن حتى استولوا على طليظة في سنة ثمانٍ وسبعين بعد أن حاصره ألفونش^(١) سبع سنين وملكها ، واتخذها داراً ملك ، وغير جامعها كنيسة ورد المسلمين إلى مسجد غيره وعوضهم مالا وقال : هذه كنيسة كانت لنا فردّها الله علينا ! وانتقل القادر بالله إلى بلنسية فقبله القاضي الأحنف بن حجاب .

ذكر أخبار دولة بني عباد

وابتداء أمرهم ومن ملك منهم إلى أن انقضت مدتهم وانقرضت دولتهم أول من قام منهم القاضي محمد بن إسماعيل بن قریش بن عباد ابن عمرو بن عطا بن نعيم - ونعيم وابنه عطا هما دخلا إلى الأندلس من المشرق - وهم من لخم من بني المنذر بن المنذر ، وفيهم بقول الشاعر :

من بني المنذر وهو انتساب زاد في قهره بنو عباد فيه لما تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الأولاد

لو كان محمد بن إسماعيل هذا قد تقدم بإشبيلية إلى أن ولي القضاء ، فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم ، فرمقته العيون ، ومالت

٢٢٩-ب

(١) الصحيح « ابن ألفونش » على ما في نفع الطيب ١ : ٤١٦ .

إليه القلوب . فلما كان في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ولى يحيى ابن عليّ الفاطمي قرطبة ، وكان من أمره وأمر عمه القاسم ما ذكرناه . ثم إن أهل قرطبة أخرجوا القاسم بن حمود فقصد مدينة إشبيلية ثم فارقها ، وقصدها بعد ذلك يحيى بن عليّ المعتلى ونزل بقرمونة لحصار مدينة إشبيلية وكانت الرئاسة بها بين ثلاثة - كما ذكرنا ذلك - فاجتمع وجوه المدينة وفيهم حبيب ابن عامر القرشي ومحمد بن مرثم الإلهاني ومحمد الزبيدي وغيرهم . وأتوا إلى أبي القاسم محمد بن إسماعيل وقالوا : ما ترى ما نحن فيه وما حلّ بنا من هذا الكافر وما أفسد من أموال الناس ، فقم بنا نخرج إليه ونملكك ونجعل الأمر لك ونتصير لهشام !

ففعل ، وخرجوا لقتال يحيى بن عليّ المعتلى ، فركب إليهم وهو سكران فقتل كما قدّمنا . وملك محمد بن إسماعيل إشبيلية ، وقالوا له : نخرج إلى قرمونة من قبل أن يسبقك إليها إسحاق ابن عبد الله البرزالي ! فهمّ محمد بذلك فسبقه إسحاق وملكها ، فكتب محمد إلى يحيى بن ذي النون الهواري صاحب طليطلة يقول له : اخرج بعسكرك أو ابعث إلى بعسكر مع / قائد من عندك حتى أخرج إسحاق بن عبد الله من قرمونة ، وأنا أعينك على أخذ قرطبة وأجعلها لك ملكا !

فلما وصل كتابه إلى المأمون خرج إليه بنفسه في عسكر كبير ، فاجتمعا ونزلا على قرمونة ، وحاصراها وأخرجها عنها إسحاق . وأخذها محمد بن إسماعيل وأدخل ولده إليها ، وساروا إلى قرطبة وحاصروها :

فلما رأى [أهلها] ^(١) ما حلَّ بهم كاتبوا محمد بن إسماعيل وقالوا أنت أولى من المأمون بالبلد وأحب إلينا منه ! فاستوثق منهم ودخلها ليلا ويحيى لا علم له بذلك . فلما أصبح وعلم الحال رجع بعسكره إلى طليطلة وكتب إلى ابن عكاشة - وهو رجل شجاع كان بيده بعض حصون الأندلس ، يقطع حوله السبيل ويقتل التجار ويأخذ الأموال ، وهو يظهر ليحيى طاعة مشوبة بمعصية - فأمره أن يجمع أصحابه وعضده بعسكر كبير ووجههم إلى قرطبة ، فتوجهوا إليها وقد فارقها محمد بن إسماعيل إلى إشبيلية وترك ولده بها .

فدخلها ابن عكاشة ليلا ، ودخل القصر ، وقتل كل من وجد من الحرس ، وذبح ولد محمد بن إسماعيل بيده . فلما بلغ ذلك محمد جمع العساكر وخرج إلى قرطبة ، فحصر ابن عكاشة وضيق عليه ، فخرج هاربا . واستوثق من الرعية وعاد إلى إشبيلية ، فوصل إليها يحيى بن ذى النون / وتغلب عليها . فدسَّ عليه محمد بن إسماعيل طبيبه ، فسَمَّه ، فمات ! فعندها خلاص الأمر لمحمد بن إسماعيل : وذلك في سنة أربع وعشرين .. هكذا نقل عز الدين عبد العزيز ابن شداد بن تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان ، وذكر أيضا في هذا الكتاب أن يحيى توفي في سنة ستين وأربعمائة ، وهذا فيه تنافٍ والله تعالى أعلم .

٢٣٠-ب

(١) إضافة . يقتضيا السياق .

ذكر أخبار خلف الحصرى

المشبه بالمؤيد هشام وقيام دعوته بمملكة محمد

ابن إسماعيل ، وما قيل فى ذلك

فأما قيام دعوته فإن محمد بن إسماعيل لما استولى على الأمر فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة وتعاضم أمره ، حسده أمثاله وكثر الكلام فيه وقالوا « قتل يحيى بن على الحسنى من أهل البيت وقتل يحيى بن ذى النون ظلما » واتسع القول فيه فبقى يفكر فيما يفعله . فبينما هو كذلك إذ جاءه رجل من أهل قرطبة فقال له : إني رأيت - هشامًا فى قلعة رباح ! فقال له محمد : انظر ماتقول ! فقال ! إني والله رأيته وهو هشام بلا شك !

وكان عند محمد بن إسماعيل عبدٌ من عبيد هشام يسمى تومرت ، وهو الذى كان يقوم على رأس هشام - فقال له محمد : / إذا رأيت مولاك تعرفه ؟ فقال : نعم ولى فيه علامات

فأرسل محمد رجلين من الذين ذكروا أنهم رأوا هشامًا وقال : توجّها إلى قلعة رباح وائتياى بهشام ! وأسرع ، فتوجّها فوجده فى مسجد فى قلعة رباح ، فدخلا عليه وأعلماه أنهما رسولا القاضى محمد بن إسماعيل إليه . فسار معهما إلى إشبيلية . فلما دخل على القاضى قام إليه وسلم عليه وأنزله ووكل بخدمته تومرت مولاة . فلما رآه تومرت قبل يديه ورجليه وقال للقاضى : هو والله مولاى هشام ابن الحكم .

فعند ذلك قام إليه القاضى محمد بن إسماعيل وقبل رأسه ويديه ، وأمر بنيه فدخلوا عليه وفعلوا كفعله ، وسلموا عليه بالخلافة . وأخرجه

محمد بن إسماعيل في يوم الجمعة إلى الجامع بمدينة إشبيلية ، ومشى هو وبنوه بين يديه رجالة حتى أتى المسجد ، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة . وبأيعه محمد بن إسماعيل وبنوه وجميع أهل البلد ورجع إلى موضعه ، وتولى محمد بن إسماعيل الخدمة بين يديه وجرى في ذلك على طريقة ابن أبي عامر ، غير أنه يخرج إلى الجمعة والأعياد ويصلي طول مدته ، ومحمد في رتبة الوزارة آمراً وناهما عنه ، واستقام لمحمد أكثر مدن الأندلس ، فهذا كان سبب قيام دعوته .

٢٣١ - ب

وأما ما نقل من أخباره فقد ذكرنا في أخبار بني أمية أن / المستعين بالله سليمان بن الحكم لما فتح قرطبة المرة الثانية في شوال سنة ثلاث وأربعمائة أحضره ووبّخه ، وأن المؤيد فقد لخمس خلون من شوال . وذكرنا أيضاً أن الناصر علي بن حمود الفاطمي لما ملك قرطبة أحضر المستعين وسأله بحضور الفقهاء والوزراء عن المؤيد هشام فقال « مات فألزمه أن يريه قبره فأخرجه دفينا لا أثر فيه فأمر الناصر بتكفينه ودفنه في الروضة .

وقيل بل هرب بنفسه إلى المشرق مستخفيا حتى وصل إلى مكة - شرفها الله - وكان معه كيس فيه جوهر وياقوت ونفقة ، فشعر به حراية مكة ، فأخذوه منه ، فمال إلى جهة من الحرم وأقام يومين لم يطعم طعاماً . فمضى إلى المروة فأتاه رجل فقال له تحسن عمل الطين ؟ قال : نعم ! فمضى به إلى تراب ليعجنه ووافق على درهم وقرصة ، فقال له : عجل القرصة فإني جائع ! فأتاه بها فأكلها ، ثم عمد إلى التراب فكان مرة يعجن ومرة يجلس ، فلما طال عليه ذلك تركه ومضى هارباً على وجهه .

وخرج مع القافلة إلى الشام على أسوأ حال، فوصل إلى بيت المقدس، فمشى في السوق فرأى رجلاً يعمل الحصر الحلقاء فنظر إليه فقال له الحصري: كأنك تحسن هذه الصناعة! قال: لا! قال: فتقيم عندي/ تناولي الحلقاء وأجعل لك أجره على ذلك. قال: أفعل

٢٣٢-١

فأقام عنده يناوله ويعاونه على ما يأمره به من أمور صناعته، فتعلم هشام صناعة الحصر، فصار يعملها ويتقوت منها. وأقام ببيت المقدس أعواماً كثيرة لم يعلم به أحد، ثم رجع إلى الأندلس في سنة أربع وعشرين وأربعمائة.. هكذا روى جماعة من مشايخ الأندلس!

وقال الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في كتابه المسمى «نقط العروس في هذه الحكاية»: أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها، وإنما ظهر رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد وأدعى أنه هشام، وبويع له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى، وسفك الدماء وتصادمت الجيوش في أمره.

وقال أبو محمد بن حزم: وفضيحة لم يقع في الدهر مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها يُسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين، ويخطب لهم في زمن واحد أحدهم خلف الحصري المذكور بإشبيلية على أنه هشام بن الحكم المؤيد، والثاني محمد ابن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، والثالث محمد بن إدريس بن علي

ابن حمود بمدينة مالقه ، والرابع إدريس بن يحيى بن علي بشنترين^(١) .

٢٣٢- ب

/ وأقام المدعى أنه هشام بن الحكم نيفاً وعشرين سنة والقاضي محمد ابن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه ، والأمر إليه . وقد استقام لمحمد أكثر بلاد الأندلس ، ودفع به كلام الحساد وأهل العناد ، إلى أن توفي هشام المذكور . فاستبد القاضي بالأمر بعده وملك أكثر مدن الأندلس وحصونها . ولم ينتقل عن مدينة إشبيلية بل جعلها دار ملكه ، واستقامت له الأمور ، وأطاعته المدن والثغور ، واجتهد في جهاد الفرنج . وكان له في ذلك القدم المشهور ، ومات محمد في عشر الخمسين وأربعمائة ، وولى بعده ابنته عباد .

ذكر ولاية أبي عمرو عباد بن محمد

ولى بعد أبيه وتلقب المعتضد بالله ، وكان فيه كرم وبأس . فطابت أيامه ، وحدثت أفعاله ، واستقامت له الأحوال ، ورُفعت له من بلاد الأندلس الأموال . قال^(١) : واتفق له واقعة غريبة في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وهي أنه شرب ليلة مع رجاله وندمائه فلما عملت فيه الخمر صرقهم وخرج في الليل ومعه رجل واحد من عبده . وسار نحو قرمونة وهي [تبعد]^(٢) عن مدينة إشبيلية ثمانية عشر ميلاً ، وكان صاحب قرمونة إسحاق بن سليمان البرزالي وقد أجرت بينه وبينه حروب .

٢٣٣- ا

(١) Santarcin مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي قرطبة وعلى نهر تاجة قرب

انصباة في البحر المحيط (معجم البلدان ٣ : ٣٦٧) .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٩١ .

(٣) إضافة يقتضيا السياق .

فسار عباد حتى أتى قرمونة ، وكان إسمحاق تلك الليلة في جماعة من أهل بَيْتِهِ يشربون ، فدخل عليه بعضُ خُدَّامِهِ فقال : إن صاحبَ الحريس ذكر أنَّ المعتضدَ عباداً قائم على باب المدينة ليس معه إلا رجلٌ واحدٌ وهو يستأذن عليك ! فعجب القومُ من ذلك غايةَ العجب ، وخرج إسمحاق ومَنْ عنده إلى باب المدينة فسَلَّم على عباد وأدخله إلى القصر ، وأمر بتجديد الطعام والشراب . فلما شرع في الأكل تذكر ما فعل فسقط في يده ولم يطق أن يسفه ، وندم على ما صنع لما يعلم بينه وبين برزال من الحرب وسفك اللماء ، فأظهر التجلُّد والانشراح ثم قال لإسمحاق : أريد أن أنام !

فرفعه على الفراش ، فأراهم عباد أنه نائم ، فقال بعض القوم لبعض : هذا كبشٌ مرمينٌ حصل لكم ، والله لو أنفقتم عليه مُلْكُ الأندلس ما قدرتم على حصوله في أيديكم ، وهو شيطانُ الأندلس وإذا قُتل خلصت لكم البلاد !

فقام معاذ بن أبي قُرَّة وكان من كُبرائهم فقال : والله لا فعلنا هذا ولا رضينا به ، رجلٌ قصدنا ونزل بنا ، ولو علم أننا نرضى فيه بقبيح لما أتانا مستأمناً إلينا ، كيف تتحدث القبائلُ عنا أننا قتلنا ضيفنا وخفَرنا ذِمَّتَنَا ، فعَلَى مَنْ يَرْضَى هذا لعنةُ الله ! وهو يسمع فنزل عن السرير فقام القوم بأجمعهم / فقبلوا رأسه وجددوا السلام عليه فقال لحاجبه : أين نحن ؟ قال : في منزلك وبين أهلك وإخوانك ! قال : اثنوني بدواة وقرطاس .

فأتوه بهما ، فكتب أسماء القوم ، وكتب لكل واحدٍ بخلةٍ ودنانير وأفراسٍ وعبيد وجوارٍ ، وأمر أن يرسل كل واحدٍ منهم رسولاً ليقبض

ذلك . ثم ركب وخرج القوم يشيعونه إلى قرب إشبيلية ، فصرفهم ودخل . وأرسلوا من قبض لهم ما كتب به ، ثم أغفلهم ستة أشهر وكتب إليهم يستدعيهم لوليمة ، فجاءه سبغون رجلا منهم فأنزلهم عند رجاله ، وأنزل معاذًا عنده . وأمر بهم فأدخلوا حمامًا ، وبنى عليهم بابيه ، فماتوا جميعا ، فعز ذلك على معاذ بن أبي قرة فقال له عباد : لا تفرغ فإنهم قد حضرت آجالهم وقد أرادوا قتلى ، ولولاك ما كنت ناجيا منهم ، وإنما جعل الله صيانه دمي بك ، فإن أردت الرجوع إلى بلدك رددتك على أجمل الوجوه وأحسنها وأسرها فقال له معاذ : بئى وجه أرجع أنا دونهم ؟

فأمر له المعتضد بألف دينار وعشرة أفراس وثلاثين جارية وعشرة أعبد ، وأنزله في قصر من أعظم قصوره ، وأقطعه في كل عام اثني عشر ألف دينار ، وكان ينفذ إليه في كل يوم التحف والظرف . ولم يكن يحضر مجلسه أحد قبله / إلى أن مات عباد فأوصى ولده بمعاذ وقال : يا بني احفظني فيه ! فجرى فيه على عادة أبيه ، ودام بإشبيلية حتى انقرضت دولة بني عباد . ٢٣٤-١

قال بعض أهل إشبيلية : رأيت معاذ بن أبي قرة يوم دخل يوسف بن تاشفين إشبيلية أول النهار وعليه ثوب ديباج مخروط بالذهب وأمامه نخو من ثلاثين عبداً ، ورأيت آخر النهار عليه ملبس (١) مشتمل به فمبحان من لا يزول ملكه ، نسأل الله تعالى أن لا يستلبنا ثوب نعمة أنعمها علينا بمنه وكرمه .

(١) اللبس : شيء من قماش (القاموس المحيط) .

وفي أيام عباد توفي الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن
 حزم بن غالب بن صالح بن سعدان بن سفيان بن يزيد الفارسي
 مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية . أصل آبائه من قرية
 مُنت ليحم من عمل الوبلة ^(١) من كور غرب الأندلس ، وسكن هو
 وآبائه قرطبة ونالوا بها جاهاً عريضاً ومالاً وممدوداً . وولي ابنُ أبي عامر
 جدّه سعيداً الوزارة ، وولي أبو محمد هذا الوزارة في أيام المستظهر
 بالله عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الأموي . وكان مولده يوم
 الأربعاء سُلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ووفاته في
 سُلخ شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وكانت مدة حياته
 اثنتين وسبعين سنةً وأحد عشر شهراً . وله كثير من الصنُفات ،
 / اذكر أنه اجتمع مع الإمام أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن
 ٢٣٤-ب أيوب الباجي صاحب التوآليف - وقيل بل الفقيه إبراهيم الخفاجي -
 فجرت بينهما مناظرة ، فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد : تعذرني
 فإن أكثر مطالعتي كانت على سُرج الحُرّاس ! فقال له ابنُ حزم :
 وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة ! ^(٢)

وفي سنة ستين وأربعمائة توفي المعتضد بالله عباد بن محمد ،
 وحكى أنه استحضر مغنيا يغنيه ليُجعل أول ما يُبدأ به فألا فكان
 أول شعر قاله :

نطوي الليالي علما أن مستطوينا قشعشعينا بماء المزن واسقينا

(١) ولة جنوب غرب لبله على شاطئ المحيط الأطلنطي ، وفي ا ، ك ١٤٠ ،

ف ١٣٢ -ب « الوبلة » بصحيف »

(٢) ذكر ابن كثير طرقاً من أخباره في البداية والنهاية ١: ١٢ تحت اسم « ابن حزم الظاهري »

فمات بعد خمسة أيام رحمه الله ، ولما مات ولى بعده ابنه محمد .

ذكر ولاية المعتمد على الله

محمد بن عباد

ابن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد ، وكنيته أبو القاسم .
ولى بعد وفاة أبيه في سنة ستين وأربعمائة ، وقيل في سنة إحدى
ومرتين ، وكان مولده بباجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، فكان
عمره حين ولي ثلاثين سنة . وكان فيه أدب وشعر وكرم / وتواضع
وشجاعة ، قال أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة كاتبه
يصف الدولة العبادية « كانت الدولة العبادية تشبه العباسية ، بها
وسعة ملك ووثاق عهد وانتظام عقد ، وعدل أئمة واعتدال أمة ، كان
أربابها يتنافسون في المكارم ويتغايرون على الشرف المتقدم ..

من حلبة السبق لا برق يخاطفها إلى مداها ولا ريح يجارها
تردُّهم نسبة نحو السماء فهم من مانها ، وعلاهم من درارها
يشير إلى المنذر بن ماء السماء ، ثم قال « جمعوا كرم الأخلاق
إلى صرف الأعراق ، وحملوا حلى الآداب على الأحساب ، وعضدوا
البأس بالكرم وأيدوا بالسيف والقلم ..

نفر إلى مساء السماء نمائم نسب على أوج النجوم مخيم
بالبيض والبيضات والخلق اكتسوا
فتوشحوا وتوجوا وتعمموا

وكان هذا البيت سريراً للفلك الدائر وغريبه البحر الزاخر المعتمد
على الله المؤيد بنصر الله أبو القاسم محمد ، وذكر نسبته ، ثم قال :
من بنى المنذر وهو انتساب ... البيتين ، وقد ذكرناهما آنفاً ،
وقال تِلْوَهُمَا : وكذلك يَطْرُدُ النَّسَبُ اطْرَادَ / الشَّابِيبِ ، ويتَسَقُّ ٢٣٥-ب
إِتْساقَ الْأَنَابِيبِ ، فهو كما قيل :

شَيْرَفٌ يُنْقَلُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرَّمَجِ أَنْبُوبٌ عَلَى أَنْبُوبٍ
إلى مركز الدائرة من لخم وواسطة المنتخبيين من يعرب وقحطان!
ثم ذكر مولده وولايته على ما قدمنا وذكر خلعه في سنة أربع وثمانين
على ما نذكره إن شاء الله .

وكان سبب خلعه وانقراض دولته أن الفرنج - لعنهم الله - لما
استولوا على طليطلة وملكها الأذفونش - وهو ألفونش - في سنة ثمان
وسبعين وأربعمئة على ما قدمناه. وكان المعتمد . يودى إليه ضريبة
في كل سنة ، فلما سيرها إليه بعد استيلائه على طليطلة لم يقبلها
وأعادها ، وأرسل إليه يتوعده ويقول له : أنا آخذ مدينة قرطبة
كما أخذت طليطلة إلا أن ترفع يدك عن جميع الحصون وتسلمها
إلينا ويكون لك السهل من البلاد !

وكان الرسول تسلية اليهودي ومعه خمسمائة فارس ، وطلب
منه اثني عشر ألف دينار ، فأمر المعتمد بإتزال الخيالة على أهل
العسكر متفرقين وأمر كل من عنده فارس منهم أن يقتله . ولما جن
الليل أحضر اليهودي وكشف رأسه ، وأمر بضربه بالنعال المسمرة ،
حتى خرجت عيناه من رأسه . وهرب من الخيالة ثلاثة ، فوصلوا إلى

٢٣٦-١ إلى الأذفوشين وأعلموه بِقَتْلِ أصحابه وكان متوجها إلى قرطبة يريد حصارها - فلما جاءه الخبر وجع إلى طليطلة ليستعد ويُهَيِّء آلات الحصار .

فلما سمع المعتمد برحيله إلى طليطلة سار هو إلى إشبيلية فبلغ مشايخ قرطبة ما جرى ، فاجتمعوا بالفقهاء وقالوا : هذه مدائن الأندلس قد غابَ عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل ، وإن استمرت الأحوال على ما ترى عادت نصرانية كما كانت ! ثم ساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له : ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم الجزية إلى الفرنج بعد أن كانوا يأخذونها منهم ، وابن عبَّاد هو الذي حمل الفرنج على المسلمين حتى جرى ماجرى وطلب منه ما طلب ، وقد دبرنا رأيا نعرضه عليك ! قال : وما هو ؟ قالوا : نكتب إلى عرب أفريقية ونعلمهم أنهم إن وصلوا إلينا قاسمناهم في أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله تعالى ! قال : أخاف أن يخربوا الأندلس كما فعلوا بأفريقية ويتركوا الفرنج ويبداؤا بكم والمرابطون أقرب إلينا وأصلح حالا . قالوا : فكاتب يوسف بن ناشفين ورغب إليه أن يدخل إلينا بنفسه أو يرسل إلينا قائدا من قواده . قال : أما الآن فقد أشرتم برأى فيه السداد !

وقدم المعتمد إلى قرطبة في أثر ذلك ، فدخل عليه القاضي وأعلمه بما دار بينه وبين أهل قرطبة وما اتفقوا عليه ، فقال المعتمد : نعم ما أشاروا به وأنت رسولي / إليه ! فامتنع القاضي واستغفاه

٢٣٦-ب

وإنما أراد أن يقوَّى عزمه على إرماله فقال : لا أجسد لها غيرك .
فسار القاضي ، وصحبه أبو بكر بن القصيرة الكاتب إلى أمير
المسلمين ، فوجداه بسبّية ، فقابلاه الرسالة . وأعلماه بحال المسلمين
وما هم عليه من الخوف والجزع من الأذفونش ، وأنهم يستنصرون
بالله ثم به ، وأن للمتمد يستنجد به عليه . فأمر يوسف في الحال
بإدخال العساكر إلى الجزيرة الخضراء ، وأقام بسبّية وأنفذ
إلى مراکش في طلب من بقى ، ودخل في آخر العساكر .. هذا
ما نقله أهل التاريخ ، أن القاضي وابن القصيرة كانا رسولين إليه ،
وقيل إن للمتمد بن عباد سار بنفسه بغير واسطة وتلطّف في الدخول
عليه إلى أن انتهى إلى آخر بواب فقال له : قل للأمير المسلمين
إن ابن عباد بالباب ! فلما أعلمه بذلك ارتاع وظن أنه قدم
بعساكره ، وسأله عن حقيقة الحال فقال : هو ببابك وخُذْهُ
فأذن له ، فدخل عليه ، فأكرمه ووعدته النصر . وعاد ابن عباد ،
ولحقه أمير المسلمين .

ذكر وقعة الزلاقة

وانهزام الفرنج لعنهم الله

قال (١) : وجمع المتمد العساكر وأقبل أمير المسلمين ٢٣٧ - ١
بعساكره ، واجتمعوا كلهم بإشبيلية ، وخرج من أهل قرطبة -
من التطوعين - أربعة آلاف فارس وراجل . وجاء المسلمون من
بلاد الأندلس ، من كل بلد وحصن . واتصلت الأخبار بالأذفونش ،

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٤٢

فخرج من طليطلة في أربعين ألف فارس غير من أنضاف إليها ،
وكتب إلى يوسف كتابا كُتبه عنه رجل من أدباء المسلمين يغلظ
فيه القول ويصف ما عنده من القوة والعُدَد والعُدَد ، ووسَّع وأطال
وبالغ . ووصل الكتاب إلى يوسف بن تاشفين فأمَرَ الكاتب أبا بكر
ابن القصيرة أن يجاوبه . وكان كاتباً مجيداً - فكتب وأطال وبالغ ،
فلما قرأه على يوسف استطاله وكتب على ظهر كتابه « الذي يكون
ستراه »

ولا كُتِبَ إلى المشرقية والقنا ولا رُسل إلا بالخميس العَرَمَين

ورَدَّه إليه ، فلما قرأ الجواب اوتاع وقال : هذا رجلٌ له عزم !
قال (١) : ولما استعد الأذفونش لللقاء رأى في منامه كأنه راكبٌ
فيلاً وبين يديه طبل صغير ينقر فيه ، فقصَّ ذلك على القسيسين
فلم يعرفوا تأويله ، فاستحضر رجلاً مسلماً عالماً ديناً فاستغفاه من
القول فأمَّنه وعزم عليه ، فقال : تأويل هذه الرؤيا في آيتين من
كتاب الله عزَّ وجلَّ ! وقرأ سورة الفيل ، وقوله تعالى « فإذا نُفِرَ في
الناقورِ فذلك يومئذٍ يومٌ عسيرٌ على الكافرين غيرُ يسير » (٢) وذلك
يقتضى هلاك الجيش الذي تجمعه .

٢٣٧ ب

فلما اجتمع الجيشُ وعبَّاه أعجبتَه كثرتُه ، فاستحضر المعبر
وقال له : هذا الجيشُ الذي ترى ألقى به محمداً صاحبَ كتابِكُم !
فانصرف المعبرُ عنه وقال : هذا الملكُ هالكٌ لا محالة وكلُّ مَنْ معه

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٤٢

(٢) سورة الملثة الإيجان ٨ ، ٩

فإنه قد أعجبَ بِجَمْعِهِ ... وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم
: « ثلاث مهلكات » الحديث ...

قال (١) : وسار المعتمدُ بنُ عباد وأميرُ المسلمين بالعساكر
حتى أتوا موضعا يقال له الزلاقة من بلد بطليوس (٢) وأتى
الأذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم - ثمانية عشر ميلا ، فقيل
ليوسف بن تاشفين إن ابنَ عباد ربما لم يُنصَح ولا يبذل نفسه
دونك ، فأرسل يقول له « كُنْ في المقدمة ونكون نحن في أثرك » .
فتقدم ابنُ عباد .

وضرب الأذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمد بن عباد في سفح
جبل آخر بحيث يتراءان ، ونزل يوسف بن تاشفين في جبل
من وراء الجبل الذي فيه المعتمد . وظنَّ الأذفونش أن عسكر
المسلمين ليس إلا ذاك الذي يظهر له مع المعتمد والأذفونش في زهاء
خمسين ألف فارس ، فما شكَّ أنه الغالب واستعمل الخدعة . وأرسل
ابنُ عباد في ميعات اللقاء يوم الخميس ، وقال : نحن
قد وصلنا على حال تعبٍ وأمامكم الجمعة وأمامنا الأحد فيكون اللقاء
يوم / الإثنين بعد أهبة ! فاستقر الأمرُ بينهما على ذلك .

٢٣٨ - ١

ثم ركب الأذفونش صبيحة الجمعة ليلا ، وصبحَ بجيشه
جيش المعتمد ، فوقع القتال بينهم ، فصبر المسلمون وقتل منهم
خلقٌ كثيرٌ ، وأشرفوا على الانهزام . وقد كان المعتمد أرسل إلى ابن

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٤٢

(٢) Badajoz وكان صاحبها إذ ذاك ابن الأفطس وقال ياقوت إنها مدينة كبيرة
الاندلس من أعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبة (معجم البلدان ١ : ٤٤٧)

تأشفين فقال للأدلة : احملوني إلى مضارب الأذقونش ! فما شعر القرنج إلا وقد نُهِيتْ خيامُهم وخزائنُ الأذقونش وعُدُّه ، والقتلُ يعملُ فيهم من رواء ظهورهم . فلم يتمالك القرنج أن انهزموا وأخذهم السيف من كلِّ مكان ، فقتلوا عن آخرهم : فما سَلِمَ إلا آحاد ! وهرب الأذقونش في نَفَرٍ يسيرٍ ودخل طليطة في سبعةِ فوارس ، ولم يرجع من القرنج إلى بلادهم غيرُ ثلاثائة نفرٍ أكثرهم رجالة .

وكانت هذه الواقعة في يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأصاب المعتد جراحاً في وجهه ، ووُصِفَ في ذلك اليوم بالشجاعة . وغنم المسلمون من أموال القرنج وأسلحتهم ما لا يُحصى كثرةً ، وجعل المسلمون رؤوس القتلى كوماً كبيراً وصلعوا عليه وأذنتوا إلى أن جافت فأحرقوها .

وعاد المعتد إلى إشبيلية ، ورجع أميرُ المسلمين إلى الجزيرة الخضراء وعُدِّي إلى سبته وسار إلى مراکش . وعاد في السنة الثانية ٢٣٨ ب إلى جزيرة الأندلس وحاصر / ليطة ^(١) هو وابنُ عباد وصاحبُ غرناطة ^(٢) ، فلم يتهيأ لهم فتحه ، فرجع وأخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكمين ، وهي أول ما ملكك من بلاد الأندلس على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) كنا في جميع النسخ ولها ليط إلى ذكرها بقوت وقال إنها بالأندلس من أعمال الجزيرة الخضراء (٥ : ١٠) .

(٢) Granada وقد سبق الإشارة إليها ، وقد ذكرنا أن صاحبها كان بلديس بن حبوس قبل محيى يوسف المراتب ، واستول على ماله ، وكان مزاحماً خطيراً للمعتد أبي الحسد بن عباد .

ذكر انقراض الدولة العبادية

وشىء من أخبار المعتمد وشعره

في سنة أربع وثمانين وأربعمائة أتى يوسف بن تاشفين إلى سبتة ودخل العساكر إلى الأندلس مع سيرين [بن] ^(١) أبي بكر ، فقصدوا مدينة إشبيلية ، فحاصروا المعتمد وضيقوا عليه . فقاتل قتالا شديداً ، وظهر من شجاعته وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يُشاهد من غيره فسمع الفرنج يقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس ، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم ، فجمعوا وأكثروا وساروا لمساعدة المعتمد وإغاثة على المرابطين . فلما سمع بمسيرهم ^(٢) فارق إشبيلية وتوجّه إلى لقاء الفرنج ، وقابلهم وهزمهم ، ورجع إلى إشبيلية . وداوم الحصار والقتال إلى العشرين من شهر رجب من السنة ، فعظم الخُطبُ واشتد الأمر على أهل البلد . ودخله المرابطون من واديه ونهبوا الأموال ، ولم يُبقوا على شيء حتى سلبوا الناس ثيابهم ، وخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم .

وأمر المعتمد ومعه أولاده الذكور والإناث ، بعد أن استأصلوا جميع أموالهم . وقيل إن المعتمد سلّم البلد بأمان ، وكتب نسخة الأمان والعهد ، واشتدّ خلفهم على نفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق به . فلما سلّم إليهم إشبيلية لم يفوا له ، وسير المعتمد

(١) زيادة من ك صفحة ١٤٣ .

(٢) في أ فلما سمع سير خبرهم ، يعني سيرين بن أبي بكر .

إلى مدينة أغمات ^(١) ، فحُبِسُوا بها ، وفعل بهم أمير المسلمين أفعالا قبيحة لم يفعلها أحد قبله . وذلك أنه سجنهم ولم يُجرِ عليهم مايقوم بهم ، حتى كان بناتُ المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها على أنفسهم ، فأبان أمير المسلمين في ذلك عن لؤم طباع وضيق نفس .

قال ^(٢) : وبقي المعتمد في حَبْسِه بأغمات إلى سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة ، [فتوفى فيها ، وقبره بأغمات . فكان من بنى عباد ثلاثة ؛ القاضي محمد ابن إسماعيل ، وابنه عباد ، ومحمد بن عباد هذا ، ومدة مُلكهم ستون سنة ، وكان له من الأولاد الذكور والإناث] ^(٣)

وكان رحمه الله من محاسن الزمان كرما وعلما ورئاسة وأخباره مشهورة وآثاره مدونة . وقد ذكره ابن خاقان في « فلاند العقيان » ، وذكر شيئا من نظمه ونثره . وكان شاعره أبا بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة ^(٤) يأتيه في سجنه فيمدحه لإحسانه القديم إليه وبره الذي بقيت آثاره مع طول الزمن عليه ، قال ابن اللبانة : فأمضيت عزيمتي بعد انقضاء

(١) مدينة قرب مراکش .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٩١

(٣) بياض في الأصل ، وفي ك ، ف أيضا .

(٤) لم يكن هذا الشاعر منقطعا لابن عباد ، وإنما كان يتنقل بين ملوك الأندلس

وقصت هنا دليل على وفاته ، ومما قاله في صاحب مهورقة :

وغمرت بالإحسان أرض مهورقة وبنت مالم بينه الإسكندر

الدولة في زيارته ، فوصلت إليه بأغصات ، فقلت في ذلك أبياتا عند دخولي عليه .

لم أَقُلْ في النِّقَافِ كانَ نِقَافًا كُنْتُ قَلْبًا لَه وَكانَ شِغافًا
يَمُكِّثُ الزَّهْرُ في الكِمامِ ولكن بعد مُكِّثِ الكِمامِ يَدنو قِطافًا
وَإِذا ما الهلالُ غابَ بِغَيْمٍ لم يَكُنْ ذلكَ المَغيْبُ انكِسافًا
إِنما أَنْتَ دَرَّةٌ للمَعالي رَكِبَ الدَّهْرُ فَوْقَها أَضدافًا
حَجَبَ البَيْتُ مِنْكَ شَخْصًا كَرِيمًا مِثْلَ ما يَحجِبُ الدُّنْيا السِّلافا
أَنْتَ لِلْفَضْلِ كَعِبةٌ وَلِوِائِي كُنْتُ أَسطِيعُ لالْتِزَمْتُ الطُّوافا

قال : وجرت بيني وبينه مخاطباتٌ أُلِّدُ من غفلات الرقيب ، وأشهى من رَشَفَاتِ الحبيب ، وأدُلُّ على السَّاحِ ، من فَجْرِ على صباح - قال - فلما قاربت الصدرَ وأزمت السفر ، صرف حيله واستنفذ ما قبله ، وبعث إليَّ شرفَ الدولة ابنه - وكان من أحسن الناس سمنا وأكثرهم صمتًا ، تخجله اللفظة وتجرحه اللحظة ، حريصًا على طلب الأدب مسارعا في اقتناء الكتب ، مشابها على نَمِخِ الدواوين ففتَح من خَطِّه فيها زَهْرَ البساتين - بعشرين مثقالا مرابطية^(١) وثوبين / غير مخيطين ، وكتب مع ذلك أبياتا منها : ٢٤٠ - ١

إِلَيْكَ النَّزَرُ مِنْ كَفِّ الْأَسِيرِ وَإِنْ تَقَنَّعَ نَكُنْ عَيْنَ الشُّكُورِ
تَقَبَّلْ ما نَدوتُ بِهِ جِياءَ وَإِنْ غَدَرْتَهُ حَالَاتُ الْفَقِيرِ

قال ابن اللبانة فأجبتة :

حاش لله أن أحيجَ كريماً يتشكى فقراً وكم سدَّ فقراً
وكفاني كلامك الرطب نَيْلاً كيف ألقى ذراً وأطلب نَيْراً
لم تَمُتْ إنما المكارم ماتت لا سقى الله بعدك الأرض قطراً

مما قاله المعتمد من شعره في مدة أسره - فمن ذلك - قوله :

مَلَّتْ عَلَى يَدِ الْخُطُوبِ سُيُوفُهَا فَجَرَزْنَ مِنْ جَسَدِي الْخَصِيفَ الْأَمْتَا
ضَرَبَتْ بِهَا أَيْدِي الضُّرُوبِ وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ رِقَابَ الْأَمْنَيْنِ بِهَا الْمَيَّ
يَا أَمَلِي الْعَادَاتِ مِنْ نَفْحَاتِنَا كُفُّوا فِي الدَّهْرِ كَفَّ أَكُفُّنَا

وقال في قصيدة يصف القيد في رجله :

تَعْطَفَ مِنْ مَرَاتِي تَعْطَفَ أَرْقَمِ يَسَاوِرُهَا عَضّاً بِأَنْيَابِ ضَيْغَمِ
وَلَأْنِي مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسَيْبِهِ مِنْ سَيْفِهِ فِي جَنَّةِ وَجْهِهِ

وقال في يوم عيد :

فِيَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَصِرْتُ كَالْعَبْدِ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورَا
قَدْ كَانَ دَهْرُكَ إِنْ يَأْمُرُهُ مِمْتَثَلَا فَدَكَ الدَّهْرُ مِنْهَيَا وَمَأْمُورَا
لَمَنْ بَاتَ بِعَمْدِكَ فِي مُلْكٍ يُسْرِبُهُ فَلِإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورَا

٢٤٠- ب

وتعرض له أهل الكُذبة وهو في الحبس فقال :

سَأَلُوا الْيَسِيرَ مِنَ الْأَسِيرِ وَإِنَّهُ بِسْوَالِهِمْ لِأَحَقُّ مِنْهُمْ فَاغْجِبِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ لَخْمِيَّةٍ طَى الْحِشَا لِحَكَامِهِمْ فِي الْمَطْلَبِ

ورثا ولديه وقد ذبحا بين يديه فقال :

يقولون صبراً .. لا مَسْبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ

مَسَابِكِي وَأَبْكِي مَا تَطَاوَلُ مِنْ عُثْرِي

أَفْتَح .. لَقَدْ فَتَحْتُ لِي بَابَ رَحْمَةٍ
 كَمَا بِيَزِيدَ اللَّهُ قَدْ زَادَ فِي أَجْرِي
 هَوَى بِكُمْ الْمَقْدَارُ عَنِّي وَلَمْ أُمْتَ
 فَأُدْعَى وَفِيًّا قَدْ نَكَصْتُ إِلَى الْغَدْرِ
 وَلَوْ عُدْتُمَا لَأَخْتَرْتُمَا الْعُودَ فِي الثَّرَى
 إِذَا أَنْتُمَا أَبْصَرْتُمَانِي فِي الْأَشْرِ
 أَبَا خَالِدٍ أَوْرَثْتَنِي الْبَيْتُ خَالِدًا
 أَبَا النَّصْرِ مَذُودَعَتَ وَدَعْنِي نَصْرِي

قال : وكان الشيخ عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمد يس
 توجه من المغرب إلى الأندلس في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ،
 فقصده المعتمد ، وأقام عنده إلى أن خلع ، فكتب إليه المعتمد بعد
 أن عاد إلى المهديّة :

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِينَ أَسِيرٌ يُبْكِي عَلَيْهِ مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ
 أَذَلُّ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ زَمَانُهُمْ وَذُلُّ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ كَثِيرٌ
 فَمَا مَآوَاهَا إِلَّا بَكَاءٌ عَلَيْهِمْ يَفِيضُ عَلَى الْآفَاقِ مِنْهُ بِحُورٌ
 فَاجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدٍ يَس :

١-٢٤١

جَرَى لَكَ جَدُّ بِالْكَرَامِ عَثُورٌ وَجَارُ زَمَانٍ كُنْتَ مِنْهُ تَجِيرُ
 لَقَدْ أَصْبَحَتْ بَيْضُ الظُّبَابِ غُمُودَهَا إِنَانَا بِتَرْكِ الضَّرْبِ وَهِيَ ذُكُورُ

ولما رحلتم بالندي في أكفكم وقُلِقِلَ رضوى منكم وثبير
 رفعت لسانى بالقيامة قد دنت ألا فانظروا كيف الجبال تسير ؟
 قال ولما توفي المعتمد وقف ابنُ اللبانة على قبره في يوم عيد -
 والناس عند قبور أهاليهم - وأنشد بصوت عال :

مالك الملوك أسمعُ فأنادي أم قد عداك عن الجواب عواد
 لما خللت منك القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
 قبلت في هذا الشرى لك خاضعاً وتخذت قبرك موضع الإنشاد
 وأخذ في إتمام القصيدة ، فاجتمع الناس كلهم عليه ليكون
 لبكائه وإنشاده . وحكى بعض المعتنين بأخبارهم أن فخر الدولة
 ابن المعتمد على الله مريوماً في بعض شوارع مدينة إشبيلية ، فطمحت عينه
 إلى روشن قرأى وجها حسناً فتعلق قلبه به ، ولم يمكنه الوصول ،
 فخامره الهوى ومرض من ذلك . فاتصل خبره بأبيه ، فسأل
 عن المرأة فقيل إنها ابنة رجل خباز ، فأمر الوزير أن ينفذ إلى أبيها
 ويخطبها منه . فأرسل إليه الوزير فعلم ما يُراد به ، فامتنع من الوصول
 إليه وقال : هو أحق بالوصول إلى في هذه الحالة !

فأعلم المقتدر بذلك فقال : تصدق إليّ وتخطبها . فلما وصل
 إليه وخطبها قال الخباز للوزير : ألهُ صنعة ؟ فقال الوزير : ابنُ
 المعتمد يُطلبُ منه صنعة وهو سلطان الأندلس ؟ فقال له : أمها طالق
 إن زوجها إلا مَنْ له صناعةٌ يشتُر حاله وحالها بها إن احتاج إليها .
 فأعلم الوزير المعتمد فقال : هذا رجل عاقل ! فأمر بإحضار
 النضاغة إلى القصر وعلم فخر الدولة الصمياغة وحذق فيها فلما جرى

عليهم ماجرى دخل حوانيت الصاغة ، وصاغ بالأجره فرآه ابنُ اللبانة
وهو ينفخ في بعض الحوانيت فقال :

أذكى القلوبَ أحنى ، أبكى العيونَ دماً
خَطْبٌ وَجُودٌ فيه يشبه العدم

صرفت في آلة الصياغ أنملة
لم تذر إلا الندى والسيف والقلم
باصائغاً كانت الدنيا تُصاغ له

حلياً وكان عليه الحلي منتظماً
التفخ في الصور هو ما حكاه سوى

هو رأيك فيه تنفخ الفحما

قال : ولما انقرضت الدولة العبادية صار مُلكُ بلاد المسلمين
إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب مراكش والمغرب ،
وسنذكر ذلك إن شاء الله في أخباره .

[ذكر ممالك الأندلس الأخرى]^(١)

وأما سرقسطة والثغر الأعلى / فكان ذلك بيد منذر بن يحيى إلى أن
توفي وولى بعده ابنه يحيى ، ثم ولى بعده سليمان بن أحمد بن محمد
ابن هود الجذامى ، وكان يُلقبُ بالمستعين ، وكان من قواد منذر على
مدينة لاردة ، وله وقعة مشهورة مع الفرنج في سنة أربع وثلاثين
وأربعمائة . ثم توفي وولى بعده ابنه أحمد المقتدر بالله ، وولى بعده

(١) عنوان ليس موجوداً في النسخ ولكن المقام يقتضيه (ك ١٤٦ ، ف ١٣٧ - ب)

يوسف المؤمن ، ثم ولي بعده أحمد المستعين على لقب جدّه ، ثم ولي ابنه عماد الدولة . ثم ابنه أحمد المستنصر بالله ، وعليه انقضت دولتهم على رأس الخمسمائة ، وصارت للملاحمين .

وأما طرطوشة فوليتها الفتى العامرى .

وأما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن محمد بن المنصور بن أبي عامر ، ثم انضاف إليه لمرية ، وما كان إليها . وبعده ابنه محمد ، ودام فيها إلى أن غدر به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذى النون في ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة .

وأما السهلة ^(١) فملكها عبود بن رزين ، وأصله بوبرى ، ومولده بالأندلس . فلما هلك ولي بعده ابنه عبد الملك ، ثم ابنه عز الدولة ، ثم الملتمون .

وأما دانية ^(٢) والجزائر فكانتا بيد الموفق أبي الجيش مجاهد العامرى ، وسار إليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله المعيطى ومعه خلق كثير . فأقامه مجاهد شيبته خليفة يصنّدر عن رأيه ، وبإيعاده في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة . وأقام المعيطى معه بدانية نحو ثلاثة أشهر ، ثم سار هو ومجاهد في البحر إلى الجزائر وهي

٢٤٢ب

(١) جاء في المغرب ٢ : ٤٢٧ « هى بين مملكة بلنسية وجهات ثغر سرقطة ، وحضرتها مدينة شتمرية ، ملكها فى مدة ملوك الطوائف هذيل بن خاف بن رزين البربرى » فقارن بين مائى النصين !

(٢) بلد فى مقاطعة بلنسية ولكنه كما ورد فى المغرب ٢ : ٤٠٠ كاد يكون « مملكة منقطعة من بلنسية لعظم ما احتوى عليه » وقد سى الموفق هنا « ملك الجزر لغزوه النصارى فى البحر ولا سببا سرداقية .

ميورقة ومنورقة ويابسة^(١) . ثم بعث المعيطى بعد ذلك مجاهداً إلى سردانبة في مائة وعشرين فارساً ومعه ألف فارس ، ففتحها في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة وقتل بها خلقاً كثيراً من النصراني ، وسبى . فصار إليه الفرنج والروم في آخر السنة فأنزجوه منها ، فرجع إلى الأندلس فوجد المعيطى قد مات . وبقي مجاهد إلى أن مات ، وولى بعده ابنه علي بن مجاهد ثم مات ، فولى بعده ابنه أبو عامر . ثم صارت دانية وسائر بلادها إلى المقنذر بالله أحمد بن سليمان بن هود ، في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وأما مرمىة فولياها بنو طاهر ، واستقامت رئاستها لأبي عبد الرحمن المدعو بالرئيس إلى أن أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبي بكر بن عمار الفهري ، فلما ملكها عصى على المعتمد فيها ، فوجه إليه عسكرياً مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق العشيري فحصره . وضيقوا عليه فهرب منها ، ودخلها العشيري وملكها فعصى فيها على المعتمد ابن عباد إلى أن دخل في طاعة الملتهمين ، وبقي بها إلى أن مات في سنة سبع وخمسمائة .

وأما إلمرية فملكها خيران العامري إلى أن توفي ، وملكها زهير العامري واتسع ملكه إلى شاطبة إلى ما يجاور عمل طليطلة . ودام إلى أن قتل وصارت مملكته إلى المنصور أبي الحسن بن أبي عامر -

(١) يابسة جزيرة تلي منورقة Minorca ويقال فذه الجزيرة ولمنورقة بنتا جزيرة ميورقة Majorca (صفة جزيرة الأندلس ١٩٨) .

صاحب بلنسية ، فولى عليها محمداً ابنه ، فأقام بها مدةً في حياة أبيه وبعد وفاته إلى أن أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الأحوص من بن محمد ابن حمادح التجيبي . وذات لة لورقة وبياسه^(١) وجيان وغيرها ، إلى أن توفي في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه أبو يحيى محمد ابن من - وهو ابن أربع عشرة سنة - فكفله عنه أبو غنبة بن محمد إلى أن توفي في سنة ست وأربعين وأربعمائة . فبقى أبو يحيى مستضئاً لصغره ، وأخذ ما بعد من بلاده عنه ، ولم يبق له غير المرية وما جاورها . فلما كبر أخذ نفسه بالاستغفال بالعلوم ومكارم الأخلاق ، فامتد صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق بأكابر الملوك . ودام بها إلى أن نازله جيش المسلمين فمرض في أثناء ذلك ، وكان القتال / تحت قصره فسمع يوماً صياحاً وجلبه فقال : يغص غلبنا كل شيء حتى الموت ! وتوفي في مرضه ذلك لثان بقيين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وملك الملثعون المرية ودخل أولاده وأهله في البحر إلى بجاية^(٢) ، والتحقوا ببني حماد .

وأما مالقة فلما كهاهنوعلى بن حمود ، فلم تنزل في مملكة العلويين يُخطب لهم فيها بالخلافة إلى أن أخذها منهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة .

٢٤٣-ب

(١) بياسة على النهر الذي يفصل إلى إشبيلية ، وبينها وبين جيان مشرون فيلا (صفة الأندلس ٥٧) .

(٢) بجاية مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، وهي في لفت جبل شافع (معجم البلدان ١ : ٣٣٩) .

وأما أغرناطة فملكها حيوس بن ماكسني الصنهاجي ، ثم مات في سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولى بعده ابنه باديس إلى أن توفى وولى بعده ابن أخيه عبد الله بن بُلْكَيْن (١) . وبقي إلى أن ملكها منه المثلثون في شهر رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

وانقضت جميع هذه الدول ، وصارت الأندلس جميعها للملثمين على ما ذكره إن شاء الله - عز وجل - في أخبارهم أيام أمير المسلمين - يوسف بن تاشفين . ولما كانت جزيرة الأندلس بيد هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم ، كانوا يُسَدُّون بملوك الطوائف وبسبب انفراد كل ملك منهم بجهة امتوى الفرنج على طليطلة كما ذكرنا .

جزوب معين التاريخ لأهل التاريخ

(١) يرد في المطان بلقين : بن حيوس الزيري .

ثبت بأسماء المراجع العربية

المذكورة فى الحواشى

- ١ - مسكوبه : تجارب الأمم وتعاقب
الهمم ط . القاهرة سنة ١٩٢٠
- ٢ - الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ط . الاستقامة سنة ١٩٣٩
- ٣ - عرب القرطبي : صلة الطبرى ط . الاستقامة سنة ١٩٣٩
- ٤ - على بن موسى : المغرب فى حلى المغرب ط . دار المعارف بمصر
- ٥ - الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ
الوزراء ط . بيروت سنة ١٩٠٤
- ٦ - ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب
السلطانية ط . دار المعارف (الثانية)
- ٧ - البهقى : تاريخ البهقى ط . الانجلو سنة ١٩٥٦
- ٨ - ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك
والأمم . ط . حيدر اباد الدكن (الأولى)
- ٩ - العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار
من ذهب ط . القدس سنة ١٣٥٠
- ١٠ - ابن كثير : البداية والنهاية ط . السعادة بمصر .
- ١١ - أبو المحاسن بن تغرى بردى :
النجوم الزاهرة ط . دار الكتب (الأولى)

- ١٢- المقرئى : كتاب السلوك لمعرفة
 دول الملوك ط . دار الكتب المصرية
- ١٣- ابن حنبل : تفضيل الأئمة على سائر
 الأئمة ط . استنبول سنة ١٩٤٠
- ١٤- ابن الأثير : الكامل ط . المنيرة سنة ١٣٤٨
- ١٥- ابن سليمان الراوندى :
 راحة الصدور وآية
 السرور ط . دار القلم بالقاهرة
- ١٦- المقرئى : نفح الطيب ج ١ ط . التجارية ١٩٤٩
- ١٧- ياقوت : معجم البلدان ط . دار صاير بيروت سنة ١٩٥٢
- ١٨- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس
 منتخبة من كتاب الروض
 المعطار فى خبر الأقطار ط . لجنة التأليف والترجمة
 والنشر سنة ١٩٣٧

فهرس

الجزء الثالث والعشرين

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

مقدمة	٥
ذكر خلافة المكتفى بالله	١١
ذكر قتل بدر غلام المعتضد بالله	١٢
ذكر وفاة المكتفى بالله	٢٢
ذكر خلافة المقتدر بالله	٢٢
ذكر خلافة المقتدر بالله	٢٣
ذكر خلق المقتدر وولاية ابن المعتز ، وانتفاض ذلك وعودة المقتدر ووفاة	
عبد الله ابن المعتز	٢٦
ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقاني	٣٤
ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ووزارة علي بن عيسى	٣٧
ذكر خروج الحسين بن حمدان عن طاعة المقتدر	٤١
ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل علي بن عيسى	٤٢
ذكر أمر يوسف بن أبي الساج	٤٥
ذكر عزل ابن الفرات عن الوزارة ووزارة حامد بن العباس	٥١
ذكر قتل الحسين بن منصور الخلاص وشيء من أخباره	٥٧
ذكر عزل حامد بن العباس وولاية ابن الفرات	٦٢
ذكر القبض على ابن الفرات الوزير وولده المحسن	٦٨
ذكر وزارة أبي القاسم الخاقاني	٧٢
ذكر مقتل ابن الفرات وولده	٧٦
ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ووزارة أبي العباس الخصي	٧٨
ذكر عزل أبي العباس الخصي ووزارة علي بن عيسى	٧٩
ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر بالله وبين مؤنس	٧٧
ذكر عزل علي بن عيسى عن الوزارة ووزارة أبي علي بن مقله	٧٩
ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب الحال واستيحاء مؤنس	٧٩

- ٨١ ... ذكر خلع المقتدر بالله وبيعة القاهرة
- ٨٤ ... ذكر عود المقتدر بالله إلى الخلافة وقتل نازوك وابن حمدان
- ٨٩ ... ذكر هلاك الرجال المصافية
- ٩٠ ... ذكر عزل ابن مقله ووزارة سليمان
- ٩١ ... ذكر خروج صالح والأغر
- ٩٣ ... ذكر عزل سليمان عن الوزارة وقولية أبي القاسم الكلوزاني الوزارة
- ٩٤ ... ذكر عزل الكلوزاني ووزارة الحسين
- ٩٥ ... ذكر تأكيد الوحشة بين مؤنس والمقتدر
- ٩٦ ... ذكر مسير مؤنس إلى الموصل
- ٩٧ ... ذكر عزل الحسين عن الوزارة ووزارة ابن الفرات
- ٩٧ ... ذكر استيلاء مؤنس على الموصل
- ٩٨ ... ذكر مقتل المقتدر بالله
- ١٠٥ ... ذكر خلافة القاهرة بالله
- ١٠٧ ... ذكر خبر عبد الواحد بن المقتدر ومن معه
- ١٠٩ ... ذكر استيحاء مؤنس وأصحابه من القاهرة
- ١١٠ ... ذكر القبض على مؤنس المظفر ويلقب الحاجب وابنه
- ١١٤ ... ذكر مقتل مؤنس ويلقب وابنه على والنوبختي
- ١١٥ ... ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم وعزله وولاية الحفصية
- ١١٥ ... ذكر القبض على طريف السبكري
- ١١٦ ... ذكر خلع القاهرة وسلمه وشي من أخباره
- ١٢١ ... ذكر خلافة الرازي بالله
- ١٢٣ ... ذكر مقتل هارون بن غريب
- ١٢٤ ... ذكر مقتل الشلمغان ومذهبه
- ١٢٨ ... ذكر ظهور إنسان ادعى النبوة
- ١٢٩ ... ذكر القبض على ابني ياقوت
- ١٣٠ ... ذكر حال أبي عبد الله محمد البريدي وتقدمه
- ١٣١ ... ذكر مسير ابن مقله إلى الموصل
- ١٣٢ ... ذكر القبض على الوزير ابن مقله ووزارة عبد الرحمن بن عيسى وغيره
- ١٣٤ ... ذكر عزل أبي جعفر ووزارة سليمان بن الحسن
- ١٣٦ ... ذكر وزارة الفضل بن جعفر (بن الفرات)
- ١٣٧ ... ذكر مسير الرازي بالله لحرب البريدي
- ١٤٢ ... ذكر استيلاء ممز الدولة بن بويه على الأهواز
- ١٤٤ ... ذكر الحرب بين بجكم والبريدي والصلح بعد ذلك

- ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه ١٤٥
 ذكر استيلاء بجكم على بغداد وثنى من أخباره ١٤٧
 ذكر مسير الراضى بالله وبجكم إلى الموصل وظهور ابن رائق ومسيرة إلى الشام ١٤٩
 ذكر وزارة أبي عبد الله البريدى للخليفة الراضى بالله ١٥١
 ذكر وفاة الراضى بالله وثنى من أخباره ١٥٢
 ذكر خلافة المتقى لله ١٥٤
 ذكر مقتل بجكم ١٥٦
 ذكر إصعاد أبي عبد الله البريدى إلى بغداد ١٥٧
 ذكر عود البريدى إلى واسط هارباً ١٥٨
 ذكر إمارة كور ثكنين الديلى ١٥٩
 ذكر عود محمد بن رائق إلى بغداد وولايته إمرة الأمراء ١٦٠
 ذكر وزارة أبي عبد الله البريدى ١٦٣
 ذكر استيلاء البريدى على بغداد وإصعاد المتقى لله إلى الموصل ١٦٤
 ذكر قتل ابن رائق وولاية ابن حمدان إمرة الأمراء ١٦٦
 ذكر عود المتقى لله إلى بغداد وهرب البريدى عنها ١٦٧
 ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدى ١٦٨
 ذكر ما اتفق لسيف الدولة بواسط ورجوع ناصر الدولة إلى الموصل ١٦٨
 ذكر حال الأتراك بعد إصعاد سيف الدولة من واسط ١٧٠
 ذكر عود سيف الدولة إلى بغداد وهربه منها ١٧٠
 ذكر إمارة توزون ١٧١
 ذكر الوحشة بين المتقى وتوزون ١٧١
 ذكر مسير المتقى لله إلى الموصل ١٧٣
 ذكر قتل أبي يوسف البريدى ١٧٤
 ذكر وفاة أبي عبد الله البريدى ومن قام بعده بالأمر ١٧٥
 ذكر ما كان من أمر المتقى لله إلى أن خلع وسم ١٧٦
 ذكر خلافة المستكن بالله ١٧٩
 ذكر وفاة توزون وإمارة ابن شيرزاد ١٨٢
 ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد ١٨٣
 ذكر خلع المستكن بالله وسمه ١٨٤
 ذكر خلافة المطيع لله ١٨٥
 ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود ١٨٩
 ذكر ظهور المستجير بالله ١٩٠
 ذكر ضمان الحسبة والقضاء والشرطة ببغداد ١٩٠

- ١٩١ ... ذكر استيلاء الروم على عين زوبة وما حولها من الحصون
- ١٩٢ ... ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس
- ١٩٥ ... ذكر البيعة لمحمد بن المستكني وما كان من أمره
- ١٩٦ ... ذكر ما فعله الروم بالشام والجزيرة
- ١٩٧ ... ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية
- ١٩٨ ... ذكر ملك الروم ملازكرد
- ١٩٨ ... ذكر مقتل ملك الروم نقفور
- ٢٠٠ ... ذكر الفتنة ببغداد ومصادرة الخليفة المطيع لله
- ٢٠١ ... ذكر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة وخلعة ابنه الطائع لله
- ٢٠٢ ... ذكر خلافة الطائع لله
- ٢٠٢ ... ذكر الحوادث في أيام خلافته
- ٣٠٤ ... ذكر القبض على الطائع وشيء من أخباره
- ٢٠٦ ... ذكر خلافة القادر بالله
- ٢٠٩ ... ذكر تسليم الطائع لله إلى القادر وما فعله معه
- ٢١٢ ... ذكر البيعة لولي العهد
- ٢١٣ ... ذكر الفتنة بمكة
- ٢١٥ ... ذكر البيعة لولي العهد
- ٢١٦ ... ذكر ملك الروم مدينة الرها
- ٢١٧ ... ذكر وفاة القادر بالله وشيء من أخباره وسيرته
- ٢١٩ ... ذكر خلافة القائم بأمر الله
- ٢٢٠ ... ذكر الحوادث في أيام القائم
- ٢٢٢ ... ذكر أخبار أبي الحارث أرسلان الباسيري
- ... ذكر استيلاء أبي الحارث الباسيري على العراق وخروج الخليفة القائم بأمر الله من بغداد
- ٢٢٦ ... والخطبة للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر وقطع الدعوة العباسية
- ٢٢٩ ... ذكر مقتل رئيس الرؤساء وعميد العراق
- ٢٣٢ ... ذكر عود الخليفة القائم بأمر الله إلى بغداد وخروج الباسيري منها وقتله
- ٢٣٩ ... ذكر غرق بغداد
- ٢٤٠ ... ذكر وفاة القائم بأمر الله وشيء من سيرته
- ٢٤٢ ... ذكر خلافة المعتدي بأمر الله
- ٢٤٣ ... ذكر الحوادث في أيام المعتدي
- ٢٤٦ ... ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة
- ٢٤٦ ... ذكر سير الشيخ أبي إسحاق برسالة الخليفة إلى السلطان ملكشاه

- ذكر عزل عميد الدولة عن الوزارة ومسير والده إلى ديار بكر ٢٤٧
 ذكر وفاة المقتدى بأمر الله وشيء من أخباره ٢٥٢
 ذكر خلافة المستظهر بالله ٢٥٣
 ذكر الحوادث في أيام المستظهر بالله ٢٥٤
 ذكر وفاة المستظهر بالله وشيء من أخباره وسيرته ٢٦٠
 ذكر خلافة المسترشد بالله ٢٦١
 ذكر ظهور قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٢٦٢
 ذكر مسير المسترشد بالله لحرب ديبس بن صدقة ٢٦٥
 ذكر الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان محمود ٢٦٧
 ذكر حصار الخليفة المسترشد بالله الموصل ١٧١
 ذكر سبر المسترشد بالله لحرب السلطان مسعود بن محمد وأسرته ٢٧٢
 ذكر مقتل المسترشد بالله ٢٧٦
 ذكر خلافة الراشد بالله ٢٧٧
 ذكر الحرب بين عسكر الخليفة الراشد بالله وعسكر السلطان مسعود ٢٧٨
 ذكر مسير الراشد بالله إلى الموصل وخلعه ٢٧٩
 ذكر خلافة المقتدى لأمر الله ٢٨٢
 ذكر تفويض أمور الدولة والوزارة إلى الوزير عون الدين بن هبيرة وما أقطعه الخليفة
 من الأقطاعات ٢٨٧
 ذكر حصر تكريت وعود عسكر الخليفة عنها وأسر ابن الوزير ٢٨٨
 ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا ٢٨٩
 ذكر وفاة المقتدى لأمر الله وشيء من أخباره ٢٩٣
 ذكر خلافة المستنجد بالله ٢٩٤
 ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكي ٢٩٧
 ذكر إجلاله بني أسد من العراق ٢٩٧
 ذكر وفاة المستنجد بالله وشيء من أخباره وسيرته ٢٩٩
 ذكر خلافة المستضيء بأمر الله ٣٠٠
 ذكر مقتل الوزير أبي جعفر بن محمد المعروف بابن البلدي ٣٠١
 ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد وعود عضد الدين إلى الوزارة ٣٠٣
 ذكر مقتل الوزير عضد الدولة وولاية ظهير الدين بن المطار ٣٠٦
 ذكر فتنة ببغداد وهدم بيعة اليهود ٣٠٧
 ذكر وفاة المستضيء بأمر الله ٣٠٨
 ذكر خلافة الناصر لدين الله ٣٠٨
 ذكر القبض على بن المطار وموته ٣٠٩

- ٣١٠ ... ذكر انهزام عسكر الخليفة من طغرل
- ٣١٢ ... ذكر ملك الخليفة خوزستان
- ٣١٣ ... ذكر ملك الوزير همدان وغيرها من بلاد العجم
- ٣١٤ ... ذكر ملك عسكر الخليفة إصفهان
- ٣١٧ ... ذكر وفاة الناصر لدين الله وشيء من أخباره وسيرته
- ٣١٨ ... ذكر خلافة الظاهر بأمر الله
- ٣٢١ ... ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٢٢ ... ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٢٣ ... ذكر مقتل المستنصر بالله وانقراض الدولة العباسية واستيلاء هولاءكو على بغداد
- ٣٢٥ ... جامع أخبار خلفاء الدولة العباسية ومن ولي منهم ومدة خلافتهم
- ٣٢٧ ... ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٢٩ ... ذكر مسير الخلفية المستنصر بالله إلى بلاد الشرق وقتله
- ٣٣١ ... ذكر خلافة الحاكم بأمر الله
- ٣٣٢ ... ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٣٤ ... الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الدولة الأموية ببلاد الأندلس
- ٣٣٩ ... ذكر مقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهرى
- ٣٤١ ... ذكر خروج العللاء وقتله
- ٣٤١ ... ذكر خروج سعيد البحصى المعروف بالمطرى وقتله
- ٣٤٣ ... ذكر أخبار شقنا بن عبد الواحد وخروجه بالأندلس
- ٣٤٥ ... ذكر عصيان أهل إشبيلية على الأمير عبد الرحمن
- ٣٤٦ ... ذكر عبور الصقلي إلى الأندلس وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٣٤٩ ... ذكر مخالفة أبي الأسود محمد بن يوسف الفهرى
- ٣٥٠ ... ذكر وفاة عبد الرحمن وصفته وشيء من أخباره وسيرته
- ٣٥٢ ... ذكر إمارة هشام
- ٣٥٣ ... ذكر خروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام
- ٣٥٤ ... ذكر خروج جماعة آخر على الأمير هشام
- ٣٥٦ ... ذكر غزو الفرنج
- ٣٥٧ ... ذكر فتنة تاكرفا
- ٣٥٨ ... ذكر وفاة هشام بن عبد الرحمن وشيء من أخباره وسيرته
- ٣٥٧ ... ذكر إمارة الحكم من هشام الملقب بالمرتضى
- ٣٥٩ ... ذكر غزو الفرنج
- ٣٦١ ... ذكر خلاف يهلول بن مرزوق وغيره

- ذكر مسير سليمان بن عبد الرحمن لقتال ابن أخيه الحكم وقتل سليمان ... ٣٦٢
 ذكر استيلاء الفرنج على برشلونه ... ٣٦٢
 ذكر الاتفاق بين الحكم وبين عمه عبد الله البلنس ... ٣٦٣
 ذكر استيلاء الفرنج على مدينة تطيلة ... ٣٦٣
 ذكر إيقاع الحكم بأهل قرطبة ... ٣٦٤
 ذكر إيقاع الحكم بأهل طليطلة وهي وقعة الحفرة ... ٣٦٥
 ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله بأهل قرطبة ... ٣٦٧
 ذكر غزو الفرنج ... ٣٦٨
 ذكر عصيان حزم على الحكم ... ٣٦٩
 ذكر عودة أهل ماردة إلى العصيان وغزو الحكم بلاد الفرنج ... ٣٦٩
 ذكر وقعة الربض بقرطبة ... ٣٧٠
 ذكر غزو الفرنج ... ٣٧٣
 ذكر غزو البربر بناحية مورور ... ٣٧٣
 ذكر وفاة الحكم ... ٣٧٤
 ذكر إمارة عبد الرحمن بن الحكم ... ٣٧٥
 ذكر إيقاع عبد الرحمن بأهل لإبيرة وجندتها ... ٣٧٥
 ذكر محاصرة طليطلة وفتحها ... ٣٧٩
 ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحارث بن بزيع وما كان من أمره ... ٣٨٢
 ذكر خروج المشركين إلى بلاد الإسلام بالأندلس ... ٣٨٣
 ذكر وفاة عبد الرحمن وشيء من أخباره ... ٣٨٦
 ذكر إمارة محمد بن عبد الرحمن المنصور بالأمين ... ٨٨٧
 ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج ... ٣٨٧
 ذكر خروج المجوس إلى بلاد الإسلام بالأندلس ... ٣٨٨
 ذكر وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن ... ٣٩٢
 ذكر إمارة المنذر بن محمد ... ٣٩٣
 ذكر إمارة عبد الله بن محمد ... ٣٩٤
 ذكر إمارة عبد الرحمن بن محمد ... ٣٩٦
 ذكر إمارة الحكم المستنصر بالله ... ٣٩٩
 ذكر إمارة هشام المؤيد بالله ... ٤٠٢
 ذكر أخبار المنصور محمد بن أبي عامر ... ٤٠٣
 ذكر المظفر أبي مروان عبد الملك ... ٤٠٦
 ذكر إمارة محمد المهدي ... ٤١٠

٤١٤	ذكر أخبار شنشول ومقطه
٤١٩	ذكر قيام هشام بن سليمان على محمد وما كان من أمره إلى أن قتل
٤١٩	ذكر قيام سليمان بن الحكم المستعين بالله
٤٢٤	ذكر دولة المهدي محمد الثانية
٤٢٦	ذكر دولة المؤيد هشام الثانية
٤٢٩	ذكر دولة المستعين بالله الثانية
٤٣١	ذكر إمارة الناصر على بن حمود
٤٣٢	ذكر ولاية المأمون القاسم بن حمود بن ميمون الفاطمي
٤٣٤	ذكر ولاية المعتل يحيى بن على
٤٣٥	ذكر عود الدولة الأموية بمدينة قرطبة ومن ولي منهم
٤٣٥	(أ) ذكر إمارة المستظهر بالله
٤٣٥	(ب) ذكر إمارة المستكن بالله
٤٣٦	(ج) ذكر ولاية المعتمد على الله
٤٣٩	ذكر أخبار الأندلس ومن ملكها بعد انقطاع الدعوة الأموية
٤٤٠	ذكر ولاية أبي الوليد محمد بن جمهور
٤٤٠	ذكر أخبار مدينة طليطلة
٤٤١	ذكر ولاية المأمون يحيى بن إسماعيل
٤٤١	ذكر أخبار دولة بني عباد
٤٤١	ذكر أخبار خلف الحصري المشبه بالمؤيد هشام وقيام دعوته بملكية محمد بن إسماعيل
٤٤٥	وما قيل في ذلك
٤٤٨	ذكر ولاية أبي عمرو عباد بن محمد
٤٥٢	ذكر ولاية المعتمد على الله محمد بن عباد
٤٥٥	ذكر وقعة الزلاقة وانهازم الفرنج لعنهم الله
٤٥٩	ذكر إنقراض الدولة العبادية وشيء من أخبار المعتمد وشعره
٤٦٥	ذكر ممالك الأندلس الأخرى
٤٧١	ثبت بأسماء المراجع العربية المذكورة في المراجع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٨٥٢/١٩٨١

ISBN

٩٧٧ ٧٣٤٠ ١٩٠ ٢